وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر (2) بوزريعة

كلية العلوم الإنسانية (قسم التّاريخ)

الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني

(1519م - 1830 م)

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر

إعـداد الطّــالــب: **علــي لعبيـــدي**

إشــــراف: **أ. د. أرزقي شويتام**

أعضاء لجنة المناقشة

أ. د.(ة): فلّة موساوي – القشّاعي.	أ. ت . العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا.
أ. د. أ رزقي شويتام	أ. ت . العالي	جامعة الجزائر 2	مشرفا ومقرّرا.
أ. د. عبد الرحمان أولاد سيدي الشّيخ.	أ . ت. العالي	جامعة الجزائر 2	عضوا.
أ. د. الغالي غربي	أ . ت . العالي	جامعة يحيى فارس لمدية	عضوا.
د. (ة): رقيّة شارف	أ. ة : محاضرة	جامعة الجزائر 2	عضوا.
د.(ة): صباح بعارسية	أ. ة : محاضرة	جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة	عضوا.

السّنة الجامعية: (2018 - 2019 م)

بسم الله الرحمن الرّحيم

لا يمتطي المجد من لا يركب الخطرا

ولا ينال العلــى من قدّم الحــذرا

ومن أراد العلى عفـوا بــلا تـــعـــب

قضـى ولم يقض من إدراكها وطـرا

(صفي الدّين الحلّي)

الإهداء

إلى والديّ الكريمين:

أبي جموعي بن محمد (بلحاج) بن لعبيدي بن العلّي، الأخضري. وأمي، فاطمة بنت عمار بن بوخالفة بن الأبيض الأخضري غفر الله لهم جميعا.

وإلى كل الذين علّموني، ابتداء بمعلّمي الأول، سيّدي: جموعي شرقي (الزريبي)، الذي علّمني حروف لغة الضّاد، وشيئا من القرآن الكريم.

شكر وعرفان

إلى أستاذي المشرف المحترم والمبجّل أرزقي شويتام؛ الذي رافقني من بداية البحث، وفتح لي بيته ومكتبته وأفاض عليّ بنصائحه وتوجيهاته وتصويباته، وعلى كل ما قدّمه لي من مساعدات، إلى غاية مناقشة الأطروحة.

وإلى كل من ساهم في تعليمي.

المختصرات.

- (د. م.ج.ج.) = ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية.
- (د. ط.) = دون طبعة.
- (د. ك. ع.) = دار الكتاب العربي.
- (ها) = هامش.
- (و. م. أ.) = الولايات المتحدة الأمريكية.
- (ط .خ.) = طبعة خاصة.
- (ك. ع. إ . إ.) = كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة.
- (م. ب.أ. إ. ث) = مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثّقافية.
- (م. د. ب. ع. م. ت.) = مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق.
- (م. د. ت.) = مجلة الدراسات التاريخية.
- (م. و. ك.) = المؤسّسة الوطنية للكتاب.
- (م . و . ث .) = منشورات وزارة الثقافة.
- (م. و. ف. م) = المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة .
- (م. و. ش. د.) = منشورات وزارة الشؤون الدينية.
- (م. ف. إ.) = ملتقى الفكر الإسلامي.

- (م. د. و. ع) = مركز دراسات الوحدة العربيّة .

- (م. م. و. د. ب. ح. و.) = منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنيّة وثورة أول نوفمبر 1954م.

- (م.م.د.ب.و.ع.ع.ع.) = منشورات مركز البحوث في الولايات العربية في العهد العثماني.

- (ش.و.ن. ت) = الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع.

- (ش.أ. ن. ت.) = شركة الأصالة للنشر والتّوزيع.

- (ش. د. أ.) = شركة دار الأمة.

- (تح) = تحقيق.

- (تر) = ترجمة.

- (غ. م.) = غير مطبوعة .

–ABREVIATIONS.

-(C.R.A.S.C.) = centre de recherche d’anthropologie, sociale, et culturelle.

- (E.A.L.).= édition, Alger Livres.

-(éd.) = édition.

- (R.A.)= Revue Africainne.

- (R.O.M.)= Revue de l’occident musulman.

- (S.D.) = Sans date .

-(S.L.E.) = Sans lieu d’édition .

- (A. L. E.) = Alger Livres Editions .

- (E. N.A.G.) = Entreprise nationale des arts graphiques.

- (R. O. M. M.) = Revue occidental du monde musulman .

مقدمة :

يعدُّ استجلاء الحقيقة في البحوث التّاريخية، حول موضوع ما، من ضرورات البحث العلمي وأهدافه. ولا يتأتّى ذلك، إلاّ عن طريق الاطلاع على الكتابات السّابقة والمقارنة بينها واستنطاق الوثائق، ووضع كل ذلك على محك الدّلائل والقرائن، لاسيّما المادية منها، وإن تعذّر ذلك، فبمحك المقارنة بين الكتابات السّابقة وإعمال المنطق، خاصة إذا كانت الأقلام أجنبية، وخاصة منها التي تريد تنميط التّاريخ وفق ما يخدم هذا الغرض أو ذاك. وموضوع بحثنا هذا يتمثل في الحركات المناوئة المختلفة للسلطة العثمانية التي وقعت بإيالة الجزائر، وواجهتها سلطاتها المتعاقبة، خلال الفترة العثمانية. تلك الحركات المتمثلة في سلسلة من الأحداث والمواقف المضادّة سواء كانت ضد السلطات المحلية، أو ضد السلطة المركزية باستانبول، وسواء كانت من بعض القبائل، ومن يحالفها، أو من الجيش نفسه، أو من أي فئة أخرى من السكان، أو من أي شخص كان. فمهما كانت الجهة المناوئة، ومهما اختلفت مناطقها، وحتّى مطالبها، فإنّها جميعا قامت ضد السلطة العثمانية، وأثرت سلبا على قدرات الدولة المادية والبشرية؛ وهذا ما سنعالجه من خلال تناول تلك الحركات التي اختلفت حول تسميتها الكتابات ما بين الثورات، والتمرّدات، والعصيان، التي حدثت هنا وهناك بمختلف جهات البلاد خلال الفترة العثمانية الرسميّة (1519-1830م). وبقدر انتشارها المكاني، وامتدادها الزّماني، بقدر تنوعها واختلافها؛ وهذا الذي سنتتبعه عبر مراحل الفترة العثمانية في الجزائر، والوقوف عليه، ضمن تفاصيل الموضوع الذي وسمناه بـ: الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني. أمّا الفترة المحدّدة للدراسة فقد فضلنا أن تشمل كل فترة الحكم العثماني من بدايته الرسمية (1519م) في الجزائر إلى غاية نهاية وجوده فيها سنة (1830م).

أهداف البحث: من بين أهداف البحث:

- القيام بعملية مسح أفقيّ شاملة؛ لإبراز أهم الحركات المناوئة للسلطة العثمانية بالجزائر خلال الفترة المذكورة أعلاه، ومدى تأثيرها على السلطات العثمانية المحليّة في الجزائر، وفي أجهزتها المركزية وفي السياسة العثمانية العامة في البلاد وهذا ما يفرض علينا تناول بالدراسة والتحليل تلك الحركات، من مختلف الجهات ، سواء كانت من الأهالي أو كانت من الجيش على شكل تمردات ؛ والتي أعاقت السير الحسن للسلطة العثمانية في الجزائر في كثير من المرّات.

ولا يتسنّى لنا إدراك حقيقة تلك الحركات من حيث: حجمها ونوعياتها وشدتها وأسبابها وغاياتها وآثارها، ومآلاتها، إلا عن طريق تناولها كرونولوجيّا، وبشكل أفقي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تهيئة الأرضية لأي دراسة لاحقة مستقبلا، تكون عمودية متخصّصة ومتعمقة في تلك الحركات المناوئة، وبهذا نكون قد مهدنا لغيرنا؛ لكي تليها خطوات أخرى. وكما يقال مسافة الميل تبدأ بخطوة؛ وبذلك نكون قد ساهمنا بهذا الجهد في تهيئة أرضية لمن يريد من للباحثين أن يضيف الجديد أو التعمق أكثر في ظاهرة الحركات المناوئة. وقد جاءت رسالتنا هذه كحلقة إضافية لبحثنا السابق في نهاية مرحلة الماجستير، حول الحركات المناوئة للسلطة العثمانية بالمشرق العربي خلال عهدي السلطانين سليم الأول وسليمان المشرع. ومن خلال هذه الأطروحة ارتأينا أن نتعرف على تلك الحركات المناوئة إن وجدت في إيالة جزائر الغرب على وجه التحديد، ليتسنى لنا من خلال ذلك تكوين نظرة على جناحي الدولة العثمانية في مجال الحركات المناوئة. كما أن من أهدف هذا البحث هو الكشف عن جانب من جوانب تاريخ الجزائر العثمانية. ولا نعدم النية والعزم على مواصلة البحث في هذا الميدان لاحقا، بعون الله تعالى. كما تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على العلائق المختلفة بين السلطة العثمانية والسكان من خلال أعيانهم، وعلمائهم، وصلحائهم، .. من جهة، وبين السكّان وقيادات الحركات المناوئة من جهة ثانية ، وفي الأخير وليس الآخر، فإن هذا العمل سيساهم ، ولو بالقليل، في إثراء مكتبة التّاريخ.

ولقد عانت بعض الحقائق التّاريخية الوطنية أثناء توريخ بعضها، من حيف تلك الأقلام، خاصّة ما يتعلق بالفترة العثمانية، فهي إمّا مشوّهة في بعض جوانبها، كوصف الوجود العثماني بالاحتلال، ووضعه في خانة واحدة مع الوجود الفرنسي من (1830م إلى 1962م)، أو مسكوت عن بعض منها، ولذا فهو يحتاج إلى من يصحّح ما يجب أن يصحّح، ويخرج إلى السطح ما هو مسكوت عنه، حتى تتجلّى النّقائص، وتُعْلم المجاهيل، وتنكشف الدّسائس، وبالتّالي تخرص الألسنة التي تتربّص وتحسن استغلال الفراغ، ومن هذا أدركت أهمية هذا الموضوع لكونه يعكس صفحة من صفحات تاريخنا خلال مرحلة من مراحله بما لها، وما عليها. كما تبرز أهمية هذا الموضوع في كونه يبحث في جانب من جوانب العهد العثماني المفترى عليه في بعض جوانبه – حسب تعبير محمد عبد العزيز الشنّاوي– والذي لم يُشبّع بالبحوث حول الأحداث الدّاخلية ومنها الحركات المناوئة للسلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر. فبالرغم من تناول هذه الظّاهرة من قبل بعض المؤرّخين سواء كانوا محلّيين أو أجانب إلاّ أنّ عدم تناولهم لتلك الأحداث بشكل شامل وكلّي دفع بي إلى تناوله. فكل من تناول ظاهرة الحركات المناوئة قد تناولها من باب الإشارة ضمن موضوع آخر، أو تناول بعضا منها، وهذا ما لا يقدم صورة كاملة وشاملة، وبالتّالي يترك الباب مفتوحا أمام كل التساؤلات والتخمينات والتّفسيرات المجّانية غير المؤسسة، بل وحتّى المغرضة،

ناهيك عن عدم الدراسة الشمولية للفترة العثمانية. و لقد شاع من خلال بعض الدّراسات أنّ العهد العثماني في الجزائر يمثل صفحة سوداء في تاريخ الجزائر، والسلطة العثمانية بها على حدّ سواء، وعلى أنّه فترة تاريخية مليئة بالظلم والجور والاستبداد والتعسّف والفساد،..وأنّ السلطات العثمانية المتعاقبة على حكم الجزائر لم تعر أيّ اهتمام للرّعية ولحاجياتها؛ ممّا دعا الرعيّة (الأهالي) وحملها على مناوأتها بمختلف الحركات المناوئة من ثورات وتمردات وعصيان، وبالإجمال التصدّي والوقوف في وجه الحكام العثمانيين في الجزائر. ومن هنا نطرح الإشكاليات التّالية:

هل كانت تلك الحركات المتمثلة في الثورات، والتمرّدات، وغيرها من الحركات الأخرى المناوئة التي وقعت في الجزائر، خلال الفترة العثمانية، ضد السلطة القائمة المركزية ؟ وما هي الجهات التي تبنتها وقامت بها؟ وهل كانت تستهدف الوجود العثماني في الجزائر في حدّ ذاته ؟ أم هي حركات كانت ردّات فعل تهدف إلى تغيير بعض الأوضاع وتصحيح بعض المسارات ؟ أي ما هي المطالب التي تكمن وراء تلك الحركات ؟ أو بعبارة أخرى ما هي الأسباب والدوافع الحقيقية المتحكمة في تلك الحركات؟ فهل كان الغرض منها هو التخلص من حكم العثمانيّين وإخراجهم نهائيّا من البلاد؟ أم هناك عوامل خارجية دفعت بعض الأطراف إلى القيام بهذه الحركات؟ أم هناك أسباب أخرى نجهلها؟ ثم ما موقف السلطات العثمانية تجاهها بالجزائر؟ وما هي الطرق والوسائل التي استعملتها في التصدي لها؟

وبالارتكاز على هذه التساؤلات فإنّنا نطرح التّساؤلات الفرعية التالية: كيف كانت المواقف الرسمية وغير الرسمية من هذه الحركات ؟ وما نتائجها ؟ وهذا ما سنسعى ونبحث عن الإجابة عليه وفق خطّة استعملنا فيها مناهج مختلفة من وصف وتحليل ونقد، وذلك من خلال الفصول التّالية: وللإجابة على تلك الإشكالية المقترحة تناولنا الموضوع وفق الخطّة التّاليّة موزّعة على ثمانية فصول:

– **الفصل** (**المدخلي**) **التّمهيدي:** وفيه استهللنا موضوع الرسالة **بالمد العثماني في الحوض الغربي للمتوسط**؛ وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث، محاولين الكشف والتعرف من خلال المبحث الأول عن الأسباب والدوافع المختلفة (السياسية، والاقتصادية، والدّينية)، وفق استراتيجيّة معيّنة، والتي شجّعت العثمانيين على تواجدهم بالحوض الغربي للبحر المتوسط، وبالتالي توسيع رقعتهم غربا، بعدما كان وجودهم منحصرا بالجزء الشرقي من المتوسط. أمّا بالمبحث الثّاني فسيكون خاصّا بإبراز الأوضاع العامة : السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي

ميزت فترة قدوم العثمانيين إلى المنطقة، بالإضافة إلى واقع التحرشات الخارجية. بينما المبحث الثالث والأخير فقد عالجنا فيه الظروف المحيطة بعملية التحاق الجزائر بالباب العالي، وانضوائها تحت المظلة العثمانية.

– **الفصل الأول**: بعنوان الموقع والسكّان وعلاقتهم بالسلطة: ويتناول عموما الجزائر في ظل العهد العثماني، وقسمناه إلى أربعة مباحث، جاءت على النحو التالي: المبحث الأول، تطرقنا فيه إلى الموقع الجغرافي والحدود البرية من حيث إنشائها وتطورها. أمّا المبحث الثاني، فتناولنا فيه الجانب السكاني من حيث تركيبته سواء بالمدن أو الأرياف. أما المبحث الثالث فقد خصّصناه لموضوع العلاقة بين السلطة ومختلف فئات المجتمع، محاولين الكشف عن طبيعتها وعن مدى تأثيرها على الحياة العامة عموما، وعلى الأحداث السيّاسيّة والعسكرية بصفة خاصّة. واختتمنا هذا الفصل بمبحث رابع، بينا فيه الأساليب والوسائل التي استعملتها السلطة العثمانية في عملية التحكم في السكان، وإخضاع البلاد، وذلك من خلال ثلاثة مباحث؛ مسلطين الضوء من خلالها على: التقسيم الإداري[1] الذي طبّقته السلطة العثمانية بالجزائر، وعلى الحملات العسكرية التي كانت توجهها إلى القبائل لجباية الضرائب شرقا وغربا وجنوبا، وعلى الحاميات العسكرية المتواجدة في المدن الرئيسية عبر مختلف البايلكات.

– **أما عن الفصل الثّاني** فأفردناه للحديث عن الوسائل والأساليب التي انتهجتها السلطات العثمانيّة في الجزائر؛ من أجل التحكم في الأهالي والتّعامل معهم. وقد قسّمناه إلى مبحثين: المبحث الأول خصّصناه للحديث عن الأساليب السيّاسيّة والإداريّة. أمّا المبحث الثّاني فتناولنا فيه الأساليب العسكريّة المطبقة في الجزائر من قبل السلطة العثمانيّة.

– **أما عن الفصول الخمسة المتبقية** من الفصل الثالث إلى الفصل السّابع والأخير؛ فقد تناولنا خلالها الموضوع المقترح للدراسة (الحركات المناوئة)، بحيث كل فصل من هذه الفصول استعرضنا من خلاله ما وقع فيه من حركات مناوئة للسلطة في تلك المرحلة، مع استهلالنا بتقديم لمحة موجزة عن الفترة المحدّدة بالدراسة من ظروف عامة مميزة لها ثم دراسة الحركات المناوئة في تلك الفترة وأنهيناه (الفصل) بخلاصة . مع الملاحظة الجديرة بالذكر أننا قسمنا

1) لقد تم تقسيم الفترة العثمانية في الجزائر من قبل الباحث التركي عزيز سامح إلتر إلى أربعة مراحل هي:(مرحلة البايلر بايات ، ومرحلة الباشوات، ومرحلة الآغوات، ومرحلة الدايات). لكن فاضل بيات يقسم الفترة العثمانيّ في الجزائر إلى : مرحلة البكلربكية، الآغوات، والدايات. انظر : فاضل بيات، الدولة العثمانية في المحيط العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت،2007، ص. 546، 547.

الفترة الرابعة والأخيرة (1671- 1830م) إلى فترتين، وذلك نظرا لطولها. فجاءت كالتالي: الأولى من 1671 إلى 1800، والثّانيّة من 1801 إلى 1830م.

- **الفصل الثالث**: ويتعلق بالمرحلة الأولى من الحكم العثماني والمعروفة تاريخيّا بمرحلة البايلربايات (1519- 1587م) [2]، واستعرضنا فيها حركات: سالم التّومي (1516م)، وابن القاضي (1518م)، وقبيلة سويد، و حركة بوطريق (1544 م) و حركة عبد المؤمن، وأهل الجنوب (بني جلاب) بالواحات (1552م)، بني عبّاس (1558م)، وأهل قسنطينة (1567م).

- **الفصل الرّابع**: وجاء تحت عنوان مرحلة الباشوات (1588- 1659م)، وفيه قدّمنا الحركات التّالية: حركة بني عباس (1590م)، وحركات الكراغلة بتلمسان: الأولى (1624م)، والثّانية (1626م)، وحركة الكراغلة (1526م)، وحركات الإنكشاريّـة (1628م)،(1629م)،(1633م). وحركة ابن الصخري (1537م)، وحركة أولاد عبد المؤمن بقسنطينة (1642م)، وحركة إمار "كوكو"، وحركة أولاد مقران (1643م) .

- **الفصل الخامس** ويخص مرحلة الآغوات (1659- 1671م)، وهي أقصر المراحل العثمانية زمنا نسبيّا لكون فترته لا تتجاوز الإثنى عشر سنة، ولكنها فترة مميزة وغنيّة بالأحداث. وفيها استعرضنا للحركات التي اتسمت بها.

- **الفصل السّادس**: ويخص الفترة الأولى من مرحلة الدّايات (1671م) إلى غاية نهاية القرن السّابع عشر (1800م).

- **أما الفصل السّابع**: فيخص الفترة الثّانيّة، من مرحلة الدّايات، والتي تبدأ من 1801م إلى غاية نهاية الوجود العثماني (1830م). والتي تميزت خلالها السلطة العثمانية بالضعف. وبهذا التقديم ننهي بحثنا. ثم ختمنا البحث بخلاصة عامة ضمنّاها جملة من المقاربات على شكل استنتاجات، ولتعزيز الموضوع أردفناه ببعض الوثائق والجداول كلملاحق؛ ذات صلة بالموضوع وعلاقة ببعض الأحداث.

---

2) هناك من يقسم مرحلة البايلر بايات، إلى فترتين هما: فترة بابا عروج وخير الدين، 1512- 1546م، وفترة حكم الولاة البايلر بايات، 1546- 1587م . انظر، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق توفبق المدني، دار البصائر، الجزائر، 2009،ص. 39.

الصعوبات

أمّا الصّعوبات فإنّه لا يستثني منها أحد من الباحثين، فمهما كان مستواه، أو كان موضوع بحثه. ومن جملة ما اعترضني منها: قصر الفترة الزمنية المخصّصة للبحث من ناحية، ومن ناحية أخرى طول الفترة الزمنية للوجود العثماني بالجزائر التي تنيف عن ثلاثة قرون. ناهيك عن تعدّد الأحداث وكثرة الحركات المناوئة للسلطة العثمانية، الأمر الذي يصعب مهمة الإلمام والإحاطة بكل الحركات، لاسيما فيما يتعلق بتفاصيلها؛ لذلك وجب التنويه بعدم ذكر كل الحركات المناوئة ونعني بذلك تلك الحركات التي أشار إليها بعض المؤرّخين عرضا ولم نجد لها ذكرا هنا أو هناك، وغفلت على ذكرها المصادر والمراجع مثل: حركة الحمايمي التي ذكرها ابن المفتي دون غيره. أو تلك الأحداث التي لم يكن لها تأثير، لا في الزّمان ولا في المكان، هذا من جهة. ومن جهة أخرى تعدّ ندرة المصادر والمراجع،من بين معرقلات الباحث، خاصّة في تلك التي تتعلق بالقرن السّادس عشر، (المرحلة الأولى من الوجود العثماني بالجزائر)، وهذا ربما لقلة التدوين لتلك الفترة، حسب شهادة أحد المؤرّخين(3). كما أنّ عدم معرفة اللغة الأجنبية، لاسيّما العثمانية التي دونت بها بعض الأحداث المتعلّقة بالفترة العثمانية بالجزائر، والتي تحتاج إلى الترجمة على غرار ترجمة مذكرات خير الدين بربروس.

أمّا أكبر صعوبة واجهتنا فتمثلت في الكيفية التي نهيكل بها موضوع بحثنا. فهل نبحث عن الحركات المناوئة ونصنّفها حسب مناطق قيامها؟ أم هل نصنّفها بناء على تسلسلها الكرونولوجي؟ أم نتناولها بناء على شدّتها ؟ أم نتناولها حسب القرون...؟ لكن في الأخير وبعد استشارة الأستاذ المشرف اعتمدنا تتبع الحركات المناوئة حسب حدوثها، ولكن أيضا طبقا للتقسيمات الإدارية السياسيّة. وبالرغم من ذلك، فقد اعتمدت الدراسة على ما تيسّر من الوثائق المتنوعة والمودعة في مراكز الأرشيف، وعلى جملة من المصادر، خاصّة منها المحايلة للأحداث كمذكّرات خير الدّين بربروس، وأبو راس النّاصري على سبيل المثال لا الحصر. كما لم نهمل المراجع المتخصّصة في تاريخ الجزائر العثماني من كتب أو مجلاّت، وهذا سواء باللغة العربية أو بغيرها .

---

3) جون. بابست. وولف، الجزائر وأوربا، (تر. وتع) : أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، (ط.خ)، الجزائر، 2009، ص. 95.

- **عرض لأهم مصادر البحث.**

عملا بالمقولة الشهيرة القائلة " **ما لا يدرك كله لا يترك جله** " وبالتالي، فإذا كان الإلمام بكل مصادر الموضوع يعد شبه مستحيل، فإن ذلك لم يثبط إرادتنا في البحث عمّا يمكن العثور عليه من مصادر ومراجع تخدم الموضوع، وكل ذلك حسب الإمكانيات الزّمنية والمكانية. فلقد عدّدنا ونوّعنا مصادر بحثنا بقدر الاستطاعة. فمنها المصادر العربية الخاصة ذات العلاقة بموضوع البحث، سواء كانت كتب التاريخ أو كتب السير. ومنها المصادر المترجمة من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية، أو إلى اللغة الفرنسية. كما حاولنا الاستفادة رأسا من المصادر الفرنسية أو المراجع المنقولة عنها. ومن المصادر الأخرى المتخصصة في بعض التخصصات الأخرى ككتب الرحلات وكتب الجغرافية و حتّى الأدب، متجنّبين الوقوع في وجهات نظر ورؤى محدّدة، ومتحاشين بذلك الاعتماد على مصادر ومراجع ذات توجّه موحد ومشترك. ومهما كانت اختلافات تلك المصادر والمراجع، إلاّ أنّنا استغلينا ما استطعنا قليلا منها أو كثيرا. و فيما يلي نقدم عرضا مختصرا لبعض وأهم تلك المصادر والمراجع.

أولا: المصادر العربية :

1- مجموعة وثائق عثمانيّة خاصة بفترة الدّراسة بالمكتبة الوطنيّة بالحامّة (الجزائر). وتتمثل في بعض المراسالات (فرمانات) بين الباب العالي وحكام إيّالة الجزائر، وفي بعض الرّسائل بين بعض الدّايات والسلطة المركزيّة بدار السلطان، حول بعض الإجراءات التي اتخذتها السلطة المحليّة (الباي) تجاه المتمرّدين والممتنعين عن أداء الضّرائب، وبينهم وبين شيوخ القبائل حول السيّاسة الواجب اتباعها. ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- فرمان السلطان سليم الثّالث (1779- 1807م)، بتاريخ شهر شوال 1210هـ/1795م، حول عملية تجنيد الإنكشاريين من الأناضول لصالح الجزائر.

- وثيقة عثمانية من ملف رقم 3206، لسنة 1235هـ/ 1819م، حول إعفاء الحكام المحليين والقضاة والمفتين مكنى الضرائب المخزنية.

2- **المخطوطات المحققة:**

- **مذكرات خير الدّين بربروس:** التي ترجمها محمد درّاج إلى العربيّة، والتي تعدّ من المصادر الهامّة المؤرّخة للأحداث. والمرتبطة بالجزائر خلال النصف الأول من القرن السّادس عشر الميلادي، وعلى لسان صاحبها. ويقول

عنها مترجمها في مؤلفه"مذكرات خير الدين بربروس طبعة (2015م) « تعد مذكرات خير الدين بربروس أحد المصادر التركية البالغة الأهمية التي تؤرخ للمرحلة الأولى من الوجود العثماني في الجزائر» **ويضيف** « وهي شهادة خير الدين على أحداث عصره التي صنعها بنفسه » [4]. بل وترجمت إلى عدّة لغات نظرا لأهميّتها.

- **تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**: كتاب مخطوط لحسين بن رجب شاوش والمعروف بابن المفتي أحد الكراغلة المقربين من السلطة بحكم وظيفة والده المفتي الحنفي، حقّقه كعوان. وبالرغم من صغر حجم الكتاب وسطحية معلوماته، إلا أنه مصدر ثمين وهام، وسر أهميّته تكمن في كون كاتبه مجايلا لبعض الباشوات، وعاش بالقرب منهم. وقد أفادنا في تسلسل بعض الحركات لكونه كان على شكل يوميات.

– **كتاب**: (**فريدة منيسة في حال دخول الترك قسنطينة واستيلائهم على أوطانها**). أو " تاريخ قسنطينة " لصالح العنتري والذي حققه يحي بوعزيز. هذا الكتاب يعد من أهم المصادر التي لا يستغنى عنها لكون صاحب الكتاب من المقربين للسلطة العثمانية في بايلك الغرب وهو شبيه برجب حسين شاوش المعروف بابن المفتي، وهو بذلك أعرف الناس بدهاليزها الداخلية. وقد أفادنا كثيرا في ما يخص: نشأة الحدود الشرقية للإيالة، وكذلك في بعض الحركات المناوئة، والتي سماها صاحب الكتاب بالتمردات. كما أفادنا في التعرف على الكثير من بايات قسنطينة وعلى بعض سيرهم. هذا ودون أن نغفل الجرح الذي وجه للكاتب والكتاب .

– **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**: كتاب من الحجم الصغير، لكنه بقلم من صنعوا الأحداث ومن عايشوها. و قد ترجم هذه المذكرات محمد العربي الزبيري، والتي قال عنها نقلا عن المؤرخين بأنها ذات قيمة تاريخية كبرى، ص. 9.

–**كتب السير والتراجم**: من كتب السير والتراجم التي اعتمدنا عليها نذكر كتاب مذكرات خير الدين بربروس؛ هذا الكتاب الذي قال عنه مترجمه محمد دراج بأنه متميز. وفعلا فإنّه لم يبالغ في وصفه ونعته. فهو كتاب من أكثر المصادر أهمية؛ لكونه مؤلّف بلسان صانع أحداثه، ولكونه يؤرّخ لفترة تميّزت بندرة الكتابات خاصة منها المصادر. كما يعد ضروري لأي باحث يبحث في ببدايات الوجود العثماني بالجزائر، والشّاهد الوحيد على الأحداث الأولى، التي ارتبطت بها بلاد المغرب ببلاد الأناضول. وبالرغم من حجم الكتاب المتواضع، إلا أنه غني

---

4) محمد درّاج الجزائر في المصادر العثمانيّة، دار الورّاق، الجزائر، 2017، ص. 55.

بالمعلومات التي لا يمكن العثور عليها إلا من صاحبها وصانعها (خير الدين بربروس). ولذا فإن أي باحث منصف في الفترة العثمانية بالجزائر مدين لمترجم هذا الكتاب من العثمانية إلى اللغة العربية.

– **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهّار**(نقيب الأشراف) بمدينة الجزائر، هو مخطوط من تحقيق المؤرخ أحمد توفيق المدني. يتناول هذا الكتاب بعض من جوانب تاريخ الجزائر ابتداء من: عهد علي باشا بوصبع 1168 هـ/ 1754م إ لى غاية آخر الدايات. ومنه استفدنا بشكل خاص مما كتب عن ثورات: عبد الله الدرقاوي، وابن الأحرش، وأحمد خوجة، وفتنة شاوش، والثورة التيجانية. وتعد مذكرات أحمد الشريف الزهار من المصادر الهامة لكون صاحبها كان على احتكاك وتواصل مع السلطة العثمانية، وذلك لمكانته الاجتماعية.

– **كتاب دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران:** لمحمد بن يوسف الزياني البرجي، وهو مخطوط حققه المهدي البوعبدلي، لكنه مختصر ومبتور في بعض أجزائه. ويتكون الكتاب؛ بعد مقدمتي المحقق والمؤلف من ثلاث فصول تناولت مدينة وهران تعريفا وتسمية وعلما وأوليائها، ثم يتناول مجموعة من الدول منها دولة مغراوة (المغراويين)، والعبيديّين، والمرابطين، وبني مرين ودولة الأسبان، ودولة " الترك " التي قسم مادتها إلى ستة مواضع . ولقد استفدنا ثلاث مواضع منها والتي تناولت سبب مجيء " الأتراك" ومن تولى منهم حكم وهران، وفيه تعرّض صاحب الكتاب إلى الحركة الدرقاوية التي تعتبر من أبرز الحركات المناوئة. كما تناول بالذكر باشوات الجزائر حسب ترتيب حكمهم. بالإضافة إلى كتب: الرحلات وكتب الجغرافية. كما اعتمدنا كذلك على بعض المراجع والمصادر بالفرنسية سواء كانت أصلية أو مترجمة إلى الفرنسية.

ثالثا: المراجع العربية.

– **كتاب الدولة العثمانية في المجال العربي**، لفاضل مهدي بيات، وهو كتاب من الحجم الكبير، وتناول فيه صاحبه التواجد العثماني في البلاد العربية والنظام الإداري القائم تحت السلطة العثمانية، ورغم أن كاتبه كان سخيّا في الكتابة عن العثمانيين في بلاد المشرق وزاهدا في الكتابة عن بلاد المغرب إلا أنّ ذلك لم يمنعنا من الاستفادة منه فيما يخص بدايات الوجود العثماني بالجزائر. كما ننوه بتخصص كاتبه في التّاريخ العثماني وهو ما جعلنا نعتمد عليه بدون تحفظ.

– **كتاب الجزائر في عهد رياس البحر** لوليام سبينسر، وهذا الكتاب أصله مؤلف باللغة الأنجليزية وقد تمت ترجمته إلى العربية بقلم عبد القادر زبادية ، وهو كتاب متنوع المواضيع وتناول فيه مرحلة رياس البحر ، وقد استفدنا من هذا الكتاب بفضل تنوع مواضيعه. وقد جاء فيه التقديم لهذا الكتاب على لسان من حبّر تقديمه للكتاب.

– **كتاب الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس** : لمحمد درّاج، وهو كتاب ذو حجم كبير، تناول فيه صاحبه الأوضاع العامة قبيل المجيء العثماني، ثم دخولهم إلى اليها، وكذلك وجودهم في الحوض الغربي للمتوسط. والشيء الذي يتميز به هذا الكتاب عن غيره هو كونه مصادره ومراجعه عثمانيّة .

– **كتاب المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني** (1519– 1830م) لأرزقي شويتام. ويعدُّ من المراجع الهامة لأي باحث في تاريخ الجزائر العثمانية خاصّة في الجانب الاجتماعي، وحسب علمنا لا يزال المؤلف الوحيد حسب علمنا إلى غاية إعداد هذه الأطروحة هو الدّراسة الشاملة المختصّة الوحيدة في تناول المجتمع الجزائري وتفاعله مع السياسة المحلية بزاوية طرح جديدة. وقد أفادنا في الجانب الاجتماعي، خاصّة من حيث الفئات الاجتماعية المختلفة، كما اعتمدنا عليه من حيث منهجية الطرح في بداية كل فصل ونهايته.

– **كتاب تاريخ الجزائر الثقافي،** لأبي القاسم سعد الله، وهو كتاب من أربعة أجزاء، حيث استفدنا من جزئه الأول؛ الذي تناول فيه المؤلف الوضع الثقافي السائد بالجزائر من ق16م إلى ق20م. ورغم كونه مؤلف عن التاريخ الثّقافي للجزائر خلال الفترة العثمانية إلاّ أنّه يتضمّن معلومات عن الحركات والتمرّدات والثورات المناوئة للسلطة العثمانية، سواء بالإشارة العابرة، أو بشيء من التفصيل.

– **كتاب الجزائر في عهد الآغوات** (1659– 1671م) لأمين محرز، وهو كتاب من الحجم المتوسط، وقد ضم بين دفتيه دراسة شاملة لفترة الآغوات: سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وقد أفادنا بصفة خاصة في المجال السياسي، لا سيما في الانقلاب السياسي، من الباشوات إلى الآغوات، وما ميز فترتهم من أحداث دموية. وهذا المؤلف يعد في نظرنا الوحيد الذي ألف حصريّا لهذه الفترة على المستوى المحلّي. وبالرغم من كون الكتاب يعالج الموضوع السيّاسي إلاّ أنّه تعرض إلى بعض الحركات المناوئة مما جعلنا نعود إليه من حين لآخر. بالإضافة إلى المراجع المترجمة إلى العربية، أو غير المترجمة .

– الكتابات السابقة عن الجزائر في الفترة العثمانية.

– قبل بدء الحديث عن الكتابات السابقة حول ما كُتِب عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، نشير إلى أن المعلومات تكاد تكون نادرة حول المرحلة الأولى من مراحل العهد العثماني أي مرحلة البايلر بايات (1519م – 1587م)، أمّا في باقي المراحل الموالية فهي متوفرة نسبيا. وقد تنوعت الكتابات بتنوع أوقاتها، وبتنوع أصحابها، فمن حيث أوقاتها هناك كتابات كتبت خلال العهد العثماني فإمّا أن يكون صاحبها معاصرا للأحداث ومجايلا لصنّاعها، فيكتب عنها مستعينا بما رآه وسمعه وقد يضيف إلى عمّا سلف من أحداث. فهناك مصادر أُلفت بالعثمانية (التركية)، وهناك مصادر كتبت بالغة العربية، ومصادر أخرى كتبت بلغات أجنبية أخرى كالفرنسية والأنجليزيّة والأسبانية وحتى باللغة الهولندية وغيرها.

1) **المصادر باللغة التركية:**

تعتبر الكتابات العثمانية (التركية) المتخصصة في الشأن الجزائري خلال العهد العثماني، حسب اطلاعنا، قليلة جدا بالمقارنة مع التاريخ الطويل نسبيا للفترة العثمانية، وكذلك بالنظر لحجم الأحداث التي طبعتها، ونذكر من هذه الكتب التي تعتبر مصادر، ومنها: كتاب غزوات عروج وخير الدين لمؤلف مجهول، وكتاب البحار "بيري رايس" الذي تناوله روبير مانتران بالدراسة والتحليل، ومذكرات خير الدين بربروس التي تعد من أقرب المصادر إلى وقائع الدخول العثماني للجزائر؛ ولق تم التعرض لها سابقا. و كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" للمؤرخ والكاتب الشهير كاتب جلبي، الذي تناول فيه تاريخ الجزائر وخصص له حوالي 60 صفحة في جزئه الأول. ومنها، وبالخصوص فتح بعض المدن الساحلية من قبل الإخوة بربروس، والغزو المسيحي لبعضها. وعموما تخص بدايات الوجود العثماني بالسواحل المغربية، مستندا على ما ثبّته خير الدين في مذكراته، ولأهمية هذا الكتاب ترجمته منظمة اليونيسكو إلى اللّغة الإنجليزية [5].

5) دراج: الجزائر في المصادر العثمانية،...، ص. 113.

وكتاب"تاريخ جودت"(جودت تاريخي) لأحمد جودت باشا[6]، فإنّه يُعدُّ مهما لأي باحث في تاريخ الجزائر الحديث، وذلك بالرغم كونه خاص بتاريخ الدولة العثمانية. وكتاب تاريخ جودت الذي يتحدث عن الأوضاع في أوجاق الغرب، ويقصد بها (الإيالات الغربية) طرابلس الغرب وتونس والجزائر، وكتاب مجموع منشآت السلاطين الذي ضمنه الكاتب فريدون أحمد بك مجموعة من الوثاق الرسمية التي أصدرها السلطان العثماني بشأن الجزائر، لمجهول [7]. بالإضافة إلى بعض الاستثناءات لبعض الإشارات والإحالات من قبل بعض المؤرخين والمؤلفين. كما في كتاب فذلكة التواريخ للكاتب چلبي[8]. وأمام هذا النقص فإن كتاب محمد دراج الموسوم بـ"الجزائر في المصادر العثمانية " يعد من أهم الكتب التي تساعد القارئ عموما والباحث على وجه الخصوص على معرفة تلك المؤلفات (المصادر) التي تناولت تاريخ الجزائر ولو جزئيا.

2) المصادر بالعربية والمعرّبة:

إنّ المصادر الهامة التي كتبت بالعربية وقدمت لنا معلومات بأقلام شهود عيان عن الأحداث التي عايشوها خلال الوجود العثماني تعد قليلة جدّا ومنها: كتاب وصف إفريقيا لحسن الوزّان (ليون الإفريقي)، الذي عايش بداية الدخول العثماني سنة (1516م) خلال رحلته. وكتاب" النفحة المسكية في السفارة التركية، للرحالة علي التمغروطي المغربي، الذي أقام بمدينة الجزائر مع بدايات عهد الباشوات 999هـ/ 1595م، ووصف في كتابه مدينة الجزائر[9]، وكتاب تقييدات ابن المفتي لحسين شاوش إبن المفتي الكرغلي؛ الذي كان موظفا لدى

---

6) ولد عام 1822م ببلغاريا، وتوفي عام 1895م بإسطنبول، تلقى مختلف علوم عصره بمعظم جوامع إسطنبول، بالإضافة إلى تعلم اللغة الفارسية. وتولى مهام عديدة : كقاضي، ومدرس، وقاضي عسكر بالأناضول، ورجل قانون، ومدير دار المعلمين، ومؤرخ رسمي،...وله مؤلفات عديدة ومساهمات في القانون والآداب، والتاريخ، بالإضافة إلى مذكراته.

7) دراج ، الجزائر في المصادر ،...، ص. 103 وما بعدها،141 وما بعدها.

8) كاتب چلبي والملقب أيضا بـ: حاجي خليفة، فهو مصطفى بن عبد الله، المولود بإسطنبول(1609–1657)م، تلقى تعليما خاصا بإطارات الدولة، ثم تولى عدة مناصب في الجيش ووزارة البقاع المقدسة ولذلك أخذ لقب حاجي. وخلال تواجده بالأناضول سنة 1635م تعرف على العديد من العلماء، وبعد ذلك ترك العمل في الجيش وتفرغ للعلم والتأليف. انظر: محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، مرجع سابق، ص.105.

9) أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1424هـ/2003م، ص. 501.

السلطة العثمانية بالجزائر وأعرف الناس بخفايا الحكم، وكتاب: السعي المحمود لإبن العنابي، الذي يعد كتاب فكر وتخطيط وإصلاح؛ لما جاء به من أفكار، وكتاب الرحلة العياشية، أو ما يسمّى بـ(ماء الموائد)، للعياشي(1627-1679م). وكتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني للزيّاني، وكتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، لمحمد بين ميمون الجزائري، وكتاب مجموع منشآت السلاطين للكاتب فريدون أحمد بك، وقد ضمنه مجموعة من الوثاق الرسمية التي أصدرها السلطان بشأن الجزائر، لمجهول الخ [10]. ومع قلة هذه المؤلّفات، فإنّها لم تتناول إيالة الجزائر بالدراسات المعمّقة والشّاملة ، وإنّما تناولتها من بعض جوانبها وبصفة سطحية أو عرضا، زيادة على فقدان بعضها من المكتبات الجزائرية.

أما الكتابات التركية الحديثة فهي شبه معدومة على الأقل في المكتبات الجزائرية، وهذا حسب المسح الذي قمنا به سنة 2012م، وحتى البحوث في هذا الميدان قليلة جدا بالمقارنة بالتاريخ الطويل للعهد العثماني بالجزائر، وهو ما أكده محمد دراج، حيث أحصى إثنين وعشرين (22) رسالة جامعية فقط، تتعلق بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني [11].

3) **المصادر غير العربية:**

تعتبر الكتابات غير العربية التي عالجت تاريخ الحقبة العثمانية في الجزائر نسبيا معتبرة بالمقارنة مع ما هو مأمول أن يكون باللغة العربية، ودون نقد هذه الكتابات أو التعليق على محتوياتها، فإنّنا سنستعرض بعضا منها. فمن الكتب التي تناولت الحقبة المشار إليها فيما سبق، نذكر كتاب رحلات وملاحظات عن كيانات شمال إفريقية والمشرق للرحالة الطبيب طوماس شو. وكتابات الأسرى المسيحيين منهم ديغو دو هايدو، صاحب كتاب تاريخ ملوك الجزائر. وكتابات القناصل والسفراء أمثال القنصل كارنوليس بيجنيكر صاحب كتاب وصف تاريخي لمدن تونس والجزائر وغيرها من مدن الشمال الإفريقي عام 1626م.

---

10) دراج ، الجزائر في المصادر ،... ، ص. 103 وما بعدها،141 وص. وما بعدها.

11) دراج، الجزائر في المصادر،... ، ص.221.

ويضاف إلى ما تقدم، نذكر ما دونه الحكام والموظفون الرسميون وساهموا به في رصيد المصادر التاريخية للإيالة ولو بطريقة غير مقصودة، وذلك من خلال المراسلات الدبلوماسية، سواء مع الباب العالي أو مع الحكومات الأجنبية مثل مراسلات الدايات التي جمعها أُوجين بلانتيت (E. Plantet) أو الأحكام القضائية الصّادرة من المحاكم، والعقود على اختلافها، وسجلات الضرائب. ولكن لأهمية الموضوع نشير إلى أنّ معظم الأرشيف العثماني الخاص بالجزائر خلال الفترة العثمانية وبالرغم كونه خاص بتاريخ الدولة العثمانية إلا أنه يؤرخ لفترة عثمانية حساسة تمتد من (1774- 1826م) وضمنها يتطرق إلى بعض الأحداث المهمة في تاريخ الجزائر العثمانية [12].

-) الكتابات غير العربية:

رغم اهتمام الفرنسيين بالتاريخ العثماني بالجزائر، عن طريق التعليم وإنشاء الجمعيات والمجلات التاريخية، والدراسات الأركيولوجية، والاهتمام بالحركة الثّقافية عموما، خاصّة بعد الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي عام 1830م، إلاّ أنّهم لم يغطّوا بكتاباتهم فترة الوجود العثماني بالجزائر من جميع النّواحي. وحتّى ما كتبوه لا يعكس حقيقة الفترة العثمانية بمختلف جوانبها، ومع ذلك، فإنّ بعض ما كتبوه كان ينطوي على أغراض مبيتة، وفي ذلك ينطبق عليهم القول " أ حشف وسوء كيل" !؟ وذلك لكونهم يرون فترة الوجود العثماني ما كانت لتكون، وأنّها هي فترة ضياع للزّمن وللمسار الحضاري للجزائر، وبالتالي لا تستحق الاهتمام، ولا الجدية في البحث. وأمّا أمر الدراسات المغرضة حسب ناصر الدين سعيدوني فهي تعود إلى جملة من الاعتبارات أهمها: الإحساس بالذنب والتقزم أمام فشلهم في القضاء على الشخصية الجزائرية بكل مكوناتها: الدّينية، والتّاريخية، والثّقافية، وأمام صلابة المجتمع الجزائري ككيان غير قابل للذّوبان أمام التصرّفات الفوقية والاستعلاءات، وهو ما جاء به الفرنسيون خلال حملتهم، وتعاملهم مع الشعب الجزائري، ضف إلى ذلك أنّ جل من كتبوا عن هذه الفترة العثمانية كانوا من غير الأكاديميين؛ إذ كانوا من العسكريين أمثال: آرنو، استرهازي، وروبان، وفلانجان، ولورون شارل فيرو [13]

---

12) دراج ، مرجع السابق، ص. 123.

13) ل.ش.فيرو فرنسي(1829-1888)م، ومترجم عسكري بمنطقتي زواوة، ثم بالشرق الجزائري، لإتقانه اللغة العربية واللهجة الزواوية، ثم انتدب بالحكومة العامة بالعاصمة، وفي سنة 1876 انخرط في "الجمعية التاريخية الجزائرية". وخلال

(L.C.Féraud)، ودينييه، ورين لويس (Rinn Louis) الذي أرّخ لثورة المقراني 1871م ووصفها بأنّها ثورة لم تقم لغاية وطنية، وإنّما لغايات شخصية وتمرد ضد السلطة، و لصالح قادتها المتعصّبين ضدّ المسيحية [14]. وسايره في ذلك نااصر الدين سعيدوني [15].

لكن ومع ذلك فإنّ تلك الكتابات الفرنسية وبالرغم من بعض سلبيتها، إلاّ أنّ لها جوانب إيجابية،. وأوّل ما يستحسن فيها، أنّها بادرت في جمع المادّة التّاريخية سواء من مصادر أجنبية (غربية) أو من مصادر محلية كالوثائق، من سجلاّت ومراسلات ومخطوطات، بل كان جمعهم لهذه الأخيرة مبالغا فيه إلى درجة الاستحواذ، وترحيلها إلى خارج الجزائر.. لغايات مختلفة، وأنّها ساهمت في كتابة التّاريخ الجزائري والخاص بالفترة العثمانية. وقد نشط في هذا المجال كلّ من [16] : بيربروجر [17] (Berbrugger) ، والبارون دو سلان [18] (Barron de Slane)، وروني باسي [19] (R. Basset)، وغيرهم. وإضافة إلى المساهمة في كتابة التاريخ، فإنّهم استخدموا

تقاعده عمل قنصلا عاما في طرابلس الغرب، وبطنجة، ثم خلف ليتورنو في الإشراف على المجلة الإفريقية. كما كان شاهدا على مقاومة الشريف بوبغلة، منذ بدايتها عام 1850م. له كتابات عدّة منها: تاريخ بجاية.

14) المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر، مقال بعنوان" ***الإعلام أثناء الثورة*** : دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد، 24،25/ سبتمبر/ 1996م، قصر الثّقافة ، الجزائر.

15) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث جزائرية، في العهد العثماني، دار المغرب الإسلامي الجزائر، ط1، 2000، ص: 26-29.

16) ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط1، 2000، ص: 30،31.

17) كان مصاحبا للفيلق الذي احتل مدينة قسنطينة سنة 1837م، حيث استحوذ على 800 مخطوط محلّي.

18) بفضل مساعدة السلطة الفرنسية استطاع أن يأخذ ما يشاء من مكتبة عائلة بن الفقون التي كانت تظم أزيد من 2500 مجلّد ، ومن مكتبة باش تارزي التي تحتوي على500 مجلّد .

19) آزره حاكم الجزائر العام (تيرمان) برسالة إلى رئيس الطريقة التجانية الشيخ محمد الصغير بتاريخ 26/فيفري/1885م طالبا من هذا الأخير تقديم له تسهيلات للاستفادة من المكتبات المتواجدة بعين ماضي، وتماسين، وورقلة، والهامل، ومكتبة باشاغا بالجلفة .

الطرق العلمية، وتقنيات البحث الحديثة؛ كالتصنيف والفهرسة والتبويب ونقد المصادر،... كما تم تنشيط الدراسات التاريخية والحث على إصدار البحوث. معاصرا للأحداث ومجايلا لصنّاعها، فيكتب عنها مستعينا بما رآه وسمعه وقد يضيف عمّا سلف من أحداث ومن أمثلة هؤلاء حسين شاوش (إبن المفتي) صاحب التقييدات، وإبن العنابي صاحب السعي المحمود.

كما نجد كتابات بعض الرحالة على غرار حسن الوزّان (ليون الإفريقي) صاحب وصف إفريقية، والعياشي صاحب الرحلة العياشية (ماء الموائد)، والرحالة اللاهوتي طوماس شو (Thomas Shaw)، صاحب رحلات وملاحظات عن كيانات شمال إفريقيا والمشرق. وكتابات الأسرى المسيحيين منهم ديغو دو هايدو (D.de Haedo)، صاحب كتاب تاريخ ملوك الجزائر، وكتاب طبوغرافيا وتاريخ الجزائر العام. ومنهم ميغال سارفانتيس Miguel de Cervantès، وكتابات القناصل والسفراء أمثال: القنصل كارنوليس بيجنيكر (Carnolis Pijniker) صاحب كتاب: وصف تاريخي لمدن تونس والجزائر وغيرها من مدن الشمال الإفريقي عام 1626م، وكتابات بعض الموظفين ورجال العلم. ومنهم حسين شاوش الشهير بابن المفتي الذي قد أسلفنا ذكره. ويضاف إليها، ما دوّنه الحكام والموظفون الرسميون وساهموا به في كتابة تاريخ الإيالة، ولو بطريقة غير مقصودة ، وذلك عن طريق المراسلات البينية، سواء مع الباب العالي أو مع الحكومات الأجنبية مثل مراسلات الدايات التي جمعها أُجين بلانتيت، أو كالأحكام القضائية والعقود على اختلافها. بالإضافة إلى الكتابات المحلية و الأجنبية على اختلاف مصادرها حول الموضوع.

أمّا الكتابات المتأخرة أو اللاحقة، والتي تعد مراجعا؛ فإنّ لأصحابها الفضل في ملء الفراغ الرهيب، الذي تشتكي منه مكتبة التاريخ الحديث. ففي ظل الاحتلال الفرنسي يعتبر العلامة محمد مبارك الميلي من الروّاد في كتابة تاريخ الجزائر، وقد حاول تقديم مادة تاريخية معتبرة، وعلى بساطتها فإنها عرّفت بالمجهول عن الفترة العثمانية. لكن بعد الاستقلال انبرت ثلة من المؤرخين، تصدوا بالبحث والتنقيب في تغطية العهد العثماني، سواء من الذين كتبوا بالحرف العربي، أو الذين كتبوا بالحرف اللاتيني، مع تفاوت تخصّصاتهم، واختلاف مجالاتهم، وتباين مساهماتهم في الكتابة. ونذكر من هؤلاء: أبو القاسم سعد الله في المجال الثّقافي، ومولاي بلحميسي في المجال البحري، وناصر الدين سعيدوني في المجال الاقتصادي والمالي، وأرزقي شويتام في المجال الاجتماعي وفلة موساوي-القشاعي في المجال الصحّي، وعمار بن خروف في المجال السيّاسي بالإضافة إلى باحثين آخرين كانت لهم إسهامات ملحوظة منهم: محمد دراج، وعائشة غطاس وغيرهما في شرق الجزائر وغربها.

وقبل أن نضع نقطة النّهاية لهذه المقدّمة، نود أن ننوه بالمعاناة، والمكابدة اللتان عانهما الأستاذ المشرف، الأستاذ الدكتور أرزقي شويتام أثناء متابعته لي طيلة العمل في هذا البحث، موجّها ومرشدا وناصحا ومشجّعا، وهذا بالرغم من ظروفه الصحيّة؛ التي مرّ بها؛ فقد عشت الإشراف وعايشته حقيقة محسوسة، ومن خلاله أدركت حجم الفائدة التي ينالها الطّالب وحجم الضغط وثقل الحمل الذي يكابده المشرف. ولهذا وجب أن أقدّم شكري وامتناني ألّا متناهيين له. كما أتوجّه بالشكر إلى كل من كانت له يد مساهمة بشكل أو بآخر.

الفصل المدخلي(التمهيدي)

- المبحث الأول: التمدّد العثماني في الحوض الغربي للبحرالمتوسط (الدّوافع والأسباب).

أولا- الأسباب والدّوافع.

1- الأسباب السياسية والإستراتيجية.

2- الأسباب الدينية.

3- الأسباب الاقتصادية.

ثانيا- نتائج التّمدّد العثماني.

- المبحث الثّاني: أوضاع بلاد المغرب الأوسط قبيل الوجود العثماني .

1- الوضع السياسي.

2- الوضع الاقتصادي.

3- الوضع الاجتماعي.

- المبحث الثّالث: ظروف التحاق المغرب الأوسط بالدّولة العثمانية .

1) الظروف الدّاخليّة.
2) الظروف الخارجية.
3) إلحاق المغرب الأوسط بالدولة العثمانيّة ومراحله.

سنتطرق في هذا الفصل التمهيدي إلى ثلاثة عناصر رئيسية، في ثلاثة مباحث وهي على التّوالي كما يلي:

التمدّد العثماني[1]، أو كما يعرف بالتّوسّع العثماني، في الحوض الغربي من البحر المتوسط، وإلى الأسباب والعوامل السياسية، والدينية، والاقتصادية؛ التي كانت وراء ذلك. كما نتطرّق إلى ما النّتائج الترتّبة عن ذلك التّمدّد؛ أي إلى الآثار التي خلفها. أمّا المبحث الثاني فسنلقي الضوء فيه على الأوضاع المختلفة التي سادت بلاد المغرب الأوسط قبيل مجيء العثمانيّين إلى المنطقة. أمّا ما يتعلق بالنقطة الثالثة والخاصّة بالمبحث الثّالث، فسنتحدث فيها عن إحدى أهم نتائج الوجود العثماني والمتمثلة في إرتباط الجزائر بالسلطنة العثمانية، وعن الظروف السياسية الداخلية، والخارجية السّائدة، التي التحقت خلالها بلاد المغرب عموما بالدولة العثمانية، وبلاد المغرب الأوسط على وجه التحديد؛ وبالتالي ستتعرف على الواقع السياسي داخليا، وخارجيا، وعلى ردود الأفعال المصاحبة له؛ وذلك من خلال مايلي:

---

1) **مصطلح الترك**، أطلق من قبل بعض الإخباريين على سكان المناطق الواقعة ما وراء حدود الدولة الساسانية ليشمل الأتراك وغير الأتراك. ويعتبرهم الطبري واليعقوبي برابرة وأعلاجا وأعاجم. أما موطنهم فيحدده ابن الأثير بفرغانة وخوارزم. انظر، فاروق عمر،التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، بيروت، 1985، ص. 330. و يتميّز **الأتراك** الصّلابة وعدم الإستيلام أو التّراجع أمام الخصوم. وقد عبّر عن ذلك أحد الملوك الأسبان فقال عنهم : « إن هؤلاء الأتراك قوم في غاية العناد، لا يرضون بالإستسلام حتى ولو هلكوا جميعا، ... إن لم تنفذ (مؤونتهم) فإنهم لم ولن يستسلموا إلى أن يهلك آخر رجل منهم ». انظر، خير الدّين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تحقيق، محمد درّاج.دار الأصالة، ط$_1$، الجزائر، 2010.

المبحث الأول: المد العثماني في الحوض الغربي للبحر المتوسط، دوافعه وأسبابه.

لقد عايش البحر المتوسط خلال معظم أوقاته، صراعات وصدامات بين شعوبه المختلفة، وذلك بقدر تعدّد مصالحهم وتضاربها. ومن تلك الصّراعات التي عايشها، صراعات القرن الخامس عشر (15م)، التي قامت بين الدّولة العثمانية؛ زعيمة الشرق. وبين المملكة الأسبانية زعيمة الغرب المسيحيي، والتي استمرّت واشتدّت خلال القرن السادس عشر الميلادي. وهي امتداد للصّراع القديم بين الفرس[1] والإغريق. فكان مسرح صراعهما الحوض الغربي للمتوسط وساحل الشّمالي الغربي لإفريقيا. ومهما كان، فإنّ ذلك الصّراع كان، بكل مآسيه، نعمة على الأقل على سكان بلاد المغرب الإسلامي[2]. وتعد عمليات التوسع التي نفّذها العثمانيون خارج منطقة الأناضول، غربا وشرقا وجنوبا وحتّى شمالا، منذ ميلاد كيانهم السياسي الأول المتمثل في إمارة صغيرة بغرب الأناضول[3]، من أكبر تحديات السلطة العثمانية [4]. ولذلك اعتبر هذا القرن محطة تاريخية حاسمة، ليس فقط بالنسبة لشعوب البحر

---

1) **نسبة إلى** بلاد فارس (إيران حاليّا) مهد الإخمينيين، والسّاسّانيين، فتحها المسلمون عام 642م، وتعدّدت أعراقها ومنهم الصّفويّون الذين حاربوا العثمانيّين وهُزِموا على يد السلطان سليم الأول في موقعة تشالديران مع مطلع الثرن السادمس عشر 02 / رجب/ 920هـ الموافق لـ 23 / أغسطس/ 1514م. انظر، محمد بيرم الخامس، "صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار"، مج3، تح، علي بن الطاهر الشنوفي وآخرون، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص. 937.

2) إيرنل، برادفورد، البحر المتوسط حظاراته وصراعاته، تر، خليفة التّليسي، الدّار العربية للكتاب، تونس، 2009، ص. 14.

3) محمد سهيل طقوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة 1299- 1924م، دار بيروت المحروسة، 1995م، ص.17.

4) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح. إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 2009م، ص. 118.

المتوسط، بل للشعوب الأخرى[1] . لقد كان ذلك الكيان السياسي المتمثل في تلك الإمارة الصّغيرة المستقلّة في المنطقة الغربية من الأناضول، وبالضبط بمحاذاة الحدود الشرقية لأراضي بزنطة، ونشوءها يعدّ من بين المحطّات والأحداث التّاريخية الهامّة في التطور السياسي والعسكري للدولة العثمانية [2]. كما يعد القرن السادس عشر؛ قرن التوسع العثماني، بالحوض الغربي للبحر المتوسط وببلاد شمال إفريقيا، وخصوصا بالمغرب الأوسط ، من الأحداث التي غيرت المسار التّاريخي الذي كاد أن يُسطَّر للمنطقة تاريخا؛ والمتمثّل في التهجّمات الأوربيّة على سواحل الشّمال الإفريقي؛ لولا قدوم العثمانيين، خلال مستهل القرن السادس عشر الميلادي[3].

لقد سبقت هذا القدوم اتصالات كتابية (رسائل) وسفارات بين مسلمي الأندلس (الموريسكيين) والسلطانين العثمانين: محمد أبو الفتوح (1451- 1480م)، ثمّ ابنه السلطان بايزيد الثاني (1480- 1512م) فيما بعد. كما أطلقت نداءات أخرى، من قبل أهل الأندلس إلى سلاطين بلاد المغرب، طلبا للمساعدة، لكن لا حياة لمن تنادي؛ لكون أهل المغرب كانوا هم أنفسهم يعيشون أوضاعا داخلية مضطربة، بل وتهديدات اسبانية وبرتغالية متتالية. وبذلك ضعف الطالب والمطلوب[4]. وأمام هذا الوضع فقد وجّه الأندلسيّون رسالة استغاثة سنة

---

1) Djillali Sari , « Les Ottomans et la mediterranee occidentale au xvi siècle » , Majallat el-Tarikh , N° special (23), Alger, 1987,p . 7.

2) وديع أبو زيدون، تاريخ الأميراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، دار الأهلية، ط$_2$، بيروت، 2011، ص. 26.

3) محمد نور الدين وآخرون، الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد 1516، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، الفتار (لبنان)،2001، ص. 115 .

4) عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج$_2$، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2013، ص. 180.

1484م، حملتها سفارة من الأندلس، إلى الدّولة العثمانية، وقد ردّ عليها السلطان بايزيد الثّاني (1481– 1512م)[1]، بإرساله أسطولا بحريّا إلى الشّواطىء الأندلسيّة، سنة 1484م[2]. وأسند مهمة قيادته إلى البحّار الشّهير كمال ريس[3]. كما تم وجيه رسالة ثانية من السلطان بايزيد الثاني إلى عبد المؤمن بن إبراهيم بن عمر الحفصي سنة 896هـ/1495م[4]. ولكن، وبالرغم من بعض النكسات والعثرات العسكرية كهزيمة معركة ليبانت (Lépante [5]، التي وقعت

---

1) **هو السلطان** العثماني الثّامن إبن السلطان محمد الفاتح ، وإبن السلطانة (كُلْ بهار)، ولد في: 03 ديسمبر 1448م. تسلطن وعمره 33 عاما، توفي بمرض النّقرس والسم في: 21 مايو 1512م. للمزيد انظر، صالح، كولن، سلاطين الدّولة العثمانية ، دار النيل، القاهرة، 2011، ص. 82 .

2) عبد الجليل التميمي، الدّولة العثمانية وقصية الموريسكيين الأندلسيين، مركز الدّلراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان (تونس)، 1989، ص. 11.

3) **كمال ريس** (1451 – 1511م) من أصل يهودي. وإسمه الكامل هو أحمد كمال الدين بك (الشهير بكمال ريس)، إبن قرة مانلي علي. بدأ حياته رِقًّا لدى البحار الإزميرلي سنان باشا، ولما كان يتمتع بخصال حميدة، ونصيبيا من الجمال أهداه مولاه إل السلطان بايزيد الثاني (1481– 1512م)، الذي سمّاه "كمال. ويعتبر الأب الروحي للبحرية العثمانية ومؤسّس مدرستها كما يعد أول الأميرالات العثمانيّين. وأول من نقل الأندلسيين إلى الأناضول. توفي غريقا يسفينته يوم 16/نوفمبر/1511م، مع مجموعة من بحارته بالقرب من قاعدته البحرية غاليبولي. انظر، عبد السلم السّامرائي،الإدارة العثمانية في الجزائر ، صفحات للنشر، دمشق2017، ص.37. وأنظر كذلك، أحمد بن أبي الضياف، أتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مج$_1$، ج$_1$، ص. 21. انظر أيضا، آرنل برادفورد، البحر المتوسط حضارته وصراعاته، تر: خليفة التليس، (د .ع. ك)، تونس، 2009، ص. 476 .

4) التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين ...، ص. 124.

5) **تعد معركة** " **ليبانت**" سنة 1571م، من المعارك البحرية الكبرى جمعت بين عدة أمم مسيحية قوية متحالفة ، وهي: الأسبان والبنادقة والمالطيين والجنويين وغيرهم، باسم الرابطة المقدسة وبمبادرة من البابا " بي" الخامس، بعنوان حرب صليبية ضد الأسطول العثماني، وانتهت بهزيمه كبيرة للعثمانيين. تمثلت في أسر 130 سفينة و 62 سفينة مغرقة. بينما خسر التحالف سوى 09 سفن حسب المؤرخ (بول. ك . دافيس) في كتابه :« 2001 decisive battles Oxford university "100"

بخليج باتراس اليوناني، بتاريخ: 17 جمادى الأولى 979هـ/07 أكتوبر1571م. فإنّ هذه العمليات كان جزؤها الأكبر على يد السلطانين سليم الأول (1512– 1520) م، ومن بعده إبنه السلطان سليمان المشرع (1520– 1566م)، حيث أصبحت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول تهيمن على بلاد المشرق العربي، وبعض شواطيء البحر المتوسط . فبعد ما كسّر جيش الدولة العثمانية شوكة الجيش الصفوي في اللقاء الحاسم بصحراء/ (وادي) جالديران[1]، بتاريخ: 02 / رجب/ 920هـ الموافق لـ 23 / أغسطس/ 1514م، واصل زحفه نحو عاصمتهم (تبريز) وتم دخولها من غير مقاومة يوم 16 سبتمبر (1514م). وبعد ذلك عاد إلى استانبول للإ ستراحة، ثم الإستعداد للتوجه نحو الشام[2]. وتوجه العثمانيون نحو المماليك، حلفاء الصفويين، ببلاد الشام، واستولوا على مدينة حلب بتاريخ 1516/5/22م، ثم مصر بتاريخ 1517/4/14م[3]، لقد سمحت هذه الانتصارات للعثمانيين بالتفرغ للتواجد بالسواحل الشرقية للبحر المتوسط، ثم التطلع إلى غربه، وهذا ما بينته نصيحة الأمير قرقود للبحّار **أُروجْ (عرّوج)**، حيث لما زار هذا الأخير الأمير قرقود المتنازع مع أخويه (سليم وأحمد) عن العرش،

وكذلك: – Karim Younes , Au Temps des Janissaires, Casbah, Alger, 2016, p : 129.

1) **تقع صحراء جالديران** بين أرزنجان وتبريز في ولاية ارضروم التركيّة. انظر، أحمد بن محمد بن الملا، الدّولة العثمانيّة من النّشوء إلى سلطنة مراد الثّالث المنتخب من تاريخ الجنابي، دراسة وتحقيق، رابعه مزهر شاكر، دار اليازوري عمان (الأردن)، 2013، ص. 177 .

2) فاضل مهدي بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003م، ص. 18.

3) روبير مانتران، أهم التواريخ في الحضارة الإسلامية، (العنوان الأصلي: Les Grandes dates de l'Islam, Larousse 1990) تح. محمد ريحان، هاشيت أنطوان، بيروت، 2012م، ص: 169. وانظر كذلك: ياوز بهادر أوغلو، السلطان سليم ياوز، تر: مصطفى حمزة ومحمود قفص، شركة مكتبة دار المعارف ناشرون، ، ط1، بيروت، 2017م، ص. 75

وهو بمدينة مغنيسيا بالأناضول[1]. الذي أهدى له سفينة ذات 24 مقعدا ونصحه بالتوجه إلى غرب البحر المتوسط [2]، على غرار بعض البحّارة العثمانيّين السّابقين، مثل: البحار الشهير بيري ريس، وقريبه البحار كمال ريس. وبُعَيْدَ جلوس سليم الأول[3] (1512- 1520م) على عرش السلطنة العثمانية؛ تم إعدام الأمير قرقود، وعلى إثر ذلك توجه بمعية أخويه خير الدّين وإسحاق إلى الجزء الغربي من البحر المتوسط [4]. ولكن، بعض المراجع الأخرى تشير إلى أنّ اتصال الإخوة بربروس كان ما بين سنتي 1510 و1512م، وأخرى تشير إلى أنّ مجيئهم كان سنة 899هـ/ 1494م[5].

---

1) أحمد بن محمد إبن الملا، المنتخب من تاريخ الجنابي، تح. رابعه مزهر شاكر، دار اليازوري، عَمّان، 2013، ص.177 .

2) ياوز بهادر أوغلو، السلطان سليم ياوز، شركة مكتبة دار المعارف ناشرون، تر: مصطفى حمزة ومحمود قفص، ط1، بيروت، 2017م، ص. 75

3) **السلطان سليم** خان بن السلطان بايزيد خان ولد بأماسيه (872هـ/1467م)، جلس على عرش السلطنة في 12 صفر 918هـ/ 1512 م قاتل أخويه أحمد وقرقود، كما قتل 17 فردا من أبناء أخيه أحمد من بيت السلطنة. ومن أعماله فتح بلاد الشام ومصر والحجاز. وفي مصر ينسب إليه البيتين التاليين:

الملك لله من يظفر بنيل غنى *** يردده قهرا ويضمن نفسه الدركا.

لو كان لي أو لغيري قدر أُنملة *** فوق التراب لكان الأمر مشتركا.

وتوفي يوم السبت ليلا 9 شوال سنة (926هـ/1519م)، بعد ما أُصيب بقرحة من صنف الطاعون تعرف بـ (مخلب الأسد)، وبالتركية شيرينجه . انظر: أحمد بن محمد بن الملا، المرجع السابق، ص ص. 177- 187.

4) محمد دراج ، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512- 1543م)، شركة الأصالة للنشر، ط3، الجزائر، 2015م ص. 172.

5) دراج، المرجع نفسه ، ص. 204، ها(2).

أما وليم سبينسر فيربط التواجد العثماني بغرب البحر المتوسط، بقدوم الإخوة بربروس إلى جزئه الغربي فيقول: « قام أُروج بسلسلة من الحملات الجريئة، والذي كان آنذاك يهيمن الأسبان على جزئه الغربي..»[1]. وفي سنة 910هـ/1504م وصل أروج وأخواه (خيرالدين وإسحاق) إلى غربي البحر المتوسط، وكان حبه للبحر يفوق كل حب، بل يذكر أنّه فضّل البحر عن الزواج والإستقرار[2]. كما كانت تحدوه روح الانتقام الشخصي من المسيحيين، وذلك، في رأينا، بسبب أسره من قبلهم سابقا، أو بدافع غيرته على المسلمين الأندلسيّين المضطهدين. فحمل ذلك معه إلى المياه الأسبانية والإيطالية. وكان منح السلطان الحفصي له في تونس حكم جربة، التي اتخذها قاعدة له في الغرب المتوسط عاملا مشجّعا له ولأخوته . وأمّا البدايات الحقيقية للمد العثماني العسكري، في غرب البحر المتوسط، فيعتبر ابتداء من دخول العثمانيين مدينة تاجوراء القريبة من مدينة طرابلس الغرب، وذلك حسب آراء العديد من المؤرخين، ومن بينهم المؤرخ الليبي إبن غلبون المعاصر لأحداث الاحتلالين الأسباني، ثم المالطي للمدينة. حيث كان الوجود العثماني بالمدينة كمقدمة لوجوده فيما بعد، بالحوض الغربي للمتوسط ، على غرار وجوده بجزيرة جربة فيما سبق، حيث توجه وفد من مدينة تاجوراء إلى السلطان سليم الأول طالبا العون العسكري لتحرير مدينة طرابلس الغرب، من الاحتلال الأسباني. فلبي الطلب، وأُرسلت فرقة من الجيش العثماني، برئاسة مراد آغا؛ الذي استطاع بمعية الأهالي، إجلاء الأسبان المحتلين وتحرير المدينة، وكان ذلك خلال سنة 1519 /1520م [3]. وبذلك أصبح العثمانيون يهيمنون على مشارف الحوض الغربي للمتوسط الذي

---

1) وليم سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع. عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006م، ص. 38.

2) خير الدين بربروس، مذكرات ... مصدر سابق.

3) نيكولاي إيليتيش بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن الـ16م إلى مطلع القرن الـ20م، تر. حماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، بيروت، 1999، ص. 26، 19.

تعتبر كل من صقلية وطرابلس الغرب وجزيرة مالطا حدودا فاصلة بينه وبين الحوض الشرقي. ويعتبر المد الحقيقي، حسب أحد المهتمين بتاريخ المنطقة، قد بدأ فعليا بعد المعركة الكبيرة، التي خاضها العثمانيون قرب (بريفيزا) بقيادة خير الدين بربروس بالشواطئ الغربية البلقانية ضد القوات الصليبية المتحالفة بتاريخ 27 أيلول/ سبتمبر1538م والتي كانت نتيجتها انتصار القوات العثمانية، والتي اعتبرت نقطة تحول، وحدثا مفصليّا بين مرحلتين بالنّسبة للقوات العثمانية، حيث انقلبت الموازين، وأصبح التفوق البحري العثماني بالبحر المتوسط غطاء للتواجد بحوضه الغربي[1]. وهكذا لم يكن توجّه العثمانيون وتواجدهم بهذا الحوض الغربي نتيجة معارك ومواجهات مسلحة أوتدخل على شاكلة دخولهم بالمشرق[2].

أولا: الأسباب و الدوافع.

لقد تضافرت جملة من الأسباب، وتفاعلت ، ورسمت الإطار الفلسفي الخارجي للقوى المسيحيّة الأوربيّة النّاشئة في غرب البحر المتوسط، فكانت الأسباب السيّاسيّة، تستمد شرعيّتها من الأسباب الدّينيّة، وهذه الأخيرة بدورها تستمد قوتها من الأسباب السيّاسيّة، التي تستمدّ دعمها من الأسباب الاقتصاديّة، وهكذا كانت كلّها سندا ومبرّرا للوجود العثماني بالمنطقة المغاربية برّا وبحرا.

1) الأسباب السيّاسيّة.

يعد الصراع بين الشرق والغرب صراعا متواصلا، ولاتبدو في الآفاق نهاية لفصوله؛

---

1) نيقولاي إيفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516– 1574م، دار الفارابي ، ط2، بيروت، 2004، ص. 138.

2) الشناوي، مرجع سابق، ص. 148.

وذلك مهما تغيرت مظاهره، ونتائجه الآنية، إذْ منذ اندلاعه لم يهدأ لامشرقا ولا مغربا. وحينما ننظر إلى الصدامات الكبرى بينهما، ومنذ العصور السابقة، نجد الحروب سجال، والصراع بينهما في عمومه بين طرفيه في مد وجزر، وميدانه حوض البحر المتوسط. وتُعدُّ هزيمة المسلمين في معركة حصن العقاب سنة 1212م نهاية قوة الغرب الاسلامي وبداية ضعفه؛ وقد تجلّى ذلك في زوال دولة الموّحدين بعد تشرذمها إلى دويلات ضعيفة متناحرة؛ الشيء الذي شجّع المسيحيين على تمسيح بلاد الأندلس من خلال حروب الإسترداد إلى غاية سقوط الأندلس كلية، سنة (897هـ/1492م)، ثم التطلّع إلى نقل الحرب نحو الضفة الجنوبية (سواحل شمال بلاد المغرب)؛ ولذلك تم استغلال الجوسسة [1].

وقد كان تلك العمليات التجسسية تمهيدا للغزو، وما تلاه من تحرّشات واحتلالات لبعض مدن بلاد المغرب الساحلية [2]. وهنا نسجل التّدافع السياسي بين ضفتي البحر المتوسط الغربيتين نيابة عن الشرق والغرب وذلك من عهد الفاتح طارق بن زياد، (92هـ/711م) إلى الملك الأسباني فيرديناند نهاية القرن الـ15م، وبداية القرن الـ16م. وخلال النصف الثّاني من القرن الخامس عشر وقع حدثان كبيران، كانا صادمين كثيرا لشعوب البحر المتوسط. وخلّفا توازنا استراتيجيّا في ذات الوقت بين الشرق والغرب. فكان الحدث الأول يتمثّل في فتح

---

1) **إبتداء من** سنة 1493م أرسل الأسبان الجواسيس لبلاد المغرب تمهيدا لاحتلاله ومن هؤلاء: ليزكونو و لورونزو دي زافرا الذين قاموا بعدة سفريات إلى السواحل المغربية . وحل بتلمسان لورونزو دي باديلا متنكرا في زي تاجر مغربي ومكث مدة 12سنة يدرس الأوضاع ويجمع المعلومات عن مواطن القوة والضعف. كما نقل فرديناند زافرا (كاتب الملكين الكاثولكيين الأسبانيين بمتابعة عبور الأندلسيين المهجرين وقد جاء في تقريره « إن البلاد كلها في حالة بحيث يبدو أن الرب يريد أن يهبها لصاحب الجلالة ». وحث الملكين الأسبانيين على اغتنام الفرصة واحتلال المغرب. انظر: صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514- 1830م، دار هومة، 2007، ص. 26.

2) أحمد سالم سالم علي، استراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2012م، ص، 123، وما بعدها.

القسطنطينية على يد السلطان العثماني محمد الثّاني في 21 جمادى الأولى857ه الموافق لــ 29 مايو 1453م، والتي كانت تعتبر بالنسبة للغرب بمثابة روما الثّانية. أمّا الحدث الثّاني فتمثّل في استيلام الملك الأسباني فرديناند على (مملكة) غرناطة في02 جانفي 1492م، وهي آخر ما تبقّى للمسلمين من بقعة بأرض الأندلس، في يد آخر ملوك بني الأحمر[1]. وقد كانت الملكة الكاثوليكية إيزابيلاّ تطمح إلى نقل الصليبية إلى الضفّة الجنوبية للبحر المتوسط (شمال إفريقيا)، وحاول خلفاؤها من بعدها، احتلال الشمال الإفريقي تنفيذا لرغبتها التي أوصت بها [2].

وقد زادت رغبة الأسبان في التوسع، خاصة بعد سقوط مدينة غرناطة في يد الأسبان سنة 1492م، وهي آخر ما تبقى بيد المسلمين بالأندلس. وبعد مغادرة آخر الملوك المسلمين؛ جاهروا بعد ذاك بالعداء الصّريح لما تبقّى من المسلمين الأندلسيّين، بالتنصير عنوة ابتداء من سنة 904ه/ 1498 م. لتستمر مقاومة التنصير من قبل المسلمين المتمسكين بدينهم، إلى غاية سنة 1017ه/ 1609م؛ التي كانت نهاية المقاومة وبداية النزوح النهائي للمسلمين من الأندلس[3].

---

1) **هو أبو عبد الله** محمد الملقب بالملك الصغير، تولى مملكة غرناطة مرتين، الأولى من:887 – 888 ه/ 1482–1483م، والثانية من: 888 – 892ه/ 1487– 1492م. وهو الذي فرّط في مملكة غرناطة، فلما أحس بقيمة ما ضيع، وبحجم الخطإ الذي ارتكبه بكى. فوبخته أُمُّه (عائشة) وقالت له: " **ابكي كالنساء ملكا مضاعا، لم تحافظ عليه مثل الرجال**". (انظر ،عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون الموراكة، المقطم للنشر، (د.ط) القاهرة، 1983 م، ص. 312.

2) **على إثر** احتلال جنود الملكة إيزابيلا مدينة وهران سنة 1519م ، وبعد مذبحة لن تنس (4000) مسلم ضحية، قام الكاردينال الأسباني خيمينيز بالسجود بين أكوام القتلى وأعلن أن الانتصار ما هو في الحقيقة إلا انتصار الكنيسة، ثم نصب محكمة تفتيش سنة 1515م. (انظر: أحمد سالم، المرجع السابق، ص. 125.

3) أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح؛ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص. 527.

لقد كانت هذه الأحداث بمثابة الزلزال للطّرفين، المسلمين والصّليبيين على حد سواء، وفي ذات الوقت أحدثت كلتاها توازنا بين الطرفين، فما ربحه المسلمون في شرق المتوسط خسروه في غربه، وما خسره المسيحيون في شرق المتوسط ربحوه في غربه. ليبقى البحر المتوسط ميدان تصادم وتدافع بين الدّولة العثمانية، حاملة لواء الإسلام، ومملكة أسبانيا، زعيمة الكاثوليكية بأوربا. وهذا ما يؤسّس للأسباب والعوامل الدّينية، في تحريك الصراع بينهما. وفي خضم هذه الأحداث، برز الإخوة بربروس أبناء يعقوب على مسرح الأحداث بالجزء الشرقي من البحر المتوسط، وذاع سيطهم من بين رجال البحر قي أوساط شمال إفريقيا. ونظرا للظروف التي عاشوها بين الصراع السياسي، الدّائر بين السلطان العثماني سليم الأول (1512م/ 1520م) وأخيه، وبين القرصنة المسيحية بالبحر، وما وقع لأخيهم أروج من أسر من قبل المسيحيّين[1] .

فتوجه الإخوة نحو الجزء الغربي من المتوسط، وكانت محطّتهم الأولى جزيرة جربة المقابلة لخليج قابس بالسّاحل الشرقي لتونس، والتي تعد القاعدة الأولى للتواجد العثماني ببلادالمغرب. وفي هذا الصدد يقول ميشيل هارفي(Michel Hervé) مبررا ومقدما في نفس الوقت التواجد العثماني:

« لم يكن تصرف الأتراك في بلاد المغرب كمحتلين، ولم يكن قصدهم إنشاء دولة بشمال إفريقية، لقد جاؤوا على إثر نداء سكان السواحل الإفريقية، فقدموا للدّفاع عنهم ضد الهجمات الأسبانية التي أصبحت تهدّد حتى الأسلام بشمال إفريقية، الذي أصبح في وضعيّة جد حرجة بسبب قوة الهجومات وكذلك الضعف السياسي لبلاد المغرب الإسلامي، المقسّم إلى دويلات صغيرة [2] ».

---

1) خير الدّين بربروس، مذكرات... ، مصدر سابق ، ص. 57.

2) Michel Hervé, les debuts dr la Régence d’Alger de 1518 à 1566, Paris,2005, p.03.

2) الأسباب الدينية.

كانت الأديان خاصّة، السّماويّة منها، ولا يزال الصراع قائما بين أتباعها، ولا يقتصر الصراع بين أتباع تلك الأديان المختلفة في كلياتها، وإنّما يمسّ حتّى المذاهب الدينية في الدّين الواحد؛ ولنا في الصراع الذي وقع بين المذهبين الكاثوليكي العتيد والبروتستانتي الحديث بأوربا مثال على ذلك، وكذلك الصّراع الدّائر بين المذهبين السنّي والشّيعي، وقد جسدته أحداث كثيرة التي تعجُّ بها كتب التّاريخ. ومنها الصراع الذي دار بين العثمانيين السنة والصّفويين الشيعة، والذين كفرهم شيخ الإسلام إبن الكمال عبر رسالته " رسالة في فكر الرّوافض"، وانتهى الصّدام مؤقتا؛ على إثر معركة جالديران في شهر أوت سنة 920هـ/ 1514م[1] .

ويعدّ الدّين هو محور فلسفة الحكم في الدّولة العثمانية وروح سياستها، وذلك منذ نشأتها، ويستشفّ ذلك من وصايا المؤسّس الأول للدّولة العثمانية (أبو الملوك) عثمان الأول بن أرطغرل. حيث جاء من بين وصاياه لإبنه قوله: « يا بني اعلم أنّ نشر الإسلام وهداية النّاس إليه، وحماية أعراض المسلمين وأموالهم، أمانة في عنقك سيسألك اللّه عنها. يا بني لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم، أو سيطرة أفراد، فنحن بالإسلام نحيا، وللإسلام نموت، وهذا ما أنت له أهل. يابني إنّك تعلم أنّ غايتنا هي إرضاء اللّه رب العالمين، وأنّ بالجهاد يعم نوره بنا كل الآفاق فتحدث مرضاة اللّه جلّ جلاله »[2] .

ويقول محمد عفيفي في هذا الصدد: « من المعروف مدى حرص الدولة العثمانية على الظهور بمظهر حامية الإسلام، كما عُرِف السلطان العثماني سليم الأول بـ (خادم الحرمين)».

---

1) درّاج، الدخول العثماني، ...، ص. 21.

2) موقع يو توب (You Tube)، بتاريخ : 2017/11/18م . نقلا عن قناة المجلّة.

وهو نفسه الذي قال في إحدى خطبه أمام جيشه: أن أحد أصول سياسته هو الضرب على أعداء الدين[1] .

وقد استشهد الكاتب على ذلك بحرص الدولة العثمانية على تنظيم قوافل الحج وسلامتها [2]. والحقيقة أن حرص الدولة العثمانية حاملة لواء الإسلام وحامية مقدّساته، لم يقتصر على الاهتمام بقوافل الحج وحمايتها فقط، بل نلمسه في مختلف مجالات الحياة العثمانية، في الأوقاف والتكايا، ونصرة المسلمين، والصرة الموجهة لأهل مكة كل موسم حج. فإذا لم يكن العامل الديني هو المبرر الوحيد فعلى الأقل فإنه يعد العامل الأساسي في مجيء الإخوة بربروس إلى شمال إفريقيا والحوض الغربي للبحر المتوسط ، وإلى بلاد المغرب الأوسط بالخصوص، ويؤكد على ذلك معظم الباحثين في هذا الشأن ومنهم أبو القاسم سعد الله، إذْ قال:

« إن الدين كان المبرر الأول لظهور العثمانيين في المشرق والمغرب، فلولا الحروب الصليبية التي شنتها أوربا الغربية بقيادة إسبانيا ضد الجزائر، لما كان هناك مبرر لتدخل آل عثمان. فقد كانوا مدفوعين برغبة الجهاد والحماس الديني للدفاع عن حدود الإسلام الغربية، وكانوا بالطبع يبحثون لهم عن حلفاء ومؤيدين، فوجدوهم في رجال الدين، وخصوصا المرابطين» [3]. وهنا نشير إلى الدور الذي قامت به فئة المرابطين ورجال الدين في دعم الوجود العثماني. ولأجل ذلك وجّه العثمانيون أنظارهم خارج حدود منطقة الأناضول، وامتد وجودهم شرقا وغربا، وهو ما سنتعرف عليه من خلال توجّههم نحو الحوض الغربي للبحر

---

1) حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 2004، ص. 6.

2) محمد عفيفي، عرب وعثمانيون رؤى مغايرة، دار الشروق،ط1، القاهرة، 1426هـ/2005م، ص. 96.

3) أبو القاسم سعد الله،، تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830م، ج1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1998، ص. 460.

المتوسط. وفي هذا الإطار يمكن رصد ثلاثة أبعاد لها علاقة بالمد العثماني نحو غرب المتوسط .

– البعد الأول: تمثّل هذا البعد في الصراع التاريخي القديم المتجدّد بين الإسلام والمسيحية، فلا شك أن افتكاك بيت المقدس وبلاد الشام عموما من أيدي الصليبيين علي يد صلاح الدين الأيوبي قد عُدّ من أكبر الخسائر الرّوحية والتّاريخية للمسيحية والمسيحيين؛ ولذلك لما دخلت القوات الفرنسية بلاد الشام، وعلى مايذكر وقف القائد الفرنسي الجنرال (ڤـورو) على قبر صلاح الدين الأيوبي وخاطبه قائلا: « ها قد عدنا يا صلاح الدين » [1].

– البعد الثاني: وتمثّل في الرابط الدّيني المشترك بين السلاطين العثمانيين والشعوب الإسلامية المشرقية والمغربية. ولولاه ما توجه الموركسيون (أهل الأندلس) على غرار سكان بلاد الشام [2]، بنداءاتهم إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني (1481 – 1512م)، بعد ما تلاشى أملهم في نجدة سكان بلاد المغرب لهم [3]. حيث لما صدر النداء الأول من قبل المواركة إلى أهل المغرب، ولم يتلقوا أية مساعدة، توجّهوا بندائهم إلى السلطان العثماني؛ لم آملوا فيه من خلاص وحمية. وقد عبّر على لسانهم مؤرخ أندلسي مجهول واصفا بمرارة، نداءاتهم واستغاثاتهم إلى العدوة الجنوبية للبحر المتوسط ولم تلق أي صدى، أو كما يقال(لاحياة لمن تنادي) وقد جاء في قوله: « إن إخواننا المسلمين من أهل المغرب بعثنا إليهم، فلم يأتنا أحد منهم، ولا عرج على نصرتنا وإغاثتنا؛ وعدوّنا قد بنى علينا وسكن، وهو يزداد قوة، ونحن نزداد ضعفا، والمدد يأتيه

---

1) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تر. إحسان حقي، دار النفائس، ط11، بيروت، 2009م، ص. 726.

2) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة، وقف البحوث العثمانية، إستنبول،(د.ط)، 2008، ص: 223.

3) أحمد سالم، استراتيجية الفتح العثماني، مرجع سابق، ص، 126). والحال يتكرر اليوم بعد خمسة قرون مع فلسطين.

من بلاده، ونحن لا مدد لنا...» [1]. وفور بلوغ النداء، أمر البحار كمال ريس بالتوجه بإسطوله نحو شواطئ الأندلس لإنقاذ الأندلسيين [2].

فإذا كان مسلمو الأندلس قد استغاثوا بالعثمانيين إضطرارا من جور الأسبان [3] ، فإن سكان المغرب الأوسط كانوا يعانون من هجمات وحروب صليبية في عقر دارهم، بقيادة الملك فرديناند، والكاردينال الأسباني خيمينيز دي سيسنروس (Ximénés de Cisnéros) [4]. وهكذا ضعُف الطالب والمطلوب، حتّى أصبح الإسلام في بلاد المغرب من ضعف أهله، في خطر؛ وهو ما جعل الأمر يحتاج إلى تدخل قوى حامية له.

لقد بات السكان يفتقدون إلى حاكم قوي مُوَحِّد، وإلى سياسة حكيمة، وأصبحوا توّاقين إلى دولة قوية، وإلى عيشة آمنة، وحدود مصونة. وقد كانت تلك الطموحات مأمولة، في العثمانيين، ومعقودة بسلاطينهم، خلال تلك الفترة؛ مما حدى بسكان بلاد المغرب الاستغاثة بهم وطلب إعانتهم. وأول نداء كان من حاكم بجاية، إلى الإخوة بربروس سنة (918هـ / 1512م)، حيث لبّى أروج (بربروس الأول) نداء حاكم المدينة، واشتبك مع الغزاة المحتلّين، بالتّعاون مع

---

1) درّاج ، الدّخول العثماني ،... ،.ص: 54.

2) بهادر أُوغلو، مرجع سابق، ص. 18. وانظر ايضا، دراج، مذكرات خير الدين ...، ص. 63.

1) لم يوجه المورسكيون استغاثتهم إلا بعد ما عاشوا معاناة كبيرة ومراحل كثيرة: من الصبر والجلد والمواجهة والتقية والتنازل والإكراه والقوانين الجائرة، والترهيب والترغيب ومحتلف ألوان العذاب... (للمزيد انظر، محمد دراج " الدخول العثماني للجزائر...، مرجع سابق صص: (43 – 51) .

4) شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، ج$_2$، تعريب محمد مزالي و بشير بن سلامة، (ش. و. ن. ت.)، الجزائر، (د. ت)، ص. 323.

السكّان؛ من أجل تحرير المدينة منهم، غير أن الإصابة التي أُصيب بها أُروج في ذراعه [1] منعته من مواصلة المعركة، فانسحب دون تحريرها من الاحتلال[2]. وعموما، لقد لبّى الإخوة بربروس، باسم الأخوة في الدّين، نداء سكان شمال إفريقيا عموما، ورحّب بهم على وجه الخصوص سكّان المغرب الأوسط، على غرار الموريسكيين، ثم ألحّوا على بقائهم خوفا من الهجمات الصليبية المتكررة، والتي غالبا ما تؤدي إلى صدامات غالبا ما يكون الغزاة فيها هم الغالبون[3]. وكأنّ الصدامات الدّينية السابقة بين الشرق والغرب والتي عرفت تاريخيّا بالحروب الصليبيّة قد استعارت نيرانها من جديد دون إعلان أو إنذار سابق. ففي البداية تصاعد دخانها بين البندقية والعثمانيين، ثم بين العثمانيين من جهة والأسبان والبرتغاليين من جهة أخري، بل وبين العثمانيين والأوروبيين عموما[4].

وهكذا نلاحظ أن العامل الديني المشترك بين الأخوة بربروس، ومن ورائهم العثمانيّين على وجه التحديد، وبين سكان الغرب الإسلامي كان له التأثير الكبير على توجيه بوصلة العثمانيين عموما نحو الحوض الغربي للبحر المتوسط .

– البعد الثالث: وهو البعد الشخصي، وتمثّل في ولع الإخوة بربروس بالبحر وإيمانهم القوي، وخاصة أوروج، الذي فضل ركوب البحر عن الزواج. ومما زاد في هذا التفضيل والرغبة، هو

---

1) **يذكر أيضا** أن الولي الصالح سيدي بومدين دفين تلمسان، هو أيضا لما شارك في تحرير القدس ضمن جيش صلاح الدين الأيوبي بتاريخ 2 أكتوبر 1187م قد فقد ذراعه.

2) Charles –André Julien: Histoire de l’Afrique du nord des origins à 1830, éd. Talantikit, Bejaïa, 2015, p :589,593.

3) إيڤـانوف: مرجع سابق، ص: 351.

4) إيفانوف، المرجع نفسه، ص: 350.

أنه رآى ذات مرة رؤيا في منامه وقصها على إخوته حيث قال لهم ذات صباح: « لقد رأيت في الليلة الماضية رؤيا صالحة. رأيت ذلك الشيخ ذا اللحية البيضاء الذي بشرني بالنجاة عندما كنت أسيرا في رودس يقول لي: يا عروج توجه إلى الغرب، إن الله قد كتب لك هناك كثيرا من الغزو والعز والشرف..» [1]. وفي ذات الوقت لما كانت الدولة الغثمانية في حالت تمدد خارج الأناضول وبالجهات الشرقية للبحر المتوسط [2]؛ كان قد تضايق منه بعض البحارة المولعين بالنشاط البحري، شأنهم في ذلك شأن الإخوة بربروس، الأمر الذي دفعهم الى المغامرة والبحث عن أماكن أخرى بالجهات الغربية من البحر المتوسط.

– البعد الرابع: تمثل البعد الرّابع في سياسة الباب العالي، وفي فلسفة السلاطين العثمانيين الخارجية، ونظرتهم إلى المسلمين والعالم الإسلامي وكياناته منذ نشأة دولتهم كإمارة إلى غاية سقوط الخلافة، خاصة بعد دخول السلطان العثماني سليم الأول القاهرة، واستلامه مفاتيح الحرمين الشريفين والآثار النبوية، ومن ذلك الوقت أصبح السطان العثماني ومن خلفه، خلائف لرسول الله، وحاملين مسؤولية كل المسلمين؛ وذلك بعد استغاثة[3] مسلمي الأندلس[4]. فهم الذين حققوا الحديث النبوي الشريف حول فتح القسطنطينية والقائل: « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش». وكذلك نافحوا عن البقاع المقدسة ضد تهجمات البرتغاليين، وأطماعهم مع مطلع القرن الـ 16م وحافظوا على العواصم الإسلامية

---

1) خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين، ...، ص. 57.

2) إيرنل برادفورد، البحر المتوسط حظاراته وصراعاته، ترجمة: خليفة محمد التليسي، الدّار العربية للكتاب، تونس، 2009، ص. 478.

3) انظر الملحق رقم (01)، استغاثة مسلمي الأندلس .

4) محمد فريد بك المحامي، مرجع سابق ص. 194.

الشرقية (دمشق وبغداد) من السقوط في أيدي الصفويين، ومن وراء ذلك صانوا المذهب السني من الزحف الشيعي، وسيروا قوافل الحج من الجهات الأربعة، كما أشرنا إلى ذلك سلفا، وتصدوا للزحف الصليبي من الجهة العربية. فإذا كان السلطان العثماني بايزيد قد لبىّ نداء الاستغاثة سابقا، سنة (891هـ/1486م)، عن طريق البحار الشهير كمال ريس، فلا غرو أن يلبي العثمانيّون نفس النّداء فيما بعد[1]. وعلى هذا الأساس استجاب السلطان سليم الأول (1512-1520م) لعرض الوفد الذي أرسله خير الدين بربروس من مدينة الجزائر، وقبوله انضواء الجزائر تحت الخلافة العثمانية و الاعتراف بها، وبالمقابل تزويد الجزائر بالمدد العسكري. حيث بعد ضعف الخلافة العباسية وترهلها ، ناهيك عن النداءات التي وجهها له مسلمو الأندلس. فكل ذلك يعطي الشرعية للعثمانيين، ويشجعهم على التوسع نحو الحوض الغربي للمتوسط، والاهتمام به وبسكانه من المسلمين، دفعا للكفر وإعلاء لكلمة الله وتطبيقا للشرع الحنيف[2].

فإذا كانت الاتصالات العثمانية الأولى التي باشرها كمال ريس بالحوض الغربي في عهد السلطان العثماني بايزيد الثّاني سببها تلبية نداءات مسلمي الأندلس لنصرتهم وإنقاذهم من بطش الأسبان ومحاكم التفتيش[3]، والتي تعد بدايات المد العثماني في الجهة الغربية. فإن نشاطات

---

1) وهم سليم الأول، وسليمان المشرع (القانوني)، والسلطان سليم الثاني على التوالي (من1512 إلى 1574 م)، فهؤلاء كلهم تفاعلوا مع النكبة الأندلسية، وقدّموا ما بوسعهم، لكن دون طائل . انظر: عثمان توران ، الأمبراطورية العثمانية والجهاد المقدس لرد الحملات الصليبية، ***مجلة الفكر الإسلامي***، مج4، منشورات وزارة الشؤون الدّينية (01 إلى 10 رجب 1395هـ/ 10- 19 يوليو 1975م)، الجزائر، ص. 1452.

2) سعيد عدي، المغرب والعالم المتوسطي دراسات في تاريخ العلاقات الدولية المغربية ما بين القرنين 16م و 20م، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014م ، ص. 23.

3) يذكر أن خير الدين بربروس وحده قد قام بقيادة سبع حملات عسكرية، على السواحل الاسبانية ؛ لمجاهدة العدو الأسباني وترحيل الأندلسيين الفارين من محاكم التفتيش. انظر، عثمان توران، الأمبراطورية العثمانية والجهاد المقدس لرد الحملات

الإخوة بربروس وخير الدين على وجه التحديد هي الأخرى قد كثّفت من التواجد العثماني في هذا الجزء من المتوسط. إذْ يذكر أنّ خير الدّين بربروس وحده قد نقل سبعين ألف أندلسي، على متن ست وثلاثين سفينة، من الساحل الأندلسي إلى الضفة الجنوبية[1]. وبحكم العاطفة الدينية وتطبيقا للحديث الشريف: « انصر أخاك ظالما أو مظلوما»[2]، فإن السلطان التاسع سليم الأول (1512- 1520م) لم يتوان في تقديم الدعم المادي والبشري والمعنوي للإخوة بربروس، وتشجيعهم على مد يد العون لمسلمي شمال إفريقية والذود عنهم، ووضع حد للزحف المسيحي الكاثوليكي من الغرب، وحتى لا تتكرر مأساة مسلمي الأندلس.

والملاحظ هو، أنّ هدف سلاطين آل عثمان لم يكن مقصورا على الدّفاع على الأقطار العربية من الخطر الغربي المسيحي فقط، بل كان الغرض هو تعزيز شرعية الخلافة الإسلامية. ولذلك تواصل وازداد إهتمام السلاطين العثمانيين، لاسيما السلطان سليمان المشرع (1520- 1566م) بالحوض الغربي للمتوسط، خاصة بعد ما تمت تسوية الخلافات القائمة بين فرنسا وإسبانيا على إثر صلح (كاتوا – كامبرسيس) الذي تم سنة 966ه/ 1559م؛ الذين نص على تكتل القوى الأوربية ضد الدولة العثمانيّة. ولقد كان لهذا الصلح الأثر الإيجابي على الدّولة العثمانية. حيث قرّر ملك إسبانيا فليب الثّاني، Philip II (1556- 1598م) سنة 1560م هاجمت جيوش كل من اسبانيا، وفرنسا، والبندقية، والبابا، وفرسان مالطا، وحكومات جنوب

=الصليبية، مجلة الفكر الإسلامي، مج4، منشورات وزارة الشؤون الدّينية (01 إلى 10 رجب 1395ه/ 10- 19 يوليو 1975م)، الجزائر، ص. 1452.

1) عثمان توران، مرجع سابق، ص. 1452.

2) البخاري، كتاب المظالم، باب، عن أخاك ظالما أو مظلوما. (حديث صحيح). انظر، المكتبة الإسلامية. نت.

إيطاليا، الأسطول العثماني المتواجد في طرابلس الغرب، بقيادة الريس" درغوت" [1]؛ الذي أصبح يزاحمهم في الحوض الغربي من المتوسط [2].

فلذلك لما علم الباب العالي، أرسل قوة بحرية بقيادة بيالي باشا بمساعدة العلج (گلچ) علي، لكن الأسطول المسيحي لم يصل إلى طرابلس الغرب يسبب الظروف المناخية فركن إلى جزيرة جربة التي هاجمه بها القائد درغوت بأسطوله، وألحق به شر هزيمة. وقد تمثّلت في عشرين ألف (20.000) من قتلى المسيحيين، حتى سميت هذه المعركة بمعركة برج الرؤوس نظرا؛ لما خلفته من جماجم كدّست فوق بعضها بعضا على شكل جبل. وعلى إثر هذا الانتصار السّاحق بجزيرة جربة، بفضل قوة أسطول حسن باشا بالجزائر، تمددت قوة العثمانيين وتعززت في الحوض الغربي للبحر المتوسط[3]، وبشمال إفريقيا على وجه التحديد. وكل ذلك كان بالرغم من معارضة المملكة المغربية بقيادة السعديين وتعاطفهم مع الأسبان ضد العثمانيين [4].

---

1) **درغوت** أو درغوت جه (1540- 1565م) بحار تركي مسيحي من الأناضول ذاع صيته حتى صار بمثابة اليد اليمنى لخير الدين بربروس، وخليفته فيما بعد بالبحر المتوسط . فتح طرابلس الغرب والمنستير والمهدية وجزيرة جربة، وساهم كثيرا في انقاذ مسلمي الأندلس سنة 1559م، استشهد بمالطا ودفن بمدينة تاجوراء الليبية. من أقواله « **طالما لم تطرد الأفاعي من وكرها، لا يمكن أن تفلح في أي عمل آخر**». انظر، فريد بك، المرجع نفسه ، ص. 238. وانظر، جان كلود زليتتر، طرابلس ملتقى أوربا وبلدان وسط إفريقيا، ص.497.

2) نيكولاي إيليتش بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة وتقديم: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد، ط2، بن غازي، ليبيا، 2001، ص. 28. وانظر أيضا، جان كلود زليتتر، طرابلس ملتقى أوربا وبلدان وسط إفريقيا 1500- 1795م، تر:جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراتة (ليبيا)، 2001، ص. 154.

3) أحمد سالم، استراتيجية الفتح العثماني، مرجع سابق، صص. 232، 233.

4) سالم، المرجع نفسه، ص. 264.

وفي الأخير يجوز لنا القول أن الإسلام مدين للعثمانيين ببقائه شامخا وصامدا أمام الهجمات المسيحيّة، لا سيما ببلاد المغرب، وبفضلهم عاش به المسلمون شامخي الرؤوس يصولون ويجولون خاصة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديّين، في ظل علاقة تضامنية مع الباب لعالي ، رغم ماشابها من تزعزع في العلاقات من حين لآخر[1].

3) الأسباب الاقتصادية.

نشأ الإخوة بربروس على ممارسة النشاط التجاري البحري بجزيرة ميديلّي[2]، وقد ورثوه عن أبيهم يعقوب، فلا غرو إذن أن يشقُّوا عباب البحر في كل اتجاه ويتلمسوا فية الرزق من أبوابه الواسعة. حيث لمّا ضاقت بهم سبل الحوض الشرقي من البحر المتوسط، وخوفا من دفع ثمن علاقتهم بالأمير قرقود المنشق عن أخيه السلطان سليم الأول (1512- 1520) م، توجه الإخوة بربروس إلى الجهة الغربية من البحر المتوسط ، مبتعدين عن غوائل السلطان (ياووز) سليم الأول، ناشدين الأمن والتجارة. فكانت أولى محطاتهم جزيرة جربة المقابلة للسواحل الشرقية لتونس، فكانت تلك هي أولى اتصالات الإخوة بربروس بالجزء الغربي من المتوسط. فأول قدوم لخير الدين إلى الجهة الغربية من البحر المتوسط كان تجاريّا محضا. وقد جاء في أحد المصادر" بأن خير الدين قد شحن سفينة بالألواح والمجاذيف وبكل ما يدخل في صناعة السفن وتوجه خصيصا إلى دول شمال إفريقيا، لكن سوء الأحوال الجوية أجبرته على اللجوء إلى جزيرة

---

1) عصمان توران، الأمبراطورية العثمانية والجهاد المقدس، (م . ف .إ .)، مج. 4 ، م. و. ش. د. الجزائر، ص. 1457.

2) قرية من القرى اليونانية بجزيرة ليسبوس. انظر: مذكرات خير الدين بربروس،المصدر السّابق، ص 22. و كذلك:

-Diego de Haëdo, Histoire des ROIS d'Alger, trad.de l'espagnol par Henri Delmas de Grammont, (A. L.E.), Alger, 2004, p.11.

جربة (التونسية)، أين التقى فيها بأخيه عروج [1]. مع العلم أن أُروج قد سبقه إليها من قبل، ومنها توجها إلى مدينة تونس التي كوّنا مع صاحبها علاقة صداقة [2].

استمر تواجد الإخوة بربروس متنقلين بين موانئ المدن الساحلية كتونس وحلق الواد، وبحاية، وجيجل والجزائر، بين التصدي للغزاة الأسبان تارة، وبين الإغارة على سفن الأعداء، وإغاثة المحتاجين بما يفتكونه منهم تارة أخرى، وتوزيعه ذلك على سكان السواحل عطاءات وبيوعا. وبذلك تواصل الوجود العثماني منذ مطلع القرن السادس عشر (16) م بشكل متزايد ومكثف حتى بلغ ذروته في القوة والهيمنة خلال الربع الأول من القرن السابع عشر (17م) ؛ بالحوض الغربي للمتوسط ؛ اذ استطاع العثمانيون، في فترة وجيزة لا تزيد عن: (12) سنة، الإستيلاء على: 251 سفينة، أوروبية، وأسر 12399 بحارا مسيحيا، وصاروا يصولون ويجولون في هذا الجزء من المتوسط؛ بل استطاعوا الإبحار حتّى خارجه، وإلى غاية مياه الشمال الأوروبي. وعلى العموم فقد أصبح الوجود العثماني بالجزء الغربي للبحر المتوسط واقعا، وخاصّة بعدما تحولت مدينة الجزائر إلى قاعدة عثمانية جهادية متقدّمة بالجزء الغربي منه؛ وبذلك بات الوجود العثماني عائقا، وخطرا محدقا في ذات الوقت، أمام القوى الأوربية[3].

وباختصار، فإن جملة الأسباب يمكن إجمالها في عوامل داخلية وأخرى خارجيّة، منها: ضعف الدويلات المغاربية (الحفصية، والزيانية، والمرينية)، التي قامت على أنقاض الدّولة

---

1) **أما دييغو** دي هايدو فيذكر، في كتابه " تاريخ ماوك الجزائر" ص. 13، أن أروجا غادر جزيرة ميتلين بمعية إخويه، الصغيرين خير الدين وإسحاق باتجاه شمال إفريقيا؛ لما فيها من فرص الثراء من البلاد المسيحية المجاورة. انظر،

- Diego de Haëdo,Histoire, op, cit , p.13.

2) Sander et Ferdinand , t_1, op, cit, p . 23.

3) Idem , p. 25.

الموحّديّة. وضعف الحكام؛ الذين بضعفهم ضعفت دولهم، وسهل الإستيلاء على بعض المناطق الساحلية منها من قبل الأسبان، وبالتالي زادت رغبة هؤلاء الأخيرين ف تواجودهم وسيطرتهم، وقد تجسّد الضعف في عدم القدرة على مد يد العون للأندلسيّين من بعض الحكام المحليين، كالسلطان الحفصي مولاي حسن، وبعض القبائل المحلية كقبيلة بني عامر بالغرب الجزائري. وأما عن العوامل الخارجية، فتكمن في تفوق الأسبان وطموحاتهم الدّينية والتي بدأت مع حروب الاسترداد وتعزّزت بوصية الملكة الأسبانيّة إزابيلا. بالإضافة إلى العوامل المادية والإستراتيجية الدّافعة للبحث عن الثروات والأسواق ومناطق النفوذ، وزيادة على ذلك التنافس بين الأوربيين على ذلك، وتشجيع الكنيسة لنشر المسيحية والتحالف الأوربي ضد النشاط البحري العثماني، للحد من خطورته [1].

ثانيّا: نتائج التمدد العثماني في غرب البحر المتوسط:

لقد تمخضت عن التمدد العثماني جملة من النتائج الهامّة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، والتي تعدّ من آثاره ، نذكر:

1- ارتباط المغرب الأوسط بالسلطنة العثمانية، على إثر اتصال خير الدين بربروس بالسلطنة عام 1519م[2]. والذي يعدّ أولى النّتائج التي يمكن اعتبارها من ثمرات المد العثماني ونتائجه الأولى بمنطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط عموما وعلى بلاد المغرب الأوسط.

---

1) محمد سي يوسف، أمير الأمراء العلج علي، دار الأمل، الجزئر، 2009، صص. 55- 60.

2) أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسيّاسي الفترة العثمانية، دار الكتاب العربي، الجزائر،2010، ص.13.

وعلى إثر هذا الارتباط الرسمي، كانت بداية تأسيس إيالة الجزائر بصفة رسمية عام 925هـ/ 1519م [1].

2- تحرير معظم مدن ساحل الشّمال الإفريقي من الإحتلال الأسباني عموما، ولو أنّه كان على مراحل، والتقليل من الأخطار الأوربية بالتصدّي لكل الهجمات الأوربية المتتالية على ساحل الشمال الإفريقي .

3- الحفاظ على بلاد المغرب من الغزو المسيحي الأوربي (الإيطالي والفرنسي، والأسباني) لأزيد من ثلاثة قرون، والتصدّي لأخطار التبشير والاحتلال، وبالتّالي قطع الطّريق أمام أوربا وتعليق مشاريعها إلى ما بعد العهد العثماني [2].

4 - أصبحت بلاد المغرب الأوسط وبالخصوص مدينة الجزائر مهابة الحانب يحسب لها ألف حسلب من قبل الأعداء، وفي هذا الصدد، يقول وليم سبينسر: « تطورت المدينة إلى قوة قاهرة في المنطقة الغربية للبحر المتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فلم تكن مدينة الجزائر مرعبة للأمم والشعوب المسيحية أكثر من رئيسها الإسمي، الباب العالي فقط ولكنها استمرت توحي بجو من الإجبار والرهبة خلال الفترة الطّويلة بعد تدهور القوة العثمانية » [3].

---

1) فاضل بيات، الدّولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط$_1$، 2007، ، ص. 58 .

2) خليل إينالجيك، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية (1300- 1600م)،المج$_1$، تر: عبد اللطيف الحارس، دار المدار الاسلامي، ط$_1$، بيروت، 2007، ص. 31.

3) وليم سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب. عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص. 9. وانظر أيضا، كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510- 1541م، ترجمة. جمال حمادنة، د.م. الجامعية، الجزائر،2007 م، ص. 10).

5- كما صارت تخيف بل ترعب أعداءها، وبمثابة مقيّدة لحريّاتهم. وهذا ما جعل أحد النبلاء الفرنسيين السيد (دو غراماي) يصفها وهو مار بها إلى استانبول سنة 1029هـ/1619م فقال عنها: « مدينة الجزائر ذات السوط المسلط على العالم المسيحي، إنّها رعب أوربا ولجام إيطاليا وإسبانيا وصاحبة الأمر في الجزر»[1]. وبذلك باتت قاعدة انطلاق لخير الدين بربروس وبحريته الجزائرية فيما بعد نحو عمليات الجهاد البحري.

6 – أضحت الجزائر نقطة ارتكاز لصالح الدولة العثمانية، وبفضل هذا الإرتكاز توسع نفوذ الدولة وأصبح تواجدها بأجزاء كبيرة من شواطئ البحر المتوسط، أي ما يقارب الثلاثة أرباعه، وبهذا التمدد انتقلت إلى دولة بحرية كبيرة بلغت سفنها الجزر البريطانية [2]، وجزر الكناري. وباتت الجزائر مركزا بحريا متقدما للسلطنة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط. ولهاعلاقة مع الباب العالي (الدولة العثمانية) من نوع خاص، بحيث لاهية علاقة تبعية بما تعني الكلمة من معنى ولا هي علاقة منفصلة كعلاقة دولتين ذواتي سيادتين منفصلتين. وفي هذا الصّدد يقول عبد العزيز نوار عن علاقة الجزائر بالباب العالي:

« كانت فلسفة الحكم العثماني تقوم على أساس ترك الأمور في الولايات على ما هي عليه دون تدخل جوهري من جانب الحكومة في حياة النّاس على أن يكون ذلك في إطار التبعية للسلطان العثماني » [3]. وما يفهم من هذا أن إيالات الدولة العثمانية المغاربيّة كانت تتمتع بأكثر من اسقلال ذاتي، لا يربطها إلاّ التبعية للسلطان، وهو في رأينا ارتباط أخلاقي وديني لاغير.

---

1) سبينسر، مرجع سابق، ص. 14.

2) عبد اللطيف بالطيب، أمير البحر مراد رايس الأصغرالجزائري، دار النعمان للطباعة والنشر،الجزائر، 2014م، ص.6.

3) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص. 152.

7- بروز مصطلح جغرافي جديد، وهو ساحل بربـاريا (أي الشمال الإفريقي)، الذي صار مصدر رعب لأصحاب السفن والتجار وصيادي السمك، ناهيك عن الدول والحكومات [1].

8- توحيد الكيانات الفسيفسائة؛ السياسية والشبه سياسية، المنتشرة بالمغرب الأوسط، وجعلها كيانا سيّاسيّا موحدا بعاصمته وحدوده وذو سيادة وشخصية عالمية [2]. وزالت دلالات التفرقة والتشرذم ، وقد عبر عن ذلك ابن سحنون الراشدي بقوله: « ... وهكذا، فركدت بذلك رياح الفتن وشلت أيدي الداة، ونسخت أسماء الأمم البربرية في جميع المغرب الأوسط، فلا هوارة، ولا مغراوة ...» [3].

---

1) برادفورد، مرجع سابق، ص. 478.

2) محمد سهيل طقوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة 1299- 1924م، دار بيروت المحروسة، ط$_1$، بيروت، 1995،ص. 212.

3) أحمد بن محمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013، ص. 460، 461.

المبحث الثاني: أوضاع المغرب الأوسط قبيل الوجود العثماني.

كان الجزء الشمالي الغربي لإفريقيا، والذي يمتدّ من سواحلها الغربيّة الشمالية إلى غاية الحدود الغربيّة لمصر، ميدان صراع وتنافس بين الأمبراطوريتين النّاشئتين (العثمانيّة والأسبانيّة) خلال القرن السّادس عشر الميلادي. وقد أصبح جزء كبير منه (طرابلس الغرب، وتونس، والجزائر) منضويّا تحت جناح الدّولة العثمانيّة، بعد ما تم تعيين حكاما متتاليّين برتبة بايلر باي من قبل السلطان العثماني من استانبول. وكان أولئك الحكام بحريّين [1].

كان مطلع القرن السادس عشر ميلادي يحمل معه مخلفات القرن الخامس عشر الميلادي، ومن بين تلك المخلفات أن بلاد المغرب الأوسط، كانت من غير تأطير سياسي، ولا عسكري؛ وهو ما دفع خير الدين بربروس أن يقول: « فمنذ أكثر من مئة سنة لم يكن في الجزائر دولة ولا حكومة، لقد كان الكفار يعرفون هذا ولأجل ذلك استولوا على أحسن الموانئ الجزائرية »[2].

بعد نكبة مسلمي الأندلس (898هـ/1492م)، وضعفهم أمام الأسبان، وهؤلاء الأخيرين مع البرتغاليين كانوا في قمة الشراهة للتوسع غربا وشرقا، في حين كان العثمانيون ينافحون عن الإسلام والمسلمين في المشرق. وكان الصراع الدّيني على أشدّه بين هؤلاء وأولئك. فالأسبان بعد حروب الاسترداد وسقوط غرناطة عام (1492م) أفصحوا عن تطلّاعاتهم نحو الضفّة الجنوبية للبحر المتوسط خاصـة، وتقاسموا مناطق النّفوذ مع البرتغاليين شرقا وغربا. فكان من

---

1) شوكت باموك، التّاريخ المالي للدولة العثماني، تعريب عبد اللطيف الحارس، دالر المدار الإسلامي، بيروت، 2005، ص. 205 .

2) خير الدبن بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص. 113.

نصيب الأسبان السّاحل الشّمالي لإفريقيا الذي لم يتوانوا في التهجم عليه، واحتلال مدنه الساحلية الواحدة تلوى الأخرى و يتوسعون على حساب سواحله[1].

وعلى إثر ذلك باتت المدن السّاحلية من طرابلس الغرب إلي سبتة المغربية بين محتلة ومهدّدة بالاحتلال أمام ضعف عام لسكانها. وأمّا البرتغاليون فقد كانت وجهتهم المشرق عبر رأس العواصف(رأس الرّجاء الصّالح)، وبذلك أصبحوا يهدّدون الدّولة العثمانية من الجنوب، والبقاع المقدّسة (مكّة والمدينة). وأما عن الدولة العثمانية فقد كان السلطان سليم الأول (1512- 1520م) يحمل على عاتقه لواء التصدّي للخطر البرتغالي المسيحي، الذي بات يهدّد المسلمين ومقدّساتهم من الجنوب، والخطر الصّفوي في الشرق [2].وكذلك الخطر الأسباني الحال بمسلمي الأندلس والمحدق بشمال إفريقية من الشّمال.

بعد زوال دولة الموحّدين ببلاد المغرب الإسلامي، صار التفكك السياسي هو السمة البارزة في ربوعها، فقامت على أنقاضها أربع دول مستقلّة عن بعضها البعض وصار بدل الكيان الواحد، الدّولة الموحّدية، أربعة كيانات سيّاسيّة وهي: دولة الحفصيّين [3] (635هـ/ 1230م) بأدنى بلاد المغرب؛ وتشمل بلاد تونس الحالية وطرابلس الغرب (أي ليبيا حاليّا، والشرق الجزائري) [4]. ودولة الزيّانيّين (623هـ/1235م) بتلمسان وضواحيها إلى الجهة الغربية

---

1) Sander & Ferdinand, op. cit, p. 11.

2) فريد بيك المحامي، مرجع سابق، ص. 189.

2) تنتسب الدولة الحفصيّة إلى مؤسّسها أبي زكرياء الحفصي (ت جمادى$_2$: 647 هـ/1249م)، ويعتبرها بعض المؤرخّين امتدادا لفرع من الدولة الموحّدية المنتهية.(انظر: محمد العروسي المطوي السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي،دار الغرب الإسلامي 1406هـ/1986م، ص. 169.

3) أحمد توفيق المدني، حرب الثّلاثمائة سنة، (1492م- 1792م)، ط$_2$ ، دار البصائر، الجزائر، ،2009م، ص. 57.

من بلاد المغرب الأوسط (الغرب الجزائري حاليّا). ودولة المرينيّين (668هـ/1269م)، أو بني عبد الحق بمدينة فاس المغربية و ما حولها بأقصى بلاد المغرب (المملكة المغربية حاليّا)، ومملكة غرناطة ببلاد الأندلس.

وهكذا فبدل بلاد المغرب الواحد، أصبحت ثلاثة مغارب: المغرب الأدنى ويتمثّل في الدّولة الحفصيّة، والمغرب الأوسط ويتمثّل في الدّولة الزيّانيّة، والمغرب الأقصى، وتمثّله الدّولة المرينيّة. بالإضافة إلى مملكة غرناطة بزعامة بني الأحمر(بني النّصر) (635هـ/1238م)، بجنوب الأندلس [1].

ولقد كانت منطقة بلاد المغرب الأوسط وبالخصوص المملكة الزيّانية تعيش حياة ضعف وذلك بسسبب عدة عوامل منها ماهو خارجي كالنزاعات التي تقع مع دول الجوار من أجل السيطرة والنفوذ، فتارة الدولة المرينية من الجهة الغربية، وتارة الدولة الحفصيّة من الجهة الشرقية، والتي قامت بآخر هجوم على الدولة الزيانية سنة (880هـ/1475م) من خلال حملة عسكرية بقيادة أبو عمر عثمان [2].

ناهيك عن ما تكرره من محاولات الأسبان، الذين احتلوا العديد من المدن الساحلية، كوهران وغيرها. أما داخليّا فيرى بعض المختصّين، جملة من العوامل، نذكر منها [3] :

---

4) مصطفى أبو ضيف وأحمد عمر، القبائل العربية ، ص. 116 ،117.

2) صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، 1514– 1830م، دار هومة، الجزائر، 2007، ص. 8.

3) عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في ق (10هـ/ 16م)، ج$_1$، دار الأمل، الجزائر، 2007، ص. 15.

1- الصراع الواقع بين المرابطين وأتباع الطرق الصوفية من جهة وبين السلطة العثمانية من جهة أخرى، حيث كل طرف يريد إضعاف الطرف الآخر، وتأليب الرأي العام عليه .

2- تقهقر المستوى الاقتصادي بسبب تقلص الموارد، هذا التقلص الذي حدث، حسب رأينا، يعود إلى تراجع في الإنتاج، وهذا ما أثّر سلبا على الجميع بما في ذلك المؤسسة العسكرية.

3- التفكك الداخلي، الذي تولد عن ضعف البلاد. ولم يتوقّف الحال عند هذا الواقع السيّاسي، بل استشرى التشرذم والصّراع داخل تلك الكيانات السيّاسيّة نفسها. وأصبحت المنطقة الواقعة شرق المملكة الزيانية محزّأة إلى أشباه كيانات سياسية [1]، بين إمارات وممالك وقبائل مستقلة عن بعضها البعض، فبعضها يخضع لسلطات زمنية، وأخرى تحكمها سلطات روحية، منها على سبيل المثال: إمارة كوكو تحت عائلة إبن القاضي؛ التي تدعي الشرف، وسلطنة بني عباس، التي أسسها سيدي عبد الرحمن الشريف وحفيده سيدي محمد أمقران بمنطقة زواوة الشرقية، وإمارة بني جلاب بمنطقة واد ريغ، ذات الأصل المريني. وبتكاثر المرابطين والصّوفين، تكاثرت التكتلات والكيانات الشبه سياسية، بعد الوجود العثماني، من أمثال أولاد سيدي الشيخ، وأولاد سيدي هجرس؛ الذي كانت تخضع له عشرات القبائل وأولاد سيدي فلان، وأولاد سيدي فلان[2].. وباتت تلك الكيانات السياسية وشبه السيّاسية تتجاذب وتتقارب حينا، وتتنافر وتتدافع أحيانا أخرى، حتّى أنهكتها الصراعات والحروب[3]. فلا حققت تفوّقا بصراعاتها

---

1) Pierre Boyer, « Contribution à l'étude de la politique des Turcs dans la Régence d'Alger (xvɪ e- xɪx e siècle) » en R.O. M , N°1, 1966, p.16.

4) أبو القاسم سعد الله، على خطى المسلمين حراك في التناقض، عالم المعرفة ، ط1، الجزائر،1430هـ/ 2009م، ص.191.

5) كان المغرب الأوسط (الدولة الزيانية) في أغلب الأوقات محور صراع بين جارتيها، وخاصة مع الحفصيين. (انظر: الدرر المكنونة، للمغيلي، ص. 12.

على بعضها البعض، ولا التزمت بالانكفاء الذّاتي على نفوسها، وتجنّبت النّكبات، ولا تحالفت مع بعضها وشكلت قوّة إقليمية،... فكان الوضع أن ضربت الفوضى أطنابها في كل مكان، وصار الكثير من السكان لا يعترفون بسلطة أحد عليهم؛ كسكان قسنطينة، وسكان مدينة الجزائر، وأهل الشرق الوهراني. وقد لخص أحد الباحثين الوضعين الاجتماعي والسيّاسي في عبارة موجزة من ثلاث كلمات واصفا بها الوضع الاجتماعي والسيّاسي في عبارة موجزة من ثلاث كلماتواصفا بها الوضع العام وهيّ: تقهقر، وفوضى، وانحلال[1].

والأدهى، من ذلك كلّه، هو أنّ تلك الصراعات والصّدامات أصابت الكيانات السيّاسية حتّى من الدّاخل، إلى درجة أن تحارب أمراء الدولة الواحدة فيما بينهم، وهو ما سجّلته السّنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر (15م)، وبداية القرن السّادس عشر (16م) الميلاديّين في بلاد الغرب الأوسط. التي عانت التّفتّت والثّورات الدّاخلية بعد ما حلّ بها الضعف. وفي نفس الوقت بما كانت تعانيه من تحرشات و هجمات أسبانية متتالية؛ أسفرت عن احتلال المرسى الكبير الذي سقط في يد الأسبان يوم الخميس 24 جمادى الثانية 911هـ / 23 أكتوبر 1505 م، واحتلال وهران، التي سقطت يوم الجمعة 28 محرم سنة 915هـ/ 18 ماي 1509م على يد بطرس النفاري(Pedro Navarro) ، واحتلال بجاية التي سقطت يوم_أول جانفي 1509م/ 915هـ، وغيرها من المدن السّاحليّة الأخرى[2]، منها مدينة تنس التي أُجبرت على دفع الجزية.

كانت بلاد المغرب الأوسط مقسمة إلى منطقة شرقية ممتدّة من مدينة دلّس (تادلست باللسان الأمازيغي) إلى غاية الحدود الشرقية تابعة سياسيا للدّولة الحفصية، بما في ذلك حاضرتي قسنطينة وبجاية وما يليهما باتجاه الشرق. وقد كان وضعها السيّاسيي أقل ما يقال

---

1) المدني، حرب الثّلاثمائة سنة... ، ص. 61.

2) المدني، المرجع نفسه، صص. 100،109.

عنه أنّه ضعيف، ولا غرابة في ذلك لكونه كان انعكاسا للوضع السيّاسي العام السّائد في الدّولة الحفصيّة، وقد زادتها هجمات الأسبان المتكرّرة اضطرابا وضعفا. وإلى منطقة غربية ممتدّة من دلّس(تادلست) إلى الحدود الشرقية للمملكة المغربية، فقد كانت تابعة إسميّا للدّولة الزيّانية. وعرفت في أواخر القرن الـ 15م، وأوائل القرن الـ 16م فوضى واضطرابات؛ نتيجة الضعف والتناخر السيّاسيين اللذان كانا يهمنان على الأسر الحاكمة [1]. وبالإضافة إلى ذلك، تميزت أيضا بالصّراع والتنافس بين الحفصيين والمرينيين يغية السيطرة والتوسع على حساب المملكة الزيانية، مما أثر سلبا عليها. فكانت كل دولة تريد التوسع باتجاه الأخرى على حساب الدولة الزيانية، وهو ما جعل هذه الأخيرة تتعرض للغزو من قبل الدولة المرينية وتحتلها عدة مرات. ونفس الوضع كان سائدا بين الحفصيين والزيانيين، الأمر الذي فرض على الدولة الزيانية أن تعيش حياة سياسية مضطربة وتخوض عدة حروب مكرهة؛ حتى أن يغمراسن وحده خاض إثنين وسبعين 72 حربا ضد جيرانه[2].

لقد شجّع هذا الوضع القوى الصّليبية النّامية، لاسيما الأسبانية بالتهجم على سواحل المغرب الأوسط، واحتلال بعض المدن الساحلية فزادتها الهجمات الخارجية وهنا وتمزقا، وباتت بعض من أجزاء بلاد المغرب الأوسط بين أيدي المتصارعين والمعارضين، وأُخري سُلّمت للراغبين والطّامحين، وحتّى كبار الموظّفين. وباختصار أصبحت بلاد المغرب الأوسط أشبه ما تكون بلوحة حزينة لبلد مدمّر [3].

---

1) علي خنّوف، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، ط1، 2011، ص. 58.

2) دراج، الدخول العثماني... ، ص.87.

3) إفانوف، الفتح العثماني ...، ص. 119.

فبعد أُفول نجم الدّولة الموحّديّة، وقبل القدوم العثماني إلى شمال إفريقيا، كانت بلاد المغرب الأوسط متشظيّة سيّاسيّة؛ مشكّلة أشباه كيانات سياسية، فهناك من قال:« فعندما فوجئت (الجزائر) بالاحتلال الأسباني، كانت مجزّأة إلى نحو خمسة وعشرين جزء تهيمن عليه قبائل عربية و بربرية، فقبيلتا (سويد) و(بني عامر) الشّهيرتان كانتا تسيطران على معظم سهول ولاية وهران، وكان آل المقراني يتصرّفون في القبائل الصغرى وادي بجاية، وكانت قاعدة إمارتهم قلعة بني عبّاس، ثم حُوّلت إلى مجّانة، والقبائل الكبرى تحت تصرف آل بن القاضي، ومقر إمارتهم جبل كوكو، ومدينة جزائر بني مزغنّة وسهول متيجة تحت تصرف قبيلة الثّعالبة، ورؤسائها آنذاك من آل ابن التّومي، كما كانت كل من قبائل الذواودة، والأحرار، وبني تيغرين، وغيرها تهيمن على ناحية الشرق، التي لا تنالها في تصرّفاتها أحكام الملوك »[1].

أمّا توفيق المدني فقد أحصى إثنى عشر كيانا بين إمارات عربية وإمارات بربرية، ووصفها بالحكومات الواهية وهي: إمارة عبد العزيز الحفصي إمارة بني عباس، ومشيخة الثّعالبة بمدينة الجزائر وسهل متيجة، وسلطنة كوكو بالجهة الغربية من منطقة زواوة، وإمارة عائلة بوعكاز بمنطقة الزّاب والحضنة، وسلطنة بني جلاّب بمنطقة وادي ريغ. وكانت جلّها في غالب الأحيان تابعة إلى قوة خارجية أو إقليمية، وذلك بسبب الضعف الذي كان السّمة المشتركة والسّائدة بينهم جميعا، مثلما كانت عليه مشيخة الثّعالبة. ومنها ما كان له صدى وتأثير في الحياة السيّاسية، وتفاعلات مع محيطيه الدّاخلي والخارجي، ودوّنت أحداثه كإمارة كوكو، وإمارة بني عبّاس، ومنها من كانت تتقاذفها أمواج السياسة والحروب، ومنها من كان في

---

1) ابن سحنون الرّاشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدّولية، الجزائر، 2013، ص. 16.

عزلة ومنآى عن التأثيرات، مثل: واحة فقيق بأعماق الصّحراء، والتي أشار إليها"شارل أندري جوليان" دون غيره والذي قال عنها : بأنّها شكلت حكومة مستقلّة، وقبائل الونشريس[1].

ومنها ما طواه النسيان أو لم يكن له تأثير على محيطه السياسي منها على سبيل المثال: مدينة جيجل التي قبل سيطرة الجنويين مستقلة يالرغم من مضايقات ملوك تونس وحكام بحاية. ونفس الأمر يقال مدينة القل الشبه مستقلة وفي صراع مستمر من أجل البقاء سياسيا أمام أطماع حكام قسنطينة وملوك الدولة الحفصية. وربما تأثرا ومحاكاة حاولت المدن الساحلية في الجهة الغربية من المغرب الأوسط، والواقعة ان تكون مستقلة على غرار ما ذكرناه سابقا، مستغلة ضعف الدولة الزيانية [2]. ولكن تبقى المعلومات الدقيقة عن هذه الدول غير متوفّرة لدينا، لذلك نطرح التساؤل التالي: ما مصائر هذه الكيانات السياسية وشبه السياسية بعد الدّخول العثماني إلى المغرب الأوسط ؟ فبعد ذِكْرنا لبعض تلك الكيانات السياسية التي ظهرت ببلاد المغرب الأوسط في أواخر القرن (15م)، وبداية القرن (16م) سنحاول تقديم بعضا منها، والتي كانت تعد شبيهة بالكيانات السياسية، ولكنّها مشتتة بين التبعية للدولة الحفصية ومنها من كان تابع للدولة الزيانية، و منها من لا لهؤلاء ولا لهؤلاء وسنتولى استعراضها لاحقا. وعموما فالمغرب الأوسط عاش سيّاسيّا بعد زوال الدولة الموحدية وقبيل الوجود العثماني مفككا، وفي معظم أوقاته في تبعية سيّاسيّة؛ فحينا يكون تابعا للدّولة الحفصيّة، وحينا آخر يكون تابعا للدولة المرينية وفي فترات يكون مستقلاً عن أي منهما [3].

---

1) Charles - André Julien, Histoire de l’Afrique du nord des origines à 1830,p . 589 .

2) عباد، مرجع سابق، ص. 11.

3) وداد القاضي، ***النّظرية السياسية للسلطان أبو حمّو موسى الزياني (2) ومكانتها بين النّظريات السياسية المعاصرة لها***، جمع محمد بوزواوي، مآثر تلمسان ماضيّا وحاضرا، منشورات القافلة، الجزائر، 2011، ص: 129. وكذلك، عمر سعيدان،علاقة اسبانيا القطلانية في الثلثين الأول والثاني من القرن 14م، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، 2011،

أما على المستوى الأمني فقد كان مرتعا للقلاقل من هنا وهناك والفتن بيت كياناته السياسية مما جعله مقطع الأوصال، يعمه الوهن من كل ناحية، ناهيك عن عبث الأسبان، وغيرهم[1] من الأوربيين بسواحله [2].

- أهم الكيانات السياسية .

كما سلف وأن ذكرنا فيما تقدّم عن الوضع السياسي بوجود كيانات سياسيّة شبه مستقلّة. وكان من ضمنها بمنطقة بلاد المغرب الأوسط آنذاك وبشكل بارز سياسيّا ما يعرف بالمملكة الزيانية، ونظرا للضعف الذي كانت عليه، عجزت عن بسط نفوذها على الكثير من المدن والقبائل والتى أصبحت تشكل بقعا شبه سياسية هنا وهناك. فالبعض مستقلا لا يتبع أي قوة، والبعض الآخر تابع للدولة الزيانية إسميّا، والبعض الآخر تحت مضلة الدولة الحفصية التي هي بدورها تتمدّد وتتقلّص على حساب ادولة الزيّانية، ومن الكيانات السيّاسية التي ظهرت نذكر ما يلي:

1) مشيخة الثّعالبة:

لقد كانت مدينة الجزائر (جزائر بني مزغنة) قبل الوجود العثماني مشيخة على شكل مدينة دولة في عهد الثّعالبة، فهي المدينة الأولى التي أنشأ فيها الإخوة البربروسيّون نواة الكيان السيّاسي الجزائري الحديث، على إثر تحريرها من السيطرة الأسبانية، واتخاذوها بعد ذلك عاصمة لباقي بلاد المغرب الأوسط. وسنتناول هذه المشيخة التي تشبه الجمهورية الصغيرة، بإدارة المتنفذين من الثعالبة، أمثال سالم بن ابراهيم التومي في مطلع القرن (16م)، كما سنعرف

---

1) **يقصد بالجنويين** الذين احتلوا مدينة جيجل، والتوسكانيين الذين احتلوا مدينة عنابة سنة 1607م

2) المدني، محمد عثمان باشا ...، ص. 37.

لاحقا، والذين ينتسب إليهم عبد الرحمان الثعالبي : أولاً من حيث الموقع، والسكان ثم المصير الذي آلت إليه بعد الدخول العثماني إلى بلاد المغرب . أمّا الثعالبة فهم ينتسبون إلى ولد ثعلب أخي عبد الله بن سجير، الذين جاءوا من التّلول الشرقية (مقرهم الأول)، وهم (الثعالبة) أحد بطون عرب المعقل، الذين دخلوا إلى شمال إفريقيا مع الهلاليّين، وكان استقرارهم بجبل التيطري (أشير)، وبعد ما ضايقهم بنو توجين استوطنوا منطقة الونشريس، كرعايا خاضعين لهم، عن طريق أداء الضرائب لهم، ثم انتهزوا فرصة استيلاء وسيطرة بني مرين على بلاد المغرب، فانسلّوا نحو سهل متيجة، وتسيّدوا عليه وعلى من به من السكان، و بعد الاستقرار برزت من قبيلة الثّعالبة عائلة آل التّومي التي تزّعمت المشيخة، وتوالى أبناؤها على عرش الإمارة، وكان آخرهم سالم بن إبراهيم التّومي، الذي عايش الدخول العثماني إلى الجزائر، والذي سنتناوله في الفصل الثّاني لاحقا[1].

لقد نشأت هذه المشيخة بمدينة الجزائر وإقليمها (سهل متيجة)، متخذة من المدينة مقرًّا للإمارة، ومن سهلها (متيجة) مجال بسط سيّادتها على من يتواجد به؛ وبذلك تكون مدينة الجزائر وما حولها على امتداد السهل المتّيجي الذي هو المجال الجغرافي للإمارة. بل وامتدت سيطرة الثعالبة على السهل المتيجي منذ العهد الموحدي إلى غاية مدينة دلس [2].

وخلال سنة 813هـ/1410م زحف السلطان الحفصي عبد العزيز أبو فارس بجيشه على مدينة الجزائر (أي مقر مشيخة الثّعالبة) بغية ضمّها إلى سلطنته، لكن ما إن علم السلطان الزيّاني عبد الواحد بن محمد الأول بالحدث حتّى أعدّ العدة لمواجهة القوة الحفصيّة وعلى رأسها السلطان أبو فارس، ومن بين استعداداته أنّه طلب الدعم (المؤقت) من السلطان المريني؛

---

1) أبو ضيف وأحمد عمر، مرجع سابق، ص. 151. وانظر ايضا، إبن خلدون، كتاب العبر،ج7، ص. 72.

2) عباد، مرجع سابق، ص. 13.

وبذلك استطاع افتكاكها وإعادة المدينة إلى حظيرة الدولة الزيّانية. إن الدولة الزيانية هي الأخرى غير محصّنة من الأطماع والتحرّشات المرينية، ناهيك عن المناوآت الدّاخلية، وهو ما حدث عندما حرّض المرينيّون إبن أخ السلطان محمد بن أبي تاشفين على عمّه السلطان نفسه[1].

وهكذا يلاحظ المتتبّع أن هذه المشيخة موجودة منذ حوالي مائة (100) سنة، على الأقل قبل حلول العثمانيين، والتي زالت على أيديهم سنة (922هـ/ 1516م). وقد جاد الشاعر الجامعي في مدحها بقوله[2] :

بلاد برأس الغرب تاج مكلـــل *** وخلخال سوق الشرق غير ضوامر.

بدت بمنصات الزمان كأنـــها *** عروس تجلت في أعالي المنابــــر.

وقــــد قلدت بحرها بموشح *** وصيغت لها الأمواج خلخال حاسـر.

2) إمارة تنس (إمارة بني سويد).

تِنِسْ أو تِنِّيس، حسب ما جاء في أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك لمحمد بن علي البروسوي الشّهير(بإبن سباهي زاده). وعند الرومان كانت تسمى كارطيناس (كارط تنس)، وهي مدينة ساحلية (أزلية) قديمة. بُنِيَت عليها تنس الحديثة وهي متموضعة على سفح جبل[3].

---

1) محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصيّة تاريخها السيّاسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1406هـ/1986م، ص.571.

2) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث الجزائر – المدية – مليانة، (م. و. ث.)، ط$_2$، الجزائر، 2005، ص. 159.

3) الحسن بن محمد الوزّان (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ص. 35.

وتقع مدينة تنس غرب مدينة الجزائر وبالقرب من مدينة مستغانم، ، وتأسسها كان على يد بحارة من أهل الأندلس سنة 262 هـ، وينتسب سكانها الأوائل إلى علي بن أبي طالب [1].

ولكن أبو راس النّاصري يُرْجِع تأسيسها إلى القرن الـ: (09هـ/(15م)[2]. وبعد ذلك صارت الإمارة تعيش حياتها السيّاسيّة المتقلّبة في علاقاتها بين الأسبان وإمارة الثّعالبة وبني مرّين، وحتّى مع بني زيان، بين تحالف مع هذا، وعداوة مع ذاك [3]. وفي بعض الدّراسات الأخرى ، جاء فيها بأنّ إمار تنس قد أسّسها عرب الأمحال بزعامة حميدة العبد [4]، معلنا انفصاله عن المملة الأم ، مملكة بني زيّان. وقد ذكرها سعيد بن واشكل التيهرتي [5]:

نأى النوم عنّي واضمحلّت عرى الصّبر ••• وأصبحت عن دار الأحبّة في أسر.

وأصبحت عي تيهرت في دار معـزل ••• وأسلمني مرّ القضاء من القــدر.

إلاّ أى تنس دار النّحــوس فإنّــــها ••• يساق إليها كل منتقض العمــــر.

---

1) عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك الجزء الخاص ببلاد المغرب، تحقيق: زينب الهكاري، مطبعة الرباط، المغرب، 2012، ص. 153.

3) أبو راس النّاصري، مصدر سابق، 2008 .

3) الرّاشدي، المصدر السابق، ص: 38، نقلا عن ابن خلدون: العبر، ج6، ص: 6. والميلي،ج2، ص: 159.

4) **حميدة العبد** هو الإسم الذي عُرف به، والمتداول بين معظم المصادر والمراجع، أمّا ناصر الدين سعيدوني فذكره باسم حماد بن عبيد.(انظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1424هـ/2003م، ص: 29. أمّا سحنون الراشدي ، صاحب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، فيقول في الصفحة، 38 ها (1)، « **إنّ تسمية حميدة العبد قد أُطلِقت على الكثير من الذين تزعموا قبيلة سويد** ».

5) سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص.60.

أمّا الإمارة ككل فهي تتموضع على نطاق جغرافي يمتد من قبر الرّومية شرقا إلى غاية مصب نهر الشلف غربا، وقد كانت تابعة لمملكة آل زيّان إلى غاية فتنة الأمراء الزيّانيّين الثّلاثة [1]. وقد ذكرها الرحالة الألماني (هاينريتش فان مالتسان) في كتابه ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، بأنّها كانت قبل العهد العثماني من ضمن ممتلكات دولة بني زيان. فبعد ضعف هذه الأخيرة وانكماش سلطتها، تأسّست بها مملكة مستقلة على يد قبيلة سويد العربية والمعروفة حاليا بقبيلة أولاد محال العربية، وهي بطن من بطون عرب بني مالك زغبة [2]. وهنا نذكر بأنّ أهالي هذه القبيلة كانوا أفرادها يتقاضون أجورهم من ملك تنس[3]. والتي استوطنت بالمنطقة الواقعة بين مستغانم والعطّاف بالجهة الغربية من الجزائر، قبل قرنين من مجيء العثمانيّين. فبعد ما قدمت خلال الزّحف الهلالي، وبسطت سلطانها على ما جاورها من المدن ومنها: مازونة، ومستغانم، و مازغران، عاشت هذه المملكة إلى غاية 1517م أين أخضعها عُروج (أُوروج، URUC) بربروس إلى سلطته[4]. وقد تميزت بكثرة مشاركتها في حروب الدولة الزيانية، والدولة المرينية. أمّا نشأة الإمارة فتعود إلى ما وقع بعد وفاة الملك الزيّاني محمّد السابع (902 -909) هـ/ (1496- 1503) م والمعروف بالثّابتي، نسبة إلى جدّه محمد الخامس أبي ثابت، والفتنة التي وقعت بين أبنائه الأمراء الثلاثة: عبد اللّه، أبو زيان، ويحيى[5].

---

1) **الأمراء هم:** عبد اللّه، وأبو زكريّاء ويحيى.

3) أبو ضيف، مرجع سابق، ص. 163.

3) عباد ، المرجع السابق، ص. 14.

4) فون مالتسان، ثلاث سنوات في... ، ص. 224 .

5) الراشدي، مصدر سابق، ص. 38 .

احتدم الصّراع الدّاخلي بين الإخوة الثلاثة حول العرش، حتّى تدخّلت اسبانيا في ذلك، ومن غير المستبعد أن تكون قد فتّنت بينهم وألّبت طرفا عن طرف، وهو المرجّح عندنا. حيث تنافر الإخوة واستقل وكل واحد بإمارته عن المملكة الزيّانية الأم. وعلى إثر هذا الصّراع والتّفكّك نشأت إمارة سويد مع مطلع القرن السّادس عشر (16م) بعد عودة الأمير يحي الثّابتي ابن أخ سلطان تلمسان من ملجئه عند السلطان المغربي محمد الوطّاسي (1505- 1524 م) المكنّى بالبرتغالي[1]. وقد كانت المراسلات تتبادل بين إمارة تنس، وبين الأطراف الخارجية وهو ما أثبته "إيلي دو لا بريمودي" عن طريق المحفوظة في الخزانة الملكية الأسبانية بضواحي مدريد (مجريط) [2]. وبهذه الحالة استمرت إمارة تنس في الوجود إلى غاية زوالها، فكانت تعيش وضعا داخليا غير مستقر. ولذلك استعان الأمير يحي الثّابتي بـالأسباني دون دييغو (Don Diego)، من أجل تنصيبه عليها من قبل الأسبان، وقد تم له ذلك سنة 914هـ/1508م. بل زوّدوه بحامية عسكرية مكوّنة من خمسمائة (500) عسكري، وبأربع سفن؛ لتتولى حمايته ظاهريا مقابل الخضوع للتاج الأسباني، ودفع الضرائب لهم، لكن الحقيقة هي السيطرة على السكان، ونهب خيراتهم. كما كان أمير تنس في مواجهة مع أخيه عبد اللّه سلطان تلمسان المعادي لهما[3]. ولقد أصبحت الحالة التي أمست عليها إمارة تنس مزعجة بالنسبة للأخوة بربروس؛ وهو ما دفع خير الدين بربروس إلى تجريد حملة بحرية لتخليص المدينة من الاحتلال الأسباني، وارجاع الأحير يحيى إلى جادة الطريق. لكن بمجرد وصول أخبار الحملة

---

1) الوزّان، مصدر سابق، ص: 36. وانظر : روبير مانتران، أهم التواريخ في ، هاشيت أنطوان، بيروت، ، ص. 160.

2) Laurent - Charles, Féraud : R.A. Année, 1873, n° :17.

3) كاميليا دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الأسباني والسلطة الغثمانية (1509- 1592) م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو القاسم سعد الله، بوزريعة2 ، الجزائر، 2014/2013 م. نقلا عن:
- Jean Monlau :Les Etats Barbaresque, 2e é P.U.F Paris, 1973, p : 53 .

البربروسية، حتى فرّ الأسبان وغادروا القلعة ليلا. فدخل خير الدين المدينة واستقبله سكانها بالترحيب. لكن خيرالدين لاحق الأمير الفار، وحلفاءه الأسبان، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين وأسفرت عن النتائج التالية [1] :

1) قتل عديد العساكر الأسبان، والعرب المتحالفين معهم، الفارين من أتباع الأمير يحيى.

2) أسر مابين سبعين وثمانين عسكري.

3- غنم الكثير من ممتلكات الأعداء من سفن ومدافع، وبنادق، وسلع أخرى من توابل، وعسل وأقمشة، وأصواف. وقد قدر نصيب كل غازي من رجال خير الدين بـخمسمائة دينار. في السنوات الأولى من الدخول العثماني، كما أشرنا سلفا، لما كان على عرشها الأمير "حميدة العبد". أما المدينة فقد أصبحت ضمن النطاق الجغرافي التابع لدار السلطان. وبما أن حملة خير الدين لم تحقق هدفها الأسمى، فقد شن أخوه أروج حملة أخرى على الأمير يحيى، بعدما أخذ فتوى شرعية بقلم علماء مدينة الجزائر بإهدار دمه. وهذا ما تم بعدما وصل تنس. ومنها تحصّل على مبايعة سكانها بقولهم: « أنت السلطان ونحن عبيدك الذنب منا والعفو منك »[2].

3) سلطنة بني جلاب .

رغم الغموض النسبي، حول هذه السلطة، فإنّ الشّائع عنها، أنّها قد عاشت سيّاسيّا ما يقرب الأربعة قرون ونصف القرن، أي من: 817هـ/1414م إلى 1261هـ/ 1854م[3]. أمّا

---

1) بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، دار الأصالة، الجزائر، ط1، الجزائر، 2010، ص. 80، 81.

2) بربروس، مذكرات خير الدين بربروس... ، ص. 84.

3) ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث فيتاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط2، الجزائر، 2012م، ص. 479.

جغرافيًّا، فإن منطقة واد ريغ الواقعة بالجزء الشّمالي الشّرقي من الصّحراء الجزائريّة التي تشرف عليها أسرة بني جلاّب، ، بين منطقة بني ميزاب وتادمايت من الجنوب والغرب، ومنطقة الزيبان والجريد من الشمال والشرق تكون منطقة واحدة طبيعيّا وبشريّا[1]. وبذلك تشتمل على المراكز السكانية التّالية: ورقلة تماسين، ونقوسة؛ كإمارات صغيرة شبه مستقلّة. أمّا المؤرّخ فيرو فيوسّع من نطاقها الجغرافي إلى كل من بسكرة، وأولاد جلاّل، والقليعة، والأغواط، ووادي ميزاب، ووادي سوف، مؤكّدا عن مدينة تقرت كعاصمة لها ومقر السلطنة، ونواة الإمارة، ومركز الواحات، ودرّتها، وعاصمة وادي ريغ[2]. كما زارها الرّحّالة العيّاشي[3] وكتب عنها قائلا:

«... انطلقنا من تيماسين ووصلنا يوم الثلاثاء 14 جانفي 1663 م مدينة تقرت عاصمة وادي ريغ، وعاصمة بني جلاّب ... » [4]. كما عرفت المدينة استقرار أسرة بني جلاّب (المرينية) خلال القرن 09هـ/15م، وبها أنشأوا إمارتهم، والتي حكمت نيابة عن المرينيّين، قبل أن يستقلّوا بإقليم تقرت عنهم، ويؤسّسوا بها إمارتهم؛ التي توسّعت على حساب ما جاورها، حتّى صارت خلال القرنين (09،10هـ/ 15،16) م قطبا ثقافيّا وتجاريّا وسياسيا. وقد شكلت في

---

1) سعيدوني، ورقات جزائرية... ، ص. 480.

2) Laurent-Charles Féraud : Les Ben Djellâb Sultans de Touggourt, Alger- Livres , Édition , Alger, 2012, p :426.

3) **العيّاشي** ولد في شهر شعبان 1037/ أفريل 1628م، وتوفي بالطّاعون سنة (1090هـ/ 1679م) ، هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن سيدي أبي العبّاس أحمد بن سعيد العيّاشي المالكي المكنى أبو سالم، نسبة إلى قبيلة آيت عيّاش البربريّة القاطنة بإقليم تافيلالت جنوب المغرب الأقصى. تعلّم على يد والده محمد (شيخ زاويّة)، وعلى يد أخيه الأكبر. وهوصاحب عدّة مؤلفات أشهرها كتاب (ماء الموائد). انظر، ناصر الدين سعيدوني ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999، ص. 376.

4) مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش. و. ن. ت، ط2، الجزائر، 1981م، ص. 90 .

العهد العثماني مركزا تجاريا هامّا ومحطة للحجيج. ولقد كان لموقعها دور كبير فيما بلغته من مكانة في وقتها؛ إذ كانت تقع على الطريق التي تمر بها قوافل الحجّاج والتجّار؛ وهو ما ساعد في رخائها وذيع سيطها ثقافيّا وتجاريّا [1].

استمرّت الإمارة تحت حكم بني جلاّب. لكن مع بداية النصف الثّاني من القرن السّادس عشر الميلادي، وبعد ما رتّبت السلطة العثمانية أوضاعها بالشّمال، وبعد ما ضم حسن آغا منطقتي الحضنة وبلاد الزاب بسكرة وضواحيها سنة (951هـ/1544م) إلى السلطة العثمانية، وقع أوّل اتّصال بين السلطة والإمارة، سنة 955هـ/1552م أين توجّهت قوة عثمانية إليها بالجنوب في حملة أولى على المنطقة لتزيح أي كائن يمكن أن ينافسها في السلطة أو السيّادة من جهة، ومن جهة أخرى تأمين موارد مالية جديدة إلى خزينة الدّولة، وقد صادف أن كان آنئذ على رأس إيّالة الجزائر الباشا البايلر باي "صالح رايس" (جانفي 1552- 1555م)؛ الذي توجّه نحو الإمارة في شهر أكتوبر 955هـ/1552م، حيث أخضعها، بعد ما حصارها لمدة ثلاثة أيام بـِ ثلاثة آلاف من المشاة وألف من الفرسان، و مدفعين، حتى أرغم حكامها على الخضوع [2]. وبعد ذلك واصل طريقه نحو الجنوب باتجاه ورقلة التي أقام بها لمدّة 10 أيّام، ثم قفل راجعا ومعه 200 ألف ريال من تجّارها وأغنيائها وأعيانها. لكن قبل اتمام صالح ريس ترتيباته بالمنطقة، أسرع راجعا بسبب ثورات بني عباس وفليسة في بلاد الزواوة الشرقية والغربية، بالإضافة الى التحرشات الأسبانية. ويبدو أن عدم تنصيب سلطة ممثلة عن دار السلطان، وعدم ترك حامية عسكرية، وبعد المسافة بين دار السلطان ومنطقة ورقلة ووادي ريغ قد شجّع

---

1) موهوبي ، مرجع سابق، 2011، ص. 161.

2) زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائريّة، مرجع سابق، ص. 394. (وانظر ايضا: عبد القادر موهوبي، مرجع سّابق، ص. 161).

المنطقة على التملص من الارتباط بالسلطة العثمانية المركزية؛ مما حدى بالسلطة خلال أواخر عهد الباشوات أن توجه للمنطقة حملة ثانية بقيادة يوسف باشا سنة 1059هـ/ 1649م، والتي أسفرت عن فرض ضريبة مرسّمة ومسجّلة بتاريخ 1025هـ/1790م على المنطقة. وقد حُدِّدت بــ خمسة وعشرين رق على ورقلة وبـ ستة عشر رق على تقرت، وبـ أربعة أرقاء على تماسين من أرقاء السّودان مع إبقاء أمراء المنطقة على عروشهم[1].

وبالرغم من هذا فإنّ المنطقة لم تعرف الهدوء ولا الاستقرا. فقد سجّل المؤرخون حملة ثالثة بقيادة صالح باي(باي قسنطينة)، غير أن هذه المرة كانت دواعيها وأسبابها من بيت الإمارة ذاتها؛ إذ قام أحد الطّامحين إلي السلطة المدعو أحمد إبن عم أمير إمارة توقرت الشيخ عمر بوشاية وتحريض باي قسنطينة على إبن عمّه الأمير، لكن الحملة كادت أن تفشل في تحقيق هدفها. وبعد الحصار، وإتلاف بعض ممتلكات المقاومين للحملة، من السكان وتهديم سور المدينة، تمّ تنصيب الشيخ أحمد المحرض أميرا مع دفع 1000 بوجو عن كل مرحلة من مراحل المسافة الفاصلة بين قسنطينة وبسكرة لصالح باي، وهو ما يشبه تعويضات الخسائر الحربيّة في الوقت الحالي. وبهذا تحقّقت بعض الأهداف الشخصية، المتمثلة في بلوغ عرش الإمارة من قبل الشيخ أحمد، وفي تحقيق محصول مالي لصالح بايلك الشرق ومن ثمة لصالح الباي. ورغم سقوط النظّام العثماني بالجزائر ستة 1246هـ/1830م إلاّ أنّ الإمارة استمرّت في الوجود إلى غاية زوالها على يد الاحتلال الفرنسي سنة 1854م[2].

وهي بذلك تكون الإمارة (السلطنة) الوحيدة التي عايشت الوجود العثماني كلّه ولفترة تقدّر بـ .440 سنة.

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري ... ، ص. 281 .

2) شويتام، المجتمع الجزائري ... ، ص. 281 .

4) إمارة بجاية:

عاشت مدينة بجاية [1] قبل الوجود العثماني ردحا من الزمن، بين التبعية والاستقلال، وتتجاذبها القوى المحلية والإقليمية تارة، والقوى الأجنبية تارة أخرى، ففي حدود سنة 700هـ/ 1284م توفي حاكمها أبو زكرياء بن أبي اسحاق وتركها مستقلّة عن الدّولة الحفصيّة التي ظلت تناصبها العداء منذ 683هـ/ 1284م، ورغم المحاولات التي قام بها خليفته "أبو زكريّاء خالد" المعروف باسم أبي البقاء عن طريق المراسلات والوفود، بغية تطبيع العلاقات وإزالة العداوة والأحقاد، إلاّ أنّها فشلت. وكما أشرنا سلفا فإنّ بعض المراجع تذكر أن بجاية تعرضت إلى غزوات عديدة من الجارتين المملكة المغربية والسلطنة الحفصية، بعدما تعرضت لاحتلال الجنويين منذ سنة (1260م) [2]. وفي حدود سنة (810هـ/1408م) زحف الجيش المغربي بقيادة الأمير الفاسي محمد بن زكرياء، وبعد ما استولى عليها نصّب ابنه المنصور على عرشها، لكن السلطان الحفصي استعاد المدينة فيما بعد[3].

استمرت السلطة الحفصية باسطة نفوذها على مدينة بجاية (النّاصريّة) إلى غاية

---

1) **وتسمى الناصرية** نسبة إلى الملك الحمادى الناصر بن علناس الذي جددها سنة(469هـ/1076م)، واتخذها عاصمة لمملكته بدل قلعة بني حماد. أسسها الفينيقيون وسموها صلدة، و سماها الرومان صلداي، ودمرها الوندال. وبقيتعحافظت على أهميتها لدى الموحدين، ثم الحفصيين، وبعد احتلالها من قبل الأسبان، حرّرها العثمانيون في شهر جوان 1555م، بعد محاولتي أُروج 1512م، و 1514م. انظر، توفيق المدني، حرب الـ 300 سنة...ص. 323. وأيضا، محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر...، ص. 214 ،217 . وأيضا، الوزان، وصف إفريقيا،...ص. 50، فا (2).

2) أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791م، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 40.

3) محمد العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية ...مرجع سابق، ص. 568.

سنة 839هـ/1435م، حيث أعلن حاكمها الحسن الحفصي الاستقلال عن الدولة الحفصية[1]. وبعد ذلك عرفت صراعات بين الأمراء حول العرش، وخاصّة تلك الفتنة التي وقعت بين السلطان عبد العزيز وأخيه حاكم قسنطينة سنة (913هـ/1507م)، وفي السنة الموالية 914هـ/ 1508م قامت الحرب بينها، واستثمر الأسبان صراعهما والإرهاق الذي أصاب جيشيهما وأضعف قدراتهما ليقوم بغزو المدينة واحتلالها، و اخضاعها سنة 916هـ/ 1510م مستغلا زمن الوهن الحفصي وضعف أميرها، فنفذوا أحلامهم باحتلالها [2].

لقد استمر هذا الاحتلال إلى ما بعد الدّخول العثماني، حيث حررها البايلر باي، صالح رايس عام (962هـ/ 1555م)، من يد الأسبان وطردهم منها، بعد معركة دامت (24) يوما، انتهت بانسحاب القائد الأسباني دون لويس دو بيرالطا (D.L. de Peralta)، الذي عاد إلى إسبانيا عبر سفينة فرنسية، ولكن جزاؤه كان محزنا؛ إذْ عاقبه الملك الأسباني (شارلكان) بقطع رأسه بالساحة العمومية بمدينة بلد الوليد (Valadolide) [3].

5) **إمارة كوكو:**

تقع إمارة كوكو على سفوح الجبال الشرقية لجرجرة، على الطّريق الرّابط بين عين

---

1) **بعد استقلاله** عن الدولة الحفصية، راسل شارلكان الأسباني برسالة جاء فيها: « إن خير الدين– هذا الرئاس التركي الحقير– استولى على مملكتي، وكان من أكبر الأسباب الني جعلته يقدم على احتلال بلادي هو علاقتي الودية معكم دائما. ولهذا كان من مصلحتك – أيها القائد العظيم – أن تأتي لنجدتي، وتعيذ إلي ملك أجدادي. وعندما تعاد إلي مملكتي سوف أعترف بكم وأكون نائبا عنكم ». انظر، محمد العروسي المطوي، السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب أسلامي، بيروت، 1406هـ/ 1986م، ص. 701.

2) عبد القادر فكاير الغزو الأسباني للسواحل الجزائرية، ... ، ص. 128.

3) L – C . Féraud : Histoire de Bougie, édition , Talantikit, Bejaian , 2014,p : 161 ,162.

الحمام وعزازقة، وكانت قبل مجيء العثمانيّين تشكّل كيانا سيّاسيّا شبه مستقل، وفي ذات الوقت كانت بجاية وما حولها تابعا لمملكة الحفصيين، وتحت قيادة أسرة آل القاضي[1].

أمّا تأسيسها فإنّ هناك بعض الاختلافات التي تكتنف نشأتها، وذلك تبعا لاختلاف الروايات حول ذلك، ومن بينها تلك التي أوردها يحيى بوعزيز والتي مفادها أن أحدا يدعى الأمير عبد الرحمن المتوفى سنة 905هـ/1500م ترك جبل عياض بالمعاضيد شمال المسيلة وتوجه عبر سلسلة جبال ونوغة، ليحط الرحال شمال سهل مجانة على الضفة اليمنى لواد الساحل(الصّومام)، وبالمكان الذي أصبح يعرف بالقلعة أسّس مملكته،(مملكة كوكو)[2]. غير أن هذا الرأي يقفز على أهم مرحلة وهي تلك التي سبقت التأسيس، والتي كانت خلالها الأسرة القاضوية تقيم ببجاية، قيل الأحتلال الأسباني سنة 1510م . ويرى بعض الباحثين أنّ تأسيس إمارة كوكو كان على إثر نزوح الكثير من سكان مدينة بجاية، لاسيما بعض العائلات البارزة محليا، بعدما تعرضت مدينتهم إلى الاحتلال الأسباني، سنة 916هـ/1510م، وعجزوا عن الذود عنها وحمايتها. ومن بين العائلات البيجائية التي رفضت السيطر الأجنبية الإسبانية، وتركت مدينة بجاية السّاحلية نحو الداخل وهي: عائلة أحمد بن القاضي الغبريني التي أسست إمارة كوكو بأعالي جرجرة سنة 917هـ الموافق لسنة 1511م [3].

---

1) محمد سي يوسف، دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ***مجلّة الدّراسات التّاريخية***، معهد التّاريخ، جامعة بوزريعة، العدد: 2، السنة 1986، ص:155، (39).

2) نبيل بومولة، القوى المحلية في منطقة القبائل الشرقية في العهد العثماني(ق10هـ/16م) بني عباس نموذجا، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيّة ، جامعة الجزائر 2، 2010/2009 ، ص، 61.

3) أرزقي شويتام، إمارة كوكو (1511- 1767م)، اليوم الدراسي حول إمارة كوكو، 2010/9/30م تيزي وزو، مجلة " فعاليات". وانظر أيظا، ممالك الأمازيغ في العهد الإسلامي، بسكرة،1- 12/2 /2010م، المحافظة السامية للأمازيغية، الجزائر،ص.9،1.

ويؤكد صحة ذلك الزيّاني على أنّ إنشاء إمارة كوكو كان من نتائج احتلال الأسبان إمارة بجاية سنة 916هـ/ 1510م، والتي غادرها العالم" أحمد بن القاضي الغبريني بعد عام من ذلك. وعلى إثر ذلك؛ لما وصل قرية كوكو واقتنع بمكانها الآمن راقت له، واتخذها مركزا ونواة لإمارته الجديدة [1]. ولما كان ناقما على الاحتلال وأعوانه، قرّر تجييش أتباعه القادرين على حمل السّلاح، ومشاركة خير الدين بربروس في معاركه ضدّ المتمرد؛ حسن قارة القائد العسكري في حيش خير الدين بربروس، والمعيّن بشرشال، و المناوئ للسلطة العثمانية حميدة العبد أمير إمارة تنس التابعة لما تبقى من المملكة الزيّانيّة فبمشاركة خير الدين كون حلفا معه، وبذلك يكون تأسيس إمارة كوكو متزامنا مع بدايات الوجود العثماني. كما شارك في حصار تلمسان حسب "هنري جونوفوا" (H. Genevois) [2]. ولما نقارن بين الآراء السابقة، فإننا نرجح الرأي الثاني في تأسيس القلعة، وذلك للأسباب التالية:

– أوّلا : كون النزوح الذي حدث من بجاية إلى أواسط جرجرة، مؤكّد وحتمي؛ بسبب خطر الاحتلال الأسباني الذي وقع على سنة 1510م على المدينة [3].

– وثانيّا: أن عائلة ابن القاضي كانت من الأسر المتنفذة في بجاية علما وجاها، وعلى رأسها أحمد بن القاضي، وهو ما يؤهلها للزعامة من جديد.

– وثالثا: أن أحمد بن القاضي، ثبّت وجوده فيما بعد من خلال تعاونه مع خير الدين بربروس، ومن خلال خليفته أحمد بن القاضي (الإبن) الذي كانت له خلافات سياسية مع خير الدين

---

1) الزياني: دليل الحيران،... ، ص: 232، ها (1).

2) Henri GENEVOIS. Op. cit, p.13 .

3) توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492– 1792، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 109.

بربروس كذلك[1]. حيث في عهده تغيرت علاقة إمارة كوكو بالسلطة العثمانيّة، وقلبت لهم ظهر المجن، وحولت موالاتها للأسبان، بعد اتصالات ومراسلات بين حسن قارة أغا الجيش في قوات خير الدين بربروس، والذي يقول عنه: « لقد حدّثته نفسه أن ينقلب عليّ ويجلس مكاني، وأوهمه عقله الصغير بأنّه يمقدوره أن يفعل ما عجزت عنه أنا. وعندما بلغني بأنّه قد راسل ابن القاضي قمت بطرده » [2]. وتحول أمير كوكو الجديد ابن أحمد بن القاضي الذي خلف أباه إمارة كوكو من صديق وحليف سابق لعروج، إلى عدو بغيض وخصيم للسلطة العثمانية بالجزائر، وعلى رأسها خير الدين بربروس، وحليف لأعدائها الأسبان والمتآمرين والمتعاونين معهم، وأولّهم السلطان الحفصي الذي تحالف معه وألّبه على العثمانيين. وما يترتب على ذلك من توازنات بينه وبين السلطة العثمانية من جهة، وبينها وبين إمارة بني عباس المجاورة من جهة أخرى [3].

6) إمارة بني عبّاس: (إمارة المقرانيين).

لقد اختير موقع إنشاء قلعة بني عباس مع بداية القرن السادس عشر (16م) بعناية فائقة، وبمهارة عالية، حيث شيدت بأعلى جبال البيبان الواقعة شمال غرب سهل مجانة، يمين واد السّاحل (وادالصومام)، وهي منطقة متمنعة وعرة الوصول[4]. وقد وصف مناعتها أحد

---

1) لقد وضّح أرزقي شويتام في الخلافات التي ظهرت حول الشخص الذي يحمل إسم أحمد بن القاضي من أسرة آل القاضي. وأجاب على كل التساؤلات التي قد تعترض القارئ أو الباحث. انظر، مداخلته في اليوم الدراسي حول الممالك الأمازيغية، المرجع السابق، ص، 9 .

2) خير الدّين بربروس، مذكّرات ...، مصدر سابق، ص. 112.

3) نف المصدر، ص. 112، 113.

4) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث الجزائر – المدية – مليانة، وزارة الثقافة، ط2، الجزائر، 2005م، ص. 142.)

الرحالة بقوله: « لم يسبق لي في حياتي أن رأيت مثل علو هذه القلعة الموجودة على قمة حبل والتي لففنا حولها كثيرا قبل الوصول إليها. لم يتمكن أبي من امتطاء بغلته واضطر إلى التسلق مشيا...ذلك أن الطّريق كان حلزوني» [1].

وكان الاختيار يتماشى والظروف الجيوسياسية، واللاّ أمن المنتشر آنذاك في غياب هيمنة الدولة المركزية، وخاصة مع الإمارة المجاورة (إمارة كوكو) [2]. ولقد تم إنشاء القلعة على يد عبد العزيز بن الأمير عبد الرحمان بقرية من قرى المنطقة كان أبوه الأمير نزيلا بها، ثم دفينها سنة 1500م متخذا إيّاها مركزا لأقامته وعاصمة لأمارته[3]. ويفيد يحيى بوعزيز على أنّ القلعة استمر وجودها إلى غاية اغتيال آخر أمرائها المدعو سي ناصر سنة 1624م، على يد أحد المتعاونين مع السلطة العثمانية. وبعد وفاة هذا الأخير خلفه على رأس الإمارة أخوه المدعو "باتكة"، والذي واصل الصراع ضد الجيش العثماني[4]. وبذلك تكون مملكة بني عباس قد عاشت أزيد من القرن ونصف القرن.

---

1) علي رضا بن حمدان خوجة، ذكريات رحلة من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر المناكق الجبلية، منشورات ثالة، الجزائر ،2008، ص. 22،23.

2) **اتسمت العلاقة** بين الإمارتين (بني عباس وإمارة كوكو) بالتّوتر واللاّ تفاهم، والعداوة والحروب، وقد كان ذلك في صالح السلطة العثمانية. حيث كانت كلتاهما تمثل مركز ثقل توازن بين السلطة العثمانية وإحداهما في حالات الحرب التي تقع بين الحين والآخر. (انظر : نبيل بو مولة: القوى المحليّة في منطقة القبائل الشرقية في العهد العثماني (ق10هـ/16م)، بني عباس نموذجا، رسالة ماجستير في التاريخ الحديثا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر(2)، 2009/2010، ص: 66. نقلا عن: الحسن محمد الشريف الورتلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التّاريخ والأخبار، المعروف بالرحلة الورتلانية، بيروت، 1394هـ/1984م، ص.36.

3) يحي، بوعزيز، ثورة 1871م ودور عائلتي المقراني والحدّاد، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، (د.ت.)، ص.45،46.

4) بنوجيت، مرجع سابق، ص.197.

7) المملكة الزيانية:

بعد الإنكماش الذي عرفته الدولة الموحدية وتراجع نفوذها ببلاد المغرب الإسلامي، انشطرت بلاد المغرب إلى كيانات سيّاسيّة هنا وهناك، ومن ضمنها المملكة الزيانية وتسمّى أيضا (مملكة بني عبد الواد)، لتبدأ مسارها السياسي[1]، على يد يغمراسن (ت ذي القعدة 681 هـ/ 1282م) بن زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكس بن طاع الله بن برجي من بني عبد الواد[2]. وبعد ما أعلن استقلال قبيلته الزناتية، المتميزة دوما بالثوران، إلاّ أنّه أبقى على اعترافه الشكلي بالخلافة الموحّدية، وذلك 633هـ/ 1236م بتلمسان[3]. وبعد ذلك استقروا بها، وودّعوا حياة الحلّ والتّرحال بالصّحراء[4]. ومع الوقت بدأت الدولة الناشئة في التوسع على حساب أراضي المغرب الأوسط [5].

استمرت المملكة الزيّانيّة في الوجود إلى غاية زوالها، على يد العثمانيين، خلال منتصف القرن السادس عشر(16م). غير أنّها لم تستطع الاستيلاء على كافة بلاد المغرب الأوسط؛ وذلك راجع إلى ضعفها النّاتج عن أوضاعها الدّاخلية والحروب التي كانت تخوضها

---

1) عمر، سعيدان، علاقة اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين:1،2 من: ق14م، ط2، منشورات ثالة الجزائر، ، 2011، ص. 16.

2) محمد، بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان" مقتطف من الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح وتعليق، محمود بو عياد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (د.ط)، 1985/1405م، ص. 109.

3) سعيدان، المرجع السابق، ص، 16.

4) **يقول يحيى** بن خلدون في " بغية الرواد، " أنّ بني عبد الواد استوطنوا نواحي تلمسان خلال عشرينيات القرن، ج1، ص. 104 .

5) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزيّاني حياته وآثاره، (ش.و. ن. ت.)، ط2 ، الجزائر، 1982، ص. 12 ،13.

ضد جيرانها. وخلال مسارها تعرضت إلى العديد من الهزات السياسية والعسكرية؛ سواء على المستوى الداخلي، أو على المستوي الخارجي. كما عاشت المملكة الزيانية صراعات داخلية بين أمرائها، وعلى سبيل المثال لا الحصر عدم بقاء السلطان عبد الرحمن بن محمد الأول على عرش المملكة، أزيد من شهرين وبضعة أيام؛ بسبب مزاحمته من قبل عمّه السعيد بن أبي حمّو الزيّاني، الذي أزاحه خلال شهر محرم من سنة 814هـ/1411م[1]. كما عاشت صراعات كذلك بينها وبين جيرانها؛(الدولة الحفصية والدولة المرينية)؛ اللتان بلغتا مدينة وهران، فالحفصيّون احتلوها سنتي 1248م و1269م، والمرينيّون غزوها خلال: 1300م، 1335م، و1347م[2]. بالإضافة إلى الهجمات الصليبية من قبل البرتغاليين والأسبان الذين احتلوا بعض مدنها وموانئها كهنين سنة 1531م والمرسى الكبير من سنة 1415م إلى سنة 1437م ، ومن سنة 1471 إلى سنة 1477م، ووهران سنة 915هـ/1509م إلى سنة 1708م[3]، ومن سنة 1732م إلى 24 فيفري سنة 1792 م [4]. وعلى العموم فقد عرفت الدولة الزيانية مرحلتين متباينتين قبل الوجود العثماني وهما: مرحلة التأسيس والتطور ثم الاستقرار من عام (633هـ/1236م) إلى عام(911 هـ/ 1505م). أما بعد مجيء العثمانيين فقد قسمها أحد الدارسين إلى ثلاثة فترات (مراحل): الأولى من بداية الغزو الأسباني للسواحل المغاربية إلى غاية استشهاد أُروج بربروس، وإبرام معاهدة بين أبي حمو موسى الثالث مع الأسبان سنة

---

1) محمد العروسي المطوي: مصدر سابق، ص: 570،571.

2) فكاير ، مرجع سابق، ص. 203 ،221. (وانظر، سعيدان، مرجع سابق، ص. 47. وانظر، مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية،ج1، ص. 19.

3) فكاير، المرجع نفسه، ص. 207. وانظر أيضا، حساني، مرجع سابق، ص. 83 .

4) المدني، حرب الثلاثمائة سنة..... ، ص. 489.

(1517م)، والمرحلة الثانية من 925هـ/1517م إلى 942هـ/1535م، وعُرفت هذه المرحلة بالصراع الداخلي ومواجهة السلطة العثمانية، بقيادة خير الدين بربروس [1].

أمّا المرحلة الثالثة: فتبدأ من 942هـ/1535م، وتميزت بالصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة، وانقسامهم بين موال للعثمانيين مثل: مولاي محمد، وبين موال للأسبان مثل: مولاي عبد الرحمن بن رضوان، وحفيده مولاي عبد الله. كما تميزت بصراع حول السيطرة على المدينة من قبل القوى الثلاثة الزيانية والأسبانية والعثمانية، وابتداء من: 19/ 04 /1548م بدأت الأمور تميل لصالح العثمانيين [2].

ثانيا: الوضع الاجتماعي (الأمني و الصحي).

لقد أخبرنا الحسن الوزان[3] المعروف بليون الإفريقي (Léon l'Africain)، عن الوضع الأمني بشكل مختصر ووجيز، وهو يتكلّم عن مملكة تلمسان خلال رحلته فكتب يقول: « ذلك هو السبب الذي من أجله لم تفتأ هذه المملكة أن تتضرر من تعسّفات الأعراب القاطنين بالجزء المجاور للصحراء. وكان ملوك تلمسان دائما مضطرين إلى أن يهدئوهم بأداء أتاوات جسيمة

---

1) حساني، المرجع السابق، صص.45 – 206 .

2) نفسه ، صص. 45 – 206.

3) **هو الحسن** بن محمد الوزان (الموريسكي) الفاسي، تناوله بالترجمة أكثر من 15 مترجما، وأفاضوا. من قبيلة بني زيات الزناتية المغربية، ولد بغرناطة ما بين 1495، و1500م. قام برحلات كثيرة، وفي رحلة عودته إلى المغرب تم أسره بالقرب من دزيرة دربة ، ونقل إلى روما كهدية إلى البابا ليون العاشر؛ الذي قربه إليه. وهنا (تظاهر) بالتمسح و حمل إ سم هو يوحنا ليون (John Léon) ، وأشهر مؤلفاته، كتاب (وصف إفريقيا). توفي بالتقريبعام 957هـ/ 1550م. انظر، حسن الوزان، وصف إفريقيا....ص، ص. 5– 14.

وتقديم الهدايا لهم، لكن لم يستطيعوا قط إرضائهم جميعا، وقلّما توجد في البلاد سبل آمنة»[1].
أمّا « بيشو» المؤرّخ الفرنسي فيلخص هذه الحالة المزرية قائلا :

« إنّ العائلات المالكة الحفصيّة والزيّانيّة والمرينيّة التي كانت تلمع لمعانا منيرا، قد انغمست في حروب طويلة ومزمنة، وروت أرض هذه البلاد (بلاد المغرب) بالدّماء، ثمّ سقطت في مهاوي الانحطاط، فطوال قرن كامل لم يبق لأمراء هذه العائلات المالكة من السلطة إلاّ اسمها، وكل الملوك لا يفكرون إلاّ في إحباط المؤامرات والفتن التي يثيرها ضدّهم أفراد من عائلاتهم، من أجل الاستيلاء على العرش، أو في إخماد الثورات التي تقوم بها قبائل سئمت حكم العجز والطغيان » [2] .

أمّا في المجال الصحّي، فقد خرجت بلاد المغرب الإسلامي عموما وضمنها بلاد المغرب الأوسط من القرن الخامس عشر (15م) المليء بالأوبئة الفتاكة كالطاعون والجذام والجدري على وجه الخصوص؛ الذي لم يبق ولم يذر. وقد ذكر_عبد الرحمن بن خلدون، الذي عايش الظاهرة، ما يؤكّد ذلك، فكتب واصفا الحالة الصحية السّائدة آنذاك بقول: « انقلبت أحوال المغرب أثناء الطاعون الجارف الذي طوى محاسن العمران ومحاها، فخلت الديار والمنازل » [3].

---

1) الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي): وصف إفريقيا، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط2 ، بيروت نفس، 1983، ص. 9.

2) ويصدق فيهم قول إبن حمديس الصقلّي: « **ولم ترحم الأرحام منهم أقارب** ** **تروي سيوفا من دماء الأقارب** ».

3) فلة، موساوي– القشاعي: الواقع الصحي والسكاني أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518–1871م، (د.ت) ص. 63.

ولما حل القرن السّادس عشر لم تسلم البلاد من تلك الأوبئة أيضا. ففي سنة 916 هـ /1510م ضرب وباء الطاعون منطقة بجاية، ومنطقة وهران، وبالخصوص نزلاء المستشفى؛ الذي أسسه بها الكاردينال خيمينيس، وذلك بالرغم من وجود من يشتغل بالتطبيب والعلاج. وقد رصدت لنا إحدى الدّارسات في دراستها ثلاثة وخمسين من المشتغلين بالتطبيب، وكانوا موزعين بين الحواضر والأرياف. كما عاش المجتمع خلال هذه الفترة وما قبلها شيوع الجانبّ الروحي وطغيانه على الحياة العامة؛ فانتشرت الطرق الصّوفية والمتصوفون والأتباع، وأصبح بعض الطرقيين يشرفون على عشرات القبائل حيث تروي الأسطورة أن في نهاية القرن الـ 15م ظهر مرابط يدعى سيدي هجرس وهو من سلالة شريفة، كان تحت سلطته حوالي مائة قبيلة تتبعه وتؤمن بخوارقه. وبها استطاع التصدي والصمود أمام الجيوش الحفصية بقيادة مولاي عثمان. بالإضافة إلى مملكة كوكو، التي يدعي أصحابها الانتساب إلى المرابطين بزواوة، وليس ببعيد عنها مملكة بني عباس التي أسّسها المرابط سيدي أحمد بن عبد الرحمان. كما ظهرت بأقصى الشرق طوال القرن الــ15م دولة دينية عرفت بالشّابية شملت جزءا من القبائل الشرقية للجزائر من بينها قبيلة لحنانشة ومنطقة القيروان بتونس [1]. وكذلك اشتغل النّاس بالكرامات والخوارق، وتقهقرت السلطة الزمنية أمام السلطة الروحية خاصة بالأرياف، وتشكلت كيانات على شكل دويلات دينية، ومنها الإمارة المستقلة التي ظهرت بسهل مينة، ويؤكد ذلك مرمول على وجود تلك الإمارة الدينية المرابطية، والتي كانت تحمل إسم مؤسسها المدعو سيدي سنّة [2]. وقد استمرت ظاهر الكيانات الدينية إلى غاية منتصف القرن الـ16م، حيث ظهر المرابط سيدي عبد الوحمان اليعقوبي؛ الذي حاول تكوين كيان تحت امرته بطرارة ندرومة، ومن بعده ظهرت إمارة

---

1) Pierre, Boyer: « ***<u>Contrubution a l'etude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger, (xvi^e–xix^e siècles</u>***) », in revue de l'occident musulman, n° : 6, p :14 .

2) أبو القاسم سعد الله: على خطى المسلمين حراك التناقض، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 1430هـ/2009م، ص.191.

أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني خلال القرن الـ (17م) [1]. ولكن ما زاد في الأمر سوءا هو تلك الضربات الخارجية التي تتلقّاها من حين لآخر كلاًّ من الدواتين الحفصية والمرينيّة، ناهيك عن ما قامت به مملكة إسبانيا باحتلالها لبعض مدن الدولة الزيّانية؛ كالمرسى الكبير، ووهران، وبجاية [2].

وبالإجمال لقد لخص لنا المغيلي، الذي عاش خلال النصف الثّاني من القرن الخامس عشر، وجايل ثلاثة أمراء من بني عبد الواد، ابتداء من 1462م، وأولهم (أبو عبد الله محمد المتوكل)، الوضع العام بالمغرب الأوسط، وقدّم لنا صورة مختصرة، ولكنّها شاملة، عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتّى الأمنية. حيث بالإضافة إلى الكوارث الطّبيعية التي أخبرنا عنها قال كذلك عن الحياة الاجتماعية: « عمّت اللّصوصية والظلم والمجاعات والأوبئة، حتى أرغم الناس على مغادرة منازلهم وأوطانهم من الحروب والغارات التي لم تسمح للفلاحين بزراعة الأرض وتوفير الإنتاج، وانعدام الأمن، وترهل قبضة السلطان » [3].

وعليه يمكننا القول أنّ وضع المملكة الزيّانية في أواخر عهدها، أي قبيل الوجود العثماني، كان وضعا متدهورا على جميع الأصعدة؛ حيث تميّز ببروز الفتن الدّاخلية، سواء بين أفراد الأسرة الحاكمة، أو بين الدولة في حدّ ذاتها وبعض القبائل المشاغبة، وذات النزعة الاستقلالية، التي كلّما أحسّت بقوة شوكتها إلاّ وكشفت عن نزعتها الإستقلاليّة. بالإضافة إلى تقلّص موارد الدولة المالية، بسبب ركود النّشاط التجاري، وهو ما ينعكس سلبا على الوضع

---

1) Pierre Boyer, op cit, p. 15.

2) محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في ق 15م، (ش. و. ن . ت)، الجزائر، 1982، ق. 21.

3) خنّوف مرجع سابق، ص. 58. نقلا عن المغيلي.

العام، وضعفها أمام الاحتلال الأسباني لجزء من إقليمها؛ مما استدعى قدوم العثمانيّين إلى منطقة الشّمال الإفريقي .

المبحث الثالث: ظروف التحاق الجزائر بالدولة العثمانية ومراحله..

يعد موضوع ارتباط الجزائر بالدولة العثمانيية الذي حدث في عهد السلطان سليم الأول من عام (1519م)، من أكثر المواضيع طرحا للنقاش، وذلك لما يكتنفه من غموض وجدل حول طبيعتة وكيفيته؛ ولأجل ذلك يطرح الكثير من المهتمين بعض التساؤلات حول الكيفية التي تم بها هذا الإرتباط، وعن طبيعته، وإن كانت بعضها تبدو غير بريئة؛ إذْ يحاول بعض من أصحابها التشكيك في أهداف وأغراض الارتباط، انطلاقا من خلفيات مسبقة، لا من فكرة مبدأ " الشك يولد اليقين"، كأسلوب علمي أكاديمي. لكن مهما يكن قصد تلك التساؤلات، فإن الاطلاع على الظروف التي أحاطت به وتسببت في حدوثه كفيلة بإجلاء الغموض. وبالنظر إلى نداءات أهل بلاد المغرب الأوسط المتعدّدة [1]، والكيفية التي جاء بها الإخوة بربروس[2]، والمراحل التي قطعوها حتّى تحكّموا في البلاد، وبالنظر للعدد المحدود لأفراد الجيش، فإنّ ذلك يستبعد وينفي بل يدحض فكرة السيطرة والتواجد العثماني بالقوة في بالجزائر، ولم يكن ذلك إلاّ بالتّوافق والتراضي، بل كان بمحض إرادة أهل الجزائر وبرغبة منهم [3].

---

1) انظر الملحق، نداء السكان . إضافة النداء إلى الملاحق .

2) **يقول** ميشال هارفيه: « لم يأت الأتراك كغزاة، ولم يقصدوا تأسيس دولة بشمال إفريقيا، وإنما دعووا من قبل سكان الساحلالجزائري، فجاؤوا للدفاع ضد الهجمات الأسبانية التي تهدد الوجود الإسلامي نفسه بشمال إفريقيا ». انظر،

–Michel Hervé, Les debuts de la Régence d'Alger de 1518 à 1566, (s.l.e.), 2005, p ,30.

3) أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766– 1791م، دار البصائر، الجزائر، 2008م، ص. 185، ها (1). وانظر كذلك ،***مجلة الدراسات التاريخية***، جامعة الجزائر، العدد التاسع، السنة 1415هـ/ 1995م، ص. 106,

فبتاريخ جمادى الأولى/ مايو 1519م[1]، وبعد عرض خير الدين بربروس ولاء الجزائر وطاعة أهلها لسلطان الدولة العثمانية (سليم الأول)، والاعتراف به حاكما على الجزائر وخادما للحرمين الشريفين، وخليفة على كل المسلمين[2]. ومنذ ذلك التاريخ، أصبحت بلاد المغرب الأوسط (الجزائر لاحقا) مرتبطة بالدولة العثمانية ومنضوية تحت لوائها، بل وتعد من ضمن أراضيها [3]. وقد كان ذلك الارتباط ضمن سياق تاريخي يفسّر حقيقته، وسنتطرق إليه وتناوله فيما يلي من خلال الظروف الداخلية والخارجية التي تم خلالها. وتشير الأحداث المتتالية خلال بدايات وجود الإخوة بربروس، إلي أن إلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية وارتباطها بها كان قد تم في ظروف معينة، ومتدرجا وكانت كالتّالي:

ثانيًا: الظروف الخارجية:

لقد كانت الدوافع الدينية الصليبية والأهداف الاقتصادية كافية للقوى الأوروبية المتنامية، بأن تبحث عن فضاءات جغرافية خارج جغرافيتها (أوربا) الأصلية تحقق من خلالها رغباتها. وقد وافق نهاية القرن الخامس عشر(15م) وبدايات القرن السادس عشر(16م) الميلاديين بروز دولتي إسبانيا والبرتغال، كقوتين أوروبيتين متناميتين تبحثان عن دورهما وعن موضع قدم على درب الأمبراطوريات العالمية السّابقة. ولذلك اتجهتا متفقتين شرقا وغربا لنشر المسيحية، وجمع الثروات، وتحقيق الأمجاد، ومن ذلك المعاهدة المبرمة بينهما سنة 1509م في

---

1) روبير مانتران، أهم التواريخ في الحضارة الإسلامية، تحقيق، محمد ريحان، هاشيكت أنطوان، بيروت، 2012، ص.

2) **انظر الملحق** " مراسلة خير الدين وأهالي أعيان الجزائر إلى السلطان سليم الأول.

3) فاضل بيات، الدولة العقمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإداريّة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانيّة حصرا (مطلع العهدى العثماني- أواسط القرن التّاسع عشر)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007، ص: 546.

مدينة فيلا فرنكا الإيطالية، والقاضية بأن تكون الجزائر وتونس للأسبان والمغرب الأقصى للبرتغال [1].

لكن البحث في موضوع التحرشات الخارجية، يتطلب التطرق إلى الأسباب والدوافع التي كانت سواء جاذبة ومغرية، أو كانت دافعة ومحفزة على تلك التحرشات. وإذا كانت كل الأسباب المختلفة قد أدّت إلى تحرّشات إسبانية عسكرية على السّاحل الشمال الإفريقي عموما ، وعلى شمال المغرب الأوسط، وانتهى بعضها باحتلال بعض المدن السّاحلية ، فإنّ الأسباب الدّينية كانت وستظل على رأس كل الأسباب. وإنطلاقا من الرعاية البابوية لتلك الحملات الموجّهة نحو مدن شمال إفريقيا والتي تتجلّى بوضوح في عهد البابا ألكسندر السّادس عن طريق الأمرين البابوين اللّذان صدرا سنة 1493م، و1494م، والهدف من ذلك مباركة الحرب الصليبية الإفريقية، وتنفيذا لذلك طالب البابا من كل المسيحيين دفع ضريبة الحرب الصليبية (Crusada)، لفائدة السلطات الأسبانية، وذلك لتغطية نفقات ومصاريف الحرب المزمع شنّها لاحقا. كما أنّ المتأمل في بعض الأدبيات الغربية يتلّمس النّزعة الدّينية من خلال مفردات رجال السياسة. ومثال ذلك ما ينسب إلى فرديناند الكاثوليكي: بأنّه يكافح من أجل خدمة الإله ويتصرف بحمية في اتجاه ديننا المقدّس، وأنّه يهاجم أعداء العقيدة الكاثوليكية المقدّسة، كما أن فتح القسطنطينية على يد العثمانيين بتاريخ 29 مايو 1453م كانت له ردة فعل سريعة وبارزة عن طريق رجال الدين المسيحيين، ونذكر منهم الصليبي المتشدد خمينيس الذي مارس (تطهير) إسبانيا من الإسلام والمسلمن، ولم يكتف بذلك فقط ، بل نقل الحرب ضد المسلمين إلى شمال إفريقية نفسها، وقد جسّد النزعة الصليبية في احتلال بعض المدن الساحلية كمدينة

---

1) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م، ص. 33.

وهران[1]. إن تنصيب دعاة التنصير من رهبان ورجال دين، بالشمال الإفريقي، من أجل السيطرة والاحتلال، هي مؤامرة كانت وراء حبكها كل من روما رأس البابوية وقشتالة وبرشلونة ومايورقة [2]. وفي هذا الصدد يقول فرنانذ بروديل: « إن الحروب الأسبانية في إفريقيا قد أخذت صبغة الصليبية الحقيقية، وذلك نظرا للدور العظيم الذي قام بأدائه رجال الكنيسة والكهنوت،...» [3].

ومن نافلة، البحث أنّنا نذكر ولو بإيجاز بعض الآثار التي ترتبت عن التحرشات الأسبانية كالاحتلال لبعض المناطق السّاحلية وما ترتب عنه. إذْ تتفق جل الكتابات على أنّ الأسبان امتدّ نفوذهم من مدينة وهران وسيطروا على كل ضواحيها إلى غاية سهل غريس، وفعلوا الأفاعيل بأهلها من تدمير للقرى والمداشر، وأسر السكان، وفرض الضرائب، واستغلال الأراضي، واستعباد أهلها، وكان كل ذلك بمساعدة بني عامر، وحميان، وشافع، وأولاد علي وعبد الله وأولاد خالفة وغيرهم [4].

لقد حلّ القرن السادس عشر الميلادي (16م) وهو مثقل بمخلفات القرن الخامس عشر، تلك المخلّفات المتمثلة في كون العثمانيين كانوا ينافحون عن الإسلام والمسلمين في

---

1) عبد القادر فكاير: الغزو الأسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (1505م – 1792م)، دار هومة، ط2، الجزائر، 2015م، ص. 29، 31.

2) سعيدان، مرجع سابق، ص. 38،39.

3) محمد سي يوسف، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل، الجزائر، 2009م، ص. 50. نقلا عن:

– F. BRAUDEL, Les Espagnoles et l'Afrique. . ( ).p.201.

4) إبن سحنون الرّاشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. المهدي البوعبدلّي، دار المعرفة العالمية، ط.خ.

المشرق، وكان الصراع المذهبي على أشدّه بينهم وبين الصفويين حاملي المشروع الشّيعي الصّفوي. أمّا في الغرب الإسلامي فيتمثّل في نكبة مسلمي الأندلس (1492م) وما تلاها من إجراءات اسبانية وتطورات على الموركسيين ومستقبلهم بالأندلس والمغرب الإسلامي عموما، والذي كان سكانه يعانون ضعفا عاما أمام الأسبان، فلاهم مقتدرين على مد يد العون لإخوانهم الأندلسيين المطاردين، ولا هم قادرين على الذّود عن حياضهم المستباحة. وكان الأسبان و البرتغاليون في قمّة الشراهة للغزو، وحاملين مشروعا توسعيّا بكل أبعاده الدّينية والاقتصادية والحضارية. فالأسبان بعد حروب الإسترداد وسقوط غرناطة أفصحوا عن تطلّعاتهم نحو الضفّة الجنوبية للبحر المتوسط وتقاسموا مناطق النّفوذ مع البرتغاليين شرقا وغربا حسب اتفاقية تور دي سيلاس (1494م) [1].

فكان من نصيب الأسبان السّاحل الشّمالي لإفريقيا الذي لم يتوانوا في التهجم عليها المرة تلوى الأخرى، وعلى إثر ذلك باتت المدن السّاحلية من طرابلس الغرب إلي سبتة المغربية بين محتلة ومهدّدة بالاحتلال أمام استكانة سكانها بين ضعف وخيانة. ففي هذا الصّدد يقول أحمد توفيق المدني عن الآسبان وتحرّشاتهم: « كانت دولة اسبانيا قد تنمّرت..، ورمت أنظار الطمع والجشع على الشمال الإفريقي» [2]. وبالفعل فقد استطاعت احتلال العديد من المدن السّاحلية، محاولة تثبيت أقدام المسيحية بأقطار الشمال الإفريقي(دولة الحفصيين، ودولة

____

1) **معاهدة** أبرمت بيين إسبانيا والبرتغال برعاية الكنيسة لتقاسم منتاطق النّفوذ في العالم المسمّى بالجديد، علة إثر حركة الكشوفات الجديدة (الإحتلالات) لأمريكا واستراليا وجنوب آسيا وإفريقيا.

2) **بدأت** عمليات التهجم والاحتلال منذ اتفاقية « تور دي سيلاس» الأوربيّة خلال شهر تموز سنة 1494م المتضمنة تقسيم مناطق النفوذ، والمشجعة على ذلك، والمتممة باتفاقية سنة 1509م، والتي باركها البابا ألكسندر بورجيا (1492م– 1503م)، والذي حرض على احتلال سواحل الجزائر. انظر: محمد دراج، الدخول الغثماني إلى الجزائر ودور إخوة بربروس (1512–1543م)، شركة الأصالة للنشر، ط3، 2015م، ص: 112.

الزيّانيين، ودولة المرينيين)، وماهي إلاّ سنوات قليلة ومع العشرية الأولى حتى صارت معظم المدن الشاحلية للشمال الإفريقي تحت سيطرة إسبانيا ولولا فضل الله ومنّه على مسلمي الشمال الإفريقي الذي مَنَّ عليهم بحدثين جليلين هما: تزامن ظهور القوة العثمانية الناشئة أيام السلطان(ياووز)[1] سليم الأول (1512– 1520م) ممثلة في الإخوة بربروس ومن معهم من المجاهدين

الغزاة، فأنقذوا تلك المدن السّاحلية بشمال إفريقيا. أمّا الحدث الثّاني فيتمثل في تزامن ظهور دولة السعديين أمام أطماع البرتغاليين ببلاد المغرب الأقصى. فكان هذان الحدثان سببا في: « إنقاذ البلاد المغربية وحفظ كيانها وسلامة دينها وراحة سكانها ودرء أخطار حكم الرهبان وطغيان محاكم التفتيش عنها...» [2].

أمّا البرتغاليون فقد كان توجههم نحو المشرق، وقبل بلوغه اكتشفوا رأس العواصف (رأس الرّجاء الصّالح)، وبعده أصبحوا يهدّدون الدّولة العثمانية، والبقاع المقدّسة (مكّة والمدينة) من الجنوب عبر مياة البحر الأحمر والخليج الإسلامي. وأما عن الدولة العثمانية فقد كان السلطان سليم الأول يحمل على عاتقه لواء التصدّي للخطر البرتغالي والصّفوي في الجنوب والشرق، وكذلك الخطر الأسباني الواقع على مسلمي الأندلس وشمال إفريقية، وهذا انطلاقا من مسئوليته كخليفة للمسلمين، ومن الغيرة الإسلامية التي أثارتها وهيّجتها استغاثات أهل الأندلس السابقة، في عهد والده السلطان بايزيد الثاني. ونداءات المغاربة بعدها. وبالتّالي فإنّ تقلّد السلطان سليم الأول منصب الخلافة الإسلامية، وخدمة الحرمين الشريفين، بعد ما تسلّمها من أخر خليفة للمسلمين بالقاهرة، وعاد بها إلى استانبول لم يكن عبثا.

---

1) **ياووز**. معنا الشّديد والعنيف؛ حيث كان لمعظم سلاطين الدّولة العثمانية ألقابا عرفوا بها. مثل: القانوني، والصّاعقة، ...

2) المدني: محمد عثمان باشا... ، ص. 37.

وكل ذلك كان متزامنا مع تطورات الدولة العثمانية المختلفة ومنها توجهها نحو التوسّع [1].

ثانيا: الظروف الدّاخلية :

لم تكن نداءات بعض أعيان بلاد المغرب الأوسط، واستغاثاتهم بالإخوة بربروس، إلا نتيجة الضعف السائد والمستشري بينهم، كما لم تكن تلك الهجمات المسيحيّة واحتلال بعض المدن الساحلية إلا نتيجة ذلك الضعف السياسي والعسكري المحلّى، والناتج عن الانقسامات الداخلية؛ ولذلك فإن كتب تاريخ تلك المرحلة تقدم لنا صورة مترهلة عن المشهد السياسي، وهي كما يلي: فبغرب البلاد فلا سيادة للدولة الزيانية نظريا، إلا على مدينة تلمسان وضواحيها، وحتى هذه الأخيرة لم تكن خاضعة إلا إسميا، بينما كانت المناطق الأخرى من البلاد منها مدينتي قسنطينة وبجاية ومنطقة الزيبان تحت عباءة الحفصيين سطحيا، وكلتا الدولتان كانتا في تحالف مع القوى الخارجية. وأما بقية المناطق الأخرى من البلاد كوهران، وشرشال، وجزائر بني مزغنى، وتنس، ودلس، وغيرهم.. فكانت على شكل وحدات سياسية مجهرية، وكانت كل واحدة على حالة من الحالات الثلاث التالية: إما تكون تابعة للدواة الزيانية وإما تكون تحت لواء الدولة الحفصية، وإما تكون منشقة لا تخضع لأي سلطة باستثناء مجلس محلي، أو أحد شيوخ القبيلة. وعلى غرارها كانت كذلك المناطق الجبلية؛ فظهرت بها بعض الإمارات المستقلة عن أي سلطة لكن تحكمها إحدى العائلات من الطرقيين أو من الشرفاء وأوضح دليل على ذلك: إمارة بني عباس بجبال زواوة بالشمال، وإمارة بني جلاب بمنطقة واد ريغ. بالإضافة إلى وجود قبائل مستقلة كقبيلة الذواودة بالقرب من قسنطينة، وقبيلة بني عامر، الهلالية بغرب البلاد [2].

---

1) محمد سهيل قطوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة 1299-1924م، دار بيروت المحروسة، ط1، 1995م، ص.146 وما بعدها.

2) دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر.... ، ص. 101.

ولقد لخص أحمد توفيق المدني الوضع الدّاخلي كما يلي: « في أواخر القرن الخامس كان شمال إفريقية كلّه مرتعا للفتن، وموطنا للقلاقل والاضطرابات، وقد مزّقت الفوضى أوصاله، وعبث الغزاة الأسبان بسواحله وأهم مدنه عبثا كان وصمة عار على صفحات التاريخ. وبلغت الشيخوخة بالدول الاسلامية الثلاثة مبلغا أوصلها إلى درجة الموت. فدولة الحفصيين قد نخر سوس الشقاق عظامها. ودولة بني عبد الواد قد انحطّت إلى أسفل دركات الضغط والانحطاط... » [1].

لكن محمد دراج قد وصف الوضع الداخلي سياسيا بشيء من الدقة والتفصيل فقال عنها: « فأغلب المدن السّاحلية كوهران وتنس وشرشال والجزائر ودلّس وبجاية والقلّ وغيرها، كانت إمّا تحت حكم أمير زياني منشق عن الدولة الزيانية كأبي يحي بن محمد الزياني في تنس، أو عن الدولة الحفصية كعبد الرحمن الحفصي في بجاية، أو خاضعة لمجلس محلي منتخب كوهران، أو خاضعة لشيخ قبيلة كسالم التّومي الثّعالبي في مدينة الجزائر» [2].

أمّا المناطق الدّاخلية الجبلية، فكانت بها بعض الإمارات من الشرفاء أو من الطرقيين، كإمارة بني عباس، جنوب بجاية، وإمارة كوكو الواقعة غرب جبال زواوة، وقد كانت مستقلة تماما ولا تخضع لأي سلطة. كذلك كان الأمر بالنسبة لبعض المناطق الدّاخلية والجنوبية، حيث سيطرت عليها بعض الأسر كأسرة بني جلاب بمنطقة وادي ريغ وأسرة بني ورجلان في ورقلة. وكانت منطقة بلاد الشبكة (بني ميزاب) تحتضن أتباع المذهب الإباضي، وهم في عزلة تامة عن باقي السكان باستثناء حتمية تعاملاتهم التجارية مع الشمال، وهو ما أجبرهم على الاعتراف

---

1) المدني، محمد عثمان باشا ...، ص: 37.

2) دراج، الدخول العثماني... ، ص. 101.

بالسلطة العثمانية القائمة أنذاك مع استقلالهم الدّاخلي التّام، تحت سلطة مجلس العزّابة [1]. كما سادت بعض القبائل في القطاع القسنطيني وبلاد الحضنة كقبيلة الذواودة، وفي الغرب سادت قبيلة بني عامر، وكلها كانت مستقلة في تسيير شؤونها. وبسبب هذا التعدد في الكيانات الشبه سياسية كثرت القلاقل وقلة استقرار [2].

ففي ظل هذا الجو السياسي، وهذه الأوضاع دخل العثمانيون إلى المغرب الأوسط، بعد استغاثة أهله بالإخوة بربروس؛ فلما توالت النّداءات من سكان المدن السّاحلية كمدينة بجاية ومدينة جزائر بني مزغنّة، وحتّى مدينة طرابلس الغرب فيما بعد. وفي هذا الصدد يقول خير الدين بربروس في مذكراته « عندما كنت مع أخي في مدينة جيجل وصلت وفود عديدة من المدن الجزائرية، كان أهمها وفد مدينة الجزائر التي كانت تمثل مركز البلاد. كان أهالي الجزائر يشكون من ظلم الأسبان ويرجون تدخلنا لأنقاذهم »[3]. ونستخلص من هذه النداءات، أنّ سكان المغرب الأوسط عموما، وسكان مدينة الجزائر على وجه التحديد كانوا في ضيق كبير، من الاعتداءات الأجنبية. وبعد تلبية تلك النّداءات من قبل الإخوة بربروس وبعد تقييمهم للأوضاع وموازين القوى، وما مدى إمكانية الصّمود أمام القوّة الأسبانية المتكالبة، وأمام استحالة ذلك، كان ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية من الحتميات التّاريخية والواجبات الإسلامية، وهو ما تم فعليّا؛ وأخذت طابعا رسميّا، بين السكان عن طريق أعيانهم والباب العالي عن طريق خير الدين بربروس [4].

---

1) أحمد توفيق المدني: محمد بن عثمان باشا... ، ص: 164.

2) محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ...، ص: 103.

3) خير الدين بربروس، مذكرات خير الدّين... ، ص. 74.

4) للوقوف على ظروف إرتباط الجزائر بالباب العالي، ينظر إلى الملاحق في أخر البحث.

ثالثا: إلحــاق الجزائــر بالدّولة العثمانيّة ومراحله:

لقد تعددت الآراء حول الاتصالات الأولى بين بلاد المغرب الأوسط والدولة العثمانية، وكان تعدد تلك الآراء نتيجة الاتصالات واختلاف تواريخها، والتي أنتجت آثارها نوعين من الارتباط خلال مرحلتين :

1) المرحلة الأولى: (الإرتباط غير الرسمي).

كان أول إتصال مباشر بالسلطان العثماني سليم الأول (1512– 1520م) اتصالا عرضيا. إذْ يُذْكَر أن السلطان لما كان في مصر سنة 923هـ/1517م، زاره وفد من البحارة قادمين من الجزائر بغية الغزو في الحوض الشرقي للبحر المتوسط برئاسة البحار الشهير مصلح الدين، وبعد استقباله من قبله بمدينة الإسكندرية والإحتفاء به، علم منه بوجود الإخوة بربروس ببلاد المغرب وبأوضاعهم بها، وبما يحتاجون إليه، فقدم لهم يد المساعدة . ويؤكّد ذلك اللقاء، خير الدين في مذكراته بقوله: « احتفى السلطان برئيس الوفد مصلح الدين وأمده بعدد كبير من الجنود ومعدات الحرب، فأخذ مصلح الدين كل ذلك وعاد بها إلى الجزائر» [(1)].

ولقد كان لهذا الدعم من قبل السلطان نفسه الأثر الحسن على معنويات الإخوة بربروس وهم بالشمال الإفريقي من غير سند ولا معين إلا ما افتكته أيديهم ، من الأعداء؛ ولذلك عبر خير الدين عن هذا الأثر الإيجابي بقوله: « تضاعف سرور أخي رئيس (يقصد أخاه أُروچ) بعودته بسفنه وما بعثه معه السلطان سليم خان من جنود ومدافع » [(2)].

---

1) مذكرات خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص: 76.

2) مذكرات خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص، 77. وللمزيد (انظر كذلك، محمد دراج، الدخول العثماني ....، ص ص. 255 ، 254. وكذلك محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية...، دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، بيروت، 1986م، ص. 678.

وهناك من يرى أن أول اتصال بين بلاد المغرب والباب العالي كان سنة 1515م، عن طريق بعثة أرسلها خير الدين بربروس إلى السلطان سليم الأول (1512– 1520م) بقيادة محي الدين رايس؛ الذي يُعدُّ من أشراف الدولة الحفصية، ومع عودة السفارة تلقّى خير الدين رتبة بايلر باي، على بلاد المغرب الأوسط على اعتبارها، وما عليها تابعة للباب العالي، وجزء من الأمبراطورية العثمانية (1). لكن بحكم أنّ أًروج خلال هذه السّنة (921هـ/1515م) لا يزال حي يرزق، وبما أنّه هو الأكبر في إخوته، فإنّنا نستبعد تزعم خير الدّين عملية الاتصال والتواصل مع الباب العالي. وما يثبت حجتنا في ذلك رأي محمد دراج الذي يرى بأنّ أول اتصال كان من طرف بابا أروج (بابا عرّوج)، حيث أرسل من شمال إفريقيا سنة (922هـ/1516م) سفنا محملة بالهدايا، بقيادة بيري رئس إلى الباب العالي (2).

ومن جهته قام السلطان سليم الأول، بإرسال سفينتين حربيتين بمعداتهما ولوازمهما إلى الإخوة بربروس. واعتبرت تلك السّفارات المصحوبة بالهدايا المتبادلة أول اتصال رسمي (3). كما أن فرمان تعيين خير الدّين كبايلر باي على بلاد المغرب الأوسط، لم يتم إلاّ سنة، 918هـ / 1519م.

---

1) أحمد ساحي، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512– 1767م، الأمل للنشر والطباعة، 2015م، ص. 94.

2) **الباب العالي** مصطلح يحاكي استعمال مصطلحات البوابة والباب والعتبة منذ القديم بمنطقة المشرق الإسلامي،كذلالة على مقر الحكومة. ولقد أكّدت على استعماله الدولة العثمانية، بدء باستعمال مصطلح الباب السلطاني، ثمّ نحول المقر إلى منزل الوزير الأعظم، وأصبح يسمى ابتداء من عام 1654م باشا قبوسي، أي باب الباشا. وابتداء من القرن الـ 18م بدأ استعمال مصطلح الباب العالي، وهو كناية عن منزل الوزير الذي هو مقر الدّيوان. انظر: برنارد لويس، استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، تعريب سيد رضوان علي، الدّار السّعودية للنشر، ط2، الريّاض ،1982، ص. 125.

3) محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس، شركة الأصالة للنشر، ط3، الجزائر،2015م، ص.175.

2) المرحلة الثانية : (الإرتباط الرسمي).

لقد بدأت هذه المرحلة بعد استشهاد الأخوين إسحاق وأُروج ريس بالغرب الجزائري، على إثر تحالف القوات الأسبانية والقوات الزيّانية الموالية لها ضدّهما. حيث وقعت معركة كبيرة بين الجيش العثماني بقيادة خير الدين بربروس من جهة، وتكتل الجيوش المسيحية لكل من: دولة نابولي، وصقلية، وألمانيا، وهولندا، وبلجيكا، والكل كان تحت مضلة " كارلوس" ملك إسبانيا من جهة أخرى[1]. إلاّ أنّ المعركة قد آلت نهايتها لصالح خير الدين بربروس. ولكن ورغم ذلك الانتصار فإن هذا الأخير أحس بالضعف؛ وبالتّالي عزم خير على ترك الجزائر، لكن الأهالي منعوه وألحوا على بقائه[2].

إنّ تحقيق رغبة السكان في البقاء معهم لهو أمر يحتاج إلى وضع ترتيبات خاصة وحاسمة، وهذا ما أقدم عليه خير الدّين بربروس، حيث أمر بسك النقود وقراءة خطبتي الجمعة باسم السلطان خان سليم الأول دون سواه، وتقربا إليه بإظهار الولاء له وبالتّالي نيل رضاه. كما استقدم بعض من الأمراء المحليين إلى مدينة الجزائر محاولا اقناعهم بذات الفكرة، فقال لهم: « إنّ السلطان المعظم سليم خان الآن هو خليفة رسوا الله فكيف تسنى لكم أن تتركوا خليفة المسلمين، وسلطان العالم، وتقرؤون الخطبة وتضربون النقود باسم سلطان المغرب..؟! إنّ مستقبلكم ومستقبل بلادكم مرهون بضرب السكة باسم السلطان المعظم، والويل لكم إن خالفتم وعصيتم ..» [3].

---

1) يبدو أن بلجيكا في هذه الفترة (مطلع القرن السادس عشر الميلادي) لم تكن كيانا سياسيا بالمفهوم المعاصر.

2) دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر... ، صص. 185، 255 .

3) دراج، مذكرات خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص. 95. وانظر كذلك، دراج، الدخول...مرجع سابق، ص. 255.

وبهذه الإجراءات عرف خير الدّين قد كيف يربط بين بلاد المغرب الأوسط والباب العالي، وبرهن على قدرته وحنكته السيّاسية، كما فعل سنان باشا لمّا ربط اليمن بالباب العالي[1]. و بذلك حقق هدفه الأولي، والمتمثل في قابلية أهل البلاد فكرة ارتباط بالباب العالي. إذ بعدما هيّأ الرأ ي العام الداخلي، لقبول فكرة الإنضواء، قام بإرسال وفد إلى الباب العالي برئاسة كاهيته ذو الأصل التركي، وفي نفس الوقت أحد المقربين من السلطان سليم الأول وهو حاجي حسين آغا [2] ومعه هدايا تليق بمقامه. وبعد حوالي ثلاثة أشهر، عاد الوفد من الباب العالي، بفرمان تعيين لخير الدين كبايلرباي على الجزائر وسيفا مرصعا وخلعة مذهبة وراية الإمارة، بالإضافة إلى دعوات السلطان بالنصر[3]. وبعد هذا الحدث الكبير، والمتمثّل في استقبال الوفد واستيلام الهدايا من قبل السلطان، ثم إرسال فرمان التعيين، شعر خير الدين بالإطمئنان وباتت الجزائر تحت جناح الباب العالي مرموقة بعطف السلطان [4]. وقد عبر خير الدين بربروس عن ذلك قائلا: « شعرت بسرور عارم يغمرني، لن يتمكن الأسبان من إزعاجي

---

1) الموسوعة التركيّة، الجزء التّاسع والعشرون، (د. ط.)، أنقرة، 1980، ص. 66، 67.

2) **حاجي حسين آغا** هو أحد المقربين من خير الدين،(أبنه بالتبنّي) وبعد عودته من سفارته الدبلوماسية النّاجحة كافأه بمنصاب كثبيرة وهامة ومنها: خليفته سنة 1533م، ثم قيادة الجيش، وولاه على قسنطينة. (انظر، مذكرات خير الدين، ص. 98. وانظر أيضا، كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510- 1541م، تر: جمال حمادنة،

3) لقد جاء في كتاب سيرة خير الدين، تحقيق عبد الله حمادي، ص. 106، ها(1) أن الوفد الذي أرسله خير الدين إلى الباب العالي كان برئاسة أحد المقربين من سالم التومي (زعين الثعالبة) وأحد أتباعه ويدعى الحاج حسين. فلاندري هل الأمر يتعلق بسفارتين منفصلتين؟ أم أن هناك تضارب بين الكتابين ؟

4) صالح عباد، الجزائر خلال الحكم العثماني 1514- 1830م، دار هوملة، 2007، ص. 49.

بعد اليوم، لأن السلطان الكبير سليم خان يسندني من ورائي من ورائي، فكل ما أطلبه منه لن يتردد في إجابتي بكرمه وعنايته » [1].

وهكذا بات وضع الجزائر سياسيّا مرتبطا بالدولة العثمانية. وإنّ ما يمكن استخلاصه من هذا الإرتباط من نتائج هو: دخول الجزائر رسميّا تحت مظلة السلطنة العثمانية، وأصبحت من ضمن إيّالاتها، كما أصبحت دولة يالمفهوم السياسي وأصبح العثمانيون بها يخوضون الحروب باسمها. بالإضافة إلى التخلص من الاعتماد الواهي والسند الضعيف على الدولة الحفصية والتي سبق وأن خذلت الإخوة بربروس في معركة بجاية بمنعها تزويدهم بالبارود[2].

كما أصبحت الجزائر قاعدة عسكرية متقدمة مرابطة أمام الغرب المسيحي بالجهة الغربية ونقطة قوة بيد العثمانيين في الحوض الغربي من البحر المتوسط. لكن، ومهما كان نوع الارتباط بين الجزائر والباب العالي، فإن الجزائر لم تكن منغمسة بالكامل في أحضان الدولة العثمانية، ولا كانت مستقلة عنها كل الاستقلال، وأنما كانت تسير وفق سياسة متزنة وفي هذا الصدد يقول أبو القاسم سعد الله عن نوعية لرتباطها بالباب العالي:

---

1) خير الدّين بربروس، مذكّرات خير الدّين بربروس،...، ص. 98. وانظر: سيرة المجاهد خير الدين، تحقيق وتعليق وتقديم، عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، (د.ط)، الجزائر، 2009م، ص: 106. لكن الكاتب لم يذكر فرمان التولية من بين ما جاء به الوفد العائد من استانبول.

2) محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية...، دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، بيروت، 1986م، ص: 678. نقلا عن أبي الضياف

«... فهي من جهة مستقلة أو تحاول أن تكون مستقلة عن اسطانبول، وهي من جهة أخرى تحاول أن تبقى على الحد الأدنى من الصلات الاسلامية، ولوكانت رمزية، مع الخلافة » [1].

والآن يحق لنا طرح السؤال التالي: ما مدى تحقق الأمن والاستقرار بعد هذا الإلحاق الذي تم بين الجزائر والباب العالي؟ أو ما موقف القوى الإقليمية من هذا الإلحاق؟

هل بقيت القوى الخارجيّة متفرّجة على هذا التّحول الاستراتيجي' في العلاقات ؟ أم كانت لها مواقف أخرى؟ وما هي؟

-) ردود فعل القوى الخارجية.

إذا كانت مواقف القوى الأوربيّة عموما، والأسبانية على وجه التحديد، آنذاك معلومة بحكم الصراع الدّائر بينها وبين العالم الإسلامي عموما، ولا سيما مع بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط منه بالتحديد، والمحتلة لمجموعة من مدنه السّاحلية وتطلع إلى المزيد. ممّا جعل الحروب بينهما سجال. أما البرتغال فبحكم اتفاقية داسيلاس بينها وبين إسبانيا، فقد فصل فيها البابا. وطبقا لتلك الإتفاقية صارت مهتما بالساحل الغربي لبلاد المغرب ومنطقة باب المندب وبحر العرب والخليج الإسلامي. أما فرنسا والتي تعد قوة التوازن بين الدولة العثمانية والعالم المسيحي الغربي، وكان ذلك التوازن نتيجة التحالف واتفاقية الإمتياز التي أبرمت بين السلطنة العثمانية المملكة الفرنسية سنة 1535م. وأما علاقة الدّولة الحفصيّة والزيّانية، فلم تكن على مايرام. حيث بعد ارتباط الجزائر بالباب العالي تعكّر صفوهما نحو الجزائر، ونحو خير

---

1) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من ق 16م إلى ق 20م، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج$_1$، ط$_2$، الجزائر ، 1985م، 140.

الدين بربروس بالذات؛ وهذا ما تترجمه رسالة السلطان الحفصي إلى نظيره الزيّاني، وقد جاء فيها ما يلي: « إنّ هذا المدعو خير الدين قوي جدّا، بل هو أشد بلاء من أخيه أُروج. ها هو الآن قد استند إلى السلطان سليم خان (سليم الأول)، ولذاك فلا حد لغروره. لقد وضع في ذهنه التطلع لدولة عالمية تشمل حتّى إسبانيا[1].

إن السلطان سليم الأول يظن أن خير الدين رجل دولة حقّا، فجعله بايلر بايا وباشا، وقلّده السيف المرصع والخلعة والسنجق السلطاني، وسمح له أن يجمع من الأناضول ما يحتاج إليه من الرجال والسلاح وغير ذلك من التجهيزات العسكرية. الأحوط لنا هو أن نكون معا يد واحدة، فلا ندع أي تركي في إفريقيا، فهم خلال عشر سنوات من دخولهم شمال إفريقيا صاروا أسيادا علينا »[2]. ومن خلال محتوى هذه الرسالة نلمس إداراك السلطانين الحفصي و الزياني لقوة بربروس وشجاعته، وكذلك نفهم مدى التخوف التخوف منه خاصّة ارتباطه بالسلطان العثماني. وعلى ما يبدو من خلال الرسالة قد كانا يتابعان الأحداث وما يدور بين الإخوة بربروس والسلطنة العثمانية هناك، ونتيجة ذلك التخوف تواصا بالإتحاد على محاربة الوجود العثماني بالشمال اللإفريقي. ولم ينته التحريض من قبل السلطات الحفصية منذ عهد بربروس، ومن بين ذلك، التحالف بين السلطان الحفصي وبين إبن أحمد القاضي، ضد خير الدين بربروس، بل استمر إلى غاية نهاية العهد العثماني سنة 1830م، أين بعث السلطان الحفصي رسائلا إلى أحمد باي (1826-1837م)، مستغلا الاضطراب الذي أحدثها الفرنسيون أيام غزوهم الأولى، ويدعي فيها تبعية مدينة قسنطينة للبلاط الحفصي[3].

---

1) إشارة إلى النجدات التي يقدمها خير الدين إلى المور سكيين بين الحين والآخر، بواسطة اسطوله.

2) مذكّرات خير الدين،... مصدر سابق، ص. 100. وانظر أيضا: سيرة المجاهد خير الدين، مصدر سابق ص. 108.

3) خير الدين بربروس، المصدر نفسه، ص. 19.

إن الخلاصة التي يمكن الوصول إليها في نهاية هذا الفصل، هي أن العثمانيين ما كانوا يتواجدون في شمال إفريقيا وبالمغرب الأوسط على وجه التحديد، وبالتالي تمدّدهم وتواجدهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط، لولا وجود جملة من الأسباب والدّواعي المختلفة، والتي منها ما هو عام، ومنها ما هو خاص وحتمي. وبالتالي الوقوف على بعض النتائج التي تولدت على ذلك المد والتواجد بأقصى الغرب من العالم العربي. كما سمح لنا البحث في هذا الباب أن نتعرف على مختلف الأوضاع السياسية وكذلك الآقتصادية والاجتماعية التي كانت عليها بلاد المغرب الأوسط ، وبالتالي استطعنا تصور الحالة التي كانت عليها البلاد قبل مجيئ العثمانيين، وبالتالي المقارنة بينها وبين الحالة التي أصبحت عليها فيما بعد. وكذلك وقوفنا على الظروف التي كانت سائدة أثناء مجيئهم سمحت لنا بإدراك الواقع السائد آنئذ، وبالتالي تقدير حجم التحدّيات التي واجهها العثمانيون داخليّا وخارجيّا. بعد ذلك يحق لنا طرح السؤال التالي: ماهي الآثار التي ترتبت عن الوجود العثماني بالجزائر؟ لقد ترتبت عن الوجود العثماني ببلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط على وجه التخصيص جملة من النتائج نذكر منها:

1- توحد كل الكيانات السياسية وغير السياسية المتواجدة قبل المجيء العثماني.

2- نشوء دولة بأركانها من: إقليم محدد ، وشعب يعيش عليه، وسلطة سياسية [1] .

3- انتعاش الكثير من المدن المغاربية خاصة من الناحية الاقتصادية. وانعتاق كلا من تونس وطرابلس الغرب من الهيمنة الأسبانية.

4- تزايدة المداخيل بفضل تزايد النشاط البحري، خاصة في المراحل الأولى من الوجوم.

5- تراجع الخطر الأسباني الصليبي بالمنطقة عموما ناهيك عن تحرير المدن الساحلية .

---

1) سعيد بو الشعير، القانون الستوري والنظم السياسية المقارنة، ج1، (د.و.م.ج.)، الجزائر، 2000، ص.56، 70، 71.

الفصل الأول

الموقع والسكان وعلاقتهم بالسلطة

المبحث الأول: الموقع و السكان

1- الموقع وأهميّته.

2- الحدود.

3- التركيبة السكانية.

-المبحث الثّاني: علاقة السلطة بالسكان.

1) علاقة السلطة بسكان المدن.

2) علاقة السلطة بسكان الأرياف.

أ- بالقبائل المتحالفة.

ب- بقبائل المخزن.

سيتناول هذا الفصل، محورين رئيسيين، وهما محور الموقع والسكان؛ وفيه نتطرق إلى الموقع والحدود البرية ومسار تحديدها مع المملكتين (الحفصيّة ، والمرينيّة)، ثم نتطرق إلى التركيبة السكانية في الجزائر؛ للتعرف على الفئات المكونة للمجتمع، ووأدوارها فيه.

أما المحور الثاني، فنتناول فيه علاقة السلطة بالسكان، من خلال المبحثين التاليين: علاقة السلطة بسكان المدن، وعلاقة السلطة بسكان الأرياف، ومن خلالهما سنحاول التعرف على العلاقة التي تربط بين السلطة العثمانية ومختلف الفئات السكانيّة سواء كانت حضريّة، أو كانت ريفيّة، والتي من خلالها نتناول أصناف القبائل وعلاقتها بالسلطة، وكيفة تعامل السلطة معها، ولما لتلك العلاقة من تأثير وتأثر بالضّرائب التي تفرضها السلطات العثمانيّة المحليّة.

المبحث الأول: المد العثماني في الحوض الغربي للبحر المتوسط

أوّلا: الموقع وأهميته.

يعد الموقع بنوعيه الفلكي أو الجغرافي لأي مكان ما، إمّا أن يكون نافعا ومفيدا، لذلك المكان، أو قد يكون ضارا غير مجد له. وبالتّالي فإنّه وبقدر ما يكون له مسهّلا للتواصل الثّقافي والاقتصادي، فإنّه قد يكون كذلك عائقا لذات الشيء، أو حتّى متسبّبا في متاعب وأزمات مختلفة، خاصّة عند اندلاع الحروب؛ فإنّه (الموقع) يمكن أن يكون عاملا مساعدا ومشجعا في اللاّاستقرار وبالخصوص مع الدول المجاورة [1].

وقبل التطرق إلى موقع الجزائر ومدى أهميته، فإنّنا نود الإشارة إلى الجزائر قبل العهد العثماني والتي تتفق جل المراجع على أنّ بلاد الجزائر الحالية قبل العهد العثماني كان يطلق عليها بلاد المغرب الأوسط، وذكر بعضهم أنّها كانت تعرف بأرض (الواسطة). وجاءت أيضا بلفظ « الواسطة »، أي المغرب الأوسط، وأهل الواسطة سكانه، والنسبة واسطي [2].

والمقصود بها الأرض التي تتوسط بلاد المغرب أي: الواقعة مابين المغرب الأدنى (تونس)، والمغرب الأقصى (المغرب الحالي). وفي بعض المراجع يقصد بها تلمسان. أمّا منذ بداية العهد العثماني فقد أصبحت تحمل اسم مدينة الجزائر الذي أطلق على ربوع البلاد بدل

---

1) أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/ 1519- 1830م، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2009، ص. 16.

2) الزهار، مذكرات الزهار.... ، ص. 114. وانظر ايضا، مجموعة وثائق دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، المجموعة السّادسة، المطبعة الملكية 1408هـ/1987م، الرباط، ص. 502 .

المغرب الأوسط، على قاعدة تعميم العام على الخاص. وقد جاء في إحدى الدّراسات ما يلي: « لقد كان اسم الجزائر (الحالية) قبل القرن السادس عشر هو بلاد المغرب الأوسط »[1].

- الموقع.

يعرف المغرب الأوسط بأنه الجزء الواقع مابين المغرب الأدنى (إفريقية)، والمغرب الأقصى (مراكش) وهو بذلك، جزء من بلاد المغرب الإسلامي وقلبه، الذي يمتد من بحر المحيط (بحر الظلمات) إلى خليج قابس يتونس ومن الساحل الغربي الجنوبي للبحر المتوسط إلى أعماق الصحراء الكبرى [2]. وهناك من يضيف له القطر الليبي كجزء من المغرب الكبير. فبلاد المغرب الأوسط ، والتي عرفت فيما بعد بالجزائر، تقع بين المغربين: المغرب الأدنى (تونس حاليا) من الجهة الشّرقية، والمغرب الأقصى (مراكش سابقا) من النّاحيّة الغربية.

- حدود المغرب الأوسط .

عند أبي راس الناصري فإن حدوده، غربا تبدأ من البحر المحيط، والمعروف اليوم بالمحيط الأطلسي. أمّا من الشرق، فمختلف فيه؛ فقيل حدّه بحر السويس، وقيل حدّه مدينة برقة الليبية [3]. أمّا عن المغرب الأوسط ؛ فهو قلبه ودرّته؛ لكونه يتوسط المغربين: المغرب الأدنى من الشرق، والمغرب الأقصى من الغرب. وهذا ما يتوافق مع موقع الدولة الزيّانية التي سبقت الوجود العثماني. و كما جاء في إحدى الوثائق حول موقع المغرب الأوسط مايلي:

---

1) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق. ص. 164.

2) عمر سعيدان، علاقة اسبانيا القطلانية بتلمسان ..، مرجاع سابق، ص. 35،6.

3) محمد بن أحمد أبي راس النّاصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مصدر سابق، ص. 48.

« المغرب الأوسط حكومة ممتازة تحد شرقا بمملكة تونس، وغربا بمملكة المغرب الأقصى، وشمالا بالبحر المتوسط، وجنوبا بالصّحراء الكبرى، وتعرف قديما بوطن زناتة، وصارت هذا العهد تدعى بحكومة الجزائر » [1].

أمّا حدوده فإنّه لم يعرف عنها أيّ شكل من أشكال الحدود المعلومة، والمحدّدة في القديم إلاّ ما عرف من حدود طبيعية، وما وضعه الرّومان بالشمال الإفريقي، والمتمثل في الحد الذي حدّدوا به المناطق التي استولوا عليها، والذي عُرِف بالخندق الملكي. ثم ما وضعوه من حدود، بعد التوسّع، خلال القرن الثّاني الميلادي ، والذي عرف بخط اللّيمس[2] (le limes).

ومن بعد خط الليمس، تم وضع الخط الحدودي الروماني الثّالث، خلال القرن الثّالث الميلادي (ق 3م)[3]. أمّا ما بعد العهد الرّوماني، فلم نقف على أي فصل أو حدود بين المناطق المغاربية، سوى ما كان من حدود طبيعية معروفة لدى السكّان، إذ لم تعرف المنطقة

---

1) ابن الأعرج السليماني، زبدة التّاريخ وزهرة الشّماريخ، ج 3، بالرباط، ص. 3.

2) **عرف خط اللّيمس** (الخندق الملكي) ثلاث مراحل من التّطورات: المرحلة الأولى، وكان يحدّد مقاطعة إفريقيا، وينطلق من طينة شمال قابس ويتجه نحو الشمال الشرقي ليصل إلى مدينة طبرقة. والمرحلة الثّانية ينطلق من مدينة قابس السّاحلية باتّجاه الغرب مرورا بجنوب ققصة، ثم تبسّة، ثم خنشلة، ثم تيمقاد، ثم لامبيز، ثم سور الغزلان، ثم جواب، ثم عين الدفلة، ثم الشلف، ثم غليزان، ثم مازونة وينتهي عند عين تيموشنت. أمّا المرحلة الثّالثة فأصبح ينطلق من شرق طرابلس الغرب ويتجه غربا بمحاذاة السّاحل ثم ينحرف إلى الجنوب الغربي مارّا بشمال قصر غيلان وجنوب سيدي محمد بن عيسى بالتّراب التّونسي وقاطعا شط الجريد ومارا جنوب نقرين، ثم بتادارت وبادس وبسكرة ومليلي، ثم الدوسن، وبوسعادة، بوغار، وثنية الحد، وتيارت، وفرندة وأولاد ميمون و تلمسان، وأخيرا ينتهي عند لالة مغنية. (راجع: محمد الهادي حارش: التّاريخ المغاربي القديم السيّاسي والحضاري منذ فجر التّاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسّسة الجزائرية للطّباعة الجزائر، 1995، الخريطة المرفقة ص: 192،193).

3) حارش، نفسه ص. 186،187،188 .

حدودا وضعية، أو حتّى في أحلك الظروف وأوقات الصّراع والتّدافع التي تلت العهد الموحّدي[1].

أمّا حدود المغرب الأوسط الطّبيعيّة بعاصمته تلمسان، وحسب ما جاء في كتاب الثّغر الجماني، فهي نهر ملويّة كحد غربي، في حين حدّه الشّرقي هو مدينة بجاية. أمّا أبو راس النّاصري فله رأي آخر؛ فالمغرب الأوسط بالنسبة لموقعه وحدوده، فله دلالتان: جغرافيتان مختلفتان، الأولى، وتتمثّل في المجال الجغرافي المحصور ما بين مدينة خميس مليانة شرقا، ومدينة وجدة غربا، والثانية، هي المجال الجغرافي الممتد ما بين مدينة بجاية شرقا إلى غاية مدينة وجدة غربا[2]. وبهذد الحدود بقيت بلاد المغرب الإسلامي كتلة واحدة، غير مجزّأة علانية إلى غاية مجيئ العثمانيّين في مطلع القرن السادس عشر.

_ أهمية الموقع.

إن الحديث عن الموقع يجرّنا إلى الحديث عن أهميته، وعن آثار ذلك الموقع، سلبا أو إيجابا. فموقع المغرب الأوسط (الجزائر) يعد موقعا جغرافيا استراتيجيا، ذو أهميّة كبيرة، فهو يتوسط بلاد المغرب و يشرف شمالا على البحر المتوسط بساحل يزيد عن (1200) كلم؛ ممّا يتيح له التّواصل مع العالم الخارجي بحرا. وهناك من يقول أن طول الساحل الجزائري يبلغ 1632 كلم[3]. أمّا جنوبا، فيتوغل بحدوده إلى عمق الصحراءالإفريقيّة الكبرى. وعتبارا لهذا

---

1) المقصود بالصراعات، تلك التي كانت تثور بين حين وآخر بين بلدان المغرب (الحفصيّة، والزيّانية، والمرينية).

2)محمد أبو راس النّاصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج2، تح: محمد غالم، منشورات.(c.r.a.s.c)، الجزائر، 2008،ص. 11.

3) حسب عقيد متقاعد، بحصة تلفزيونية بتاريخ 2019/04/11.

الموقع المتميز، أصبحت همزة وصل، وقطع في آن واحد، بين المشرق الإسلامي والغرب المسيحي من النّاحية الجنوبية للبحر المتوسط، وممرّا بريّا بين أوروبا وأواسط إفريقية، ولذلك عُدَّت الجزائر في العهد العثماني من بين الثغور الإسلامية ذات الشّأن الكبير. وكانت سدّا منيعا أمام الطّموحات الأوربية، واليد الطّولى للدّولة العثمانية في جناحها الغربي. بسبب موقعها في أقصى الغرب، ومواجهته لأسبانيا الكاثوليكية، وعلى خط التّماس معها؛ أصبحت ايالة الجزائر الذّراع، الثّاني للدّولة العثمانية، والعصا التي تؤدّب بها كل من يسيء التّعامل مع المسلمين، في الحوض الغربي للبحر المتوسط؛ وذلك بموقعها الجيوستراتيجي، وقوتها البحرية وبحّارتها الأشدّاء، ورياسها، الشجعان[1]. ولقد واستطاعت بذلك إرغام الملك الأسباني شارل الخامس على الفرار أمام بحريتها، وإعجاز انجلترا، على إملاء وفرض شروط اتفاقياتها عليها[2]. وبذلك الموقع، وبما تمتلكه الجزائر من قوة عسكرية خاصة البحرية منها، فرضت الدولة العثمانية سيطرتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ردحا من الزمن[3]. وأصبحت الجزائر بذلك سندا وركيزة للباب العالي فيه، وأخت كبرى بالنسبة للإيالات العثمانية

---

1) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلّفات الرحّالين الألمان (1830–1855) م، مج$_1$، (ط،خ)، دار الأمة، 2009، ص.27. وقد جاء في رحلة التمغروطي التي تمّت خلال 1595/1594م، حول القوة البحرية الجزائرية في ذلك العهد ما يلي: « ومرساها عامر بالسّفن ورياسها موصوفون بالشّجاعة وقوة الجأش، ونفوذ البصيرة في البحر، يقهرون النّصارى في بلادهم، فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير، وأعظم هيئة وأكثر رعبا في قلوب العدو ».(انظر، مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، إشراف المركز الوطني للدّراسات التّاريخية، المؤسسة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر ، ط$_2$، 1981م ص. 157.

2) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلّفات الرحّالين الألمان (1830–1855) م، مج$_1$، (ط،خ)، دار الأمة، 2009، ص.27.

3) مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، إشراف المركز الوطني للدّراسات التّاريخية، المؤسسة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر ، ط$_2$، 1981م، ص، 57.

الأخرى، وإيّالة ثغرية في الجهة الغربية من الأمبراطورية العثمانية. كما أنّ أهمية الجزائر بالنسبة للباب العالي في إفريقيا كالركيزة الكبيرة ، خاصّة في المجال الخارجي[1].

ولهذا، أوصى الفرنسي بوتي دو لاكروا (Petis de la Croix) بأنّ:« السلم مع الجزائر ضرورة لفرنسا لمنع القراصنة من نهب مراكبنا التّجارية، وتحملهم على تخريب تجارة الإنجليز والهولنديّين»[2]. وعبّر عن ذلك أيضا، الدّاي شعبان (1688- 1695م)[3] للوزير الفرنسي" سان يولي" بقوله: « على الجزائر يعوّل السلطان العثماني في المحافظة على مملكته بإفريقيا ». وفي مناسبة أخرى يقول الدّاي نفسه إلى الوزير الفرنسي السّابق الذكر:

« اللهم احفظ الجزائر من كل خطر...فإنّه إذا ما حدث أدنى انهيار للجزائر، فإنّ إيالات تونس وطرابلس ومصر، تفلت بعد قليل من أيدي سلاطين بني عثمان »[4].

وهنا نلمس الاعتماد والثّقة التي يراها السلاطين العثمانيون في جزائر الغرب، وما لها من ثقل في المنطقة، ودور تقوم به في حفظ التّوازن السّياسي والعسكري، في جنوب البحر المتوسط وغربه. كما أنّ تخوف الدّاي شعبان ونظرته الإستشرافية كانا في محلّهما. فتحطم الأسطول الجزائري سنة (1827م)، وما تلاه من حصار، ثم احتلال فرنسي للجزائر، وما حلّ

---

1) استأنسنا في هذا التشبيه بما قامت به الجزائر سنة 1693م، لما توسّطت في النّزاع الذي وقع بين طرابلس الغرب وفرنسا وقدمت النّصائح، وخطّة التّفاوض مع فرنسا.(انظر، بلحميسي، ***مجلّة الدّراسات التّاريخية***، عدد 2، السنة_1986، ص، 52.

2) مولاي بلحميسي، إرشاد الحيران في أمر الدّاي شعبان، ***مجلّة الدّراسات التّاريخية***، عدد 2 ، السنة: 1986، ص، 5.

3) هو الحاج شعبان باشا (1688- 1695م)، قتل على يد الجيش الإنكشاري يوم 10 سبتمبر 1695م.

4) مولاي بلحميسي، المرجع نفسه، ص، 52.

بعد ذلك، بإيالتي تونس وليبيا ثم المغرب، لَتأْكيدا على صحة مخاوف الدّاي. وعموما، فقد كانت الجزائر بموقعها الكائن بين مضيق جبل طارق، وأرخبيل الجزر الأسبانية (مايوركة ومينوركة ويابسة)[1].

وبين مضيق صقلية الإيالة الأكثر أهمية، ناهيك عن كونها الأقوى في الجناح الغربي للدولة العثمانية؛ لذلك كانت تسمى بجزائر المغازي، والجزائر المجاهدة، والجزائر المحروسة، إلى غير ذلك من التسميات. ولهذا وغيره، كان السلطان العثماني لا يختار لمنصب قيادة جزائر الغرب إلا القائد الماهر الذي يجمع بين الصفات السياسية والعسكرية، ليكون حاكما برتبة بايلار باي ويكون معينا بفرمان وأولهم كان خيضر (خير الدين) بربروس[2].

2) نشأة حدود إيالة الجزائر وتطورها.

يعد مصطلح الإيالة [3] من الأسماء التي تطلق على الدّولة، ومن بين المفاهيم التي أطلقت عليه نذكر المفهوم التالي، هي: « منطقة سياسية أو إدارية ذات حدود معينة، قد يتسع معناها حتى يدل على قطر بأكمله، وقد يضيق حتى لا يدل إلا على دائرة صغيرة يحكمها

---

1) مايوركة ومينوركة ويابسة، ثلاث جزر إسبانيّة من أرخبيل الباليار تقع قبالة الشّواطىء الشرقية لإ سبانيا بالبحر المتوسط.

2) أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1424هـ/ 2003م، ص. 486 ، 485.

3) **إيّالة** : في لسان العرب ، وفي حديث الأحنف جاء ما يلي « قد بلونا فلانا فلم نجد عنده إيّالة للملك »، والإيّالة = السيّاسة فيقال فلان حسن الإيال أو سيء الإيالة. وقد وردت بمعنى سلطة الحاكم كما في الفارسية . انظر : لسان الدّين الخطيب، مثلى الطّريقة في ذم الوثيقة، تحقيق عبد المجيد التركي، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983،ص. 141. وذكرها ابن خلدون بمفهوم البلاد بقوله: « فإذا قعد النّاس عن المعاش، وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانقضت الأحوال وابذعرّ النّاس في الآفاق من غير تلك الإيّالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها فخفّ ساكن القطر وخلت ديّاره ،..» .انظر: مقدمة ابن خلدون، ج1، الفصل (43)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 198، ص. 287.

حاكم »[1]. كما يعدّ موضوع الحدود ذو أهمية كبيرة، بل وحيوية بالنسبة لتشكيل عناصر الدول وجعلها تحضى بالشخصية المعنوية؛ لكونه ركن من أركان قيامها بالإضافة إلى عنصر السلطة السياسية، ذات السيادة و عنصر الشعب. والمتمثلة فيما يلي[2] :

الإقليم بحدوده الوضعية أو الطبيعية المعلومة. بالإضافة إلى عنصر السلطة السياسية، ذات السيادة و عنصر الشعب. وبناء على هذا الأساس، أصبح تصور الدولة مربوطا بتصور إقليمها بحدوده ، وما يلازمه من أركان أخرى. وهذا عكس ما كان عليه حال المغرب الأوسط؛ إذْ لم يكن له في ماضيه الرستمي، ولا الحمّادي، ولا الزيّاني، ولا حتّى ما قبلهم حدودا معلومة. وغاية ما في الأمر هو أنّ ما كان يعتقد حدودا فإنّه لا يتعدّى حدودا متداخلة، وغير ثابتة المعالم تماشيا مع حركات وتنقلات سكان تلك المناطق، وذلك على غرار بقية بلدان المغرب الأخرى[3]. لقد أشرنا فيما سبق إلى كتاب "زبدة التّاريخ وزهرة الشّماريخ" وما ذُكر فيه عن موقع المغرب الأوسط دون تحديد حدوده، فلا حدود وضعية، ولا طّبيعية معلومة ترسم شكله وتكون معالمه، وهذا ما دأب عليه كل من تعرّض لموضوع بلدان المغرب عموما، والمغرب الأوسط على وجه الخصوص. وهذا ما أكد عليه صاحب تحفة الزائر بقوله: « اعلم أن حدود داخلية المغرب وبسيطه لم تنضبط في القديم، ولم تثبت زمانا يعتدُّ به لتولي الفتن فيما بين ملوكه..» [4]. فلم تعرف ظاهرة الحدود فيما بينها حتى في أحلك الظروف، مثل ماوقع بعد

---

1) عبد الوهاب ابن منصور، الوثائق، مديرية الوثائق الملكية، المجموعة السادسة، سنة 1987م، ص. 520.

2) سعيد بو الشعير القانون الدستوري والنظم المقارنة، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط4، الجزائر، 2000، ص. 71.

3) النّاصري، مصدر سابق، 2008، ص. 10.

4) محمد، بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، دار الوعي، ط2، الجزائر، 2015م، ص. 23.

ضعف وتفكك الدولة الموحدية [1]. وهكذا بقي الحال إلى غاية بداية الوجود العثماني وتأسيس إيالة جزائر الغرب؛ التي تعد الإيالة العثمانية الثّانية في التأسيس بإفريقية بعد إيالة مصر[2]، أين بدأت فكرة الحدود تبرز على السّاحة السيّاسيّة في العهد العثماني. لقد حرصت السلطة العثمانية على تحديد الحدود البرية خاصّة منها الشرقية والغربية وأولتها أهمية كبيرة. وبذاك تعد ظاهرة الحدود بين الوحدات السياسية المغاربية وليدة العهد العثماني.

1/2) نشأتها.

لم تكن الحدود محدّدة، ولا معلومة، قبل مجيء العثمانيّين، واستمرّ الوضع على حاله

حتّى في بدايات وجودهم بشمال إفريقيا، ولذلك فإنّ البداية الأولى لنشأة حدود الجزائر تحت تسميّة جزائر الغرب[3]، تعود إلى العثمانيّين، فهم أصحاب فكرة تحديد حدود المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط، وهم السبّاقون لوضع معالمها؛ لتمييزها وتحديدها جغرافيا عن ما يجاورها من أقطار[4]. بهذا ساهم العثمانيون بعمل تاريخي بعث الكيانات المغاربية (الجزائر، وتونس، وطرابلس الغرب) بخصائصهما السيّاسية والجغرافيّة الحديثة، ثم تركوها فيما بعد كموروث

---

1) سعيد، عدي، المغرب والعالم المتوسطي، دراسات في تاريخ العلاقات الدولية المغربية ما بين القرنين 16م و20م، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014 م، ص. 114، ها (6)

2) فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2007، ص. 552.

3) **هي التسمية** التي أطلقها العثمانيون على المغرب الأوسط، بعد قدومهم إلى شمال إفريقيا، وذلك تمييزا عن الجزائر (جمع جزر) الواقعة جنوب العراق. وأصبح المصطلح متداولا لدى الطبقة السياسية، و ما هو مدون في المراسلات الرسمية، وما دأب على ذكره المؤرخون المشارقة في مؤلّفاتهم منهم: فاضل بيات في كتابة " الدولة العثمانية في المجال العربي"، ص: 555 وما بعدها.

4) A. Berbrugger, Les frontieres, in, R. A. , N°, 4,

للشّعوب المغاربية، حيث بعد ما حلّوا ببلاد المغرب الإسلامي وسيطروا على معظم أجزائه، والتي أصبحت فيما بعد إيّالات عثمانية منفصلة سياسيا وإداريّا، ولكن دون حدود سيّاسية دقيقة فاصلة [1].

فالحدود الجزائرية الشرقية والغربية لم تكن معلومة خلال بدايات العهد العثماني مع كل من ايالة تونس وسلطنة المغرب الأقصى سوى شبه حدود إدارية خيالية (هلامية) متحركة مع تحرك سكان المناطق الحدودية المشتركة، حيث لا الباب العالي ولا الحكام العثمانيين المحلّيين عينوا حكاما أو موظفين إداريّين يديرون أطرافها، بل كل ما في الأمر تم الإكتفاء والإعتماد على الأمراء المحليّين مثل شيوخ القبائل[2]. ولذلك تأخّر البحث في مسألة تحديد الحدود إلى غاية مطلع القرن السّابع عشر(17) م. ومع ذلك لم تكن تلك الحدود لتمنع تواصل القبائل الحدودية فيما بينها، أوتمنع تنقلها شرقا وغربا إلى ما وراء الحدود [3]. وذلك لعدم دقتها من جهة، ولانعدام الحراسة من جهة أخرى التي تحول دون تواصل السكّان فيما بينهم، حتى صارت مطيّة للقبائل الحدوديّة للتهرب من دفع الضرائب .

أ) الحدود الشرقية:

يعود تحديد الحدود الشرقية لأيالة جزائر الغرب مع إيالة تونس، بصفة نهائية إلى عهد الباشوات (1588- 1659م) وذلك على إثر اتفاقيتين خلال عامي: 1614م، و1628م. فإبرام الاتفاقية الأولى عام1023هـ/ 1614م حول الحدود، كانت بسبب بعض الخلافات التي

---

1) عدي، مرجع سابق، ص. 115،114. وانظر أيضا، سعد اللّه، بحوث في التّاريخ الإسلامي ....، ص .482.

2) بيات، مرجع سابق، ص. 552.

3) عدي، مرجع سابق، ص. 122.

وقعت بين الجزائر وتونس، وهي غالبا تنتج الصدامات التي تحصل بسبب تنقل القبائل الحدودية [1] من أجل الكلأ والماء؛ ممّا يولد تلك الصّدامات بين القبائل الحدودية، أو التهرب من دفع الضرائب، وبالتالي يحاول كل طرف تأمين مصالحه الحدودية [2]. وإعمالا لذلك قام التّونسيّون بإنشاء قلعة بالكاف، وتنصيب حامية عسكرية بالرأس الأحمر (cap roux) عام 1021هـ/ 1612م؛ وعلى إثر ذلك نشبت معارك بين الإيالتين وانتهت بصلح بين الطرفين توّج باتفاقية 1614م [3].

غير أن هذه الاتفاقية لم تعمر طويلا ؛ بسبب الخلاف الذي ظهر مجددا بين الإيالتين أيام حكم يوسف باي (1009هـ/ 1610م-1047هـ/1637م)، وتطور ذاك الخلاف إلى حرب بين الإيالتين الجارتين وكان وقودها القبائل الحدودية. وبعدما انتهت المعركة لصالح القوات الجزائرية التي تغلبت على القوات التونسية في موقعة (السطارة) قرب مدينة الكاف. وأمام هذه الهزيمة، فكر الداي يوسف(داي تونس) في عقد اتفاقية صلح بين الطرفين، وتمت عام (1037هـ/ 1628) ونصها كالتالي: « اتفاق بين ولات الجزائر وولات المملكة التونسية ومؤرخة في رابع ذي القعدة الحرام من عام 1037هـ في شان حدود المملكتين مبني على رسم

---

1) **من بين القبائل** والأعراش الحدودية نذكر، قبيلة الفراشيش، وقبيلة ماجر التونسيتان. وقبيلة النمامشة، وقبيلة العلاونة. والبرارشة، وأولاد سيدي عبيد ، الجزائرية. انظر، إدريس رائسي، القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الإجارة والإغارة 1830-1881م ،الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2016، ص. 24، 25 .

2) أرزقي شويتام ورقية شارف، المجتمع الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي، دار الأمال ، الجزائر، 2019، ص. 74 .

3) عمر، حرفوش، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني، ر. ماجستي2009/08 م، جامعة الجزائر (2)، ك.ع.إ، ص. 8.

تحديد، عند الجزائريين مؤرخ بأواسط صفر الخير سنة 1023هـ واتفقوا على أن الحد الفاصل بين الإيالتين وادي سراط كما بالرسم المشار إليه....» [1]، لكنها كانت هشة [2].

ومع ذلك فقد استمر العمل بها، مع عدم وجود تراضي تام من قبل الطرفين. وأمام استمرار الخلافات بين الإيالتين إلى غاية مطلع القرن التّاسع عشر، تدخل الباب العالي سنة 1236هـ/ 1820م لإصلاح ذات البين، فأبرم الصلح، وتم إرجاع ما أخذ من تراب تونسي، دون المساس بالإتفاقية الأخيرة واستبشر السكان بذلك الصلح [3]. وقد اعتمد في هذه الاتفاقية على خط فاصل كحد بين الإيالتين انطلاقا من الرّأس الأشقر شمالا باتجاه الجنوب، مرورا بواد سَراط الذي يبقى مشتركا بين البلدين وواد ملاّق جنوبا[4].

ولقد أُبرمت الاتفاقية الأولى سنة 1614م في عهد حسين باي (1608م-1622م)، إلاّ أنّها لم تكن دقيقة ولا نهائية؛ ممّا جعل الحدود غير مرسّمة وغير ثابتة ؛ وهو ما عبّر عنه أندريه نوشيه (Andre Noushi) بقوله: « إنّها حدود متحركة »[5]. ومع ذلك، فقد تم القبول بها واعتمادها على الأقل مبدئيّا وإلى غاية خرقها من قبل التّونسيّين، بإنشاء مراكز عسكرية

---

1) وثيقة رقم: 24 ملف: 229، صندوق: 212، السلسلة التاريخية، الأرشيف الوطني التونسي. **انظر الملحق.**

2) حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص. 164.

3) حسن حسني، المرجع نفسه ، ص. 192.

4) النّاصري، مصدر سابق، ص. 9. ها (1). وانظر أيضا، الزهار، مذكرات الزهار .

5) Nouschi André, Enqute sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquete jusqu'en 1916, Paris, 1961, p., 15.

وانظر أيضا، رائسي، القبائل الحدودية التونسية...مصدر يابق، ص. 24، 25.

بالمناطق المتنازع عليها/ وعلى إثر ذلك، وقعت مواجهة عسكرية بين البلدين بتاريخ 17/مايو/1628م[1]. ولكن عند أُوجين فايسات، فإنّ المواجهة العسكرية التي وصفها بالحرب، وقعت سنة 1625م، والتي يقول عنها: « في سنة 1625م إندلعت الحرب مع إيالة تونس يسبب موضوع الحدود الفاصلة بين البلدين، والتي نوقشت خلال مفاوضات المعاهدة الأولى المبرمة في 1023هـ/ 1614م »[2].

وبالرغم من إبرام هذه الإتفاقية إلا أن الأمر لم يحسم نهائيا بين البلدين، مما ساهم في تجدد الصراع من حين لآخر، واستغلال القبائل الحدودية الممتنعة تلك الحروب للإمتناع عن أداء الضرائب [3]. غير أنّها آلت إلى صدامات بين البلدين وبالتّالي تحتم على الطرفين اللّجوء إلى إبرام الاتفاقية الثّانية لرسم الحدود وضبطها بينهما. وقد جاءت الاتفاقية على النحو التالي: « إتفاق بين ولاة الجزائر، وولاّة المملكة التونسية، مؤرخ برابع ذي القعدة الحرام من عام 1037هـ/05 جويلية 1628م، في شأن حدود المملكتين مبني على تحديد عند الجزائريين مؤرخ بأواسط صفر الخير سنة 1023هـ واتفقوا على أن الحد الفاصل بيت الإيالتين وادي سراط كما بالرسم المشار إليه وأن قلعة (ارق) تخرج منها النوبة ويهدم ما فيها من البناء والعمران ولا يتعاطاها جيش تونس ولا عسكر الجزائر بعمار ولا بوجه من الوجوه، وتبقى على حال الخراب وأن الحد من ناحية القبلة وادي ملاق والاحيرش وقلوب الثيران إلى راس جبل الحفا إلى البحر، وكما اتفقوا على أنّ من دخل من تونس إلى عمالة الجزائر وصل غرب واد سَراط يكون خراجه

---

1) رائسي، مرجع سابق، ص. 25.

2) Eugéne Vayssettes: Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517-1837,éd. Média plus, Constantine, 2010, p : 69.

3) أرزقي شويتام، الجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519- 1830م، دار الكتاب العربي،الجزائر، 2009. ص. 19.

لقسمطينة ومن دخل من الجزائريين إلى العمالة التونسية واجتاز الوادي المذكور وكان شرقيه فخراجه لها، ولا يطالبه أهل الجزائر بشيء» [1]. وهو نفس المعلم « وادي سراط » الذي تحدّث عنه الطّبيب طوماس شو (T. Shaw)، في كتابه؛ رحلة في إيّالة الجزائر [2].

لقد بقي الغموض يكتنف الحدود الجزائرية الشرقية؛ لكونها بقيت خارج سيطرت السلطتين (الجزائرية والتّونسية)، والسبب فشل السلطتين، دايات الجزائر وحسينيو تونس، في السيطرة على قبائلهما الحدودية المتحركة في الاتجاهين؛ وذاك ما عاق ترسيم التّخوم البينية بدقّة، ولتبقى الحدود هلامية غير ثابتة [3]. وهذا ما تؤكده الإتفاقية المبرمة من أجل الحدود بين الإيالتين إيّالة جزائر الغرب، وإيّالة تونس، في الرابع من شهر ذي القعدة 1037هـ/1627م[4].

وفي الأخير، فإنّ الحدود بين البلدين قد مرت بمراحلتين من أجل تحديدها، حيث حددت في المرحلة الأولى على بعد حوالي 160 كم غربا باتجاه إيالة الجزائر من السّاحل الشرقي لتونس. وأمّا المرحلة الثّانية، وبعد قرنين من الزمن، فقد تقدّمت الحدود نحو الغرب باتجاه إيالة الجزائر بمسافة أربعين كلم، لتصبح على بعد مائتي كلم، من السّاحل الشرقي التونسي باتجاه الغرب أي من الحمّامات إلى غار الدّماء، ومن مدينة سوسة إلى جبل بوجابر. و وبالجنوب تبلغ المسافة بين قابس وشط الغرسة ما يساوي 225 كلم. وعلى هذا الوضع

---

1) Vayssettes, op. , cit. , p. ,69 .

2) Docteur Shaw, voyage dans la régence d’Alger, traduit par J. Mac Carthy , éd. Bouslama, 2e éd. Tunis, (s.d .) , p. 380.

3) إدريس رائسي، القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الإجارة والإغارة 1830–1881م ،الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2016، ص. 36 .

4) رائسي، القبائبل الحدودية ... . ص. 224.

استقرت الحدود الشرقية بين إيالتي الجزائر وتونس، إلى غاية زوال الحكم العثماني. بفعل الاحتلال الفرنسي سنة 1246هـ/ 1830م [1]

ب) الحدود الغربية:

لقد عرفنا فيما سبق أنّ الحدود الشرقية بين إيّالتي الجزائر وتونس قد تم تحديدهما بعد نزاعات وصدامات، بين البلدين ، الشيء الذي حتم على حكام البلدين الدّخول في اتصالات ولقاءات من أجل التفاوض حول الحدود المشتركة. وابتداء من منتصف القرن السّادس عشر (16م)، وفي خطوة أولى من قبل السلطة العثمانية تم إرسال بعثة من العلماء إلى السلطان السعدي خلال 959هـ/ 1552م، برئاسة أحد الفقهاء وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي [2]. لقد كان محمد بن علي الخلاوبي يتمتّع بشخصية ذات مكانة محترمة لدى الكثير من أهل بلاد المغرب، من أجل قضية الحدود، وذلك من أجل التفاوض باسم السلطان العثماني سليمان المشرع، للتوصّل إلى هدنة أوّلا، ثم التفاوض حول اعتراف السلطان العثماني باستقلالية المغرب، وإطلاق سراح الأسرى الوطاسيين، والاعتراف بالخلافة العثمانية وترسيم الحدود بين الجزائر والمغرب، ؛ لتصفية الخلافات الحدودية، التي تبدأ من ساحل إلى بداية الصحراء[3].

---

1) حرفوش، مرجع سابق، ص. 9.

2) هو محمد بن علي الخرّوبي الطرابلسي، نزيل الجزائر. مثقف و محترم فى الجزائر والمغرب، وعمل على ربط طرابلس الغرب والمغرب بالود والإخاء. انظر، الدّهماني. التّاريخ الدبلوماسي للعلاقات المغربية اللّيبيّة (ق 16م – ق 19م)، جامعة الزّاوية، ط1، 2013، ص. 79–82 .

3) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792م، دار البصائر، ط3، الجزائر، 2009، ص. 310.

ولكن حسب المصادر المغربية مثل: عبد الله التازي، صاحب" أمير مغربي في طرابلس"، وإبراهيم حركات صاحب" السياسة والمجتمع في العصر السعدي" فإن البعثة قد فشلت؛ بسبب تعنت الطرف الجزائري(1). وهنا لزم التنويه بعدم الأخذ برأي المصادر والمراجع المغربية، والإعتماد عليها وحدها، وأن موضوع الحدود من القضايا الشائكة والمعقدة ، ولا أدل على ذلك ما يطفو على الساحة السياسية من ادعاءات وادعاءات مضادة بين الدول حول الحدود، خاصة المسلمة من الاحتلال؛ وعليه فإن وجهة نظر الكتاب الجزائريين وحتى الأجانب أكثر من ضرورية. ولذلك يعد ما قاله السلطان السعدي للنّاصري رئيس الوفد الجزائري في نهاية المقابلة، يفنّد ما سبق؛ حيث جاء فيه، وبشيء من التهكّم « سلّم على سلطانك أمير القوارب وقل له لابد أن ننازلك على محمل مصر، ويكون قتاله معك إن شاء اللّه»(2). وما تذكره بعض المراجع هو أنّ واد ملوية كان في العهد الزيّاني يمثّل حدًّا طبيعيّا فاصلا بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى (3).

لكن الصّراعات الدّاخلية بين أفراد الأسرة السّعدية، ولجوء بعض المعارضين منهم إلى الجزائر ومنهم مولاي عبد المؤمن الذي اغتيل بأحد مساجد مدينة تلمسان، بالإضافة إلى ضعف حكام الأسرة الزيّانية، أدّى إلى تشجيع أطماع المغرب التّوسعية باتّجاه الشرق. أي: إلى ما وراء نهر ملويّة، وإلى غاية مدينة تلمسان حسب إفادة الأسير(أنطونيو ديصالدانيا) (4). وفي

---

1) الدّهماني، التّاريخ السيّاسي للعلاقات المغربية اللّيبية من 16م إلى ق 19م، جامعة الزّاوية، ط1، 2013م، ص. 79.

2) عبد الله التازي، التّاريخ الدّبلوماسي للملكة المغربية،ج8، ص. 21.

3) Raymond, op. , cit. , p., 23.

4) **عاش دي صالدانيا** (ت 20/مارس/ 1656م) مدة 14 سنة أسيرا بالمغرب ما بين (1592 و1606م)، وبعد ما أخذ حريّته ألف كتابه: "أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب" وضمّنه ما عاشه وعايشه وما سمعه من أحداث.(انظر،

ظل تلك الأوضاع ظلت معالم الحدود غير ثابتة بين الدولتين. لكن بعد تولّي السّعديّين عرش السلطنة المغربية أصبح، واد التّافنة هو الحد الفاصل بين البلدين [1].

وقد جاء في رحلة الحافظ أبي راس النّاصري، أنّه اجتمع مع سلطان المغرب الأقصى "مولاي سليمان"، وعندما سئل من قبل السلطان عن حد المغرب الأقصى (أي الحد الغربي لإيالة الجزائر) مع المملكة المغربية، أجاب أبو راس النّاصري معتمدا على قول ابن خلدون، فقال: « إنّ الحد بين الجزائر والمغرب هو مدينة وجدة. وقد جُدِّد هذا الحد مع أول القرن (12هـ) بين السلطان إسماعيل و السلطات العثمانية بالجزائر »[2] غير أنّ السلطان المغربي لم يُسلّم بما نقل الحافظ أبو راس عن ابن خلدون، وإنّما ذكر حدًّا آخر وهو التّافنة؛ ويقصد به واد التّافنة. وهنا ردّ النّاصري بالموافقة على كلام السلطان "مولاي سليمان" بقوله:

« وما قاله مولاي هو الذي ذكره الزيّاني في رحلته »[3]. ومن خلال ما تقدم ودون التعليق على مكر السلطان المغربي، ودهاء أبي راس النّاصري، نستخلص أنّ الحدود الجزائرية المغربة لم تكن ثابتة، أو على الأقل لم تكن محل اتفاق؛ حيث أنّ النّاصري انحاز إلى رأي ابن خلدون، في حين أنّ السلطان المغربي تأبّط رأي الزيّاني. وبالرغم من صعوبة تحديد الرأي الأصوب، إلاّ

أنطونيو دا صالدانيا، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب"، تقديم وترجمة وتحقيق: إبراهيم أبو طالب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب،2011، ص26.

1) عمر حرفوش، مرجع سابق، ص. 10.

2) النّاصري، مصدر سابق، ص. 21.

3) **الزّيّاني هو**: أبو القاسم الزيّاني المغربي (1147–1249)هـ،المؤرخ وصاحب التّآليف الكثيرة ، ومنها: (الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب)، الذي تطرّق فيه إلى الثورة الدرقاوية على غرار أبي راس النّاصري. (انظر محمد بن يوسف الزيّاني، دليل الحيران وأنيس السّهران في أخبار مدينة وهران، ص، 14).

أنّ واد التّافنة – في رأينا – هو الأقرب إلى الصّواب وذلك اعتمادا على تجديد اتفاقية الحدود المبرمة بين السلطان المغربي مولاي "إسماعيل" والسلطات العثمانية بالجزائر خلال القرن الثّاني عشر (12هـ) [1].

وقد أكّد ذلك النّاصري نفسه، من خلال الحوار الذي دار بينه وبين السلطان المغربي خلال زيارته للمملكة حيث قال: « ثم حضرت مجلس ذي الخلافة...مولانا سليمان وسألني يوما عن حد المغرب الأقصى فقلت: « قال إبن خلدون: حدّه وجدة وجُدّد ذلك الحد أول القرن الثّاني عشر مع جدّك السلطان مولاي إسماعيل وأتراك الجزائر...فقال لي: إنّي رأيت حدّه تافنة، فسكت خشية منه » [2].

هكذا ورد دون ذكر لرأي الزيّاني. وتذكر بعض المراجع الأخرى أنّ السلطان المغربي مولاي الرّشيد (أخو محمد بن الشريف)، لما جلس على العرش عام 1665م جدّد مع السلطة العثمانية بالجزائر الاتفاق الحدودي المقر لوادي التّافنة كحد طبيعي فاصل بين البلدين. في حين كانت الحدود الشرقية للمملكة المغربية مع الجزائر لا تتعدّى واد ملوية كأقصى امتداد للمغرب نحو الشرق قبل 1653م [3]، أو عند مدينة مليلة بمملكة فاس[4].

---

1) الزيّاني، دليل الحيران ... ، ص. 235 .

2) محمّد أبو راس النّاصري، مصدر سابق، ص: 20، 21.

3) أمين محرز، الجزائر في عهد الآغوات (1659م–1671م)، دار البصائر، الجزائر، 2011، ص: 127. (نقلا عن: الرحلة العيّاشية سنة 1653م، والتي جاء فيها أنّ: « أوجريت (Ougrhet) الواقعة جنوب غرب وجدة على ضفة وادي أحد روافد واد ملوية هي آخر أملاك مولاي الشريف من ناحية الشرق ».

4) D'Alfonso KANO : la régence d'Alger au XVIII siècle manuscrit présente et traduit de l'espagnol par Ismet TARKI HASSAINE, éd dar el quds Oran, 2010, p. 126.

كما يذكر" دالفونصو كانو" (D'Alfonso KANO)، والنّتيجة المستخلصة ممّا سلف ذكره، هي أنّ الحدود بين الدولتين يلفّها الخلاف خلال معظم الفترة العثمانية، لكن خلال المرحة الثّانية للدّايات (1711- 1830م) عرفت حدود الجزائر الغربية مع المغرب استقرارا عند وادي التّافنة، بعدما سلمت الجزائر مدينة وجدة للمغرب[1]؛ وبذلك وضعت السلطات العثمانية بالجزائر نهاية لأحلام التّوسّع المغربي شرقا على حساب ضواحي تلمسان في تلك الفترة على الأقل. إنّ وجهات النّظر المتناقضة حول الحدود، بين إيّالة الجزائر والمملكة المغربية أدّت إلى بروز خلافات بين الطّرفين. وحتّمت عليهما في الأخير التّفاوض، حولها تحديد. وبناء على ذلك وقع، فقد تم الاتفاق على تعليم بعض النّقاط كعلامات حدودية بين البلدين في بداية القرن السّادس، والمتمثّلة في الخط الرّابط بين مصب واد مجرود البحر المتوسط وبين لالّة مغنية وصولا إلى منطقة ثنية الساسي جنوبا، دون تحديد الحدود بين البلدين بالجنوب. وهذا وفقا لمجال نفوذ كل طرف؛ وقد اعتبر هذا الإنجاز بين الدّولتين كسابقة ليس فقط على المستوى المغرب العربي، بل على مستوى العالم العربي كذلك [2]. كما تشير بعض المصادر الأخرى إلى اعتبار مدينة تلمسان هي الحد الذي تبتدئ عندها الحدود الغربية لبلاد المغرب الأرسط [3]. لكن دون توضيح دقيق وهذا ربما هو ما كان وراء بعض التلميحات السيّاسيّة من قبل بعض دول الجوار حول عدم دقة تلك الحدود. ومهما يكن فقد كان الإتفاق وكانت نتيجته كما يلي:

---

1) الزهّار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 92.

2) عدي، المغرب والعالم المتوسّطي... ، ص. 115.

3) أنطونيو دي صالداي، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق: إبراهيم بوطالب وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 2001، ص. 26 .

1- إنهاء الخلافات والنّزاعات بين الطرفين. ويبدو أن من كان وراء ذلك بتثبيت الحدود الشرقية هو الباي صالح المعروف بصالح باي [1].

2- تشكيل أرضية للتّفاوض مستقبلاً، حيث على ضوئها عُقدت لاحقا معاهدة عام 1844م بين سلطات المغربية وبين سلطة الاحتلال الفرنسية بالجزائر، وذلك على إثر حادثة خرق الحدود المغربية من قبل الأمير عبد القادر مع جيشه خلال مقاومته للاحتلال الفرنسي.[2]

3- رجوع الطّرفين إلى الحدود الموروثة عن العهد العثماني بين البلدين، والقبول بها. كما يؤكّد ذلك أندريه ريمون (A. Raymond)، بقوله: « لقد تم وضع الحدود بين وجدة، وتلمسان بصفة نهائية »[3].

ج – الحدود الجنوبية .

أمّا الحدود الجنوبية والتي يطلق عليها في بعض المؤلّفات (ما وراء الصّحراء)، فإنّها لم تكن واضحة المعالم مثلما هو الشّأن بالنسبة لحدود الجهتين الشّمالية الشرقية، والشمالية الغربية، فحسب علمنا، لم يأتي عليها أي قلم من أقلام المؤرخين الذين سبق ذكرهم: إبن خلدون، أو كانو دالفونصو، أو أنطونيو دي صالدانيا، ولا من قبل السياسيين أمثال: صالح باي (باي بايلك الشرق)، أو السلطان المغربي مولاي الرشيد؛ وذلك راجع – في نظرنا – إلى

---

1) Eugène Vayssette: Histoire des Derniers Beys de Constantine depuis 1793 jusqu'à la chute de Hadj-Ahmed, Alger -Livres Editions, (s.d.), p : 35.

2) فرحات عبّاس، ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحّال، مطبعة فضالة المحمّدية، المغرب، (د.ت)، ص. 58،59.

3) A . RAYMOND: op, cit, p:23.

الطّبيعة الجغرافية والسكّانية لمنطقة الجنوب. فلا مصالح اقتصادية هامّة، ولا سلطة رسمية بالمنطقة قائمة، ولا تواجد سكاني مستقر؛ لذلك بقي الغموض يسود الحدود الجنوبية. وعليه، فكل من ذكر الحدود الجنوبية اكتفى بذكر الصحراء كحد فاصل. ومنهم: قدور بوجلال نقلا عن أرامبورو دون جوزيف، (A. Don Joseph) الذي حدّد بايلك الغرب بالبحر المتوسط شمالا وبواد الشلف شرقا وبواد ملوية غربا وبالصحراء جنوبا[1]. لكن استثناء، نجد أحمد أبو راس النّاصري يشير إلى وجود علامات حدودية بقوله: « أنّ قبلة المغرب الأوسط هي المنطقة تيكورارين ». أي إلى منطقة الأهقّار وبلاد الطوارق وهو الوحيد، حسب علمنا، الذي انفرد بذكر هذه المنطقة الحدوديّة الجنوبية النّائيّة [2]. لكن من المعلوم تاريخيا وبالإستناد إلىالأحداث فإن الحدود السياسية للسلطة العثمانية جنوبا بلغت مدينة بسكرة عندما بلغها حسن آغا عام 941هـ/1534م[3]. وبعد 18 سنة قام صالح رايس عام 959هـ/ 1552م بحملة على مدينة ورقلة وهي أقصى نقطة بلغتها السلطة العثمانية. وماعدا ذلك فجل المصادر والمراجع قد اكتفت بوصفها أنّها مفتوحة وضاربة في أعماق الصّحراء الكبرى. والخلاصة هي، أن الجزائر الحديثة

---

1) قدور بوجلال، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة الغثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671- 1830م، رسالة دكتوراه ، غير منشورة، تحت إشراف دحو فغرور، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران -1- أحمد بن بله، 2016- 2017م، ص. 23 .

2) Bernard, Plantet, Histoire du Sahara et des Sahariens, ibis press, Paris, 2008, p162.

و انظر ايضا، صالح عباد، الجزائر خلال الحكم العثماني 1514- 1830م، (خريطة التنظيم الإداري في أواخر العهد التركي. وكذلك، وليم سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع. عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر،2006، ص. 65.

3) محمد بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تق وتع، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص. 200.

الحالية، لا تزال محصورة ومميزة بالحدود الشّماليّة الشرقيّة والشّماليّة الغربيّة؛ التي أنشئت من قبل العثمانيين منذ القرن 16م، والمورثة عن العهد العثماني[1].

إن ما يمكن استخلاصه من تحديد السلطات العثمانية الحدود الشرقية والغربية لإيالة الجزائر من أجل التحكم في حركة القبائل الحدودية، إلاّ أنّ هذه الحدود لم تحد من تواصل سكان الحدود، أو تمنع من تنقّلاتهم البينية، بل كانت سببا للتوترات السيّاسيّة. إذْ بعض القبائل المتهربة من الضرائب كثيرا ما تلجأ إلى ما وراء الحدود، وحتّى بعض الأعيان مثل: الشيخ أبي طريق الملياني. بالإضافة إلى ما وقع خلال القرنين 10و11هـ/16 و17م من صراعات وصدامات بينية خاصة مع المغرب[2]. ومهما يكن من أمر، فإنّ فضل بروز الجزائر ككيان سياسي بحدوده الشرقية والغربية إنّما يعود إلى السلطات العثمانية؛ التي ندين لها وللعثمانيين بما قدّموه من حماية ودفاع وانبعاث للدولة الجزائرية الحديثة، بمجالها الجغرافي الحالي، حسب تعبير مولود قاسم نايت بلقاسم[3].

2-) التركيبة السكّانية.

لقد تناول الكثير من الدّارسين، وبعض الرحالة موضوع المجتمع الجزائري من الناحية السكّانية خلال العهد العثماني، سواء من النّاحية الدّيمغرافية، أو من جانب الأصول، أو من

---

1) محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، دار الوراق، ط1، الجزائر، 2017م، ص. 19.

2) شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته ،...، ص. 25.

3) **مولود قاسم** نايت بلقاسم، من مواليد ولاية بجاية، مثّل جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة في الخارج، تقلّد مناصب سيّاسيّة ودبلوماسيّة، ومنها وزير التعليم الأصلي والشّؤون الدّينيّة، وهو صاحب كتاب إنّية وأصالة، وكتاب شخصيّة الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، كما يعدّ الأب الرّوحي لملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد سنويّا بالجزائر في عهده. (رحمة الله عليه).

ناحية الديانات، وكلّها دراسات تقدّم لنا المجتمع بجميع مكوّناته وأبعاده [1]. غير أن ما قام به الأجانب من دراسات، تبقى محل شك فيما جاءت به من معطيات وإحصاءات؛ وذلك نظرا لعدم معرفتهم بالواقع السكاني حق المعرفة [2]. وقبل أن نعالج الحركات المناوئة للسيّاسة العثمانيّة في إيالة جزائر الغرب، الذي هوموضوع بحثنا، سنحاول قي البداية تحديد التركيبة السكّانيّة للمجتمع الجزئري قبل دخول العثمانيّين إلى الجزائر، ثم نتتبّع التحوّلات التي طرأت على المجتمع بدءا من مطلع القرن السّادس عشر. ينقسم المجتمع الجزائري في الفترة العثمانيّة إلى قسمين وهما : سكان المدن الذين يمثّلون نسبة ضئيلة مقارنة مع سكان الرّيف؛ حيث تتراوح نسبتهم ما بين 5 و 10 % . أمّا سكان الأرياف الذين يشكّلون الأغلبيّة السّاحقة للمجتمع الجزائري، فنسبتهم تتراوح ما بين 90 و 95 % [3]. هذا من حيث معيار مكان تواجد وتمركز السكان.

أما من حيث أصول السكان وتوزعهم، فإننا نجد سكان الهضاب وهم عرب منحدرين من عدة قبائل ذات الأصول المشرقية، وسكان الصحراء وهم البدو الرحل من جهة، ومن جهة أخرى، نجد الأمازيغ أو ما يعرف بالقبائل والشاوية ويقطنون المناطق الجبلية ، وهذان العنصران يشكّلان الأغلبية السّاحقة المكوّنة لسكان الجزائر[4]. ومهما يكن من أمر، فإننا

---

1) من الدارسات المفصلة عن المجتمع الجزائري من الناحية السكانية. انظر: كتاب الأستاذ شويتام بعنوان " المجتمع الجزائري وفعالياته ..." ص ص. 12، 72 . وانظر كذلك، سعيد عدي، مرجع سابق، ص. 115.

2) حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتع. وتح. العربي الزبيري، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1982، ص. 86.

3) عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت،2005، ص. 73. وانظر أيضا، شويتام، المجتمع الجزائري....، ص. 75.

4) Hamdane Khodja, Le Miroir, la bibliotheque arabe, Sindbad, Paris, 1985, p . 46.

سنتناول التركيبة السكانية بفئتيها : سكان المدن، وسكان الأرياف. لكن قبل تناول هذا الموضوع، نقدم عرضا وجيزا عن فئات السكان المختلفة، والتي تشكل فسيفساء المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني. فما هي مكونات المجتمع الجزائري؟ وهل هي مكونات قديمة متجانسة ؟ أم هي فئات متعدّدة ومتنافرة ؟

أولاّ : سكّان المدن:

يتشكّل سكان المدن، من عدة فئات اجتماعيّة مختلفة، فيما بينها في تواجدها بين المدن. وهذه الفئات تتمثل في: الحضريين، أو ما يعرف بالبلدية، أو الأصليين من أمازيغ وعرب. ومن الأندلسيين الذين قدموا من الأندلس (مهاجرين أو مهجّرين). ومن الأتراك العثمانيّين الوافدين الأوائل مع الإخوة بربروس، أو الوافدين فيما بعد. ومن الكراغلة؛ وهم المولّدون من زواج الأتراك العثمانيّين بالجزائريّات الأصليّات أو بالأندلسيّات الوافدات، كما سبق وأن أشرنا آنفا. ومن اليهود (سواء القدماءأو الوافدون الجدد من الأندلس، أو من أوربا، خاصّة من ليفرونة الإيطاليّة). بالإضافة إلى المسيحيّين_بنوعيهما الأسرى والأحرار، وإن كان هؤلاء الأخيرين قلة في الجزائر[1].

وهناك دراسات أخرى في هذا المجال تقسم سكان مدينة الجزائر؛ باعتبار سكانها يمثلون عينة عاكسة لمكونات كل المجتمع، إلى الفئات التالية: البربر، المور الأندلوسيون، الزنوج، العرب، اليهود، الأتراك، الكراغلة [2]. وهناك من تناول سكان الجزائر من خلال تنوعهم بالمدن، ومنهم: ناصر الدّين سعيدوني، الذي قسّم المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني إلى

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري... ، ص. 76.

2) A. De Fontaine De Resbecq, Alger et les côtes D’Afrique, 1832, p, 25.

ثلاث فئات وهي: فئة الحضر، وفئة البرّانية، وفئة الدّخلاء. وإجمالا، فالمحتمع الجزائري خلال العهد العثماني كان مرتبا هرميّا وهو كما يلي: الطبقة الحاكمة والمتكونة من العثمانيين أوغير عثمانيين (أعلاج) [1] وبلغوا مراتب السلطة، أمّا الطبقة التي تليها في المكانة فتضم الكراغلة، وبعدها نجد طبقة الحضر والمتكونة من السكان البلديين (أهل المدن)، ومعهم الأشراف والأندلسيين، وتلي هذه الطبقة طبقة البرانية، وأخيرا طبقة اليهود وأسرى المعارك[2]. ومهما اختلفت التّقسيمات، فإنّنا سنتناول فيما يلي التركيبة الاجتماعيّة وفئاتها، ابتداء بالحضريين، أما يعرف (بالبلديّة)؛ بما فيهم من أتراك، وكراغلة، ثم نتطرق إلى الوافدين من بعدهم من خارج البلاد كالأندلسيّين اليهود، والمسيحيّين (الأعلاج)، كما نتطرق أيضا إلى الوافدين من الدّاخل، أوما اصطلح عليهم بالبرّانيّة؛ من الجيجليين، والبساكرة، وأهل زواوة، وبني ميزاب والأغواطيّين؛ ولكل من هاته الفيئات البرّانيّة حرفتها ونشاطها التي تتميّز به، داخل مدينة الجزائر.

- الحضريّون:

لقد عُرِف الحضريون باسم البلديّين، لكنهم السكّان الأصلاء بالمدن، والمتجذّرون بها أبا عن جد. وعادة ما يتميّز وضعهم الاجتماعي باليسر، ويتكونون من عنصرين: العنصر العربي، والعنصر الأمازيغي. وعددهم في نمو مستمر ومتزايد، نتيجة الهجرات الداخلية المستمرة من الأرياف إلى المدن خاصة خلال القرن الـ10هـ/16م والتي كان من نتائجها التنوع

---

1) الأعلاج (Les Renégats) عند المسيحيين، وعند المسلمين هم المهتدون؛ وهم الميحيون الذين دخلوا الجزائر، طواعية أو عن طريق الأسر ثم أسلموا. انظر شويتام، المجنمع الجزائري وفعالياته...، ص. 166.

2) عقيل لطف الله نمير، تاريخ الجزائر الحديث، منشورات جامعة دمشق، 2014/2013م، ص. 274.

السكاني بتلك المدن وخاصة منها مدينة الجزائر؛ وهذا يعدّ إيجابيّا على مختلف المستويات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والعمرانية[1].

- فئة الأتراك.

يعد الأتراك الوافد الجديد الذي حل بالجزائر، قادما من الأناضول، مع مطلع القرن السادس عشر. وتجسد ذلك في شخوص الإخوة بربروس ومن كان معهم، وبهم وبمن التحق بهم أصبحت الجزائر تحتضن عنصرا بشريا جديدا، وهو العنصر التركي. فقد كانت الفترة الممتدة من سنة 1516 إلى 1538م فترة توافد تركي سريع، تغيرت ملامح التركيبة الاجتماعية لمدينة الجزائر، وتحولت من مدينة خالصة للبرابرة (السكان الأصليين) إلى مدينة للأتراك [2]. وهذا يدل على أن فئة الأتراك أصبحت واقعا ملموسا وأحد مكونات المجتمع [3]، الذين قدموا من بلاد الأناضول إلى بلاد المغرب، مع الإخوة بربروس ومن جاء بعدهم؛ وهم الأتراك الذين قال عنهم أحد الدّارسين وهو يذكر ما يحسنونه وما لا يحسنونه: « الأتراك يحسنون استعمال السيف أفضل من القلم » [4]. وهنا نسجّل تجاهل المؤرخ بروديل العنصر العربي كمكون من مكونات سكان مدينة الجزائر، ومن هؤلاء قبيلة الثّعالبة على سبيل المثال. ومن العناصر

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري ...، ص. 77.

2) فرنان بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب أبي سمرا، دار المنتخب العربي، ط$_1$، بيروت، 1993، ص. 153.

3) **قال عنهم** أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون المعروف بإبن عبري المالطي: « وأمّا الترك فأمّة كثيرة العدد فخمة المملكة وفضيلتهم التي برعوا فيها؛ معاناة الحروب ومعالجة آلاتها. فهم أحذق النّاس بالفروسية وأبصرهم بالطّعن والضّرب والرّماية ». (انظر، ابن عبريهبري تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط$_1$، بيروت، 1997، ص.9. وهذا ما يعزّز مقولة « الأتراك يحسنون استعمال السيف أفضل من القلم ».

4) فايسات، مرجع سابق.

التركية الوافدة مع الإخوة بربروس ومع من لحق من بعدهم، سواء كانوا من الأناضول أو من الولايات الأخرى كمنطقة البلقان، نذكر: البحار البلقاني الشهير؛ مراد رايس الأرنؤوطي الذي هو من أصل ألباني، وعلي بتشين (بتشينينو) البندقي، ...[1]

- **الأندلسيّون أو المواركة:**

ونعني بهم،أولئك الذين قدموا من بلاد الأندلس، وحلُّوا ببلاد المغرب خاصة بعد صدور مرسوم طردهم، بتاريخي؛ 28 نوفمبر 1570م، و 9 أبريل 1609م، والذين استقرّوا في عدّة مدن، خاصّة منها السّاحليّة أو القريبة من السّاحل [2]. فهؤلاء الأندلسيّون، بدورهم يقسمون إلى فئتين وهما [3] :

1) الثغريون: وهم الذين قدموا من مملكة أراغون(Aragon)، ومن فالنسيا، ومن كتالونيا. وإلى الآن لا يزال أحد الأحياء أسفل الأبيار بالعاصمة يسمّى باسمهم، والمعروف بحي تاڨارا باللسان الشعبي الدّارج، وهي تعريب لكلمة (Les Tagarins) ذات الأصل العربي.

2) المودجار(Mudegarre) : وهم آخر من وصلوا من غرناطة بعد سقوطها في 2 جانفي 1492م، وقد جلبوا معهم حرفا وعادات وفنونا اندلسية، ساهموا بها في تطور البلاد عموما، وازدهار المدن التي حلّوا بها.

---

1) عبد اللطيف بالطيب، أمير البحر مراد رايس الأصغر الجزائري، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص. 35.

2) من تلك المدن نذكر: الجزائر، تلمسان، تنس ، شرشال، مستغانم، البليدة، المديّة. دلّس،...

3) شوفالييه، مرجع سابق...، ص. 16. وانظر، عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، المقطم للنشر، القاهرة، 1983م. ص.35.

-) فـئـة الـكــراغـلـــة:

ومن الفئات الأخرى المكونة للمجتمع الجزائري نجد فئة المولدين نتيجة التزاوج بين الأتراك والجزائريات والأندلسيات، الذين أصبحوا يعرفون فيما بعد بالكراغلة [1]. فالكراغلة هم إحدى الفئات التي كونت المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، على غرار غيرهم من الفئات الأخرى[2]. وتشير بعض الدراسات إلى أنهم كانوا موزعين على بعض المدن الرئيسة. وإجمالا فإن أعدادهم حسب بعض الدّراسات كانت موزعة كما يلي: مدينة الجزائر وضواحيها 2076 كرغلي، بايلك الشرق 1130 كرغلي، بايلك الغرب 1402 كرغلي، بايلك التيطري 1415 كرغلي. لكن مهما اختلفت الأرقام وتضاربت، فإن عدد الكراغلة في الإجمال سنة 1245هـ/ 1829م قد بلغ حوالي 8688 كرغلي موزعين على النحو العديد من المدن، مع اختلاف في نسبهم وكثافتهم بين مدينة وأخرى[3]. وفي غياب الإحصاءات الدّقيقة عن أعدادهم، في كل مدينة اعتمدنا على تقديم توزيعهم بشكل إجمالي عبر الإيّالات، مع إدراج منطقة وادي الزّيتون كمكان تجميعهم به؛ حتّى كاد أن يصبح قرية كرغليّة خالصة، وهذا وفق الجدول التّالي[4] :

---

1) **هم المولودون** من آباء أتراك وأمّهات جزائريات. للمزيد انظر، إرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته 1519-1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م، ص. 172. وقد ظهرت هذه الفئة في المدن التي تمركزت بها الحاميات التركية وهي: مدينة الجزائر، والقليعة، والمدية، ومازونة، ومستغانم، وقسنطينة وعنّابة وبسكرة، وتلمسان.(راجع: ناصر الدين سعيدوني: الجزائر في التّاريخ، ج 4، العهد العثماني، الجزائر، وزارة الثّقافة، (د. ت)،ص. 94 . وعائشة غطّاس، الحرف والحرفيّون بمدينة الجزائر،ط1، 2012، ،ص. 26.

2) معاشي، الأسر المحلية ...، ، ص. 137. وانظر كذلك، شويتام، المجتمع الجزائري ...، مرجع سابق، ص. 172 وما بعدها.

3) أ. شويتام، ر. شارف، المجتمع الجزائري عشيّة الاحتلال الفرنسي، (م. م. و. د. ب. ح. و.)، ص. 123.

4) شويتام، المجتمع الجزائري...، ص. 119.

•/ جدول توزيع فئة الكراغلة على بايلكات إيّالة الجزائر.

المكان	عدد الكراغلة
مدينة الجزائر	2076 (1)
بايلك الشرق	1130
بايلك الغرب	1402
بايلك التيطري	1415
واد الزيتون[2]	2665
المجموع	**8688**

وهم في تزايد مستمر، وهذا بناء على درجة التقارب والإرتباط بين العثمانيين، وأهل البلاد، وما ينتج عن ذلك من تصاهر، وإنّ ما يدعّم ذلك ويؤكّده، هو ازدياد قوة الكراغلة فيما بعد، وأصبحوا منافسين للعثمانيين(3). وهؤلاء الكراغلة لا يزال البعض من أحفادهم هنا وهناك، في بعض المدن الجزائرية، إلى غاية اليوم، كما تعتبر بعض الألقاب المنتشرة في عديد المدن الجائريّة دليلا على استيطان تلك الفئة سابقا وتواجدها بالجزائر، مثل: قارا، ودمرجي، وعروج واستانبولي، وإسكندر، وباشتارزي، وزميرلي، وقندقجي...(4). وعلى سبيل المثال يوجد في مدينة

1) يحددهم عمار بو حوش بـ6000 كرغلي بمديبة الجزائر وحدها. انظر ، بوحوش، مرجع سابق، ص.74.

2) **وادي الزيتون:** منطقة بأعالي واد يسر نفي إليها الكراغلة بعد ثورتهم على السلطة سنة 1629م.

3) شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته ...، ص.89 .

4) **بالرغم** من غرابة هذه الأسماء عن المجتمع الجزائري، إلا أنها ليست بالضرورة تدل على فئة الكراغلة؛ لأنه بالإمكان أن يسمى الأهلي باسم من هذه الأسماء؛ ولذلك نستدل بها ولكن بتحفظ.

بسكرة العديد من العائلات ذات الأصل الكرغلي، ونذكر منهم: ابن لاغا، دالي علي، شاوش، طباخ، برباش، أحسن التركي، باشا علي، ابن رمضان (وبالمدينة شارع مسمّى باسمه)، إلى غير ذلك من الأسماء مثل: قارة باغلي، آش عمار، ابن غرناوط، ابن بالي،علي خوجة، ...في مدن أخرى[1]. وكان من نتائج ذلك الاختلاط السكاني هو ظهور عنصر سكاني جديدة وهم الكراغلة أي (المولدون) من أب عثماني وأم جزائرية أو أنداسية ، ومن عنصر المهتدين او ما يعرف بالأعلاج وهم الذين أسلموا بعدما كانوا كفارا، ومنهم من بلغ مرتبة البايلر باي وأصبح حاكما على الجزائر، أمثال: حسن قورصو ذو الأصل الكورسيكي، وحسن فينيزيانو ذو الأصل البندقي [2]. أما عن نشاطاتهم، فإنها متنوعة بتنوع الحرف ومنتجاتها، وبالخصوص ما نقله الأندلسيون إلى بلاد المغرب؛ من مهارات في الفن، والطهي، والأدب، والزراعة، والصنائع الأخرى المختلفة [3]. وتتوزع الأنشطة الأخرى الممارسة بين التجارة، والوظائف الإدارية، والخدمية كالقضاء، والإفتاء، والتدريس، والكتابة،.. ومن أمثلة هؤلاء: لدينا حمدان بن عثمان خوجة، الذي كان يعد من أبرز وأشهر التجار الجزائريين، وأغنى أغنياء مدينة الجزائر، وأحد أعيانها، ومثله مثل بودربة، وخاله وغيرهما[4]. كما نذكر أيضا حسين شاوش المعروف بإبن المفتي، وأبيه وغيرهما. وضمن فئة الحضريّين نجد الأندلسيّين كفئة قدمت من الأندلس بعد

---

1) أحمد خمار، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر، 2012،ص.19.

2) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700– 1830م، منشورات ANEP ، الجزائر، 2012،ص. 21–30.

3) أبو القاسم، سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص. 500.

4) كان من أكبر المستثمرين في الزراعة وفي تربية المواشي. كما كان يمارس التجارة الخارجية مع بعض الدول الأوربية، مع انجلترا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا، بمعية خاله. (انظر: حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة، تقديم، وتحقبق، وتعريب، محمد العربي الزبيري، (ش.و.ن.إ.)،ط$_2$، الجزائر، 1982، صص. 17– 20.

حروب الإسترداد ونكبة المسلمين بها سنة (1492م)، هذه الفئة التي أشاد بدورها الكثير من الكتاب، وذلك بفضل ما أضافته إلى المجتمع المحلي، في عدّة مجالات حضارية، رغم سيّاسة السلطة العثمانية بالجزائر[1].

-) وضع الكراغلة :

كانت فئة الكراغلة محرومة من المناصب العليا في إيالة الجزائر، ومن الترقيات في المناصب، إلا ماندر. ومن هؤلاء القلة نذكر البايلر باي حسن بن خير الدّين، والباي أحمد (1826- 1837م). فباستثناء حسن باشا الذي كان كرغليا نتيجة زواج أبيه خير الدين بربروس بإحدى النساء الجزائريات، حيث تولى قيادة البلاد خلفا لأبيه، ولمكانة والده سمح له السلطان القانوني بتولي السلطة والمسؤولية ثلاث مرات: الأولى(من 1544 إلى1551م)، والثانية من،(1557 إلى 1561)، والثالثة من (1562 إلى 1567م)، ومع ذلك فقد كان غير مرغوب فيه من قبل الانكشاريين، وكذلك نذكر الحاج أحمد باي،...[2].

-) فئة اليهود:

إن تواجد اليهود بالجزائر قديم، وترجعه بعض الدّراسات إلى القرون الماضيّة البعيدة، حيث تم تواحدهم بشمال إفريقيا عموما وبالجزائر على وجه التحديد بعد انتشارهم من بلاد المشرق. وأصبحوا من مكونات المجتمع المحلي، مع احتفاظهم بخصائصهم المتميزة. ففي

---

1) ناصر الدّين، سعيدوني، النّظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830م، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1979، ص. 45. وانظر كذاك، كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر 1510-1541م، تر. جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص.16 ،17.

2) حبيبة عليليش، الكراغلة في المجتمع الجزائري العثماني ما بين القرنين 16 و19م، دار الأصالة للنشر،الجزائر، 2017، ص. 30.

القرن الـ 16م، ومطلع القرن الـ 17م توافد الكثير منهم إلى الجزائر، على غرار الأندلسيين النازحين، خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 898هـ/ 1492م تاركين الأندلس وجزر الباليار، بل ومنهم من قدم قبل ذلك من البلاد الأوربية كإيطاليا وفرنسا وانجلترا فاستوطنوا بالمدن الجزائرية وكونوا تكتلا اجتماعيا متميزا وصاروا مكونا معتبرا من مكونات المجتمع الجزائري [1]. وكانوا يتمتعون بحرية واستقلال ذاتي فيما يخص شؤونهم الداخلية وتحت سلطة رئيس الطائفة والمعروف بـ (مقدم اليهود)، وهذا الأخير هو ممثلهم لدى السلطة العثمانية المحلية. ويعود تمتع يهود الجزائر بهذه الحرية داخل المجتمع الجزائري إلى كونهم أهل ذمّة، وهو ما تمليه الشريعة الإسلامية، وبالتالي فهم تحت حماية السلطة العثمانية [2]. أما عن عددهم وتوزيعهم في الجزائر فإنّ جل الدّراسات تقريبيّة، ولا تقدم للدّارس تفاصيل دقيقة، وهذا يعود في رأينا إلى الطّابع التحفّظي لهذه الطّائفة. وقد جاء في بعض الدّراسات أنّ عددهم عرف تزايدا ملموسا خلال القرنين: 11هـ/17م، و12هـ/18م. وتواجدوا في العديد من المدن منها مدينة الجزائر، والمديّة وقسنطيبة ، وتلمسان، ووهران، وبوسعادة، وبسكرة، وغيرها من المدن، ولو بأعداد ضئيلة [3]. وعموما نقدم بعض الأرقام خاصة باليهود لنعطي لمحة و صورة تقريبية عن هذه الطائفة وهي كما يلي: ففي نهاية العهد العثماني، بلغ عدد اليهود بمدينة الجزائر حوالي 5000 يهوديّا، مانسبته 6/1 من سكان المدينة، وفي مدينة قسنطينة بلغ عددهم حوالي 3036 يهودي، ما نسبته 8/1 من سكان المدينة، وفي وهران بلغ عددهم سنة 1831م حوالي 3000 يهودي، ما نسبته 3/1 من سكان المدينة، بينما قي تلمسان بلغ عددهم سنة 1830م حوالي 1508

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري... ، ص. 90، 91.

2) فوزي سعد الله، يهود الجزائر موعد الرحيل، دار قرطبة، الجزائلر، 2018، ص. 13.

3) شويتام، المجتمع الجزائري... ، ص. 92.

يهودي[1]. لكنّ عددهم قد تراجع خلال القرن 13هـ/19م الموالي، على إثر الهجرات المعاكسة نحو أوربا وبالخصوص مدينة ليفرونة، وإلى تونس، وغيرها. وكان السبب يعود إلى ما أصاب الطّائفة اليهودية من إحباط وخوف؛ على إثر الأحداث التي وقعت في عهد الدّاي مصطفى (1798– 1805م) الذي تم اغتياله مع اليهودي بوشناق سنة 1220هـ/ 1805م، وكذلك ما أصاب الجزائر من أوبئة [2]. غير أننا لا نستبعد سببا آخرا، وهو؛ البحث عن الفائدة. حيث يعرف عن اليهود أنهم تجارا مهرة، وحذّاقا في الأعمال المصرفية، وبالتّالي فهم يتنقلون أين ما تكون الفائدة. ولنا في قانون كريميو[3]، أكبر برهان ودليل على ما ندّعيه عنهم؛ حيث لما صدر هذا القانون، فاتحا باب التجنّس أمام الأهالي، سارعت فئتهم، إلى اعتناق الجنسيّة الفرنسيّة وتخلّت عن الجنسيّة الجزائريّة الأم، وأصبحوا بين عشيّة وضحاها فرنسيّين.

–) المسيحيّون:

تتميّز هذه الفئة عن فئات المجتمع الجزائري الأخرى، بكونها غريبة عنه منشأ ودينا، ولذلك يطلق على أفرادها صفة الدّخلاء. وتتكوّن من الأعلاج[4]، أي أسرى المسيحيّين الذين

---

1) فوزي سعد الله، يهود الجزائر ...، ص.113، 114.

2) شويتام، المجتمع الجزائري... ، ص. 92.

3) **هو مرسوم** أصدره اسحاق موشي كريميو الحاكم الفرنسي بالجزائر سنة 1870م، يمنح الجنسيّة الفرنسيّة ليهود الجزائر. وبموجبه تجنّس 34.574 يهودي، وعلى إثر هذا قال الشيخ المقراني: « إنّني مستعد أن أضع رقبتي تحت السّيف ليقطع رأسي...ولكن إذا كنت راضيّا بطاعة الجنود، فإنّني لن أطيع أبدا أحدا من التجار أو اليهود » . انظر، بشير بلاّح، كرونولوجيا الجزائر 1830–2000، دار دزاير أنفو، 2013م، ص. 82.

4) **الأعلاج** : جمع علج. وهو الكافر، والأنثى علجة، ويقال للرجل الضّخم من الكفار علج. (انظر ابن منظور، لسان العرب، وينسبهم محمد أبو راس النّاصري في كتابه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"ص:(122) إلى: علجان بن يافث بن نوح عليه السّلام. و كلمة علج تحمل في معناها العار. فالأعلاج هم من غير المسلمين، الذين ارتدّوا عن دينهم. وبعض الأتراك يطلقون

أسلموا، وأصبحوا يعرفون بالمهتدين من منظور إسلامي، أو بالمرتدين (Rénégats) وفق الرؤية المسيحية. وقد كان توافدهم بشكل سريع وملفت للإنتباه على غرار توافد العنصر التركي. حيث عرفت فئتهم تزايدا كبيرا. خاصّة، في الفترة الممتدة من 922هـ/ 1516 إلى 945هـ/1538م، فخلالها دخل عدد كبير منهم (المهتدين)، إلى الجزائر، ليشكلوا فئة اجتماعية جديدة، وقد ازدادت أعدادهم في السنوات اللاحقة، تماشيا مع هيمنة الأسطول الجزائري على الحوض الغربي المتوسط ، فمثلا، خلال سنة 986هـ/ 1579م تم أسر أزيد من ستين كاهنا مسيحيّا. و يقول أحد المختصين في تاريخ البحر المتوسط مايلي: « يقال أنه كان فيها بين العام 1030هـ/ 1621 والعام 1037هـ/1627م حوالي عشرين ألف أسير من مسيحيّي المتوسط،... فكل أمة كان لها قي الجزائر طابور من الأسرى ومن المرتدّين »[1] .

وفي دراسة أخرى تدعم ما تم ذكره، أنه خلال القرن السادس عشر، بلغ عدد الأسرى حوالي خمسة وعشرين ألف أسير. وفي القرن السابع عشر قفز العدد إلى خمسة وثلاثين ألف أسير. وحتى مع مطلع القرن الـ 12هـ/ 18م استمر عدد الأسرى في التزايد، لكن في نهايته تراجع بشكل كبير، إذ لم يتجاوز الثلاثة آلاف أسير، وهو أمر منطقي لكونه يتماشى مع قوة وضعف الأسطول الجزائري. فهؤلاء الأسرى منهم من يباع قي سوق العبيد، ومنهم من يفتدى

= كلمة العلج على الذين ليست له عقيدة؛ فلا هو مسلم ولا هو مسيحي ولا هو يهودي. ويقسّم الأعلاج إلى أنواع هم: الأطفال المسيحيون اللذين أُسروا وحُوِّلوا إلى مسلمين، والنوع الثّاني هم الأسرى الكبار الذين يئسوا من الفداء فدخلوا الإسلام طمعا في الحرية وتحسين أوضاعهم، والنّوع الثالث هم الذين جاءوا إلى إيالة الجزائر من المتسكعين والفقراء واليائسين، بمحض إرادتهم متخلّين عن مسيحيّتهم طلبا للأمن والحياة الفضلى، وكثير منهم من معه مهارة ما، فأفاد بها وأستفاد منها. (انظر: جون، ولف: الجزائر وأوروبا 1500-1830م، عالم المعرفة، (ط.خ)، الجزائر، 2009، ص. 163،164. وانظر: عائشة غطّاس، الحرف والحرفيون...ص. 51).

1) بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي ، ص. 153.

نفسه مقابل مبلغا ماليا يتماشى ومركزه الاجتماعي، ومنهم من يسلم ويصبح جزائريّا[1]. ومن بين المسيحيين المشهورين، الذين اهتدوا نذكر: البحار علي بتشين، و البحار العلج علي، وحسن آغا، وحسين فنزيانو، وغيرهم كثرون من المسيحيّين، الذين اعتنقوا الإسلام وتخلّوا عن مسيحيتهم. وقد بلغ بعضهم مراتب قيادية عليا في السلطة العثمانية، سواء بالجزائر، أو بالباب العالي[2]. وهذا ما تميّزت به الدولة العثمانيّة عن غيرها من الدول الأخرى في ذلك العصر.

أما الأحرار فإنّ عدهم كان قليلا جدّا؛ حوالي(22) فردا من بعض القناصل ورجال الدين والتجار، كالذين عملوا في الباستيون قرب عنّابة، وبعض الكهنة، بالإصافة إلى المبعوثين قي مهام خاصّة[3]. وعموما فإن نسبة المسيحيّين بنوعيهما الأسرى والأحرار تبقى رهينة الأوضاع الأمنيّة، وحالة البحر الأبيض المتوسط وتوازن القوى البحرية به. وهاتان الفئتان سابقتا الذكر من يهود وافدين، أو أسرى مسيحيّين، كان يطلق عليهم فئة الدخلاء؛ والذين هم فئة اجتماعيّة تتميّز عن باقي المجتمع بكونها فئة غريبة عنه نشأة ودينا. ومثالها الجالية المسيحية، وكذلك الجاليّة اليهودية، سواء كانت من اليهود المحلّيين المتواجدين بشّمال إفريقيا منذ القديم. أو كانوا يهودا أندلسيّين من الذين وفدوا على الجزائر مع المسلمين الأندلسيّين، كما

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري... ، ص، ص.97،96.

2) شويتام، المجتمع الجزائري ... ، ص. 167،166.

وتقول بعض الإحصائيات أن من أصل 48 صدرا أعظما ما بين 1453م و 1623م، 05 فقط من أصل تركي، والباقي 43، من أعراق مختلفة. انظر: أحمد سالم سالم علي، استراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، 2012م، ص. 11. وانظر أيظا، اسماعيل أ. ياغي، الدولة العثمانية في التّاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ص.266- 277.

3) شويتام، المجتمع... ص. 98.

أشرنا سلفا [1]. حيث بعد صدور مرسوم الطرد الأسباني، الصادر بتاريخ: 03 جمادى الأولى من سنة 897هـ، الموافق لـ 03 من شهر مارس سنة 1492م، وهو خاص باليهود[2]. كما أنّه بعد سنة 1019هـ/ 1610م، نزح اليهود من ا مع المسلمين النّازحين؛ بسبب الهجرة، والتّهجير من الأندلس[3].غير أنّنا لا نقاسم ناصر الدين سعيدوني في بعض ما ذهب إليه حول فئة الدخلاء. فبعض من هذه الفئة من بعض اليهود لا يعدّون من الدّخلاء لكونهم تواجدوا منذ آلاف السّنين ببلاد المغرب [4] .

-) فئة البرّانية :

إذا كانت فئة الحضر التي تناولناها سابقا تتمثّل في فئة سكّان المدن الأصليّين كسكان مدينة الجزائر العاصمة، فما هي فئة البرّانية التي أشار إليها ناصر الدّين سعيدوني؟ وفصّل فيها أرزقي شويتام. إن هذه الفئة من السكّان تتمثّل في الذين قدموا من خارج المدينة (من الريف) أي من دواخل الوطن من أجل العمل، المعروفون بالجماعات. فهي تتكون من مجموعات تنتسب إلى مواطنها الأصلية، التي قدمت منها قبل استقرارها بمدينة الجزائر، وبقوا

---

1) سعيدوني، النّظام المالي للجزائر...، ص. 46.

2) بعض المؤرخين يضعون اليهود في المرتبة الثالثة اجتماعيا. وأصولهم ثلاثة وهي: فئة من أصول إفريقية وفئة من أصول الأندلسية مضطهد ة قدمت مع المسلمين ، وفئة آخرى قدمت من جزر الباليار . انظر:

-Diego de Haëdo , Topographie et Histoire Générale D’Alger… , p. 123.

3) هذه السّنة (1610م) صدر خلالها القرار المشؤوم المتضمن طرد المسلمين إجباريًا من الأندلس. وفي بعض المراجع صدر بتاريخ: 09/ أفريل/ 1609م. (انظر، عادل سعيد بشتاوي الأندلسيّون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيّين بعد سقوط غرناطة، دار المقطم للنشر ، القاهرة، ط1 ،1983م ص. 183.

4) راجع كتاب يهود الجزائر منذ 2000 سنة من الوجود.

مميّزين بانتسابهم. ومن الأمثلة والنّماذج لتلك الفئات ما سجّله بعض الدّارسين والباحثين منهم أرزقي شويتام صاحب كتاب" المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني" من تعدّد الفئات السكّانية كجماعة البساكرة الذين كانوا يمارسون أعمال تنظيف المدينة، وأمنها خاصة بالليل. وجماعة القبايل (الزّواويّين)، وهم سكان منطقة جرجرة وضواحي واد الصومام، وبجاية، فهؤلاء قدموا من الأرياف إلى الجزائر وغيرها من الحواضر ومارسوا كثيرا من الأنشطة والحرف منها: الحدادة والبناء والخياطة والفلاحة والتجارة والعسكرية وغيرها. وجماعة الأغواطيّين الذين مارسوا أعمال حمل السلع وتنظيف الشوارع، والعمل في الحمامات. وجماعة الميزابيين الذين قدموا من منطقة الشبكة (وادي ميزاب). وكانت لهم حضوة وامتيازات لدى العثمانيين، بسبب سلوكهم القويم وانضباطهم في العمل. بالإضافة إلى جماعة الزّنوج بنوعيهما: الزنوج الأحرار والزنوج العبيد. وكذلك الجيجليين، ليمارس الجميع نشاطات مختلفة [1].

وقد عرفت كل فئة من هولاء بحرفة ونشاط غلب على أفرادها. غير أنّها حرف وأعمال متواضعة[2]. وقد سمتهم علئشة غطاس بالوافدين، وهم: الجيجليون ووالقبائل (زواوة) وبنو ميزاب والبساكرة والأغواطيون وبنو عباس (أهل مزيتة) والقبالة والغرباء[3]. وهؤلاء الأخيرين يقصد بهم من وفد مدينة الجزائر وكان مجهول المكان أو كان مهمشا، أو كان غير مندمج في جماعة من الجماعات [4].

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري...، ص. 134 وما بعدها.

2) سعيدوني، النّظام المالي...، ص. 45. وانظر كذلك، كورين شوفلييه، الثلاثوا سنة الأولى... ، ص.19.

3) غطاس، الحرف والحرفيون... ،ص. 28.

4) نفسه، ص ص. 29- 32.

- **علاقة السلطة بالسكان.**

نظرا للحاجة المتبادلة بين السلطة ولسكان المدن، وحاجة سكان المدن إلى السلطة فإن، فإن العلاقة بين الطرفين، لا تقل على أن تكون علاقت ود وتفاهم بين الطرفين.

2- العلاقة بسكان الأرياف.

إن الحديث عن العلاقة السائدة بين السلطة العثمانية وسكان الريف، يتطلب منا أولا، تحددبد تركيبتهم السكانية، ليتسنّى لنا التعرف على العلاقة القائمة بين السلطة العثمانية القائمة، وبينهم. يشكل سكان الريف السواد الأعظم للسكان في الجزائر، خلال العهد العثماني، أي ما يفوق (90%)، وفي بعض المصادر (95 %) من مجمل السكان[1]. وقبل الولوج إلى موضوع تصنيف القبائل وعلاقاتها المختلفة مع السلطة، لابد من التعرض إلى تنظيم الريف وكيفية تسييره من قبل السلطة العثمانبة. ففي إطار تنظيم الريف والإشراف علية ومن ثمة التحكم فيه وتسييره، قامت الإدارة العثمانية بتصنيف سكانه إلى مجموعة من التكتلات، على شكل أوطان قبائل، وأعراش، ودواوير (جمع دوار) وتعاملت معهم جميعا. ومن خلال تعاملها تشكلت تلك القبائل في مجموعات بناء على نوع التواصل والتعامل السائد بين الطرفين. ومن خلال ذلك أصبح الجتمع الريفي صنفان: صنف خاضع للسلطة العثمانية، ويتعامل معها بدرجات متفاوتة مما أفرز ثلاف أصناف من القبائل وهي: القبائل المخزنية، والقبائل المتعاونة والمتحالفة، وقبائل الرعية. أما الصنف الثاني من المجتمع الريفي فيتمثل في القبائل الممتنعة[2].

---

1) عقيل لطف الله نمير، تاريخ الجزائر الحديث، منشورات جامعة دمشق، 2014/2013م، ص. 270.

2) شويتام، المجتمع الجزائري عشية الإحتلال الفرنسي، (م. م. و. د. ب. في ح. و. ث.11/1/ 1954م)، دار الآمال، الجزائر، 2016، ص. 69.

كما اعتمدت على العائلات ذات المكانة والنفوذ الاجتماعيين، ومن تلك التي ذاع سيطها وكان لها تأثير في مجرى الأحداث نذكر: عائلة بني جلاب بوادي ريغ، وعائلة بن ڤانة بالزيبان، وعائلات وبوعكاز، والفكون، وعبد المؤمن، والمقراني، ببايلك الشرق. وعائلة أولاد سيدي الشيخ بالغرب الجزائري على أساس الولاء من عدمه[1]. أما تحصيل الضرائب المختلفة، من بايلك إلى آخر، حيث فرضها لم يكن متساويا بين البايلكات، إذ نجد كل بايلك يؤدّي الضرائب إلى السلطة وفق قدراته وإمكانياته الاقصادية، ووفقا لذلك نجد بايلك الشرق هو من يقدم أكثر، فيما نجد بايلك التيطري هو من يدفع أقل[2]. وقد الدّارسون تلك الضرائب إلى ثلاثة أنواع، وهي[3] :

1)- الضرائب وتشمل الحكر على الأراضي، والعشور على الحبوب، وضرائب التبن، والغرامات على القبائل البعيدة (نقدية أو عينية).

2)- وعوائد أرضي البايلك: وتتمثل في عوائد الممتلكات (مزارع، أحواش، أراضي مؤجرة، أراضي أوقاف،...)،

3)- وعوائد التولية والغرامات: ومنها الحجر، والضيفة، وحق البرنوس،... أمّا عن تحصيلها وحفظ سجلاّتها فكان من مهام أولائك الشيوخ [4].

---

1) للمزيد عن هذه العائلات، انظر، جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من ق 16 إلى 19م ، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015م، ص. 31.

2) وليم سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب، عبد القادر زبادية، (ش. و. ن. ت)، الجزائر، 1980م، ص. 70.

3) محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تحقيق، يحي بوعزيز، دار البصائر، (ط.خ)، الجزائر، 2009م، ص. 24.

4) شويتام، المجتمع الجزائري ...، ص. 53.

ومن خلال ما تقدّم نستنتج طبيعة علاقة السلطة مع سكان الأرياف. أمّا من حيث تصنيف (السكان) حسب علاقاتها بالسلطة فهناك أربعة أصناف وهي: وكان هولاء الريفيون يعيشون في تجمعات قبلية وعشائرية، ويتكونون من عنصرين رئيسيين هما: العنصر الأمازيغي والعنصر العربي؛ باختلافاتهم اللغوية والسلوكية والمعيشية، والتي تتباعد أحيانا وتتقارب أحيانا أخرى، لكن كلّهم متمسكون بالإسلام، بل ويطبقونه وفق مذهب واحد؛ ألا وهو المذهب المالكي، باستثناء أقلية تتبع المذهب الإباضي،(نسبة إلى عبد الرحمن بن إباض) وهي المعروفة ببني ميزاب، المتمركزة بمنطقة غارداية شمال الصحراء الجزائرية [(1)].

إنّ سكان الريف في عمومهم، هم أولئك القاطنين بالمناطق الزراعية والرعوية وحتّى الجبلية، أي كل الفضاء الواقع خارج المدينة. أمّا من حيث نشاطاتهم، فمنهم من يمارس الرعي ويعيش حياة الحلّ والترحال، بين الجنوب والشمال، بحثا عن الماء والكلإ، ومن هؤلاء قبائل النمامشة والحنانشة والحراكتة بالشرق الجزائري، ومنهم من هو مستقر يمارس ناشاطا زراعيا أو صناعيا، وذلك وفق ظروف ومتطلبات تلك الفترة، وبين هؤلاء وأولئك هناك فئة شبه مستقرة؛ إذْ تمارس الزراعة حينما تستقر، وتمارس الرعي عند التنقل والترحال[(2)]. ومنهم الفقراء المعدومين؛ من مختلف الأطياف ومن مختلف جهات البلاد، الذين يتوجهون إلى مدينة الجزائر للبحث عن عمل، أو للتسول[(3)].

---

1) خوجة، المرآة...، ص. 53.

2) فلة، موساوي– القشاعي، النظام الظريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771– 1837م، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص ص. 68،69، 70 .

3) شوفالييه، ، مرجع سابق، ص. 19.

وعموما فإنّ السلطة العثمانية كانت لها وجهة نظرها الخاصّة في تقسيم المجتمع وعلى ضوء ذلك كانت تعامله علي أساس طبقتن لا غير، وهما: طبقة العسكريين، وتتألّف من أفراد الجيش، بالإضافة إلى الموظفين العموميين، والقائمين على خدمتهم ومساعديهم، وكلهم كانوا يتمتعون بمزايا الدولة. وطبقة ثانية: وهي طبقة الأهالي [1].

-) علاقة السلطة بقبائل المخزن:

قبل التطرق إلى قبائل المخزن وعلاقتها بالسلطة العثمانية ودورها، لابد من الوقوف عند مطلح المخزن وحول مدلوله، وأصله، ومسار استعماله. فكلمة المخزن، تعني في القاموس السياسي المغربي مؤسسة مكلفة بتسيير وحفظ المحصولات العينية وجمع الضرائب. وتسيرها من قبل مجموعة من القبائل كأعوان للسلطة، مثل قبائل: قبيلة رياح، وقبيلة بني عامر وقبيلتا، الخلط وسفيان وفبيلتا، كرفة والكعوب، وقبيلة أعراب المعقل، ثم أصبح المصطلح يطلق على الإدارة نفسها. ولما حل العثمانيون، أبقوا على نفس الأسلوب، وطبقوه مستعينين بقبائل أخرى على شاكلة القبائل السابقة. وأصبحت كلمة مخزن تعني الإداريين التابعين للبايلك. ثم أصبح المصطلح مرادفا لكلمة سلطة أو حكومة؛ ويعني أعوان الباي (حكومته) في إقليمه، وهم: الخليفة والباش كاتب والباش سيار، وقائد الدار، وقائد الزمالة، وقائد الإبل وقائد الغنم. وهؤلاء يعينون كل في منصبه؛ ليس بناء على كفاءتهم، ولا على مؤهلاتهم، وإنما بناء على ما يقدمونه للسلطات الأهلية المحلية، من هدايا وجبايات مختلفة من أنعام وألبسة ودراهم؛ ومثال على ذلك: كان أبو العباس أحمد بو عكاز، لا يولي أحدا على منصب قائد جيش المخزن، أمير بلدة، إلا

1) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أُصول التّاريخ العثماني، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2010،ص. 113.

بعد ما يقدم المقابل، من النعم أو اللباس أو النقود[1]. وفي دراسة أخرى جاء فيها أن المخزن يطلق مجازا على دار الحكم نفسها [2].

أما في الريف، فيقصد بها القبائل الريفية المستقلة بشئونها الخاصة، والمتعاونة مع السلطة. بالإضافة إلى قبائل الزمول (مفردها الزمالة)، وهي تجمعات بشرية (مجموعات من 50 فردا) بالبايلكات، مشكلة من العبيد المعتوقين(الأحرار)، ونفس الشيء كذلك في منطقة زواوة، لمساندة القوات النظامية في حفظ الأمن[3]. وإجمالا، فهم الأعيان بالإجماع وأتباعهم من السكان المتعاونين مع السلطة من الدوائر، الذين تعتمد عليهم السلطة العثمانية، لتمكنهم وتحكمهم. ولهذا قالت عنهم العرب: « من كان له في الإعانة الدوائر، فلا يخش من صولة الماشي ولا الطاير، ولا يذيق عليه الساير ولا الغاير»[4]. وتتميز تلك القبائل بممارسة الأنشطة الفلاحية، والعسكرية والإدارية، وهي إما على شكل قبيلة أو عشيرة، يجمع بين أفرادها رباط الدم أو العرق، أو قد تكون مجموعة من السكان لا رابط بين عناصرها إلا خدمة السلطة العثمانية القائمة. فنجد من مكوناتها الكراغلة (المولدين) والسكان الأصلاء والعبيد[5]؛ ولهذا عرفها ناصر الدين سعيدوني بالتعريف التالي:

---

1) عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1987، ص. 136.

2) الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا،ج2، تحقيق، يحيى بوعزيز ،دار البصائر، الجزائر،2007، ص. 275.

3) حرفوش، المرجع نفسه، ص. 41.

4) المزاري، مصدر سابق، ص. 275 وما بعدها .

5) نمير، مرجع سابق، ص. 270.

« هي تجمعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها ومختلفة في أعراقها »[1]. ومن نماذج المخزن، هناك قبيلة الحنانشة بالشرق الجزائري، والقبائل المتواجدة بمنطقة الحضنة، وبلاد الزاب وبنو العباس بمجانة. وكل قبيلة من تلك القبائل على رأسها شيخ يسمى شيخ العرب [2]. ولقد اعتمدت السلطات العثمانية على هذه القبائل المخزنية، في جبي الضرائب، وفي تأديب القبائل الثّائرة، والمتمرّدة عليها [3] .

-) أصناف قبائل المخزن.

بالنظر إلى الأصناف التي تتشكل منها قبائل المخزن، يمكن تمييز ثلاثة أصناف وهي[4] :

1)- القبائل الإصطناعية: ويقصد بها تلك القبائل التي شكلها العثمانيون من عدة أعراق وعناصر من هنا وهناك، وكونت منهم ظهيرا لمساندتها مقابل منحهم أراضي لفلحها أو وظائف في الدولة.

2)- القبائل المجبرة على التعاون: مع السلطة العثمانية، بعدما كانت غير خاضعة. ونتيجة؛ إما لضعفها، أو لإغرائها، أو لإخضاعها عنوة، أصبحت مخزنيّة مواليّة. إلا أن هذه الأخيرة، غير مؤتمنة، وغالبا ما تعود لمناوأة السلطة كلما أحسّت بالقوة.

---

1) سعيدوني، دراسات وترجمات،...ص.

2) فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص. 552.

3) شويتام، المجتمع الجزائري... ، ص. 233.

4) شويتام، المجتمع الجزائري... ، ص. 235، 236. وللمزيد انظر، المزاري طلوع سعد السعود، ص. 275.

3)- القبائل الأصيلة بالمكان: فهذا النوع من القبائل غالبا ما يكون مالكا وصاحب عقارات بالتوارث فيكون أحرص ما يكون على التشبث بأرضه، وخوفا على مصادرتها رقبل التعاون مع اسلطة العثمانيّة والإنخراط في نام المخزن حفاظا على أرضه، زيادة على إعفائه من بعض الضرائب وامتبازات أخرى.

-) مهام قبائل المخزن:

- تتمحور مهام قبائل المخزن حول ثلاث مهمات رئيسيّة وهي: مساعدة السلطة على جمع الضرائب من السكان الرافضين دفعها. وتزويد الإيالة بالموارد البشرية لدعم صفوف قواتها العسكرية، خاصة من الزمول والدوايرن والعزارة والزمالة والعبيد والزواتنة (الكراغلة). وحماية أراضي البايلك من إعتداءات القبائل عليها. فهي بذلك تعتبر قوة السلطة وذراعها الدائم وهمزة وصل بين السلطة والوسط السكاني الريفي، بالبايلكات الثلاثة، ولأجل ذلك، ونظرا لدور هذه الفئة قربتها السلطة العثمانية إليها من أجل خدمتها. وفي هذا الإطار سجل الباحثون جملة من المهام التي تقوم بها قبائل المخزن، مقابل ما تتلقّى من امتيازات و تتمثل فيما يلي [1]:

-) امتيازات المخزن.

أمام الإمتيازات التي يتمتع بها المخزن سواء كان في هيئة أفراد أو في هيئة قبيلة فإننا نذكر بعضا منها: التمتع بحماية السلطة العثمانية. والإعفاء من أداء الضرائب كاللزمة، والغرامة، والحكر، وغيرها من الضرائب التي تفرض على الرعية، باستثناء بعض الضرائب الرمزية التي لاتؤثر، والتي تكون على شكل تقديم حصان أو بعض المواشي. والاحتفاظ

1) نمير، مرجح سابق، ص. 270،271

بسلاحها، ولكن تحت عيون بعض من قبائل الرعية [1]. ونذكر منها في بايلك الغرب الجزائري قبيلة بني عامر الهلالية وما يتفرع منها من بطون مثل: قبيلة قيزة والمعروفة باسم حيدرة وقبيلة كريشتل، وقبيلة شافع وحميان،...[2]. والحصول على مساعدات من قبل السلطة، كالتجهيزات العسكرية؛ والأسلحة والبارود والمؤن المختلفة، والمقابل الوحيد هو الولاء والتعاون. وهذا الصنف هو أكثر القبائل المخزنيّة استفادة من الدولة، وأهمها الضريبة [3]. فيقول وليم سبينسر:

«.. ولكن الولاء كان يجازي عنه بالإعفاء من الضرائب وعدم التدخل في نتائج المواسم الزراعية والاستقلال الكامل في القضايا المحلية »[4]. وكذلك مخزن آغا الدواير ويتكون من الدرادر وهاشم والدروع برجية وسراط والبرجية الجبايلية، وعكرمة الغرابة، وولاد أحمد، والسحاري، ودواير فليتة،.. ومخزن آغا الزمالة؛ الذي يتكون من الزمالة وحميان، ومخزن الغرابة، وسجرارة، وعبيد الشراقة، والمكاحلية، وأولاد سلامة، ومخزن خليفة الشرق، ويتكون من بني فاطم وأولاد مخلوف، وبني يحي أزاغر، وعبيد عين الدفلة، وعبيد السدرة الفراحلية، وصبايحية الشلف، وهاشم دردور[5].

---

1) من خلال الحوار والمناقشة التي أفادنا بها الأستاذ المشرف يوم السبت: 2018/9/16م، ببيته .

2)عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداغلين تحت ولاية الأسبان بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق، محمد عبد الكريم، (د ت)، (د ط)، ص. 13.

3) شويتام ، وآخرون،.المحتمع الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي .

4) سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر...، ص. 86.

5) بوجلال قدور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671– 1830م، رسالة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة وهران (1)، 2016/2017م، ص. 31.

بالإضافة إلى مخزن المكاحلية ومخزن آغا الزمالة ومخزن الدرادب [1].

- القبائل المتحالفة.

وهي القبائل المتعاونة مع السلطة العثمانية [2]، ولم تناصبها العداء، وتعيش في أمن وأمان بالتعاون معها، وفي تواصل مستتمر عن طريق زعمائها الشيوخ، الذين هم في الغالب من عائلات ذات طابع روحي من فئة المرابطين، أمّا عن توادها فإنّ الكثير من هذه القبائل نجده في الغرب الجزائري، كقبيلة بني عامر الهلالية وما يتفرع عنها من بطون مثل: قيزة (حيدرة) وقيسلة كريشتل، وقبيلة شافع وحميان، [3] وكثيرا ما نجدهم في الجهة الغربية من البلاد، وهو عكس القبائل المتحالفة في الجهة الشرقية من البلاد، تتزعمها عائلات عرفت بتميزها العسكري والبطولي. وإذا كانت المجموعات الأولى منتشرة في غالبها بالغرب الجزائري، فإن المجموعات الثانية المتحالفلة تتواجد في الغالب يالجهات الشرقية من البلاد [4].

- قبائل الرعيّة (القبائل الخاضعة):

هي القبائل الخاضعة للسلطة العثمانية، ومراقبة عن طريق قبائل المخزن. ونعني بخضوعها أداء الضريبة للسلطات العثمانية طوعا أو جبرا، إلى درجة أنها تضطر أحيانا إلى

---

1) L. Feraud, « Letters orales de l'époque de l'occupation espagnole en Algerie», in R . A. 1873 ,N° 17, p. 318 .

2) شويتام، ***أوضاع الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي***،... ص. 83.

3)عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداغلين تحت ولاية الأسبان بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق، محمد عبد الكريم، (د ت)، (د. ط)، ص. 13.

4) نمير، مرجع سابق، ص. 273.

بيع محاصيلها الزراعية أو حتى حيواناتها ولو بأثمان زهيدة لتسديد ما عليها من ضرائب [1]. وهي بذلك فيئة مفعول بها مستغلة، خاضعة لسياسة السلطات العثمانية، تقدم ما عليها ولو على إكراه من جباية وهدايا، خاضعة مطيعة لاتعص أمرا، ولا تمتلك السلاح. وتتكوم من السكان الخاضعين بصفة مطلقة ومباشرة للسلطة العثمانية عن طريق رقابة وإشراف قبائل المخزن وموظفي البايلك. وقد قدر أحد الدّارسين مجموع الجماعات المتحالفة والمستقلة ببايلك الغرب بـ: (157) جماعة. بينما ببايلك الشرق بــ: (224) جماعة، وأن أغلب سكان بايلك الشرق كانوا يعيشون حياة شبه مستقلة عن حكم السلطات العثمانية المحلية [2]. ومن الأدوار التي تقوم بها هذه القبائل هو الخضوع التّام لسيّاسة السطة العثمانية، فهي تؤدّي الضرائب المفروضة عليها، وتؤمن حاجيات البلاد من الإنتاج الحيواني من: خيول وبغال وإبل للإستعمال التجاري والعسكري، ومن بقر وضأن وماعز لتوفير اللحوم والشحوم والجلود والألبان؛ وبذلك كانت تؤمن وتنشط اقتصاد البلاد خاصّة عبر الأسواق. كما أنّها كانت من تلك الثروة الحيوانيّة تدفع ما عليها من ضرائب عينيّة، بالإضاعة إلى ما تدفعه من محاصيل زراعيّة [3].

أمّا عن تمركزها فهي متواجدة هنا وهناك، بالساحل كما بالمناطق الدّاخلية. وبالرغم من خضوعها إلى السلطة عن طريق قبائل المخزن، وهي القبائل التي لاحول ولا قوة لها ولضعفها وقلة حيلتها وحاجتها تخضع للسلطة مقابل استغلال أراضي البايلك، وتؤدّي ما يتوجب عليها من الضرائب والمتمثلة في استغلالها لخمس الإنتاج، والأربعة أخماس الأخرى تكون من نصيب البايلك. وحسب بعض المؤرخين، فإن قبائل الرعية بإمكانها أن ترقى إلى مرتبة المخزن إذا

---

1)) نمير، مرجع سابق ، ص. 271.

2) شويتام، المجتمع الجزائري ... ، ص. 100، 101.

3) نمير المرجع السّابق، ص. 257.

أرادت وتعاونت مع البايلك؛ ومثال ذالك قبيلة لعمامرة التي جرّد لها الباي أحمد حملة عسكريّة سنة 1828م، وبعد ما أدّبها، راسل الدّاي حسين بشأنها [1]. لكن هذه القبائل تثور من الحين والآخر وتتمرد؛ بسبب إرهاقها بالضرائب المفرضة عليها، لاسيما عندما تشح المداخيل البحرية. وكثيرا ما كان رجال الزوايا والطرقيين وراء ذلك التمرد والعصيان، خاصّة ببايلك الغرب[2]. وهذا التقلّب لبعض القبائل المخزنيّة، تقابله شعرة معاويّة من قبل السلطة العثمانيّة.

- تواجدها.

لم يقتصر تواجد أو توزيع قبائل الرعيّة على جهة من الإيّالة، فالأبحاث تفيد بأن توزيعهم، كان على كل البايلكات، بما فيها دار السلطان. فدار السلطان كانت بها عدّة قبائل من الرعيّة نذكر منها: قبائل بني مناد، وسماتة ومزيتة وحجوط وبني صالح،... وكانت تنتشر على سهل متيجة من بني حلوان بالجهة الغربيّة لدار السلطان إلى غاية منطقة يسّر بالجهة الشرقيّة، تحت أعين البايلك بواسطة قيّاد المنطقة [3]. أمّا بمنطقة زواوة المفصولة عن بايلك التيطري سنة 1775م، وبالخصوص منطقة سباو فكانت بها عدة قبائل خاضعة للسلطة العثمانية ونذكر منها: بني خلفون، وفليسة أم الليل، وبني ثور، وبني واقنون، وفليسة البحر وبني عيسى وبني دوالة،... ولتخوف السلطة العثمانية من ثوران هذه القبائل، قامت بتشييد عدّة أبراج بالمنطقة، نذكر منها: برج بوغني، برج دلس، وبها حاميّات عسكريّة، وكلّها تحت إشراف

---

1) انظر رسالة أحمد باي إلى الداي حسين بالملاحق.

2) بوجلال قدّور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب 1671- 1830م، رسالة دكتوراة، (غ. م)، جامعة وهران (1)، 2017/2016م، ص.77، 78.

3) شويتام، المجتمع الجزائري... ،ص. 259.

قائد سباو[1]. وإن الشّيء اللافت للإنتباه هو أنّ قبائل الرعيّة ببايلك الشرق أقل من البايلكات الأخرى[2]. وقد يعود هذا لعدّة أسباب وعوامل، نذكر منها: اتساع البايلك مما يصعّب من القدرة عل التحكم فيه؛ وهو ما يتطلب قوات وجيوش كثيرة. وجود بعض الأسر الكبيرة، وذات الوجاهة بين السكّان منذ ما قبل العهد العثماني؛ ممّا جعلها تنافس السلطة العثمانيّة في الإشراف والقيّادة وبالتّالي تستحوذ على الكثير من القبائل التّابعة والخاضعة لها[3]. وهذا ما يفسر لنا تعامل السلطة الدّافئ والسلس إلى درجة تقاسم السلطة معها. كما يفسر لنا كذلك كثرة الحركات المناوئة ببايلك الشرق أكثر من غيره من البايلكات الأخرى، وكذلك كول مدّة الحرب بينها وبين تلك القبائل.

1- علاقة السلطة بقبائل الرعيّة.

حتى لاتخرج هذه القبائل عن سيطرة حكام الإيالة، قامت بتعيين مشرفين عليها من الكراغلة ومن أبرز شيوخ القبائل المتعاونة مع السلطة، وقد بلغ عدد هؤلاء القادة 35 فردا بين شيخ قبيلة وقائد، وفي نفس الوقت منعت عنها تملك الأسلحة والبارود، كما أشرنا سابقا حتّى لا تشكل أيّ خطر على السلطة العثمانية. ولكن، وبالرغم من تبعية هذه القبائل وخضوعها، إلا أنها من الحين والآخر تثور في وجه السلطة، وتتمرد عليها، وذلك حينما تسوء الحالة المعيشية، والتي غالبا ما تكون متعلقة بالجانب الاقصادي، أوفي حالة فرض ضرائب عليها كبيرة تثقل كاهلها، فتكون حركتها مناوئة للسياسة الضريبية التي فرضتها السلطة العثمانية ونفذتها قبائل

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري...، ص.261، 262.

2) نفس المرجع، ص.101.

3) شويتام، المجتمع...، ص. 268.

المخزن، عن طريق الشّيوخ والقواد بالطرق السلمية الاعتياديّة، أو عن طريق القوة ان اقتضى الأمر[1].

-) القبائل الممتنعة:

وهي القبائل الممتنعة عن تقديم ما يتوجب عليها من واجب الضريبة، وتتهرب من أدائها، خاصة تلك المتواجدة بالجبال والصحاري وبالمناطق الحدودية، وغالبا ما تكون من الرحل المتتنقلين من مكان إلى آخر، بحثا عن الماء والكلأ، ولذلك كثيرا ما تقع بينها وبين السلطة العثمانية صدامات وسجالات حربية متواصلة، تؤدي غالبا إلى إنهاك السلطة العثمانية، ولكن تؤول في نهاياتها لصالح السلطة. وقد أشار إليها الداي عمر باشا في مراسلته للسلطان العثماني بقوله: « توجد جبال يسكنها العربان الذين هم في حرب سجال معنا، وقد ترتب عن ذلك كله إفلاس خزينتنا...»[2]. ومن خلال ما تضمّنته الرّسالة، هو أن هذه القبائل المتمرّدة قد أرهقت الدولة بشريّا وماديّا. وإن تمنع القبائل الممتنعة عن أداء الضرائب، ولجوئها إلى الجبال، كما أشرنا سالفا، وكذلك من خلال الرسالة وما تتضمنه من تصريح صريح، نلاحظ التأثير الاقتصادي الكبير والمتمثل في حرمان خزينة الدولة من مورد مالي، فهذا التأثير الذي أحدثته القبائل الممتنعة والرافضة لأداء الضرائب، هو الذي جعل الداي عمر يشتكي ضعف الخزينة إلى السلطان العثماني[3]. وإذا ما أردنا معرفة مكانة، وترتيب هذه القبائل بالنسبة للسلطة

---

1) نمير، مرجع سابق ، ص. 272 .

2) م.م.و.أ.ج. وثائق عثمانية " رسالة الداي عمر إلى السلطان العثماني" الملف 3206السنة 1244هم 1828م.

3) عبد الجلبل التميمي، بحوث ووثائق في تاريخ المغرب العربي، الجزائر وتونس وليبيا 1816- 1871م، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، 1985م، ص. 142.

العمكزية، فنجد في مقدمتها، قبائل المخزن، التي لها الصدارة والمكانة في المجتمع الريفي، ثم تليها القبائل المتحالفة مع السلطة، وبعدها قبائل الرعية في قاعدة الهرم الاجتماعي[1].

ب- القبائل الشبه مستقلّة:

هي تلك التي نأت عن السلطة، فسكنت الصحاري والجبال، عن السلطة العثمانية، فتحاول التمنع عن أداء الضريبة للبايلك، ويقدم العنتري أنموذجا عنها، فيقول: «... ثم من بعد ذلك رحل ولد السلطان[2] من بسكرة. وقصد جبل أولاد سلطان وهو جبل حصين لكثرة شعابه وتصعب طرقاته وشجاعة ناسه. وكانوا في زمان الأتراك لا تنالهم الأحكام ولا يعطون مطالب البايلك بالتمام »[3].

- جدول يبين وضعيات القبائل تجاه السلطة [4].

نوع الجماعة[5]	دار السلطان	بايلك الشرق	بايلك الغرب	بايلك التيطري
المخزنية المحاربة والفلاحية معا	19	22+25	10+36	5+9
الرعية	11	14	56	23

---

1) لطف الله ، ، مرجع سابق، ص. 275.

2) يقصد بولد السلطان هو الدوق دومال (Le duc Daumale) ابن ملك فرنساالذي زار المنطقة خلال البدايات الآولى للاحتلال الفرنسي للجزائر. انظر العنتري، فريدة منيسة...ص. 122.

3) العنتري، فريدة منيسة...، مصدر سابق، ص. 123.

4) شويتام، المجتمع الجزائري... ، ص. 101.

5) الجماعات هي مجموعة من القبائل، وهو تصنيف من وضع لويس رين (Louis Rinn).

المتحالفة (الموالية)	20	25	29	12
المستقلة	23	138	26	13
المجاميع	**73**	**224**	**157**	**62**

- العلاقة بالأسر الدّينية الشريفة:

إن الحديث عن الأسر الدينية والعلمبة يدخل قي إطار الكلام عن القوى المحلية، ومن هذا المنطلق نتساءل عن المقصود بالقوى المحلية خلال العهد العثماني؟، وماهي هذه القوى المحلية غير قوى الدولة أو السلطة العثمانية ؟ وماهو دورها؟ وهل العلاقة بينها وبين السلطة العثمانية علاقة تكامل، أم علاقة تنافر وتصادم ؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة لابد من تقديم تعريف لهذه الأسر، حتّى ندرك ماهيّتها. فلقد عرّفها أحد الباحثين بقوله: « نعني بها ما تبقى من الأسر الريّانيّة، والأسر التقليديّة العريقة والثريّة والعلمية والشّريفة، التي استوطنت المدن والأمصار منذ وقت بعيد » [1]. ولو بحثنا عن الأسر التي تتمتع بتلك الصفات المذكورة في التعريف وأسقطناها على الأسر التى عايشت العهد العثماني؛ لوقفنا عند تلك التي يكاد يتفق عليها كل الدّارسين، وهي على سبيل المثال، لا الحصر بالنسبة للمدن نجد أسرة سليم التومي الثعالبية بمدينة الجزائر، والأسرتان الفكّونية والمؤمنية بقسنطينة، وأسرة بن ڤانة ببسكرة. أما بالنسبة للأرياف فنجد الأسرة القاضوية ببجاية ثم بجبل كوكو، الأسرة المقرانية المتأخرة بمجّانة وأسلافها بالقلعة، والأسرة الجلاّبية بتقرت، وأسرة بوعكاز بمنطقة الزّاب وشمال الصحراء، وأسرة ابن الصّخري بضواحي قسنطينة، وغيرها

1) شويتام، « ***ممالك الأمازيغ في العهد الإسلامي*** »، ملتقى دولي يومي 1، 2 ديسمبر 2010، دار الثقافة، بسكرة، منشورات المحافظة السّامية للأمازيغيّة، ص. 161.

من الأسر التي كان لها بشكل أو بآخر تأثير على سكان المدينة المتواجدة بها، أو على القبيلة التّابعة لها بالريف. ومن المعروف عن السلطة العثمانية أينما حلت ببلاد عربي، إلا وحافظت على النظام الاجتماعي القديم، وعلى السلطة المحلية القائمة؛ بغية المحافظة على الوضع القائم من قبل، وهي سيّاسة انتهجها العثمانيون ووفقوا بها إلى حد بعيد. والمثال على ذلك هو لما وصل السلطان سليم الأول (1512- 1520م)، « أقرّ النّفوذ المحلّي لمعظم شيوخ العرب (شيخ العربلر) في كافة الولايات المصريّة بعد خضوعهم للحكم العثماني فقام بمنحهم صفة رسمية بأن عيّنهم حكّاما محلّيّين في المناطق التي يتمتّعون فيها بنفوذ، وذلك لاستخدامهم كقوة موازيّة للأمراء المماليك في إدارة النّواحي والولايات »[1].

لقد حرصت السياسة العثمانية في إيالة الجزائر على معاملة الأسر الشريفة معاملة خاصة، وتمثلت في مبدإ إعفائهم من الضرائب المخزنية، واحترامهم احتراما مميزا، وإنزالهم منازل تليق بمقاماتهم. وهذا ما تضمنه البيان الذي أصدره الدّاي حسين (1818- 1830م)، في أواسط محرم الحرام 1235هـ، إلى الحكام، والقضاة، والمفتين ونحوهم، المتضمن؛ عدم التعرض إلى فئة الشرفاء مهما كان الأمر، وعدم مطالبتهم بالضرائب المخزنية مهما كانت قيمتها، قليلة أو كثيرة، وأن هذا الإعفاء يشمل أبناءهم وأبناء أبنائهم، بل وكل أعقابهم. وليس هذا فقط بل لا يجوز إذايتهم ولو معنويا، بل حذر الداي من أي إساءة لهم معنوية كانت أو ماديّة. وستسلط على كل من يخالف هذه الأوامر عقوبات شديدة، ولا يمكن الإفلاة منها [2].

فالإخوة بربروس تركوا أسرة التّومي على رأس قبيلة الثّعالبة، كما كانت بمدينة جزائر بني مزغنّى، ولم يتم إبعادها إلاّ بعد ما ثبت تواطؤها. كما تركوا العديد من الأسر على رؤوس

---

1) فاضل مهدي بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003م، ص. 88.

2) وثائق عثمانية، ملف ، رقم، 3206، سنة 1235هـ.

قبائلها، ومحافظة على مكاناتها الاجتماعية؛ كأسرة الفـڤون بقسنطينة التي حظيت بمعاملة خاصة من قبل السلطة السلطات العثمانية المتعاقبة التي أسندت إليها الوظائف النبيلة والشريفة كإمارة ركب الحج والخطابة والنصرف في الأحباس، إلى غير ذلك. وما يؤكد هذا الأمر هو الأمر الذي أصدره الباشا إسماعيل إلى سيدي عبد الكريم الفـڤون ، وهذا بعض ما جاء فيه: « الحمد لله، ليعلم من يقف على الأمر الكريم الخ من القواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرفين في الأحوال ببلد قسنطينة سدّد الله الجميع أما بعد فإن حامله المعظم الفقيه الخ الأحسب الأنسب أبي عبد الله محمد بن المرحوم الخ الشيخ البركة سيدي عبد الكريم الفـڤون جدّدنا له حكم الأوامر التي بيده لإخواننا الباشوات المتقدمين قبلنا بأن يكون في موضع والده... إماما مرضيّا... وخطيبا بالجامع الأعظم يصلّي فيه بالنّاس الصلوات الخمس... ويخطب فيه الجمع والأعياد ويكون جميع تصرف أحباس الجامع المذكور من على داخل البلد وخارجها على يديه يصرفها فس ضروريات الجامع المذكور في زيت واستصباح وحصر ومؤذنين وحزّابين وكنّاسين وشعّالين ومستخلف وجميع ما يحتاج إليه من ... وما بقي ينتفع به كما هي عادته السابقة المعلومة وكما هي عادة والده... وعادة الأئمة المتقدمين قبله وكما هي عادة أئمة الجزائر المحمية بالله مع حرمه واحترامه ولا يقاس بما يقاس غيره ... وكتب بأمر عبد الله المجاهد في سبيل الله تعالى الأسعد أبي الصدق مولانا إسماعيل باشا أيّده الله بتاريخ الواسط صفر الخير عام أربعة وسبعين وألف وبأوّله خاتم به اسم إسماعيل بن خليل » [1] .

ومن خلال هذا الأمر الخاص بأسرة الفـڤون والصّادر عن السلطة العثمانيّة نستخلص جملة من الحقائق أهمّها وأبرزها: أن عائلة الفڤون تحضى باحترام وتجلّة أبا هن جد من قبل السلطات العثمانية المتتالية، وأنّها مكلفة بعديد المسؤوليات، ومن جهة أخرى فهي مميّزة عن

1) E., Mercier, Constantine au xvi siècle elvation de la famille El- Feggoun, éd. Scolie , Alger, PP. 43 , 44.

غيرها، : كما أن لها اليد الطّولى في الأموال المتبقيّة من واردات الأحباس بعد القيام بما أوكل لها من مهام والعائض يعود لها.

ومن الأسر الأخرى ذات المكانة الاجتماعية والدينيّة الأخرى عائلات؛ ابن القاضي بجبل كوكو، وأسرة عبد العزيز بالقلعة ثم بمجانة، وأسرة بني جلاّب بتقرت، وأسرة بوعكّاز[1] بشمال قسنطينة، وأسرة أولاد سيدي الشيخ بجنوب وهران،.... [2] .

- **وجوه التعاون.**

إذا كان مجيئ الإخوة بربروس ومن معهم من الأتراك، ثم من ورائهم العثمانيون فيما بعد، بسبب الجهاد في سبيل الله، وهذا ما أثبتته الدراسات، وبرهنت عليه الوقائع، وصرح به الإخوة برروس على لسان أخيهم خير الدين:

« مادام الموت هو نهاية كل حي فليكن في سبيل الله »[3]. وقد كان الدفاع عن البلاد والعباد، وعن الدين، هو العامل المشترك، لذلك كان من الطبيعي، أن يتم التحالف في كثير من الأحيان مع تلك الأسر والعلماء، وقد تم تعزيز ذلك بالمصاهرة. وهو تحالف أملته مصالح مشتركة، وأهمّها:

---

1) **تزعّمها أحمد** أبو العباس، والمكنى بأبي عكاز؛ وهو رجل مسن، ورث الوجاهة والمكانة بعد انقراض أولاد عمّه. فاستغلّ الفراغ، واتخذ لنفسه الشيخوخة، وسانده محبيه وتلامذته، فالدّعى الكرامات، حتّى أصبح يزار للتبرك، و يقسم به، فحاز القيادة = وأصبح يجبي الجبايات. انظر عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، تحقيق، أ. سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص. 133.

2) شويتام، « ***ممالك الأمازيغ في العهد الإسلامي***»، ...، *ص. 161.*

3) بربروس، مكرات هير الدين بربروس... ، ص. 46.

1)- التصدّي للأخطار الخارجيّة المهدّدة للبلاد، وخاصة منها الأسبانيّة. ومثال ذلك التعاون الذي تم بين قوات بني عباس وقوات حسن باشا بن خير الدين (1562- 1567م)، لما هاجم القوات الأسبانية الرابضة بوهران برا وبحرا، بحملة قوامها عشرة سفن حربية، وثلاثين ألف مجاهد، سنة 969هـ/1562م، بقيادة أحمد المقراني نفسه [1].

2)- تبدل المنافع، حيث تتولّى تلك الأسر تجنيد القبائل الواقعة في دائرة تبعيّتها، وتصبح في صف السلطة العثمانيّة، أو على الأقل لا تساند القبائل المناوئة لها.

ومن جهة أخرى تستفيد تلك الأسر من بعض الإمتيازات؛ كالإعفاء من بعض الضّرائب، والتّوظيف في الوظائف التّابعة للسلطة، كالقضاء، وقيادة ركب الحج، وجباية الضرائب،...مثل ما أُسند لأسرة (ابن الفـڤون).

• جدول خاص بالأسر المحلية، ذات النفوذ المحلّي والعلاقة مع السلطة العثمانية[2].

الرقم	إسم الأسرة الـــــــحـــــــاكـــمـــة	مجـــــالها الجـــغرافي
01	أسرة عبد المؤمن	مدينة قسنطينة
02	أسرة الفكون	مدينة قسنطينة
03	أسرة آل التومي	مدينة جزائر بني مزغنى
04	أسرة بن قانة	مدينة بسكرة

1) عند القادر الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، (د. م. ج.)، الجزائر، 1982، ص. 488.

2) جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري ق(13- 19م)، (د. م. ج,)الجزائر، 2015، ص. 381.

05	أسرة بوعكاز الذواودة	شمال الصحراء
06	أسرة الحنانشة	بالحدود االشرقية
07	أسرة آث العزيز (المقراني)	القلعة ثم مجانة
08	أسرة آث القاضي	بجاية ثم جبل كوكو
09	أسرة بن شنوف	الزاب الشرقي (بسكرة)
10	أسرة بن ناصر	خنقة سيدي ناجي (بسكرة)
11	أسرة بني جلاب	تقرت (واد ريغ)
12	أسرة أولاد سيدي الشيخ	الأبيض سيدي الشيخ /البيض

يبدو أن التفاوت السكاني من حيث العدد والتوزيع بين الشرق والغرب والوسط. وهذا ما يعكسه الجدول السايق. وتفسره كثرة القبائل الرّافضة لسيطرة السلطة العثمانية؛ وهو ما رفع عدد حركات والعصيان والتمرد، بهذا البايلك؛ وسنرى ذلك لاحقا. أما عن أنواع العلائق التي تربط سكان المدن والأرياف بالسلطة العثمانية؛ فهي علائق إداريّة واقتصاديّة واجتماعية .

- الجانب الإداري.

تشير بعض الدّراسات، إلى أنّ العلاقة بين الإدارة العثمانيّة الحاكمة وبين السكان، بالجزائر في المجال الإداري استمرت قائمة إلى غاية القرن الثّامن عشر؛ مع سكان المدن السّاحليّة والمناطق المجاورة لها [1]. لكن المتأمل في مسار التواجد العثماني بالجزائر فإنّه قد

1) شوكت باموك، التّاريخ المالي للدولة العثمانيّة، تعريب عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2005 ، ص. 205.

بلغ في منصف قرنه الأول أعماق الصّحراء، إذْ وصلت أول حملة عثمانيّة مدينة تقرت عاصمة بني جلاب سنة 1552م بقيادة البايلرباي صالح رايس.

- الجانب الاقتصادي.

أمّا في المجال الاقتصادي، فجل الدّراسات تشير إلى أن العلاقة بين السلطات العثمانية والسكاّن قد اقتصرت على جبي الضّرائب من الفلاّحين وأهل الباديّة، بواسطة الحكام المحلّيين كشيوخ القبائل والقيّاد. وقد يتساءل المرء عن سبب اقتصار العلاقة الاقتصادية على الضّرائب فقط؛ فإنّ الجواب، يكمن في كون السلطة العثمانيّة في الجزائر قد كانت منشغلة بالتّصدّي للتحرشات الخارجيّة، الأوربيّة. وكذلك للمرينيّين وللحفصيين أحيانا [1].

لم تكن للسلطة العثمانية علاقة مباشرة مع السكان، وإنما كانت العلاقة غير مباشرة أو وبتعبير أدق كانت قائمة على أساس التمثيل؛ ولما كان سكان المدينة مهيكلين في مجموعات عرقية، وكانت كل تلك المجموعات العرقية مرؤوسة بواحد من أعيانها يطلق عليه الشيخ، وسواء كان منتخبا أم كان معينا، فيكون هذا الشخص هو حلقة الوصل بين السلطة العثمانية ومجموعته فهو الذي يلتقي بالسلطات وينقل شكاوى السكان إليها، وفي ذات الوقت ينقل التعليمات الحكومية إلى السكان فهو لسانهم وهو سمعهم. وكان أصحاب الحرف والمهن مهيكلين في مجموعات فكل حرفة لها رئيسها؛ والذي يعرف ريميّا باسم الأمين. وهذا بعد ما يختاره رفقاؤه من: المهرة والمعلمين في تلك الحرفة. ويتم ذلك بناء على ما توسموا فيه من أمانة، وحسن الخلق، ومعرفة أصول الحرفة. وهو الذي يمثل أصحابه لدى السلطات ويتكلّم باسم كائفتهم[2]. وهذه الطريقة هي السائدة والمعمول بها، إذْ يتم التعامل والتواصل معهم عبر

1) باموك، التّاريخ المالي للدولة العثمانيّة،...ص. 205 .

2) غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص. 143.

زعمائهم المحليين والموظفين من قبل البايلك؛ ولذلك لا نجد نفوذا مباشرا للأتراك بين السكان[1]. وبالرغم من التباعد النسبي بين السكان عموما، وسكان المدن على وجه الخصوص وبين السلطة، إلا أن حاجة سكان المدن إلى حماية السلطة لهم ولممتلكاتهم، وكذلك التقارب والآحتكاك فيما بينهم، جعل العلاقة بينهما تتّسم بالهدوء دون تشنج أوصدام، باستثناء ما وقع من الكراغلة. وهذا الهدوء والتعايش أشار إليه أحد الباحثين بقوله:

« ولم نسجل طوال الحكم العثماني أية حركة مناوئة للعثمانيين على مستوى المدن الجزائرية ». وبالعكس بعض العائلات كانت مقربة من السلطات العثمانية، ونالت منها امتيازات على شكل وظائف وقيادة ركب الحج، ومن بين هذه العائلات، عائلة الفكّون، وعائلة عبد المومن، وعائلة المسبّح، وعائلة إبن المفتي، وعائلة العنّابي، وعائلة بني جلاّب، وعائلة بو عكّاز... وغيرهم من العائلات الكبيرة. وإذا كانت المصالح هي التي وحدت بينهما، فإنّ الأخطار الخارجية المتمثلة في التحرّشات الصّليبية المحدقة والمتربّصة بالجميع قد عملت على تقوية التماسك بين الطّرفين (السلطة والسكان) [2].

بالإضافة إلى ما تقدّم لا ننس المصالح المتداخلة بين السكان والسلطة من ناحية، وعدم وجود العصبية القبلية بينهم، لتنوع المكون الاجتماعي، وهو عكس ما يعرف به المجتمع الريفي.

---

1) عبد السلام محمود السامرائي، الإدارة العثمانية في الجزائر، 1518– 1830م، صفحات للدراسات والنشر، ط1، دمشق، 2017م، ص.60، 61.

2) شويتام، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر.(مداخلة في الملتقى الدولي العلاقات الجزائريّة التركية)، قصر الثقافة ، الجزائر ، مارس / 2017م.

الفصل الثاني

أدوات وأساليب السلطة في اخضاع السكان

المبحث الأول: الأساليب السيّاسيّة والإداريّة.

1) التقسيم الإداري وأجهزته (المخزن).

2) المصاهرات .

3) التصفيف.

4) استغلال الأسواق.

5) الحواجز الإدارية.

6) الترضيّات. والاحتواء.

المبحث الثّاني: الأساليب العسكرية.

1) الحملات العسكرية.

2) الحاميات العسكرية.

3) الأبراج والحصون.

4) سياسة الإغراء.

سنتطرق في هذا الفصل الثاني إلى الآليات التي ارتأتها السلطة العثمانية مناسبة للتحكم في السكان واستخدمتها من أجل تحقيق جملة من الأهداف. التي تتمثل في ربط علاقة ما بينها وبين السكان للوصول في النهاية إلى أحد الحالات التالية مع القبائل، وتكون على النحو التالي: إما أن تصير خاضعة وتدفع ما عليها من ضرائب، أو تكون متحالفة مع السلطة ضد كل من يناوئها. ولأجل هذا، لا تدّخر السلطة العثمانية أي جهد في توظيف أي من تلك الأدوات، والتي سنتناولها في مطلبين:

الأول: ويتمثّل في الأدوات والأساليب السيّاسيّة والإداريّة، والمتمثّلة في التقسيم الإداري وأجهزته (المخزن)، والمصاهرات وسياسة التصفيف، واستغلال الأسواق، والحواجز الإدارية، والترضيّات و شيّاسة الاحتواء.

وأمّا الثّاني، فيتمثّل في الأدوات والأساليب العسكرية؛ كالحملات، والحاميات العسكرية. والأبراج، والحصون.

المبحث الأول: الأساليب السياسية والإدارية .

لما جاء العثمانيون إلى شمال إفريقيا حاملين سيف النصرة لإخوانهم المغاربة، وكانوا أمام خيارين إثنين لا ثالث لهما: إما الفشل في مهمتهم أمام الغزاة الجاثمين على العديد من المدن الساحلية بالساحل المغاربي، كوهران والمرسى الكبير وبجاية وجيجل والجزائر وعنابة وتونس، وغيرها من المدن المغاربية الأخرى. وإمّا التفوق والانتصار على القوى المسيحيّة (الكافرة)؛ وبالتالي تحرير تلك المدن، وتخليص ساكنيها من المسلمين، وبالتالي تحقيق الهدف الذي جاءوا من أجله. ولمّا كان غرضهم تلبية نداء إخوتهم في الدّين، وتحرير البلاد والعباد من السيطرة الأسبانية، وهم يدركون إدراك المتيقن أن هذا لايتأتّى إلاّ بتوفير الأمن. ومن أجل توفير

هذا الأخير (الأمن) لا بد من اتخاذ جملة من الاجراءات والعمليات، السيّاسيّة والعسكريّة، وحتّى الدّبلوماسيّة لكي يتسنّى لهم السيطرة عن الوضع الذي يتفق كل من عاصر نهايات القرن الـ15م وبدايات الـ(16م) أو أرّخ له، إلاّ وذكر عنه أنّه عهد اتّسم بالإضطراب والفوضى واللّاأمن، زذلك من جرّاء التدافع السيّاسي بين كائناته السيّسيّة وشبه السيّاسيّة. وقد أشتر إلى ذلك العديد من الرحّالة، ومنهم محمد الحسن الوزّان؛ الذي مرّ بعديد مدن بلاد المغرب الأوسط وسجّل لنا ملاحظاته ومشاهداته [1].

ويبدو من خلال من تعدّد وتنوع الاجراءات والطرق والأساليب التي اتبعها العثمانيون، أنهم مصمّمون على استتباب الأمن والسيطرة على الأوضاع بالرغم من كل الصعوبات والعقبات. ويذكر بعض المؤرخين أن السلطة العثمانية بعدما أيقنت أنه من الصعب السيطرة على السكان، ولا يمكن بحال من الأحوال إخضاعهم بحد السيف و حده [2]. لجأت إلى البحث عن إجراءات أو سبل أخرى تجعلهم يسيطرون ويتحكمون في الأضاع. فما هي الأساليب التي طبقها العثمانيون في الجزائر من أجل السيطرة والتحكم؟ وكيف تعامل معها السكان ؟ وهل حققت ما كانت تهدف إليه ؟

أ) التقسيم الإداري:

كان من سياسة حكم العثمانيين في البلدان التي فتحوها في القسم الأوربي، أو التي دخلوها من بلاد العرب، أن يقسموها إلي سناجق بالنسبة لبلاد المشرق العربي، وإلى بايلكات

1) محمد الحسن الوزان، وصف إفريقيا.

2) خوجة، مصدر سابق، ص. 127.

بالنسبة لبلدان المغرب الإسلامي [1]. وقبل كل شيء نشير إلى أنّ التّقسيم الإداري الذي باشرته السلطات العثمانية بالمغرب الأوسط لم يكن ثابتا، إذْ من خلال تتبعنا لمسار الإدارة الجزائرية خلال هذه الحقبة العثمانية، لاحظنا أنّ هناك تغيرات في التُّقطيع الجغراقي للبايلكات. ومن تلك التغييرات تحويل منطقة سيباو من بايلك التيطري وجعله قيادة منفصلة عن البايلك (شبه إيالة وحدها)، سنة 1775م. وكذلك منطقة الأغواط التي رغب باي الغرب محمد الكبير في ضمها لأيالة الغرب، مقابل إخضاعها للسلطة العثمانية، وسنتعرّض لهذا لاحقا . وعموما فإن إيالة الجزائر قد قسمت إداريا إلى أربعة بايلكات (سناجق) أساسية هي:

بايلك الشرق وعاصمته مدينة قسنطينة. وبايلك والغرب وعاصمته مازونة، ثم معسكر، ثم مدينة وهران بعد تحريرها نهائيّا عام 1792م، وبايلك الجنوب أو البايلك الأوسط لتوسّطه بين الشرقي والغربي، ويسمّى كذلك بايلك التيطري (نسبة لجبل التيطري)، وعاصمته مدينة المديّة، ورابعهم المركز وهو ماعرف بدار السلطان؛ ويتمثّل في مدينة الجزائر كعاصمة له ولكل القطر، ويضاف إليها السهل المجاور لها والمعروف بسهل متيجة.

وقد تم تعيين على رأس كل بايلك، أو على رأس كل (سنجاق) [2] باي يتم تعيينه من دار السلطان. بالإضافة إلى قيادات مستقلة، تتبع الإدارة المركزية مباشرة، وكان كل بايلك أو سنجق ينقسم بدوره إلى قيادات ومشايخ محليين من الأهالي [3].

---

1) فاضل بيات، الدولة العثمانية، في المجال العربي، (م. د. و. ع.) بيروت، 2007، ص، ص. 123، 241، 527.

2) **مفردها سنجاق**، وهي قطعة قماش توضع على رمح من يشهد له بالبسالة، ثم أصبحت تعني الراية عند الأتراك ، كما أصبحت تعني فيما بعد مقاطعة إدارية، من قبل الإدارة العثمانية بالمشرق العربي. انظر فاضل بيات، الدولة العثمانية... ، ص. 58.

3) بيات ، الدولة العثمانية ... ، ص. 552.

فالتقسيم الإداري، هو إحدى الطرق والأساليب التنظيمية، من بين الأساليب التي بواسطتها يتم التحكم في البلاد والسكان وحسن التسيير، وبالنسبة للتقسيم الذي اتخذته الإدارة العثمانيّة في الجزائر، فإنّه من أجل التحكم في السكان، وضبط تحركاتهم، وكذلك تأمين المداخيل(العائدات) من هذه البايلكات، (أنظر الجدول المبين لذلك في آخر هذا التقسيم)، وهو ما قام به الإخوة بربروس لما حلّوا ببلاد المغرب، ومن أتى من بعدهم. فما هو هذا التقسيم الإداري الذي قام به العثمانيون بالجزائر؟ وما هي نتائجه؟ ولكن قبل تناول موضوع التنظيم الإداري، نتعرف على ما تميّزت به بدايات العهد العثماني. إذ يعتبر الكثير من المهتمين بالشأن الإداري بأنّها كان مزيجا من أنظمة الدول المغاربية السابقة، ثم مع الوقت تطورت عما كان عليه في بداية العهد العثماني؛ حيث اعتمد فيها الحكام على الرواتب مباشرة، أو ما يعرف بنظام الساليانة [1].

ويعني هذا أن رواتب الموظفين في إيالة الجزائر[2] تعتمد على مداخيل الدولة؛ من ضرائب، وعائدات البحر وغيرها من الواردات، وتدفع لهم منها مباشرة. وفي ذات الوقت اعتمد فيه على التسلسل في الرتب واحترام المناصب الإدارية حسب تدرّجها وبطابع عسكري، في مجال الترقيات إللى المناصب العليا، وبهذه المميزات، وصف ناصر الدين سعيدوني النظام الإداري في ذلك العهد؛ بالنظام البسيط والمتجاوب مع حاجات ومتطلبات السكان والأوضاع. لكن جان مونلو(Jean Monlaü) وصفه بقوله: « إن نظام الحكم- بالجزائر العثمانية- هو

---

1) **السليانة** كلمة فارسية تعني « السنوي » وهونظام مالي صبقته السلطنة العثمانية في بعض إيالاتها ومنها جزائر غرب، وبموجب هذا النظام المالي يتم جمع موارد الإيالة إلى الخزينة العمومية مباشرة، باسم الدولة بعد اقتطاع مرتبات الجند ونفقات الإيالة،ن والباقي يودع في خزينة الدولة. انظر، بيات، الدولة العثمانية في...، ص. 108.

2) تمّ تطبيق نظام السّاليانة على بعض إيالات الدولة العثمانيّة الأخرى، وهي: مصر، بغداد، اليمن، الحبشة، البصرة، لحسا (الإحساء)، طرابلس الغرب، تونس. انظر، بيات، الدولة العثمانية في...، ص.110، 111.

من الحداثة ما يثير الدهشة، فالسلطة تنازعها جماعات ضغط متنافسة. من أوجاق، وموظفين، وطائفة الرياس، ومن وراء هذه الجماعات، تكمن ارستقراطية تجارية، ترتبط بها الطوائف المهنية » [1].

إنّ المتتبع لمسار التنظيم الإداري في الجزائر خلال العهد العثماني يدرك أن العثمانيين اتبعوا أسلوب التّدرج في عملية تنظيم إقليم المغرب الأوسط. فبعد ما لبوا النداء الأول، من قبل سكان مدينة جيجل، وحرّروها من السيطرة الأجنبية، كانوا بذلك قد وضعوا قدما بالشمال الإفريقي. وبعد تلبية نداء أهل مدينة جزائر بني مزغنى، وفشلوا في إزاحة القاعدة العسكرية الأسبانية المتقدمة، والجاثمة على جزيرة البنيون، قبالة ميناء المدينة، قرّر الأخوان، أُروج، وخيضر خير الدين بربروس تقاسم المسؤولية في قيادة البلاد. ولتنفيذ ذلك، تولّى أُروج الإشراف على المنطقة الغربية والممتدّ من مدينة الجزائر إلى غاية مدينة تنس، أمّا أخوه خير الدّين فقد تولّى الإشراف على المنطقة الشرقية الممتدّة من مدينة الجزائر إلى غاية مدينة دلس، وبهذا قاموا بأول إجراء لتنظيم البلاد. وخلال ذلك حاولا كسب القبائل المتواجدة بين مدينتي دلس وتنس إلى صفهما[2]. ومن خلال ما تم في هذه الفترة الوجيزة، ندرك أن الأخوين: أُروج وخير الدين أدركا بعد تجربتهما القصيرة، أنّه لامناص من كسب ود القبائل المحلية والتحالف معها، وحتى إن لم تكن عونا وسندا لهما في مواجهاتهما مع القوى الخارجية المهاجمة، فعلى الأقل لاتكون ضدّهما. وبهذا الإجراء التنظيمي تكون السلطة الجديدة الممثلة في الأخوين أروج وخير الدين بربروس قد وضعت النواة الأولى للقطر الجزائري وتنظيمه، وأمّنت ظهرها؛ لتتفرغ للمهمة

---

1) سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث ... ، ص ص. 246–254 . انظر أيضا، فاضل بيات، درلسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الإسلامي، ط$_1$، بنغازي ليبيا، 2003م، ص. 142.

2) شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته.... ، ص .41،42 .

الكبرى والخطيرة التي جاؤوا من أجلها والتمثلة في الدفاع عن سكان بلاد المغرب من الاعتداءات المسيحية القادمة من جهة البحر. واعتبارا لذلك، قسم العثمانيون بلاد الواسطة (المغرب الأوسط) إلى أربعة مقاطعات كبرى وسموا ثلاثة منها بايلكات، فيما أُطلِق على المقاطعة الرابعة، وهي درة وأساس التّقسيم الإدري، إسم دار السلطان باعتبارها مقر السلطة المركزية وعاصمة الإيّالة، واتخذت مدينة الجزائر مقرا لها. وكل بايلك قد قسم بدوره إلى أوطان، وكل وطن يحكمه شيخ، وهذا الأخير يعمل تحت إمرة الباي، وهذه الأطان موزعة على البايلكات كالتالي:

- بايلك الغرب:

ويضم أربعين وطنا. يمثل بايلك الغرب المنطقة الواقعة غرب مدينة الجزائر، إلى غاية الحدود الغربية مع المغرب الأقصى، واتُّخذت مدينة مازونة [1] في البداية كمركز للبايلك ومقر الحاكم التركي.

كما اتخذت في نفس الوقت تلمسان. إذ تذكر بعض المراجع أنّ أوّل من قام بتنظيم منطقة الغرب الجزائري هو : حسن بن خير الدّين[2] سنة 971هـ/1563م، وهذا خلال تواجده بالمنطقة، حيث قبل عودته إلى مدينة الجزائر قسّمها إلى قسمين، وعيّن عليهما حاكمين نائبين

---

1) **مدينة** تاريخية عتيقة تقع بجبال الضهرة على واد وارزان، أسّسها إبن منديل بن عبد الرحمان المغراوي سنة 1170م، وتقع شمال شرق مدينة غليزان على بعد 70 كلم. وانظر: السامرائي، الإدارة العثمانية في الجزائر، ص.64. وانظر أيضا:

-Achour Cheurfi , Dictionnaires des localites algeriennes ,Casbah édition Alger, 2011, p, 749.

2) لقد سار حسن بن خير الدّين على خطى سياية أبيه خير الدّين، وقد حرص على : 1) لم شمل وحدة البلاد وتوحيد قبائلها وكياناتها السيّاسيّة في دولة واحدة . 2) تحرير المدن السّاحلية المحتلّة من طرف الأيبان والتي عجز الأهالي على تحريرها. 3) الأمل في مد يد المساعدة للأندلوسيّين المضطهدين.

عنه هناك، منهما أحد بمدينة مازونة. و تم توحيد القسمين خلال 1706م؛ في عهد الباي مصطفى بن يوسف (بوشلاغم) المسراتي (1686-1733م).

ولأسباب إستراتيجية تمثّلت في التقرب من مدينة وهران؛ نقل الباي مصطفى عاصمة بايلك الغرب إلى قلعة بني راشد، ثم نقلها منها، فيما بعد، إلى مدينة معسكر[1]. وأخيرا إلى مدينة وهران بعد تحريرها الثّاني من يد الأسبان نهائيّا سنة 1206هـ/ 1792 م [2]. أمّا حدود هذا البايلك، فإنّها تبدأ من الحدود الغربية لدار السلطان، وتمتدّ بإلى غاية الحدود الغربية لإيّالة الجزائر غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى نواحي البيض جنوبا[3].

- بايلك الشرق:

يضم هذا البايلك أربعين وطنا، على غرار البايلكات الأخرى، وكان على رأس كل وطن قائدا، الذي غالبا ما يكون من أهل البلاد. والوطن بدوره مقسم إلى مشايخ، بكل مشيخة فبيلة أو أكثر، وعلى رأس كل مشيخة، شيخ من الأهالي. أما عاصمته عكانت حاضرة قسنطينة. وإذا كان بايلك الشرق هو آخر البايلكات العثمانية تحديدا وإلحاقا بالسلطة العثمانية الجديدة بمدينة الجزائر، فإنه كذلك هو آخر البايلكات الذي خرج من يدها سنة1253هـ/ 1837م، وسقط في يد الاحتلال الفرنسي بعد سقوط العاصمة 1246هـ/ 1830م [4].

---

1) كاميليا دغموس، قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الأسباني والسلطة العثمانية (1509- 1792م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران ، 2013/2014م، ص.91،92.

2) مولاي بلحميسي، مدينة لمدية..... ، ص. 139.

3) السامرائي، مرجع سابق، ص.64.

4) تمسك أحمد باي بالسلطة بناء على فكرة خلافته للدّاي. أمّا الأمير فاعتمد على مبايعة السكّان له في11/ 1832م.

كما يعد أكبر البايلكات مساحة، إذْ يمتد من الحدود التونسية شرقا، إلى غاية حدود دار السلطان الشرقية المتوافقة مع مدينة دلس وسوق حمزة غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى غاية ممتلكات إمارة بني جلاب بواد ريغ جنوبا، وبهذا الإمتداد، يعد أكبر البايلكات وأقوها اقتصادا وأكثرها سكانا[1]. وللتحكم قي البايلك وتوفير الأمن به عموما وبالمدن على وجه التحديد، اعتمدت السلطة المركزرية على العناصر المجنّدين الجدد وهم: اليولداش[2].أمّا في الأرياف فقد اعتمدت السلطة العثمانية على القبائل المخزنيّة التي تعد اليد الضّاربة للسلطة خارج المدن ، والسّند القوي للمحلاّت عنما تخرج للبايلكات [3].

- بايلك الوسط (التيطري):

يعد بايلك التيطري[4] أصغر البايلكات بإيالة الجزائر، وقد تم تقسيمه إلى أربعة عشر وطنا. أما مركزه فقد اعتمت السلطات العثمانيّة على مدينة المديّة التي دخلها أروج المعروف ببربروس الأول، سنة 923هـ/1517م، بعد الهزيمة التي ألحقها بحماد بن عبيد (حميدة العبد)، أمير تنس واتخذتها عاصمته لبايلك المديّة. وقبل مغادرتها ترك فيها حامية عسكرية. وقد عرف هذا البايلك رغم صغره عدة تنظيمات، لأهمها سنة 924هـ/ 1518م، لما تكلف يه خير الدين

---

1) السامرائي، مرجع سابق، ص. 61.

2) **يولداش،** كلمة تركية مركبة من كلمتين: يول= الطريق، وداش= الرفيق (أي الرفيق في الطريق). انظر حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004، ص. 167.

3) محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجبة للشرق الجزائري 1792- 1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، ص.21.

4) **سمي ببايلك التيطري،** نسبة إلى جبل تيطري بالأطلس البليدي، ويعتقد أنه الكاف الأخضر اليوم. انظر، مولاي بلحميسي، مدينة المدية عبر العصور، منشورات وزارة الثقافة، ط2، الجزائر، 2005، ص. 322.

بربروس، ثم في عهد البايلار باي حسن بن خير الدين، سنة خلال باشوياته الثلاثة (1526-1567م)، ثم في عهد الباي سفطة سنة1189هـ/1775م؛ عندما تم سلخ منطقة سيباو بقبائلها من بايلك التيطري، وأصبحت قيادة بذاتها. ومن جملة التنظيمات الداخلية لهذا البايلك هي، تقسيمه إلى جزئين: جزء شمالي، وبه قبائل مستقرة بحكم العمل الفلاحي. وجزء جنوبي، به قبائل متنقلة، من بينها قبيلة أولاد نائل، والتي سنتعرض لحركتها المناوئة لاحقا. كما تعاقب حلى حكم هذا البايلك ، قد قدرهم أحد الدارسين بحوالي ثمانية عشر بايا [1].

- دار السلطان:

وهي بالأساس مدينة الجزائر كما أسلفنا، وما جاورها من سهل متيجة، بما فيه البليدة والقليعة وشرشال ودلس، أي تبدأ حدودها من مدينة دلّس شرقا إلى مدينة تنس غربا. ويتولى حكمها الباشا نفسه مباشرة [2].

أما عن تسمية المقاطعة بهذه التسمية (دار السلطان)، فهي متأخرة كثيرا عن بدية الوجود العثماني، وعن التقسيم الإداري الذي عرفته الجزائر من قبل العثمانيّين. تعود إلى نهاية عهد الآغوات وبدلية عهد الدّايات (سنة 1031هـ/1671م)[3].

---

1) مولاي بلحميسي، مدينة المدية... ص ص. 326- 328. وانظر أيضا، السامرائي،الإدارة العثمانية...، ص. 67.

2) مولاي بلحميسي، ***مدينة لمدية عبر العصور***، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الأولى، العدد (2)، عدد خاص، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م، ص. 139.

3) عبد السلام محمود السامرائي، الإدارة العثمانية في الجزائر 1518-1830م، صفحات للدراسات والنشر،ط1، دمشق، 2017م، ص. 60.

تضمّ دار السلطان خمسة أوطان فقط، وكل وطن على رأسه شيخ يتولّى شؤونه، ومن مهامه الأساسيّة والرئيسيّة هي مسك سجلات الضرئب التي تدون عليها أسماء القبائل وممتكات أفرادها والقيم الضريبيّة المفروضة عليهم، وتواريخ الدّفع، والمؤجّل من الضرائب(1).

وعلى سبيل المثال عن هذه الأوطان ومشايخها نذكر ما يلي(2):

وطن بني خليل، وطن بني موسى، وطن يسر، وطن سباو، وطن بني جعد، وطن بني خليفة، وطن حمزة، وطن السبت، وطن عريب، وطن بني مناصر، وطن الفحص(متيجة).

-) مقادير الزكوات التي يؤديها البايلكات إل دار السلطان(3).

ر. ت	إسم البايلك	أنواع الزكوات	الكمية
01	بايلك اشرق	قمح	10000 صاع
		شعير	معفى
		غنم	6000 رأس
		بقر	2000 رأس
		زائد التمر والزيتون	كميات غير محددة

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته ... ، ص. 53.

2) توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792م، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 312.

3) الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار،تح؛ توفبق المدني، دار البصائر، الجزائر، 1974م، ص.46.

	بايلك التيطري	رؤوس من الغنم	غير محددة
02	بايلك الغرب	قمح شعير غنم	10000 صاع 10000 صاع 6000 رأس
03	قيادة سباو	زيت تين مجفف شمع قمح	2500 قلة 1000 قنطار 100 قنطار 500 صاع
		شعير	500 صاع

ب) المصاهرات.

لا تعد ظاهرة الزواج بين العائلات المتنفذة وبعض الحكام العثمانيين بالجزائر خلال، ظاهرة غريبة، ولا جديدة. فالمصاهرات من هذا النوع تعرف تاريخيا بالزواج السياسي، وهي نوع من العلاقات والأساليب التي طبقها مبكرا بعض الحكام العثمانيين في الجزائر، مع الأسر الفاعلة في المجتمع المحلي. وقد بينت الوقائع الاجتماعيّة؛ أن بعض الأسر المرموقة في المجتمع الجزائري، خلال العهد العثماني، ارتبطت ببعض العثمانيين عن طريق المصاهرة قامت هذه الأخيرة ربط علاقات مع بعض الموظفين العثمانيين من جنود، وقادة، ومن أصحاب

النّفوذ والقرارات [1]. وبعد هذا التقارب وقع الارتباط ، وكانت بدايته بخير الدين بربروس، ثم إبنه حسن. وتذكر العديد من المراجع، أن الأسر النافذة في المجتمع كانت هي المقصودة، نظرا لنفوذها ونحكمها، وقد كان هذا التقارب عن طريق المصاهرات من بين عوامل نجاح الحكم العثماني بالجزائر، وفي بايلك الشرق الأكثر ثوران على وجه التحديد[2]. حيث تزوج بعض الحكام من تلك العائلات الفاعلة، وذات الحظوة والمكانة والنفوذ في المجتمع. والسؤال الذي نطرحه هو، ما الغرض، وما المبتغى من هذه المصاهرات؟ والجواب هذا السؤال نلتمسه فيما أقدم عليه حسن بن خير الدّين حيث صاهر أمير كوكو بزواجه بإبنته، ثم استعان به في بسط نفوذه وسيطرته على معظم البلاد عام (967هـ/ 1560م) [3].

كما صاهر رجب باي بايلك قسنطينة سنة (1084هـ/1673م) أسرة بوعكاز زعيمة قبيلة الذواودة الصّحراويّة بالزّاب الجزائري. وقام الباي علي بن صالح باي (1710- 1713م) باي قسنطينة بتزويج بناته الثلاثة لأسر من المقرانيّين، ومنهم كبيرهم الحاج بوزيد. كما تصاهر أحمد القلّي؛ لما كان باش سيّار قبل أن يصير بايا بقسنطينة (1756- 1771م) مع عائلة ابن قانة بن سليمان بن محمود بن قانة الحدّاد. وبنفس الهدف قرب أحمد القلّي بين عائلة علي بوعكاز شقيق شيخ العرب، وعائلة ابن قانة، بتزويجه بمباركة بنت هذا الأخير؛ وبذلك أصبح نفوذه ممتدا إلى القبيلتين [4].

---

1) شهر ماهود محمد، *__« الموظفون العثمانيون في إيّالة الجزائر دراسة في أوضاعهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة »__*، مجلة التراث العلمي العربي كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد، العدد: (2)، السّنة 2015م، ص. 394 .

2) معاشي، مرجع سابق، ص. 238.

3) أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 46.

4)) شهر ماهود محمد، مرجع سابق، ص. 396.

وكذلك ما يقدمه لنا لوران شارل فيرو(L. C. Féraud) في المثال عن تلك العلاقة بين السلطات العثمانية وبعض العائلات النافذة، والغرض من تلك المصاهرات وأهدافها فيقول: « إن أتراك قسنطينة الذين يبحثون منذ أمد بعيد عن إنفاذ تأثيرهم بالمناطق الصحراوية قد دخلوا في علاقة مع سي علي بوعكاز الذي كان مثل أجداده يعيش في استقلالية ويتعامل مع البايات الند للند » (1).

إن من خلال ما آلت إليه نتائج تلك المصاهرات، يتضح لنا أن الهدف منه كان بناء تحالفات وعصائب من أجل درء الأخطار المحتملة، وكسب دعم مادي ومعنوي وبالتّالي التغلب على عدو معين، وبهذا فالقصد استراتيجي، يدخل ضمن التخطيط، وحسن إدارة الصراع ؛ وفي هذا السياق نستطيع القول أن هذه المصاهرات كانت شبه حتمية، وذلك لكون الحكام العثمانيون كانوا في حاجة إلى القوة، تدعمهم ضد مناوئيهم، وفي ذات الوقت كانت العائلات النّافذة والثرية في حاجة لمن يحمي مكانتها وثرواتها.

فحينما ننظر في تاريخ الجزائر العثماني، نجد نماذج من الزيجات (المصاهرات)، التي تمت، عبر مختلف مراحل الفترة العثمانية؛ وكان أولها، زواج البايلر باي خير الدين (أول حاكم عثماني رسمي) من إبنت أحمد بن القاضي أمير إمارة كوكو، والذي كانت ثمرته على ما يبدو البايلر باي حسن، المعروف بحسن بن خير الدين. ومن خلال الأحداث المتتالية، نرى أن القصد من ذلك كان استراتيجيا، ودهاء في التسيير، والمتمثل في كسب ود طرف فاعل ومؤثر في المجتمع المحلّي، لكسب أمانه من جهة، وضمان عدم تحالفه مع المناوئين للسلطة العثمانيّة من جهة ثانية. كما سلك حسن بن خير الدين نفسه الخطوة التي خطاها والده، حيث تزوج خو كذلك من نفس العائلة ونفس القبيلة، ليقوي بها عضده ويشدد بها أزره. والحال كذلك

---

1) Laurent – Charles Féraud, Les Ben–Djellàb sultans de Touggourt,(A.L. E.),2012, p. 175.

بالنسبة للرايس الشهير علي بتشين الذي كان أو قارب أن يكون حاكما، والذي تصاهر مع إحدى بنات إمارة كوكو كذلك، على غرار سابقيه. وتزوج كذلك الحاج حسين باشا ميزومورتو (1095هـ- 1100م/1683م- 1688م)[1]، بأمينة بنت السيد أحمد الشريف. وكذلك الداي شعبان تزوج بنفيسة بنت السيد محمد بن عبد المؤمن، وزواج الداي علي باشا ببنت الحاج مصطفى بن الشيخ بن مالك[2]. وفي بايلك الشرق نجد أول من قام بالمصاهرة السياسية، حسب اطلاعنا، هو الباي رجب الذي زوج إبنته أم هانئ للمدعو القيدوم أخ أحمد بن الصخري شيخ العرب[3]. وكذلك الحاج أحمد باي بن محمد القلّي، قد تزوّج بامرأة تدعى مباركة من عائلة بن قانة ببسكرة، على غرار إبنه محمد، الذي صاهر نفس العائلة، وقبلهما جدّه القلّي الذي صاهر المقرانيين، فتزوّج بالدّايخة بنت الشيخ بوزيد. وإبراهيم باي الذي تصاهر مع الشيخ فرحات شيخ عرب الصحراء[4]، بالإضافة إلى مصاهرات أخرى [5]. وفي بايلك التيطري نجد الباي الوزناجي مصطفى صاهر عائلة شهيرة بمنطقة الأغواط وهي عائلة بن شهرة، حيث تزوج بإبنة أحمد بن شهرة[6]. ولا يقتصر هذا النوع من المصاهرة بين العثمانيين والعائلات الفاعلة من السكان، وإنما

1) **جاء في تقييدات** إبن المفتي، حسين رايس قبطان ميزو مورطو (أي: الذي نصفه ميت). أما في قانون أسواق مدينة الجزائر للشويهد، فهو الحاج حسين ميزو مورتو (1095هـ- 1100م/1683م- 1688م)، من أصل إيطالي، وبعد ما أسر من قبل البحارة الجزائرين، أسلم، وحسن إسلامه، ونظرا لخصاله الحميدة ودماثة أخلاقه، وحزمه وشجاعته تولى مناصب قيادية حتى وصل إلى مرتبة باشا الجزائر، ثم عين قبودان باشا على الأسطول العثماني. (انظر، الشويهد، أسواق مدينة الجزائر، ص. 145، ها(2).

2) غطاس، مرجع سابق، ص. 350. وللمزيد عن المصاهرات، انظر: نفس المرجع، ص ص.351، 352، 353.

3) معاشي ، مرجع سابق، ص. 206.

4) Hamdan Ben Othman Khoja : Le Miroir, éd. Sindbad, Paris 1985, p. 67.

5) Féraud, Les Ben-Djellàb sultans de Touggourt …. p. 175.

6) من خلال مقابلة مع الأستاذ المشرف أرزقي شويتام في بيته، بتاريخ، السبت 15/ 09/ 2018 م .

كانت العائلات ذات المكانة تتصاهر فيما بينها كذلك، لتكسب بذلك دعما وقوة أمام القبائل الأخرى، ومن أمثلة ذلك النوع من المصاهرات نذكر البعض منها :

1- المصاهرة التي تمت بين بوعكاز شيخ العرب والمقرانيين. وكذلك فرحات بن أحمد بن الصخري المعروف بإبن الرجراجة (أمه)، قد زوج أخته فاطمة البليلية بسلطان تقرت بغية إنشاء تحالف بينهما [1].

2- المصاهرات التي تتم بين عائلات الأعيان، أو كما جاء في إحدى الدراسات، بعنوان : المصاهرات داخل مؤسسة مشيخة البلد. ومن أمثلة هذا التصاهر، ذلك الذي تمّ بين عائلة الشيخ أحمد التمتام، وبين عائلة الشيخ إبن الطبال. وهو ما جاء قي نص الوثيقة التالية:

« الحمد لله حضر شهيداه لدى الحرة الأصيلة السيدة خدوجة بنت المرحوم السيد بن الطبال به شهر وأشهدتهما على نفسها بمحضر شقيقها المهظم الأجل الزكي الأفضل السيد محمد شيخ اليلد التاريخ... أنها وهبت من إبنها الشاب الأنجب والخير الأنسب السيد محمد شيخ البلد في التاريخ إبن المرحوم السيد الحاج أحمد شيخ البلد كان...»، وكذلك مصاهرات الأشراف والعلماء فيما بينهم[2]. ومن خلال التعبير المتستعمل في الوثيقة كصيغة: "الحرّة الأصيلة السيّدة فلانة"، وصيغة: " شقيقها المعظم الأجل الزكي الأفضل السيّد فلان،..." . نفهم المكانة التي يتمتع بها تلك العائلات والأسر من احترام وتبجيل لدى السكان، وحتى لدى

1) L. C. Féraud, op, cit, 175.

2) غطاس، الحرف والحرفيون... ، ص. 352، 353.

المؤسّسات الرسمية كمؤسّسة مشيخة البلد[1]. كما أنّ فئة الإنكشاريين هي الأخرى تقدم على الزواج من الجزائريات ولنا مثال عن ذلك :

-) عقد زواج بين إنكشاري وجزائرية ومضمونه: « تزوج عبد الرحمان الإنكشاري خضراء بنت أحمد إبراهيم ثيبا مطلقة، ثبت طلاقها بشادة العربي بن شعبان بوعلي بن محمد حل النكاح الصداق مائة بنقد الشطر، والباقيثلاثة أعوام زواجها ..» [2] .

ج) سياسة الصفوف.

إن سياسة الصّفوف هي من بين الأساليب التي اتبعتها السلطات العثمانية في مواجه المناوئين لها، وتسيير الأزمات، هي أسلوب يعد أقلّ الأساليب تكلفة، بحيث يعمد فيه على ضعف العدو باستغلال الإنقسامات والشقاقات بين الأعداء، ولتطبيق هذا الأسلوب عمد العثمانيون إلى تفرقة صفوف غيرهم وجعلوها تتصادم وتتصارع فيما بينها، وبالتالي يحوّلون قوى الأخرين نحو بعضهم البعض، وهي استراتيجية الهدف من ورائها شق الصفوف[3]. وفي هذا الإطار يذكر لنا الضابط الفرنسي (و. استرهازي) شهادته على ذلك إذْ أقرّ بوجود إنقسامات داخل المجتمع الجزائري نتيجة الصراعات البينيّة، والتي نوه باستغلالها من قبل العثمانيين[4].

---

1) نفسه، ص. 352.

2) نقلا عن حمدان بن عثمان خوجة، السجل الثاني،(1207-1212هـ/ 1793-1798م)، المحكمة المالكية، قسنطينة.

3) غطاس، مرجع سابق ، ص.350. وانظر أيضا، نمير، مرجع سابق، ص. 274.

4) شويتام، ***طبيعة الحكم العثماني في الجزائر(1519- 1830م)***،(مقال).

وعلى هذ الأساس، تباينت ولاءات العائلات الدّينية والسيّاسية، وأحيانا تنافست على الزعامة، ممّا سهّل على العثمانيين استبعاد البعض وتقريب البعض الآخر، إلى درجة التحالف. وأوضح مثال وأنموذج على ذلك، عائلة عبد المؤمن التي أبعدها العثمانيون بعد ما كانت تتمتع بمكانة مرموقة في المجتمع القسنطيني، وعائلة الفكون من نفس المجتمع[1]؛ التي قرّبوها وتحالفوا معها، وأصبح لها دور كبير دينيّا وسيّاسيّا، بل وباتت هي صاحبة الكلمة الفصل. بها، ولا يستجار إلا بها[2].

وبهذا راحت السلطة العثمانية منتهجة نفس المنهج، مع القبائل والعشائر الأخرى، وهذا من أجل تصفية المعارضين أو من يواجهها، وبالتالي تمنع أي اتحاد أو تحالف ضدها[3]. ويبدو أن سياسة الصفوف هذه التي اتبعها العثمانيون في علاقتهم بالأهالي لم تكن مقتصرة على إيالة الجزائر وحدها، وإنما كانت مطبقة على غيرها من الإيالات الأخرى، وهذا ما وقفنا عليه خلال الثورة التي قادها يحيى بن يحيسنة 986هـ/1587م على السلطة العثمانية بإيالة طرابلس الغرب[4].

---

1) نتيجة لتقرب عائلة الفكون من السلطة العثمانية، فقد أعفيت من الضرائب، وتولت إمارت الحج، وشرف حمل الصرة إلى الحرمين الشريفين، ناهيك عن الثروة والجاه اللذان تمتعتا بهما.

2) سعد الله، على خطى المسلمين ... ، 196 ، 197.

3) محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792- 1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984م، ص. 23.

4) هو يحي بن يحي السويدي، نزل بمدينة تاجوراء الليبية قادما من موطن مولده المغرب الأقصى، وادعى أنه المهدي المنتظر، القادم لتحرير طرابلس لبغرب من احتلال انكشاريي الأتراك وظلمهم، واستغل سخط البعض من مذبحة الإنكشاريين للحجاج سنة 1587م وكون تكتل من القبائل المناوئة للسلطة العثمانية. (انظر، ن.إ. بروشين، مرجع لاحق، ص. 52).

وبالإضافة إلى الإجراءات العسكرية المتخذة من قبل السلطان العثماني نفسه مراد الثالث قام هذا الأخير باستعمال أسلوب التناقض بين المقربين من زعيم حركة المتمرد يحي بن يحي، ثم بين صفوف القبائل المنضوية تحت لوائه، وطلب منهم الانقضاض من حوله والتعاون مع نائبه بالإيالة الباشا مصطفى، وواصفا قائد التمرد بالدجال. وبالفعل قد نجح في إفشال التمرد وبالتالي حصار مدينة طرابلس الغرب بتفرق صفوف الثوار قبل وصول التعزيزات العسكرية من استانبول[1].

وتصديقا لما سبق ذكره عن سياسة السلطة العثمانية في الجزائر فقد جاء في مذكرات أحمد باي(1826- 1837م) [2] قوله وهو يصف نقط ضعفهم وآلية التحكم فيهم: « إنّ الحرب هي عادة الأعراب، وإنّ الذين يريدون حكمهم يتحتم عليه إبقاؤها بينهم، والتحريض على المنافسة بين القبائل المختلفة الأصول والأجناس. أمّا أوضاع السلم، فإنّها تقارب بين العرب وتوحدهم حول غرض واحد. وهذه حالة لا ينبغي أن يطمئن إليها من كان يريد السيطرة عليهم، إذْ قد تأتي ظروف يتحد فيها هؤلاء الرجال كالإخوة ويجدون أنفسهم منظمين للقيام بالثورة. وعلى العكس فإذا وجدت الحرب أو العداوات بينهم، فإنّ من يريد حكمهم يكون دائما متأكدا من إيجاد الأ نصار » [3].

---

1) نيكولاي إيليتش بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط$_2$، 2001م، ص. 54.

2) هو الحاج أحمد باشا بن أحمد الشريف، من أب تركي وأم جزائرية تدعى شريفة، من أسرة بن قانة البسكرية، تولى البايلك خلال شهر أوت (1826م) خلفا للباي مانماني الذي ترك البايلك في حالة فوضى، فاختاره الداي حسين لصرامته وحزمه، وقد مدحه هذا الأخير أمام قائد الحملة الفرنسية دو بورمون. انظر، –Vayssrttes,Histoire des derniers bey de Canstantine Depuis 1793 jusqu'à la chute de HADJ– AHMED, (A. L. E), Alger, 2005, p. 183.

3) مذكرات أحمد باي، مصدر سابق.

ويبدو أن الحاج أحمد باي يتكلم بمنطق العارف والمطّلع على نقسيّة السكان ومزاجهم وفلسفتهم في حياتهمى العسكرية، كما يدرك نقاط ضعفهم ومواطن قوّتهم. إنّ هذا الإدراك، ليس بالغريب عن رجل مثله. فهو من عائلة محنكّة بالسيّاسة من جهة جدّه لأبيه (أحمد القلّي)، وأخواله من العرب (عائلة بن ڤانة) وهي عائلة ذات مكانة وشأن كبيرين، وذات نسب عريق على غرار العائلات البارزة بالشرق الجزائري، مثل: عائللا المقراني وعائلة بوعكاز العربية، وعائلة أحرار الحنانشة [1].

د) استغلال الأسواق:

تعد الأسواق من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[2]. وذلك نظرا للأعمال التي تتم بها، وعلى هذا الأساس كان المجتمع الجزائري يعتمد عليها كثيرا، فلا تخلو مدينة أو قرية إلا وبها سوق؛ إلا أن هذه الأسواق تختلف فيما بينها ومتنوعة؛ بحسب أيام انعقادها وحجم تبادلاتها، ونوع المعروضات فيها.

- أنواع الأسواق:

تنتشر الأسواق عبر مختلف مناطق البلاد، سواء بالأرياف أو بالمدن. ففي المدن تتمثل في كونها ثابتة مستقرة ومنظمة، إلا أنها موزعة على جهات المدينة بطريقة معينة، حيث يراعى في ذلك معيار الأفضلية بين الحرف ومنها أسواق مدينة الجزائر التي شاد بها بعض الرحالة كالتمغروطي وحسن الوزان، الذي قال عنها خلال زيارته مدينة الجزائر عام 922هـ/ 1516م: « الجزائر وهي كبيرة جدا و...، وتتألف من... وأسواق جيدة التنسيق لكل منها

---

1) للمزيد ينظر إلى الملحق الخاص بعائلة الحنانشة.

2) Oulhadj Nait Djoudi, AT ABBAS et KOUKOU, éd. El-amel, Tizi- ouzou, 2018, p. 358.

مكانها الخاص» [1]. ومتخصصة كذلك فيما بينها، بحيث كل حرفة وكل سلعة لها سوقها ففي الجزائر على سبيل المثال لدينا سوق الخياطين، وسوق الدباغين، وسوق الصباغين، غير أن هذا التخصص لم يكن محترما بصفة مطلقة ،... [2].

أما في الأرياف فإن الأسواق تنتشر وتتنوع بين الأسواق المحلية، والأسواق الخاصة

بقبيلة بعينها، والأسواق المشتركة بين أكثر من قلبيلة، وهناك أسواقا جهوية تستقبل مختلف قبائل المنطقة، وهناك أسواق جهوية أفضل وأحسن من هذه الأخيرة. وأما من حيث مواقيت نسشاطاتها فهي تختلف عن بعضها البعض فمنها الأسواق التي تنشط يوميا ، ومنها الأسواق التي تنشط أسبوعيا، أما من حيث أسمائها فهي عادة ما تحمل أسماء الأيام التي تعقد فيها كسوق الأحد، وسوق الإثنين، وسوق الجمعة، وهكذا ...[3]، أو أحيانا يضاف للسوق اسم إحدى القبائل؛ كبعض الأسواق بمنطقة زواوة، مثل سوق الحد آث بو شايب، وسوق جمعة الصهاريج، وسوق السبت الخوجة،...[4] .

- أدوارهـــــا.

تتقوم الأسواق أدوارا متعدّدة وهامّة في نفس الوقت، سواء اجتماعيّا أو اقتصاديّا، أو حتّى سيّاسيّا. أمّا دورها الاجتماعي فيتمثل في اللقاءات بين القبائل والعشائر، والاجتماعات بين زعمائها، ناهيك عن التعارف الذي يحدث بين الوافدين من تلك القبائل القادمة من المناطق

---

1) غطاس، امرجع سابق، ص.207.

2) غطاس، مرجع سابق، ص. 204، 205.

3) Oulhadj Nait Djoudi, At Abbes et Koukou, éd. El Amel, (s.d), 2018 , p. 362-370.

4) Oulhadj, op, cit. , p. 359.

البعيدة، وفيها تتم حتى المصاهرات، وإبرام العقود، وإصدار الأحكام ،... أما دورها الاقتصادي فيكمن في عرض السلع، وتصريف المنتجات بيعا أو مقايضة، واقتناء الحاجيات الأسبوعية للإستهلاك أو المواد الأولية للأعمال الانتاجية. أما عن الدور السياسي فيتمثل في كونها أماكن تتم فيها عمليات عقد الأحلاف وإبرام العقود المختلفة وإجراء المصالحات،... وتقديرا لأهميته في حياة السكان وتأثيراته المختلفة كمكان لتجمع الثروات وتبادلها، والتقاء القوى المحليّة من أعيان وشيوخ،... قامت السلطات العثمانية بالجزائر بتحديد أماكن إقامة تلك الأسواق الموسمية والأسبوعية بالقرب من القبائل المستقلة، حتّى تسهل مراقبتها، عن طريق تنصيب مشرفين عليها من الأتراك، وهم بمثابة عيون وأذرع الدولة بها، وهذا من أجل الاطلاع على ما يجري بها وبالتالي التحكم في حركة السكان. بالإضافة إلى فرض الضرائب على البضائع المجلوبة إلى تلك الأسواق؛ والتي قدرتها بعض المراجع بـ 10%. ومن أنواع هذه الأسواق نذكر: الأسواق القروية، والأسواق المنسوبى إلى قبائل محددة، والقبائل الكنفدرالية، والأسواق الجهوية،.. وهي كلها أسواق أساسية داخلية [1]. وهكذا استطاعت السلطات العثمانية بهذه الإجراءات أن تجعل من الأسواق نقاط مراقبة السكان من جهة، والتحكم في حركاتهم من جهة أخرى، وجعلهم تحت عيونها، ومن جهة أخرى تغذّي الخزينة العمومية بموارد مالية، عن طريق المكوس التي يستخلصها قائد السوق [2]. ومن الأمثلة عن تلك المكوس نذكر بعض المبالغ التي كانت تؤدّى عن بعض السلع: فقنطار الكتان كان مكسه 25 درهما، وحمل التمر مكسه 50 درهما، وحمل الزيتون كذلك 50 درهما. وأمّا قنطار الأرز فمكسه 20 درهما[3].

---

1) Oulhadj, Op. Cit . p . 359.

2) نمير، مرجع سابق، ص. 272،273.

3) سعيدوني، النظام المالي للجزائر....، ، 109، 110.

هـ) التوازن الضريبي.

يعد التوازن الضريبي من الآليات التي استعملتها السلطة العثمانية في الحكم، وهو النظرة المتوازنة في فرض الضرائب على الأهالي، ففي هذا الميدان تقوم السلطة بمراعات واقع المناطق الجغرافية والتمييز بين المناطق الحضرية والريفية، وكذلك مراعاة أفكار الأهالي أي الثقافة السائدة في الوسط الاجتماعي، وخاصة الفلاحين وقدراتهم والتضاريس[1].

ووفقا لذلك، هناك دراسات تناولت موضوع الضرائب، وكيفية اختلافها، من حيث مقاديرها وأنواعها؛ وذلك حسب الظروف وبالتالي؛ يكون مبدأ فرض الضريبة مبنيا على الواقع. فيقول أحد الباحثين في هذا الصّدد: « ... فإنّه من الطّبيعي أن تكون الضّرائب متنوّعة هي الأخرى. فهناك الرسوم، والضّيفة، واللزمة، والمعونة، والعشر، والكل يفرض بناء على الواقع، والظروف [2].

ففي سنة 971هـ/ 1563م فرضت ضريبة على منطقة مستغانم كان مقدارها ثمانمائة زياني من الذهب، زمن القمح ثلاثمائة كيلة، ومثلها من الشعير، وثمانين قلة من السمن، وسبعين بغلا، وثلاف أحصنة. وفي ضواحي مليانة تم ضبط الضّريبة بـخمسة كيلات من الشّعير، وثلاثة من القمح. وكذلك الحال بالنسبة لسكان المناطق الصّحراوية، فيذكر أنّها كانت

---

1) **من أنواع الضرائب:** الإعتياديّة، المستحدثة، الخطيّة أو الديّة، المعونة (الكبش)، الضرائب الظرفيّة (تقدم في المناسبات وهي من قبيلة لأخرى)، كراء أراضي البايلك، رسوم الأسواق وحقوق التّولية، حق العسّة، وحق الزمام، وحق البرنوس إلخ.انظر سعيدوني، ورقات جزائريّةدراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دارر البصائر، الجزائر، 2012م ، ص.239، 240، 241.

2) شويتام، المحتمع الجزائري ......، مرجع سابق، ص. 216.

تفرض على الرحل منهم ضريبة العسّة، خلال تنقلهم إلى التل. وتقدّر بواحد ريال بوجو لكل حمل بعير [1].

وبذلك تظهر النظرة الواقعية المتعلقة بواقع البلاد، فمثلا كون العمل في المجال الفلاحي واستغلال الأراضي له صبغة الملكية الخاصة من قبل المستغلين للأراضي. أما الواقعية المتعلقة بأفكار الأهالي وثقافاتهم فتتمثل في محاولات الحكام في كسب ود المرابطين والأشراف، وذلك لمكانتهم بين الأهالي، وبالتالي استغلال نفوذهم الروحي لدى السكان، ونحن نعلم العلاقة بين الأهالي وشيوخ الزوايا وفئة الأشراف جد متينة، ولذلك تسهل عملية استخلاص الضرائب، مع العمل على كسب شيوخ القبائل والعشائر باستمرار من قبل رجال الدولة [2]. وبناء على ما تقم ذكره حول الضرائب وأنواعها وكيفيات أدائها فإنّنا نقف على تفهم السلكة العثمانية لظروف السكان الاقتصادية .

و) سيّاسة الترضيات .

وتتمثل في امتصاص غضب بعض الناقمين، عن طريق تقديم لهم بعض التسهيلات وبعض الامتيازات والترضيات المختلفة. ومنها بلإضافة إلى تخفيض الضرائب أو الإعفاء منها، تقوم السلطة العثمانية بتوظيف بعض الأهالي ضمن طواقم القرصنة أو في صفوف الجيش كمساعدين عسكريين. وبهذا الإجراء تكون السلطات العثمانية قد خففت من الإحتقان والغضب وكسبت أصواتا كانت ضدّها[3].

---

1) شويتام، المحتمع الجزائري ..... ، ص.217.

2) سعيدوني، النظام المالي....،، ص. 118.

3) سبينسر، مرجع سابق ، ص. 86.

كما تقوم بإغرا القبائل الممتنعة أو المناوئة، بتسهيل استفادتهم من الحيوانات المصادرة كالأغنام، والأبقار وغيرهما؛ ويتم ذلك عن طريق بيعها لقبائل المخزن بأثمان بخسة. وإن الهدف المبتغى من وراء ذلك هو ترغيب القبائل الممتنعة وجذبها إلة التقرب من السلطة والتحول إلى قبائل مخزنية إن رغبت في الإستفادة، وفي نفس الوقت تحبيب القبائل المخزنية السّابقة للبقاء على ما هي عليه. وما يدل على ذلك، على سبيل المثال، ما قام به باي قسنطينة المدعو إبراهيم باي، بعد الحملة التي قام بها سنة 1822م على قبائل النمامشة، وصادر على إثرها، حسب ما ذكر فايسات، 40،000 رأس من البقر!(1) وقام ببيعها إلى قبائل المخزن بمبلغ زهيد. وفي حملة أخرى على قبائل لعمامرة وبني أوجانة، تمت مصادرة كيفيات أعدادا أخرى، ولكنها أقل من الحملة الأولى(2). كما تقوم السلطة العثمانيّة أيضا بإسناد بعض الوظائف المدنيّة، لبعض الأشخاص الفاعلين ومنهم، على سبيل المثال، أحمد بن هطّال التلمساني(3)، كاتبا ومستشارا وقاضيّا، لدى بايلك الغرب، في عهدي الباي محمد الكبير، والباي مصطفى العجمي.

---

1) **إن كنا لا نشك** قي زهد السلطة العثمانية في بيع الأبقار بثمن بخس، فإننا نشك في عدد رؤوس الأبقار التي صادرها الباي من قبائل النمامشة، وبالتالي، قد يكون العدد 400 أو 4000 على الأكثر.

2) E. Vayssettes,« ***Histoire des derniers Beys de Constantine***, op, cit, p. 115 .

3) **أحمد بن هطّال**، هو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن هطال التلمساني، (؟ / ت 1219هـ/ 1804م) تولى مهمة الكتابة لدى بايلك الغرب محمد بن الكبير، ورافقه في حملته على عين ماضي والأغواط وجبل العمور. وكذلك عمل كاتبا لدى عثمان باي، ثم عند الباي مصطفى بن عبد الله العجمي، ورافق هذا الأخير أيضا في معركته على الشريف الدرقاوي، وفي معلاكة فرطاسة توفي بيم واد مينا وواد العبد، في ربيع الأول 1804م.. وبهذا يكون قد جايل تلاث بايات، وعايشهم عن قرب. ومن آثاره (رحلة بن هطال) التي تعد مصدرا مهما للعهد العثماني انظر: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، الجزائر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1999، ص. 448.

وتوظيف أحمد باي سنة 1246هـ/ 1830م، ببايلك قسنطينة جماعة من رجال مدينة قسنطينة قي إدارة عاصمته [1].

ز) **سياسة الإحتواء.**

تمكنت السلطة العثمانية، من السيطرة بنسبة كبيرة على السكان؛ بتطبيق سياسة الولاء لاحتوائهم عن طريق الأعيان. حيث قامت بتقريب أعيان القبائل، والأعراش، والأسر المتنفّذة منها، وجعلها موالية لها، وحليفة لها، عند الشدائد والأزمات، مقابل بعض الامتيازات[2].

ففي بايلك الشرق، وهو أكبر البايلكات وأكثرها تأثيرا، تم تطبيق هذه السياسة على عائلات كثيرة بارزة. ومن تلك العائلات البارزة عائلة الفكون الأثيلة، في عاصمة بايلك الشرق الجزائري، والتي حظيت برضا السلطات العثمانية عليها، وقد ترجم ذاك الرضا إلى امتيازات منحت لها وهي امتيازات أقل ما يقال عنها أنّها تحسد عليها، والتي من أهمها وأبرزها منصب شيخ الإسلام؛ الذي كان في حوزة أسرة عبد المؤمن بقيادة سيدي عبد المؤمن. كما استأثرت بقيّادة ركب الحج. بعدما توفي الشيخ عبد المؤمن قامت السلطة العثمانية بنزع لقب المشيخة منها وإسنادها إلى أسرة الفكون، بالإضافة إمتيازات أخرى ذكرناها قبل هذا[3]. وحول تولية عائلة الفكون قيادة ركب الحج والمكانة التي التي أصبحت عليها خلال العهد العثماني في

---

1) سهر ماهود محمد، الموظفون العثمانيون في ايالة الجزائر (دراسة في أوضاعهم الإجتماعية والاقتصادبّة، كليّة التربيّة للبنات، جامعة بغداد، مجلّة التّراث العلمي العربي، العدد 2، السّنة 2015/، ص. 399.

2) **من الأسر** النّافذة في الجزائر خلال العهد العثماني، نذكر: أسرة بو عكاز الذواودة، أسرة بني جلاب ، وأسرة المقراني، وأسر أحرار النمامشة، وأسرة بن قانة ببسكرة، ...انظر، جميلة معاشي الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق... ص. 234.

3) انظر الفصل الخامس، (سياسة شق الصفوف)

الجزائر قال أحد المؤرّخين واصفا الشّيخ الفكّون بعدما تولّى قيّادة ركب الحج: « صار يمشي بالركب كما كان الشيخ سيدي عبد المؤمن وجعلوا له حرمة عظيمة فلا يتعدّى عليه أحد على حرمته » [1] .

وبهذا الإجراء، قرّبت السلطة العثمانية إليها أسرة قسنطينية عريقة، ذات ثقل ومكانة كبيرين، على الأقل بالمجتمع القسنطيني، إن لم تكن على مستوى الشرق الجزائري كلّه. كما كان لهذا الإجراء مردوده الإيجابي على السلطة العثمانية فيما بعد. فعندما تناوئها جهة من الجهات يكون موقف هذه الأسرة الدّاعم لموقف السلطة، وهذا ما سيقع لاحقا، ونتعرف عليه فيما بعد. إذ أظهرت الأسرة الفكونية وفاءها وولاءها للسلطة العثمانية [2].

أما عن الأثر السلبي الذي قد ينجر عن هذا الإجراء المؤثر، فهو الزيادة في التنافس والصّراع النّاعم بين الأسرتين. كما عملت السلطات العثمانية في الجزائر؛ من أجل التحكم في البلاد والسيطرة على السكان، على الظهور بمظهر ينم عن الحنكة والذّكاء السيّاسيّين، والتّأقلم مع الأوضاع المختلفة التي قد تطرأ من حين لآخر. وقد عبر عن ذلك أحد الرحّالة بقوله : « هناك وسيلة أخرى استعملها وتتمثّل في أنّهم كانوا يظهرون أنفسهم في مظهر حماة الدّين ويمتنعون عن القيّام بكل ما هو منافي للقوانين، ولا يعملون إلاّ بالقوانين ولفائدة القوانين ... وهناك وسيلة أخرى استعملها الأتراك لاكتساب ثقة الأهالي وتتمثّل في تطبيق العدالة والإنصاف اللذين يعتبرون أساسا لحميع الحكومات التي تريد أن تكون عظمتها دائمة »[3]. وكمثال عن

---

1) أحمد بن مبارك العطار، تاريخ قسنطينة، مطبعة البعث، الجزائر، 1856م.

2) معاشي ، مرجع سابق، ص . 237،238.

3) الحسين الورتلاني، نزهة الأنظار في فضائل علم التّاريخ والأخبار (المشهور بالرحلة الورتلانيّة)، مطبعة بيار فونتان، الجزائر، 1980.

ذلك السلوك؛ الذي ظهرت به السلطات العثمانية أمام الرعيّة، أنّه يذكر في عام 1090هـ/ 1679م، اشتكى أحد أعيان مدينة قسنطسنة، إلى الدّاي الحاج محمد باشا من تعسّف وظلم الباي المحلّي (دالي إبراهيم)، فامتثل الدّاي لشكواهم واستقدم المشتكى به (الباي) إليه بمدينة الجزائر، وتم إعدامه [1]. وهنا نلاحظ كيف تصرّع الدّاي محمد باشا ضد الباي مناصرا للشّاكي، فنحن نقدر أنّ العقوبة التيسلّطها الباشا لا تساوي الجرم المرتكب، وخلاقا لقاعدة الجرم بالغرم، وفي تقديرنا أن عقابا مثل هذا سيزيد من التعاطف مع الباشا.

المبحث الثّاني: السيّاسة العسكرية.

أ- الحملات العسكرية.

اعتمدت السلطة العثمانية طريقة تسيير الحملات العسكرية بواسطة المحلات وهي: الوحدات العسكرية المتنقلة، إنطلاقا من مدينة الجزائر(مقر الباشا)، وتتجه نحو البايلكات؛ شرقا وغربا وجنوبا؛ لأجل تحصيل الضرائب، و قمع الحركات المناوئة والتصدّي للمناوئين، أنظر الجدول أدناه. وبالنظر إلى دقة وصرامة عملية التحصيل، فإنّ الدولة العثمانية حدّدت حملتين تجاه القبائل (الرعية) لجمع الضرائب، ولأجل ذلك، تسير حملة عسكرية خريفية، وأخرى ربيعية، وهما موعدان يتناسبان مع نهاية موسمي جني الثمار كالتين والزيتون، وحصاد الحبوب كالقمح والشعير. وتتمثل كل حملة عسكرية، في إرسال قوات حكومية مسلحة، باسم الدولة، إلى البايلكات؛ لتحصيل تلك الضرائب المالية والعينية سلما. وفي نفس الوقت توجه ضد القبائل الممتنعة عن الدفع، لإرغامها على الدفع كرها، وتأديبها إذا تمردت، ومعاقبة المخالفين لقانون

---

1) سهر ماهوم محمد، « ***الموظفون العثمانيّون في ايالة الجزائر (دراسة في أوضاعهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة)*** »، مجلّة التّراث العلمي العربي، كليّة التربيّة للبنات، جامعة بغداد، العدد: الثّاني، السّنة: 2015، ص. 399، 400 .

الدولة [1]. أما إذا امتثلت لقائد الحملة طوعا أوكرها، وطلبت الأمان فإنها تحصل عليه، وتؤمن في حياة أفرادها وفي ممتلكاتها، وهذا ما تؤكده رسالة الداي حسان (حسين) باي إلى بعض قبائل الغرب المتمردة، والمتعلقة بمنح الأمان لها، حيث جاء فيها: « ... بعد السلام فإننا قد أمناكم الأمان التام... فارجعوا إلى بلادكم وعمروا أرضكم، ولا يبق أحد منكم بقبيلة بني مايدة، ولا غيرهم فإنا قد سامحناكم في جميع الأشياء بعد ما أخذنا منكم ما أخذناه ولا تخشوا من أحد. وإن عدتم لفعلكم القبيح فلا ينفعكم منا الفرار لأي موضع شئتم هذا ما منا إليكم والسلام من الداي حسين ... » [2].

ومن خلال هذه الرسالة، الموجهة من الدّاي حسين (1818- 1837م) إلى المتمرّدين ورافعي لواء العصيان وبالوقوف على محتوياتها فإنّنا نستخلص جملة من الحقائق وهي، أن فلسفة السلطة العثمانية في مجال السياسة الداخلية والتعامل مع سكان إيّالة جزائر الغرب غايتها وهدفها هو كسب طاعة الرعيّة للسلطة العثمانيّة، من جهة، ومنح المسامحة وغض الطرف من قبل السلطة على أخطاء البعض من الرعيّة. ومن ناحيّة أخرى أن السلطة لها عيون، وتعلم كل ما تقوم به الرعية من تحركات، وهذا ما أعلمت به المتمردين عن من كان يأويهم، وسقدّم لهم يد المساعدة. وهي بذلك تشير إلى الغير بأنّها تراقب كل شيء. كما أظهرت الرسالة أن السلطة ليست جشعة، ولا تتحين الفرص، وأنّها أحرص ما يكون على مصلحة الرّعيّة والدليل، أنها لم تصادر أراضي المتمردين رغم أخطائهم، بل وحتّى وإن صادرت بعص أموالهم، فإنّ سرعان ما تعيد لهم ممتلكاتهم بعد الخضوع والإعتراف بالسلطة العثمانيّة، مع دعه الضّرائب.

---

1) السامرائي، مرجع سابق، ص. 65.

2) م. م. و. أ. ج ، وثائق عثمانية رقم 24 ، ملف، 3206، المكتبة الوطنيّة، (الحامة)، الجزائر.

• جدول توضيحي للمحلات الربيعية والخريفية [1].

الرقم	إسم المحلة	عدد الخيم	عدد أفرادها
01	محلة بايلك الشرق	80 خيمة	1092 رجل
02	محلة بايلك الغرب	60 خيمة	814 رجل
03	محلة بايلك التيطري	15 خيمة	195 رجل
04	حامية القصر الحكومي وبرج القصبة	/////////////////	96 رجلا
05	الإحتيـــــــــاطيـــــون .	/////////////////	580 رجلا
06	ا لمجمـــــــــــــــــــوع		**2777** رجلا

• **ملاحظة:** يتراوح عدد أفراد الخيمة الواحدة ما بين 13 و14 فردا.

تعليق على الجدول:

من خلال محتويات الجدول، التي تعكس الحجم الصغير لقوات المحلات بالقارنة مع السكّان وقوات القبائل المطالبة بالضرائب أو الممتنعة، فإنّه يعدّ قليل. غير أنّ تلك القوات رغم قلتها إلاّ أنّها مدعومة بالقبائل المخزن والقبائل المتحالفة، وهذا ما يبرّر تحكم الإدارة العثمانيّة في السكان رغم قلّة القوات العسكريّة المتواجدة بالجزائر. وفي صدد الحديث عن هذه الحملات وتوجهها لجباية الأموال من البايلكات يقول إبن سحنون الراشدي:

«.. وضربوا عليهم البعوث تخرج في كل سنة أواسط أبريل إلى عمال الجباية فمنها من يرجع إلى الجزائر بعد أربعة أشهر، ومنها من يرجع بعد سنة وغير ذلك » [2].

---

1) المدني، محمد عثمان باشا... .ص. 158.

2) الراشدي، الثغر الجماني ... ، ص. 460.

وإذا كان إبن سحنون قد تكلم عن الحملات عموما، فإن (أوجين فايسات) قد قدم لنا مثالا عن تلك الحملات؛ التي توجه إلى تحصيل الضرائب فقال: « في شهر سبتمبر 1638م رفض سكان ضواحي قسنطينة دفع ضريبة اللزمة السنوية، ولما عجز باي قسنطينة مراد باي عن جمعها، طلب المدد من باشا الجزائر الباشا يوسف (أبو جمال)، فسير له هذا الأخير حملة عسكرية أكبر من الحملة المعتادة وتتكون من مائتي خيمة بكل واحدة عشرين رجل » (1).

ومن خلال ما أخبرنا به إبن سحنون، فإنّنا نستنتج أنّ الحملات كانت بصفة مستمرّة ومتتالية، وأنّ هذه الحملات لا تعود من مهمّتها إلى مدينة الجزائر إلاّ بعد إتمامها. ناهيك عن الحملات التي توجه إلى الأماكن البعيدة والنائية خاصة الحدودية منها لإبراز الراية الوطنية وإظهارها كعلامة من علاعات السيادة والحظور، وبالتالي درء أي خطر أجنبي (2).

كما أنها (الحملات) ذات أوقات محدّدة للخروج. ومن أمثلة تلك الحملات التي تسيّرها السلطة العثمانية نحو المدن والأريف ودواخل البلاد ونذكر منها على سبيل المثال:

1) حمل باي الغرب محمد الكبير نحو الجنوب الوهراني؛ حيث قاد حملة سنة 1199هـ/ 1785م على كل من عين ماضي والأغواط، وجبل العمور، والتي على إثرها تم فرض الطّاعة على سكان المنطقة، وفرض أداء اللزمة من نقود وخدم وخيل (3).

---

1) Vayssettes Eugène, Hitoire de Constantine sous la domination turque de 1517- 1837, éd. Média- plus, Constantine, 2010, p.72.

2) سبينسر، نفس الرجع، ص. 69.

3) أحمد بن هطّال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب إل الجنوب الصّحراوي الجزائري ، تحقيق، محود بن عبد الكريم، القاهرة، 1969، ص.72.

2) حملة البايلر باي حسن بن خير الدين إلى الغرب الوهراني سنة966هـ/1558م وحاصرت الاحتلال الأسباني بالتعاون مع القبائل المحلية، وابتداء من النصف الثاني من القرن 16م؛ وبفضلها أصبحت قبائل القطاع الوهراني لاتعتمد ولا تراهن على القوات الأسبانية ضد السلطة العثمانية [1]. وكذلك الحملة التي سيرها لتحرير مدينة تلمسان من سيطرة سلطان المغرب الشريف السعدي (1558/1557 م)[2]، وبذلك فرضت السلطة العثمانية وجودها أمام القبائل المحلية وهيبتها أمام الأسبان.

ولم تكتف السلطة العثمانيّة، وتقتصر جهودها على المحلات فقط، بل اعتمدت كذلك على فرق الزواوة المتطوعين من قبائل بلاد زواوة؛ لتدعيم مليشيات اليولداش، وعموما على قبائل المخزن والمستفيدة من بعض الإمتيازات[3]. ومن خلال ما تقدم نلتمس الأهمية الكبيرة لهذه الحملات والتي لا تتمثل فقط في كونها وسيلة ترهيب على القبائل المستعصية والممتنعة عن أداء الضرائب، خاصة في الأرياف؛ إذ تتم عمليات التحصيل بالإكراه، وإنما كذلك تتمثل في كونها

---

1) Malki Nordine, L'Agérie au 16° siecle une convention inconnue et inédite entre les cheikhs de Mascara et les espagnols d'Oron contre les Othomans dans la deuxieme moitié du 16° siecle, Majallat Et-tarikh , centre national d'etudes historiques, Alger, n° 24, p.14.

2) المدني، حرب الثلاثمائة سنة ...، ص.349.

3) E. Vayssettes, Hitoire de Constantine, …..OP, cit, p.37.

أحد وسائل التحكم في الأهالي[1]. وهي بذلك تجسد المثل التركي القائل: « للقضاء على تمرد العرب، لا يكف سلاح الفرسان فقط، بل إن سلاح المدفعية ضروري أيضا » [2].

- مسارات المحلات :

1- مسار محلة التيطري.

تنطلق المحلة المتوجهة نحو بايلك التيطري، من عين الربط (ساحة أول ماي حاليا) بالقرب من مستشفى مصطفى باشا بالعاصمة، وتتجه نحو الأخضرية، عبر واد يسر لتتجه نحو سور الغزلان، ثم بعد ذلك تتجه غربا باتجاه البرواقية غربا، مرورا بمنطقة ديرة، ثم شلالة العذاورة مقر ثم نحو المديّة عاصمة بايلك التيطري. وأثناء مرورها تجمع الضرائب المستوجبة من القبائل، وتقوم بترهيب المتمردين، وهي بذلك (الحاميات) تعتبر كأداة لتحصيل الضرائب، وترهيب المتردّدين وتأديب الممتنعين بالإضافة إلى كونها، وسيلة كسب لعناصرها، كالغنائم والمصادرات وتحصيل النسبة المعلومة من الضرائب المستخلصة. غير أنّ الشيئ الملفت للإنتباه في المسار الذي ذكره ناصر الدين سعيدوني هو كونه يقتصر إلاّ على منطقة جنوب الأطلس البليدي، ولا يتوغل جنوبا نحو منطقة لأولاد نايل، والإكتفاء فقط بإرسال بعض الفرسان[3]. وهذا، في نظرنا، قد يكون هذا هو ما جعل قبيلة أولاد نايل تتمرّد على السلطة. أو

---

1) سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، ص. 122،123،124.

2) ألكسي دي طوكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر. ابراهيم صحراوي، (د.م.ج.) الجزائر، 2008م، ص. 43.

3) سعيدوني، النظام المالي للجزائر... ، ص. 122.

ربما لعدم استقرار سكان جنوب بايلك التيطري، ووجودهم في أغلب الأوقات في حِلّ وترحال. كما سنرى لاحقا في الفصل الخامس.

2- مسار محلة بايلك الشرق.

أما محلة الشرق، فهي الأخرى تنطلق من عين الربط، بمدينة الجزائر، باتجاه عاصمة بايلك الشرق (قسنطينة) وأما مسارها وأثناء مسارها، وبعد ما تخرج من منطقة دار السلطان، تمر ببرج حمزة، ثم ببني منصور، ثم بمجانة، ثم بسطيف، لتحط الرحال بقسنطينة. ومن قسنطينة، يتفرع طريقان فرعيان: أحدهما نحو بسكرة جنوبا. والثاني نحو مدينة تبسة شرقا[1].

ومع إجابات خرجات المحلّة، هناك سلبيات مترتبة عن خرجاتها ومنها: الكساد الذي يصيب الاقتصاد بالمنطقة؛ بسبب تقلّص حركة وتنقل رؤوس الأموال، أوما الخسائر في ممتلكات للسكّان من جراء العقاب، كقطع 200 نخلة بتقرت، خلال حملة باي قسنطينة أحمد المملوك. وحجز 120 من أعيان قبيلة الأربعاء، والإستيلاء على 10700 جمل لهم، سنة 1825م.

كما غنمت محلّة باي معسكر محمد الكبير، 67000 رأس من الأغنام والماعز، و 5000 جمل، 633 بغل، و720 بقرة وثور، وأسر حوالي 60 شخص، أثناء حملته[2].

---

1) معاشي، الأسر المحلية... ، خريطة، ص. 104.

2) سعيدوني، النّظام المالي....، ص. 124،125.

ب) الحاميات العسكريّة:

هي مجموعات (وحدات) عسكرية يطلق عليها النوبات (جمع نوبة)، يهدف وجودها أول ما يهدف إلى حماية البلاد، والتصدّي لما يهدّدها من الأخطار الخارجية بالدّرجة الأولى. كما يهدف إلى التصدّي لأي حركة مناوئة للسلطة داخليّا، خاصّة منها تلك التي تكون قريبة من مكان تواجدها. وأمّا عن قوتها ومكوناتها، فإنّ كل حامية تتكون من مجموعة واحدة من العساكر، تسمّى سفرة، أو من عدّة مجموعات (السفرات)، أي: ما بين سفرة واحدة وعشرة السفرات[1].

أما عن تواجدها فهي متمركزة، ومرابطة في أماكن معينة، وغالبا ما تكون بالمدن الهامة، ويشرف عليها آغا الدائرة، أو ما يعرف باسم باش آغا [2].

ومن المدن التي كانت بها حاميات عسكرية عثمانية نذكر: مدينة الجزائر بها (12 دارا للإنكشارية أي: ثكنة)، وقسنطينة (5 سفرات)، وعنابة (5 سفرات)، وبسكرة (4 سفرات)، وبجاية (3 سفرات)، وجيجل (2 سفرتان)، والمدية، وبرج زمورة (2 سفرتان)، وبرج حمزة (1 سفرة واحدة)، ومليانة، وقلعة بني راشد، والقليعة، ومازونة، ومستغانم (5 سفرات)، وتلمسان (5 سفرات)، ووهران (5 سفرات) بعد تحريرها، بالإضافة إلى تامنفوست، وكهف الزجالة، ومرسى الذبّان، وقشتولة، وتبسة، وكل مدينة لها عدد معين من الجنود. ومن مجموع هذه الحاميات

---

1) أرزقي شويتام، دراسات ووثايق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص.30.

2) فلة موساوي– القشّاعي، النظام الظريبي بالريف القسنطيني 1771– 1837م، القافلة للنشر، الجزائر،2015م، ص.86. وانظر كذلك، شويتام، دراسات ووثائق...مرجع سابق، ص. 31.

يتكون الحيش العثماني الجزائري[1]. وفي هذا الصدد، يقول ابن المفتي عن بداية تكوين هذا الجيش، وعن بداية وجوده سنة 925هـ/1519م. في الإيالة الجزائر « وأعلم السلطان.. بهذه الوقائع سنة 925هـ، فبعث للجزائر إسحاق باشا مع بعض الجنود، ثم لحق آخرون وآخرون إلى أن صارت نوبة الجزائر بأهمية بالغة،...» [2]. وبناء على ما تقدم يمكننا القول أنّ أول حامية هي الحامية التي بعث بها السلطان سليم الأول إلى خير الدّين بالجزائر والمقدّرة تعدادها بـ(2000) عسكري؛ تعد النّواة الأولى للجيش العثماني بالجزائر. أما عن انتشار هذه الحاميات وتوزيعها على ربوع القطر يضيف إبن المفتي:« عينوا لكل ثغر في بلادهم عددا مخصوصا من الجند يخرج إليه كل سنة فيمكث به سنة ثم يرجع بعد إتيان غيره، وتعوّضها حملة أخرها تستخلفها، وهكذا، فركدت رياح الفتن وشلت أيدي العداة، ونسخت أسماء الأمم البربرية في جميع المغرب الأوسط، فلا هوارة ولا مغراوة، وصار الجميع مشتركا في إسم القبائل » [3].

وعلى غرار ذلك بدأت السلطة العثمانية في الجزائر نشر وحدات من الجيش (حاميات) لتكون قريبة من السكان، وفي المناطق الجبلية والصحراوية؛ لكي تستطيع التحكم عن قرب[4]. ولهذا الغرض وجهت السلطة العثمانية العديد من الحملات إلى مدينة قسنطينة لكن دون الإستقرار بها. ويرجح أن أولى الحاميات العسكرية التي وصلت إلى قسنطينة بالشرق الجزائري، وتمركزت بها على مكان يدعى سطح المنصورة، كان سنة 1050هـ/ 1640م[5].

---

1) شويتام، دراسات ووثائق...، ص.31.

2) إبن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوت الجزائر وعلمائها، بيت الحكملة، العلمة، 2008م، ص. 80.

3) الراشدي، الثغر الجماني...، ص. 460.

4) عقيل لطف الله نمير، تاريخ الجزائر الحديث، منشورات جامعة دمشق، 2014/2013م، ص. 272.

5) معاشي، مرجع سابق، ص. 113.

كما وجهت السلطة العثمانية أنظارها إلى أبعد من ذلك، فثبتت حاميات أخرى في أماكن ومدن متفرقة عبر مختلف البايلكات. ففي بايلك الشرق، لدينا الحاميات التالية: حامية بجاية وتتكون من ثلاث سفرات بمجموع أربعة وأربعين (44) رجل، وحامية بسكرة تتكون من أربعة سفرات(4)، وبها إثنين وسبعين (72) رجل، وحامية عنابة وبها خمس سفرات(5) بمجموع واحد وسبعين (71) رجل، وبرج حمزة (البويرة)، وبها سفرة واحدة(1)، بخمسة عشرة (15) رجل، وحامية جيجل المتكونة من سفرتين(2) بهما تسعة وعشرين (29) رجلا، وحامية تبسة بها سفرتان(2) بهما تسعة وعشرين (29) رجل. وبهذا يكون مجموع الحاميات المنصبة بأهم مدن بايلك الشرق ستة حاميات تضم (333) عسكري، ومهمة هذه النوبات هي حراسة تلك المدن أو المواقع التي تقبع فيها، ولا تستبدل بغيرها إلا في بداية كل ربيع من كل سنة [1].

أمّا في منطقة زواوة فبرج منايل به صفرتان(2)، وتيزي وزو بها صفرتان(2)، ودلس بها صفرتان(2)، وهذه الأبراج تابعة لقيادة التيطري، ولم تستقل عنها إلا سنة 1184هـ/ 1770م[2]. كما تم تنصيب حاميات أخرى في كل من عاصمة التيطري (المدية)، وعاصمة بايلك الغرب (وهران) بعد تحريرها، وبمدينة تلمسان وغيرها من المدن الأخرى. وبتلك المحلاّت، كانت تنطلق الحملات العسكريّة التأديبية، على المناطق العاصية والمضطربة، ومنها الحملة التي سيرتها السلطة العثمانية، سنة 1231هـ/1815م، نحو عاصمة سلطنة بني جلاّب بتوقرت بتحريض من فرحات بن سعيد ضد حكم بني جلاب، انطلاقا من المحلة المرابطة

---

1) E. Vayssettes, Histoire de Constantine …OP. , CIT. p .36.

2) أحمد ساحي، الزواوة من القرن 16 إلى 18م عهد إمارة كوكو 1512- 1767م، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، 2015م، ص. 66. لكن عند أرزقي شويتام الإستقلال عن التيطري كان سنة 1775م

بعاصمة بايلك الشرق (قسنطينة)[1]، والتي تتكون من الأتراك واليولداش[2]. وبالتالي لم تترك السلطة العثمانية أي فراغ أمني بما توفر لديها من عساكر مجنّدين.

• **جدول توزيع النوبات (الحاميّات) بالجزائر** [3].

الرقم	اسم النوبة	عدد السفرات	عدد العساكر
	مدينة الجزائر	12 ثكنة	؟
01	حامية قسنطينة	05 سفرات	/
02	حامية بسكرة	04 سفرات	72 عسكري
03	حاميّة عنّابة	05 سفرات	71 عسكري
04	حامية بجاية	03 سفرات	44 عسكري
05	حامية جيجل	02 سفرتان	29 عسكري
06	حامية تبسّة	02 سفرتان	29 عسكري
08	حامية وهران	10 سفرات	156 عسكري
09	حامية مستغانم	05 سفرات	78 عسكري
10	حامية تلمسان	05 سفرات	76 عسكري
11	حامية معسكر	03 سفرات	42 عسكري

---

1) سعيدوني، ورقات جزائرية ... ، 528.

2) مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مصدر يابق ص.17 .

3) E. Vayssettes, Histoire des derniers Beys de Constantine, Alger Livres Editions, Alger, 2005, p. 30.

-) وانظر كذلك ، المدني، محمد عثمان باشا...، ص. 158.

12	حامية برج منايل	02 سفرتان	/
13	حامية تيزي وزو	02 سفرتان	/
14	حامية دلس	02 سفرتان	/

ج) الأبراج والحصون

تعد الأبراج [1] والحصون من والوسائل العسكريّة التي اهتمت بها السلطات العثمانية في الجزائر عبر مراحل تواجدها، وذلك من أجل المراقبة الدقيقة لتحركات السكان، وتأمين طريق البايلك [2]. وعلى العموم في أحد مظاهر الدولة وأذرعها.

إنّ التحكم في الرعية وتأمين توصيل الدّنوش إلى الباشا بدار السلطان، وهذا لا يتم إلا بتنصيب بعض تلك الأبراج أو استغلال البعض الآخر الموروث، خاصة عن الأسبان لما كانوا محتلين لمدينة وهران. فبالناحية الغربية لقد تم وضع عدة أبراج وحصون بالناحية الغربية عبر عدة فترات متباينة، وحسب الحاجة إليها والمستجدات الأمنية. وبناء على ذلك فقد قامت السلطات العثمانية بتشييد أبراج بالمواضع الرخوة أمنيا، وعلى سبيل المثال عبر طريق البايلك الغربي؛ لكونه مسار سير المحلات العسكرية؛ التي تنطلق من مدينة الجزائر العاصمة باتجاة بايلك الغرب، لجمع الدنوش. وكذلك لحماية المحلات؛ المتوجهة لقمع الحركات المناوئة. كما نجد مجموحة من الأبراج قد أنشئت حول عاصمة بايلك الغرب وهران بالذات، وذلك لكونها

---

1) الأبراج جمع برج وهو في نفس الوقت يعد حصنا، وغالبا ما يكون منيعا، أنشد أحد الشعراء وقال:

« **وما نجا من أكثر العلوج إلا الذي قد بات في البروج** ». انظر ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني...، ص.207، 211.

2) طريق البايلك هي التي تسلكها الحاميات العسكرية، انطلاقا من دار السلكان باتجاه عواصم البايلكات لما يحين التدنيش .

مدينة مستهدفة دوما، من قبل القوى الخارجية، لاسيما القوات الأسبانية. ومن هذه الأبراج والقلاع نذكر:

- برج الجبل أو برج مرجاجو (975هـ/ 1567م)، وموقعه شمال شرق مدينة وهران، وكذلك برج حسين بن زهرة (998هـ/ 1589م)، بال إضافة إلى قلعة القصة بالجهة الغربية من المدينة [1]. أما من الناحية الشرقية للمدينة فهناك البرج الفرنسي (1153هـ /1740م) بخنق النطاح المكان الذي اشتهرت به إحدى معارك الأمير عبد القادر الجزائري، بالإضافة إلى برج الأمحال. أما بجنوبها فنجد برج الصنائحية أو ما يعرف بالبرج الجديد (1094هـ/1683م)، والواقع على طريق البايلك الرابط بين مدينة وهران ومدينة تلمسان، وجنوبه نجد برج العيون أو برج بني زروال (915هـ/1509م) [2]. ولكن ما يجب التنويه به، هو أن بعض هذه الأبراج تم إنشاؤها من قبل الأسبان، ولكنها استغلتها القوات العثمانية، ويستشف ذلك من تواريخ إنشائها. هذا فيما يخص الأبراج والحصون الخاصة بالناحية الغربية.

- الناحية الشرقية:

إن كثرة الأبراج التي شيدها العثمانيون بالجزائر خاصة بالمراكز السكانية، وبالطرق التي يسلكها البايلك، أي ما يعرف بالطريق السلطاني، لا يمكن حصرها في هذه الدراسة، في تحتاج إلى دراسة مستقلة، لكن ذلك لا يمنعنا من ذكر بعض منها. فابتداء من شرق مدينة الجزائر، نجد على سبيل المثال لا على الحصر، برج الكيفان الذي لا يزال إلى الآن قائما،

---

1) الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح. سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991م، ص. 81.

2) الراشدي، القــول الأوسط ...، ص. 81.

وبرج سباو وبرج بوغني بضواحي تيزي وزو، وبرج حمزة؛ الذي أصبح اليوم يعرف بمدينة البويرة الحالية، وبرج الترك ببسكرة، إلى غير ذلك من الأبراج.

- أبراج مدينة الجزائر العاصمة :

إذا كان من المتعذّر ذكر كل الأبراج النى شُيِّدت بالمدينة وحولها، والتي جاءت في

كتاب ألبير ديفولكس [1] (Albert Devoulx)، بعنوان تاريخ وعمران قصبة الجزائر، فإنّنا نذكر على الأقل البعض منها: وأول مانذكر، يرج مولاي حسن والذي يسمّى أيضا برج أبو ليلة، وقد سميّ كذلك؛ لكونه بني في ليلة واحدة، ويسمّى أيضا برج الطّاووس، وباللغة العثمانية يسمّى « سلطان قلعسي». وقد تم تشييده على أنقاض برج الأمبراطور الذي شُيّده على كدية الصّابون بأعالي القصبة على يد شارلكان أثناء حملته سنة948هـ/ 1541م على الجزائر. ثم أُعيد بناؤه سنة 1067هـ الموافق لـ (1656/ 1657م)، وفي عهد إبراهيم باشا الموافق لـ: (1742/ 1743م)، أعيد بناؤه من جديد 1155هـ/1742م، بعد ما دمرته صاعقة. وغير بعيد عنه يوجد برج النجمة، أو ما يعرف ببرج محمد باشا؛ الذي تم تشييده سنة 976هـ/ 1568م[2]. بالإضافة إلى ذلك برج سيدي عروج (المعروف بالبرج الصّغير)، والأوربيون يسمّونه ب .« تور شيكا»[3].

---

1) ألبير ديفولكس، هو المؤرخ صاحب كتاب بحريّة إيّالة الجزائر، الذي اعتمد فيه على وثائق أرشيفيّة من القنصليّة الفرنسيّة بالجزائر، صاحب السبق في استغلالها. وقد اعتمد على كتابه مولاي بلحميسي في كتابه " تاريخ البحريّ الجزائريّة. انظر، (www.algerie – ancienne. Com);

2) البير دوفولكس تاريخ وعمران قصبة الجزائر، تح. بدر الدين بلقاضي، الجزائر، 2007، ص. 111، 112.

3) المرجع نفسه، ص. 110.

كذلك حصن الجمان الموجود أسفل القصبة والواقع على حافة البحر؛ والذي أنشأه الباشا عمر سنة 1231هـ/1815م. وهناك لوحة تذكارية بالمتحف الوطني توثق له. كما يوجد برج آخر يسمّى برج الحاج علي، والمعروف باسم راس المول؛ وهو آخر التحصينات التي تم انشاؤها بمدينة الجزائر العاصمة [1].

وفي نهاية هذا الفصل نستخلص ان السلطة العثمانية في بلاد المغرب الأوسط رغم حداثتها، ورغم ما واجهتها من صعوبات محلية وخارجية، إلاّ أنّها استطاعت بسياستها أن تلملم شتات الكيانات السياسية بها، وأن توحدها تحت سلطتها المركزية بمدينة الجزائر، وأن تثبّت رقعتها الجغرافية بتحديد حدودها مع الكيانات السياسية المجاورة (المغرب الأقصى، والمملكة الحفصيّة). وفي نفس الوقت تحكمت في السكان وفي تحركاتهم بالرغم من كون سوادهم الأعظم (أكثر من 90 %) بالأرياف، والكثير منهم غير مستقر، ووجود البعض الآخر بمناطق وعرة المسالك كالمناطق الجبليّة، وذلك بعدة استعمال آليات مختلفة من قوى عسكرية كاستخدام الحملات العسكرية، وضع الحاميات والأبراج للترهيب، إلى أساليب سياسة: كالملاينة، والإغراء، والدهاء السياسي[2].

بالإضافة إلى مصاهرات الأسر المتنفذة، وسياسة شق الصفوف إلى سياسة التوازن الضريبي، ورقابة حركة السكان، والمداخيل المالية (تحصيل الصرائب) عن طريق الأسواق. إلى غير ذلك من الأساليب المختلفة.

---

1) المرجع نفسه، ص.96، 97.

[2] يبدو أن سيايسة الملاينة من فلسفة الحكم العثماني، أننا نلتمس هذه السياسة في السلاطين العثمانيين، ومن بينهم السلطان سليم الأول الذي تراجع عن بعد انتصاره في معركة جالديران عام920هـ/ 1514م؛ حيث تنازل أمام غضب وسخط جنوده عن توجهه إلى شمال تركستان. انظر، صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، دار النيل، استانبول، 2011م، ص. 91.

لكن ومع ذلك، فإنها تبقى سيطرة جزئية؛ وذلك بسبب فلسفة العثمانيين خارج الأناضول، أي كيفية التعامل مع إيالات الأطراف، خاصّة مع العرب. وفي هذا الصّدد يقول خليل إينالجيك: « والعثمانيون كانوا ينظرون إلى العرب باعتبارهم قوم الرسول الكريم ويطلقون عليهم القوم النَّجب والسّادة. كما أنّ العثمانيين كانوا يهتمون اهتماما بالغا باللغة العربية » [1].

---

1) خليل إينالجيك، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، مج1، (1300- 1600)، تر.عبد اللطيف الحارس، ذار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2007، ص. 30.

الفصل الثّالث

مرحلة البايلر بايات(1519م- 1587م)

المبحث الأول: مميزات المرحلة وتقسيماتها.

1- تسمية المرحلة.

2- تقسيمات المرحلة.

3- مميّزات المرحلة.

المبحث الثّاني: الحركات المناوئة خلال فترة البايلر بايات (1519- 1587م).

1- حركة ابن سالم التّومي وإبنه يحيى 1516م.

2- حركة ابن أحمد بن القاضي 1519م.

3- تمرد قارة حسن 1528م.

4- حركة إمارة بني عباس 1529م.

5- حركة إمارة قبيلة سويد.

6- حركة بوطريق 1544م.

7- وحركة بني جلاب 1552م. 8- حركة بني عبّاس (1544- 1552م).

سنحاول في هذا الفصل الثّالث الخاص بفترة البايلر بايات [1]، التطرق إلى نقطتين هامتين؛ وذلك من خلال المبحثين التاليين: المبحث الأول وخلاله سنتطرق إلى مرحلة البايلر بايات من حيث تسميتها وتقسيماتها، وما تميزت به. ثم نتعرف في المبحث الثاني على أبرز الحركات المناوئة للسلطة العثمانية خلال هذه المرحلة الممتدة من 926هـ/1519م إلى 996هـ/1587م، محترمين التسلسل الزمني في استعراض تلك الحركات؛ ومن هنا نطرح السّؤال التالي:

ماهي الحركات التي ظهرت خلال مرحلة البايلر بايات؟ وما طبيعتها؟ ومن خلال استعراض تلك الحركات المناوئة، سنحاول الاستقصاء عن أسبابها ودوافع قيامها، ومواقف الأطراف الفاعلة فيها، ثم نحاول الوقوف على النتائج التي تمخضت عنها محترمين الترتيب الكرونولوجي. والجدير بالملاحظة أنّ فترة البايلربايات كثيرة الحركات المناوئة، وعددها ربما يناهز الإثنى عشر حركة؛ غير انّ التعرّض لها جمعا يخل بالتّوازن بين الفصول؛ ولذلك اكتفينا بتناول ثمانيّة منها.

---

1) **البايلر بايات** أو بكلربكي بالكتابة العثمانية أي: بك البكوات؛ هي جمع لكلمة بايلر باي، وهو إسم لمنصب رفيع، ورثه العثمانيون عن السلاجقة. ولقب يعني باي البايات، أي: (الحاكم العام)، ثم تطور إلى (ملك الأمراء)، ثم إلى (أمير الأمراء). وأول من تقلد هذا المنصب في الدولة العثمانية هو: سليمان باشا بن السلطان الثاني أورخان غازي (1324- 1362م) ومالهون خاتون، لكنه لم يخلف أباه في السلطنة، بل خلفه إبنه الثاني مراد الأول (1362- 1389م). وفي الجزائر حمل هذا اللقب كل الذين حكموا المرحلة الممتدّة من: 1519م إلى 1587م؛ حتّى أصبحت هذه الفترة تعرف بمرحلة البايلر بايات وأوّلهم خير الدّين بربروس (1519- 1546م). (انظر، حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الدّار الثقافية للنشر، ط$_1$، القاهرة، 2004م، ص. 35. وانظر ايضا، صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، دار النيل، ط$_1$، القاهرة، 2011م، ص. 10. لكن هناك من تقلد هذا المنصب في مراحل أخرى غير مرحلة البايلر بايات، ومنهم: سوكه لي علي جاوش؛ الذي تولي حكم الجزائر كـ (بكلر بكي) خلفا للدّاي بكتاش المقتول سنة 1710م، والذي منع شارقان إبراهيم باشا المعين كـ (بكلر بكي) على جزائر الغرب من دخولها سنة 1711م. وللمزيد ، انظر فاضل بايات: الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ط$_1$، 2007، ص. 52.

لقد شهدت مرحلة البايلر بايات الممتدّة من نهاية عشرينيات القرن السادس عشر إلى نهاية التسعينيات من نفس القرن (926– 996هـ) / (1519– 1587م) على مستوى الإقليمي أحداثا وتحولات حاسمة ومصيرية، وتمثلت في تنامي القوى الصليبية وتطلعاتها إلى الشمال الإفريقي، من خلال جملة من الحملات المتتاليّة. وتنامي السباق المحموم بينها وبين القوة العثمانية الصاعدة وبالنيابة عنها الدولة الجزائرية الوليدة في الحوض الغربي للبحر المتوسط . ومن تلك الحملات التي نفّذتها تلك القوى الصّليبيّة، وعلى رأسها القوى الأسبانيّة الأسبانية الحاحاقدة. والتي يقول عنها خير الدين بربروس: « إن كفار إسبانيا لا يشبهون غيرهم من كفار الأفرنج. لقد كانوا في غاية الظلم والغلاور، متعطشين للدماءكالكلاب المسعورة ! ..» [1].

1– حملة إسبانية،[2] بقيادة دون رايموند القرطبي (Raymand de Gordoba)، على المرسى الكبير بتاريخ 11 سبتمبر 1505م، بتمويل من الكنيسة الكاثوليكية ورغم المقوامة الباسلة للسكان، إلا أن الغزاة تمكنوا من احتلال المرسى الكبير[3].

2– حملة إسبانية، على مدينة وهران، بقيادة بطرس النفاري (Pedro Navarrro) بتاريخ 17مايو 1509م، وبعد تواطؤ وخيانة قابض مكس مدينة وهران اليهودي المدعو أشطورا، الذي تواطأ مع الأسبان، وبشراء ذمة عاملين معه (القائد بن عيسى، والقائد ابن قانص)، استطاع

---

1) خير الدين بربروس، مذكرات ....، مصدر سابق، ص. 158.

2) **لقد سبق للبرتغال** احتلال المرسى الكبير من سنة 1415 إلى سنة 1437م، ثم من 1471 إلى 1477م. انظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492– 1792م، دار البصائر، الجزائر، ط3، 2009، ص. 92.

3) المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص. 86.

الأسبان احتلال المدينة، بعد استشهاد حوالي أربعة آلاف جزائري وغنائم قدرها العدو بـ 48 مليون دينار [1].

3- حملة اسبانيّة على مدينة بجاية، وتمت مع مطلع شهر جانفي 1510م. وعلى إثرها تم احتلال المدينة، وبعد أيام قليلة فكر شيخ الثعالبة فيما قد يصيبه، كما أصاب مدينة بجاية، وأمام الخوف الذي أصبيه لم يجد من حيلة إلا أن هرول شيخ بني مزغنّى المدعو سالم التومي، على رأس وفد هام من أعيان المدينة وكبرائها إلى مدينة بجاية، عارضا عقد إتفاق سلاما مع بطرس النفارو اتقاء الاحتلال الأسباني[2]. وبنفس الكيفيّة وقعت مدينة مستغانم، تحت السيطرة والتّبعيّة الأسبانيّتين، بعد اتفاقيّة مهينة، بتاريخ 26 مايو 1511م. وبعد عشرين سنة توجّهت حملة اسبانيّة نحو مدينة هنين واحتلّتها بقيادة دون ألفارو دو بوزان (Don Alvaro de Bazan)، خلال شهر أوت 1531م[3]. وهكذا أصبحت معظم المدن السّاحليّة محتلّة من ثبل الأسبان. دون نسيان الحملة الأسبانية الكبيرة بقيّادة شارلكان نفسه بتاريخ 25 أكتوبر سنة 1541م. والتي هُزِم فيها شر هزيمة على يد خليفة خير الدّين بربروس البحار (العلج) حسن آغا بمدينة الجزائر[4]. أما على المستوى المحلي فقد عرفت المرحلة اضطرابات هنا وهناك، أقل ما يقال عنها أنّها حركات مناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر.

---

1) المدني، نفسه، ص. 102.

2) **من نتائج الإتفاقية:** إطلاق سراح الأسرى الأسبان من السجون مدينة الجزائر، عدم الاعتداء على السفن الأسبانيّة من قبل بحارة مدينة الجزائر، يسافر وفد من أهل مدينة الجزائر لعقد اتفاقيّة نهائيّة مع الملك الأسباني، تدفع حكومة مدينة الجزائر مقدارا من المال لحاكم بجاية الأسباني، الاعتراف بالتّبعيّة إلى إسبانيا. مقابل عدم الإعتداء على مدينة الجزائر. انظر: المدني، حرب الثلاثمائة سنة... ص. 115.

3) المدني، نفسه، ص. 108 ، 115.

4) Paul Rufe, Domination espagnole à Oran, edition Mimouni, Alger, (s.d.) , p . 72.

وعموما فإن عصر البايلربايات الذي دام تقريبا حوالي سبعين سنة، يعد من أزهى عصور الوجود العثماني سياسيّا واقتصاديّا، خاصة في دفع الأجور للإنكشاريين الذين كان عددهم يتراوح مابين التسعة آلاف وإثنى عشر فردا . وقد ساعدهم في ذلك، كون البايلربايات من أثرياء القراصنة بفضل ما يملكونه من أساطيل صغيرة، وما تجلبه من غنائم. أما من النّاحية الأمنية فيذكر أنّه كما عاش خلاله رياس البحر والسكّان في وئام. كما تحرّرت خلاله العديد من المدن السّاحلية، قد صاحبها تنامي القوة البحرية الجزائرية [1].

المبحث الأول: تسمية المرحلة وتقسيماتها و مميزاتها [2].

1- تسمية المرحلة:

عُرِفت هذه المرحلة بالتسمية السيّاسية التي أُطلقت على حكّامها، ألا وهي تسمية البايلربايات، وهم أربعة على التّوالي: (خير الدّين بربروس، ثم إبنه الكرغلي حسن، والمعروف بـحسن بن خير الدّين، ثم صالح رايس، وآخرهم (العلج علي)؛ حيث أنّ الحاكم منهم خلالها كان بمرتبة أمير الأمراء. وقد تعاقب على حكم البلاد إثنتى عشرة [3] حاكما، وجميعهم كانوا

---

1) جون باتست ولف، الجزائر، وأزربا 1500- 1830، تر وتع، أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، (ط.خ.) الجزائر، 2009م ص. 105.

2) **مرحلة البايلر بايات** تبدأ فعليًّا مع بداية حمل خير الدّين بربروس لقب بايلر باي سنة 1533م بعد تعيينه من قبل الصدر الأعظم إبراهيم باشا بمناسبة زيارته لمدينة حلب. (انظر: محمد درّاج: الدّخول العثماني إلى الجزائر ودور الأخوة بربروس 1512م-1543م، (ش.أ.ن.ت) الجزائر، ط3، 2015، ص:307.

3) **بعض المراجع** تشير إلى أكثر من ذلك، منها كتاب : العثمانيون في شمال إفريقيا ، تر. محمود علي عامر، دار النهضة العربية ، ط1، بيروت، 1989، ص. 661. وانظر أمين محرز الذي أحصاهم: 18 حاكما (باشا). (انظر: الملحق قائمة بأسماء البايلر بايات الذين حكموا الجزائر؟

من رياس البحر وملاّكا لأساطيل من السفن[1]. فكانوا بمثابة حكام عامّين على بلدان المغرب الإسلامي أي أن سلطتهم تشمل الإيالات الثلاثة: (الجزائر، وتونس، وطرابلس الغرب). وفي ذات الوقت كان باشوات كلاًّ من تونس وطرابلس الغرب يعملون تحت أوامرهم، بل كانوا في كثير من الأوقات هم الذين يعينونهم، بعد أخذ الموافقة من السلطان العثماني[2]، وهو ما يوحي بأن هؤلاء البايلربايات كانوا يتمتّعون بحرية شبه مطلقة في التّسيير ولحساسية المنصب وأهمية المكان، كان لا يعين في هذا المنصب بالجزائر إلاّ من يتمتّع بكفاءة وبمهارة سيّاسيّتين وعسكريّتين، بالإضافة إلى ولائه التّام للسلطان بشكل صريح، ويؤمن بالتفوق العثماني[3]. وبما أنّ بلاد المغرب الأوسط كانت أولى المناطق من بلدان المغرب الإسلامي يتواجد فيها العثمانيون وتخضع للخلافة الإسلامية، والتّبعية للباب العالي، (السلطان العثماني) وبالتّالي كان البايلرباي (الحاكم العثماني) بالجزائر يشرف على إيالتي تونس، وطرابلس الغرب فيما بعد. كما تم في هذه المرحلة عملية التنظيم الإداري، أو ما يعرف بالتقسيم الإداري المعروف بالمقاطعات الإدارية (أي البايلكات)، وهو الإجراء الذي تم خلال حكم حسن بن خير الدّين يشكل واضح؛ حيث قسّم البلاد إلى أربعة (04) مقاطعات إدارية، وذلك ابتداء من سنة973هـ/ 1565م؛ وهي: دار السلطان ، وبايلك الغرب بعواصمه المتتالية (مستغانم، مازونة، معسكر، ثم وهران)، ثم بايلك التيطري وعاصمته مدينة المدية، وبايلك الشرق وعاصمته قسنطينة [4].

---

1) وولف، مرجع سابق ص. 134.

2) H. D, de Grammont: Histoire d’Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1887,p.3 .

3) أبو القاسم سعد الله، بحوث في التّاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط2 ، بيروت، 2005، ص. 486 ، 485.

4) شويتام، المجتمع الجزائري...، ص ص. 42- 45 .

2- تقسيمات المرحلة:

إنّ المتتبع للأحداث التي صاحبت العهد الأول من الوجود العثماني (عهد البايلر بايات والتي تبدأ بقدوم الإخوة بربروس إلى غاية آخر البايلر بايات، يمكن أن يفرق بين مرحلتين، وهما: المرحلة التي سبقت التحاق الجزائر الرسمي بالباب العالي، وانضمامها إليه، والمرحلة التي تلت الانضمام الرسمي إلى الدولة العثمانية، حيث أنّ المرحلة الأولى تتميّز بفترتين هما: أوّلا: فترة أُروج [1]، أو (بربروس الأول) حسب تعبير إرنست مارسيي الذي يقول: « بعد موت بربروس الأول (1518)، حاول أخوه خير الدّين تثبيت سلطته، ومقارعة أعدائه في االدّاخل وفي الخارج (الأهالي والأسبان) » [2]. وقد نسبت الفترة الأولى من جخول الإخوة بربروس إلى أُروج لعل ذلك يعود إلى اعتباره الأخ والشقيق الأكبر، والقائد الأبرز في المراحل الأولى من اتصالات الإخوة بربروس بالمنطقة. وتبدأ منذ قدوم الإخوة بربروس إلى مدينة جيجل 1512م، إلى غاية وفاة أُروج (بربروس الأول).

ثانيّا: فترة خيزر أو (خيضر)، والشهير باسم خير الدّين بربروس، الذي ناب أخاه أُروج في تزعم جهاد المسيحيين المحتلين لبعض المدن السّاحلية المغاربية، وقيادة المجاهدين بالمنطقة

---

1) عروج (أُروچ = أُرُوتش) بن أبي يوسف يعقوب من مواليد ما بين 1470م/1474م بجزيرة متلين اليونانية ويدعى بابا عروج، وعروج ريس، وبربروس الأول، وهو ثاني إخوته الذكور الأربعة، بعد إسحاق أكبرهم. مارس التجارة البحرية بين سيلانيك وأغريبوز ، ثم أسر بجزيرة رودس، ثم عمل بالبحرية المصرية، ثم انتقل إلى شمال إفريقيا مع أخويه خبر الدين وإسحاق، أين بتر أحد ذراعيه بمدينة بجاية، ثم استشهد بالغرب الجزائري بتاريخ ماي 1518م. وخلف يعقوب آغا وكاترينا. وقد نصب له تمثال بذراع مبتورة بالغرب الجزائري خلال شهر نوفمبر 2018م. وفي اللغة العثمانية كلمة أَوروج تعني الصّوم. انظر، رفع محمود العثماني، قاموس رفيق العثماني، مطبعة الآداب، بيروت، ص. 33.

2) Ernest Mercier, Constantine au xvi siecle elvation de la famille El – Faggoun, éd. Scolie, Alger, 2014, p. 18.

بعد استشهاد أخيه بالغرب الجزائري سنة 1518م[1]. وفي نظرنا، فإن هاتين الفترتين مجتمعتين، تعدان فترة تمهيدية، وتأسيسية لما بعدهما من الوجود العثماني. كما تميّزت كلاً منهما بجملة من الأحداث والخصائص.

أ) مرحلة عُروج (أُروج uruç):

كانت المرحلة الأولى مرحلة أُروج أو ما يعرف ببربروس الأول وتبدأ من 1512م إلى غاية استشهاده سنة 1518م مرحلة تأسيس وتعرف على المنطقة وتحمل بصمات أعماله، فهي التي كان خلالها أُروج سيد البر والبحر. فهو الذي قاد الزّحف على مدينة الجزائر برا وبحرا، مع أخيه خير الدّين، وهو الذي توجّه إلى تلمسان ملبيّا نداء أهلها، واستخلف أخاه خير الدين على مدينة الجزائر[2]. فمرحلة أُروج تميّزت بجملة من الأحداث الهامّة وتمثّلت في المحاولات المتتالية لتحرير بعض المدن الساحلية من الاحتلال الأسباني؛ بجاية سنة 1512م، في المرّة الأولى، وسنة 1514م في المرّة الثّانية، وتحرير مدينة جيجل سنة 1514م. وبداية العلاقة مع الدّولة العثمانية غير الرسمية سنة 1514م، والمحاولة الأولى لتحرير قلعة البنيون سنة 1515م، وتحرير مدينة "تنس" سنة 1518م، ومدينة دلّس (تادلس)، ومستغانم، وشرشال، والتّصدّي للحركة المناوئة التي قادها زعيم قبيلة الثّعالبة (شيخ مدينة الجزائر ومتيجة) سالم التّومي، ومحاولة بسط النّفوذ العثماني على بعض المناطق الدّاخلية، وبداية تنظيم البلاد جغرافيّا. فقام قبل كل شيء بتعيين القواد والكتاب لمساعدتهما. ثم قام أَروج بتقسيم المنطقة التي أصبحت تحت أيديهم لأول مرة إلى قسمين وحرص أَروج على جعل خمس بلدات من نصيبه

---

1) A. BERBRUGGER, « La mort de ARROUJ » , in R. A. n° ؟ , année ؟ p. ؟ .

2) SANDER, Rang, et Ferdinand Dnis,Fondation de la Regence D'Alger, Histoire des Barbarousse, T_1, éditions Bouslama, Tunis .

بالقسم غربي وتولى الإشراف عليهم بنفسه، ونفس الشّيء بالقسم الشرقي فقد استخلف عليه أخاه خير الدين [1]. وهكذا يكون قد وضع النواة الأولى للإدارة على مساحة تمتد من دلس شرقا إلى تنس غربا، عرفت إداريّا بدار السلطان، ويقصد بها مدينة الجزائر كعاصمة سيّاسيّة ومقر الحاكم. وتظم إليها كلاّ من: دلس، وتنس، وشرشال[2]. كما تميزت بالتصدّي لبعض الحملات الأوربية، منها: الحملة الأسبانية على الجزائر[3] سنة 1516م، وانتهت هذه المرحلة باستشهاد الأخوين إسحاق [4] بقلعة بني راشد، وأُروج ببني يزناسن بغرب البلاد سنة 1518م، على يد بقايا قوات الدولة الزيّانية والمتعاونين معها، من القوات الأسبانية المحتلّة لوهران.

ب) مرحلة خير الدّين بربروس:

تبدأ فترة خير الدّين بربروس[5]، بعد استشهاد أخيه أُروج، سنة 1518م، واتصاله الرسمي بالباب العالي سنة 925هـ/1519م إلى غاية استدعائه إلى الباب العالي سنة 950هـ/1543م.

---

1) إلتر، مرجع سابق، ص. 85.

2) شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته.... ، ص. 42 .

3) **عند وفاة إيزابيلا** ملكة إسبانيا سنة 1504م أوصت زوجها فرناندو « بمتابعة الحملة الصليبية ضد (الكفار) في المغرب، والإبتعاد عن ساحة الصراع في أوربا »، كما أوصت إبنتها « جين » وزوجها فيليب، « بطاعة الكنيسة ومحاربة المسلمين وملاحقتهم في كل مكان » . أما الملك فرناندو فكان يردّد في السنوات الأخيرة من حياته يأنّ حلمه تحقيق السلام في أوربا والإنطلاق بحملة صليبية هائلة لاحتلال مصر...ثم الاتجاه إلى القدس ». انظر، عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، 1983م، ص. 123. ص. 132.

4) إسحاق هو الشقيق الثالث ترتيبا. للإخوة بربروس أبناء يعقوب (أبو يوسف)، وكتالينا بنت أحد الرهبان الإغريق. فتزوجها يعقوب بعد أسرها ثم إسلامها. انظر، ابن أشنهو.

5) ولد بجزيرة ميتلين (ليسبوس) سابقا اليونانية ، سنة 888هـ/1483م، وتوفى في صيف سنة 953هـ/ 1546م. انظر، سبنسر، مرجع سابق ، ص. 169.

كما تميّزت بالتواصل مع أعيان المدينة. وكذلك بمواصلة تنظيم البلاد بتعيين نائبين عنه بشرق البلاد و غربها، حيث عين أحمد بن القاضي أميرا على إمارة كوكو بمنطقة زواوة، وما يليها شرقا، وعين على المنطقة الغربية أحد زعمائها يدعى محمد بن علي [1]. وفي خضم هذه الأحداث بدأت الجزائر تبرز على المسرح الدوّلي كوحدة سيّاسيّة وجغرافيّة مميّزة، وشجّعت أهالي طرابلس الغرب، على الإرتباط بالباب العالي، طالبين الانضواء تحت جناح الدولة العثمانية على غرار الجزائر. ومواصلة التصدّي للحملات الصّليبية الأسبانية سنتي 1519 و 1520م، وإفشالها واسترجاع إمارة تنس التي ارتدّ حاكمها سيّاسيًّا مفضّلا الانضمام إلى الأسبان، على إثر استشهاد أُروج سنة 1518م، وإعادة إخضاع تلمسان والقبائل المجاورة لها، والتي أعلنت مناوأتها للوجود العثماني، بتحريض من سلطان تلمسان بعد استشهاد أُروج، وتفس الموقف اتخذته مستغانم وقلعة بني راشد. كما تميزت بالتصدّي لحركة ابن أحمد بن القاضي خليفة أبيه المتحالف مع السلطة العثمانية، ثم القضاء عليها فيما بعد. وكذلك تمرد حسن قارة المتمرد وحليف إبن القاضي. كما تم التصدّي للسلطان الحفصي الدّاعم لإبن أحمد بن القاضي وإلحاق الهزيمة به. ثم القضاء على التمرّدات اللاّحقة، بمدينة الجزائر وغيرها من المناطق. وإجلاء الأسبان عن حصن البنيون سنة 1529م، على يد خير الدين بربروس[2] .

---

1) دراج، الدّخول العثماني...، ص. 274.

2) **حصن البنيون** (Le Pégnon) أي حصن الصخرة الصّغيرة، هو حصن أنشأته أسبانياعلى الجزر الصخرية المقابلة لمدينة الجزائر بموجب اتفاقية شهر جانفي 1510م بين إسبانيا بزعامة الكونت بيدرو نافارو، وإمارة مدينة جزائر بني مزغنّة، بزعامة سالم التومي، وقد وُضعت فيه حامية عسكرية من (200) جندي إسباني، وشكلت ضغطا وتهديدا على مدينة الجزائر إلى غاية يوم21 شهر ماي 1529م. انظر: كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510- 1541م، (د. م. ج.)، الجزائر، 2007. وانظر أيضا: . A. BERBRUGGER , Le Pégnon ... in, R. A _

والذي قال للأسبان متحدّيا: « بيني وبينكم السيف الذي سيقرر من هو أحق وأجدر بهذه المدينة »[1]. ومن خلال هذا التحدّي يبدو أنّ خير الدّين كان مصمّما على تحرير حصن البنيون أو الإستشهاد دونه؛ وهو ماتم فعليّا، حيث تم إلحاق الهزيمة بالحامية الأسبانية الجاثمة قبالة مدينة الجزائر سنة 1529م، وقتل وأسر من فيها، ثم تهديم الحصن كما سبق وأن ذكرنا[2]. لم تتوقف الأحداث التي ميزت فترة خير الدين بربروس، ومن ها أيضا التّصدّي للحملة العسكريّة التي قادها الأسباني أندريا دوريا (Andre Doria) سنة 1530م، ومواصلة عملية الإنقاذ مسلمي الأندلس والجهود المبذولة خلال القرن الماضي (15م) ؛ بنقل الفارّين من نير البطش الأسباني، وإيوائهم إلى مختلف المدن السّاحلية، من بلدان المغرب الإسلامي كسبتة، وشرشال، وتنس، والجزائر، ودلس، وتونس، من العدوة الجنوبية للبحر المتوسط [3].

3) مميزات المرحلة.

لقد كانت الأوضاع السيّاسية والأمنية، على مستوى بلاد المغرب عموما، والمغرب الأوسط تحديدا، مهيئة لاستدعاء الإخوة بربروس، والترحيب بهم، أو بأي مساعدة خارجية بعدما يئسوا من القوّة الذّاتيّة المحليّة؛ وذلك نتيجة لوضعهم الأمني الحرج، وضعفهم أمام التحرّشات الخارجيّة، خاصّة على مستوى المدن السّاحلية جرّاء الهجمات الخارجية من قبل بعض القوى

---

1) Adrien Berbrugger : Le Pégnon d'Alger ou les origines du Gouvernement Turc en Algérie, Étude Belles-Lettres, Alger ,2013, pp : 11 ;128. Et voir : H .D. de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830), Ernest LEROUX, Editeur, Paris, 1827, p : 158 .

2) Idem. p. 15

3) دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر،... ، ص. ص. 253- 256.

الأوربية كهجوم جنوة على مدينة حلق الوادي[1]. وتعدّ غزوة توسكانا (TOSCANE) الإيطالية على مدينة (بونة) عنابة (Bône)، خلال سبتمير من سنة 1016هـ/1607م، رابع غزوة تتعرّض لها المدينة؛ والتي كانت في ظاهرها من أجل تحرير الرّقيق المسيحيّين. لكن بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الحصول على الغنائم والثروات كان من بين الأهداف، وقد حقّقوا ما أرادوا، خلالها من قتل السكان وخاصة من أفراد الجيش العثماني وعلى رأسهم باي قسنطينة (محمد بن فرحات)، وحرروا ألف وخمسمائة أسير مسيحي، بعد ما دمّروا المدينة [2]. وكانت إسبانيا على رأسهم؛ والتي احتلت معظم المدن الساحلية، بشمال بلاد المغرب. وكانت بحق تتزعّم التحرشّات الأوربية، وصاحبة اليد الطولى في غزو المنطقة الشّمالية للسّاحل الإفريقي ؛ التي يطلق عليها الأوربيّون بلاد برباريا؛ والممتد من مدينة بني غازي شرقا، إلى مدينة طنجة (Tange) غربا [3]. كما تتميزت المرحلة على المستوى المحلّي بممارسة السلطة من قبل البايلر بايات؛ الذين يعيّنون من قبل السلطان العثماني مباشرة بواسطة فرمان التولية، وهم من فئة القراصنة. وكان هؤلاء يتمتعون بحرية مطلقة في تسيير شؤون الإيالة. فلقد كانت سلطتهم، فضلا عن الجزائر، تشمل إيالتي تونس وطرابلس الغرب لاحقا. إذْ كانوا يحملون لقبين في آن واحد، فبالإضافة إلى لقب الباشا (القبطان) كان كل واحد منهم يلقب بلقب بايلرباي.

---

1) **من الهجومات الخارجية** التي تعرّضت لها مدينة بونة نذكر: هجوم بيزا الإيطالية (1034م)، هجوم بيزا وبروفانس معا (1134م)، وهجوم صقليّة بقيادة روجر الثّاني (1153م)، وهجوم بلنسيّة وميورقة معا (1399م)، وهجوم إسباني بقيادة شارل كانت ما بين 1535 و 1540م. انظر، تقرير دبلوماسي مجهول، غزوة الطوكسانيين لبونة في سبتمبر 1607، تقديم وتعليق،محمد لخضر بوبكر ،و سعيد دحماني، مؤسّسة الرّجاء للنشر، قسنطينة (الجزائر)2013، ص. 21،22 .

2) تقرير دبلوماسي مجهول، غزوة الطوكسانيين لبونة في سبتمبر 1607، تقديم وتعليق، محمد لخضر بوبكر، وسعيد دحماني، مؤسّسة الرّجاء للنشر، قسنطينة (الجزائر)، 2013، ص ص. 26، 28، 30، 35.

3) ج . ب. وولف، الجزائر وأوربــا...، ص. 96 ، 97.

وأمّا النّاحية الأمنية داخليا، فقد شهدت بدايات هذه المرحلة ظهور حركات مناوئة [1] للسلطة العثمانية الوليدة، فقد عرفت نهايتها أيضا العديد من الثورات والاضطرابات المحلية، ومن كثرتها ذكرها خير الدين بربروس المعاصر لها وهو يستعرض حركة ابن القاضي فقال عنها: « ففي الوقت الذي كانت فيه فرائص ملوك أوربا ترتعد بمجرد ذكر إسم بربروس كانت حركات العصيان تتوالد في الجزائر » [2].

ولما تزامنت تلك الحركات مع مثيلاتها في استانبول خاصة في نهاية عهد البايلر بايات، وبداية عهد الباشوات، فإننا نتساءل حول علاقة التأثير والتأثر، فيقول أحد الدّارسين: «.. أوضاع الأتراك العثمانيين الدّاخلية مالت إلى التدهور في السنوات الأخيرة من عهد مراد الثالث (1574–1595م) في اسطنبول وفي الجزائر، حيث قامت فيها ثورات وتمرّدات من الجند وغيرهم على الحكم المركزي والمحلّي»[3].

---

1) **المناوأة** ، مصطلح يرد في عدّة مراجع بصيغة ثورة. والثورة لها عدّة تعريفات. فقد عرّفها ابن منظور لغة: بأنها تعني " الهيجان والوثوب والظهور والانتشار والقلب، فثار الشيء ثورا ، وثورا وثورانا وتثور وهاج . انظر ، ابن منظور، لسان العرب، مادّة ثار. أما الثورة اصطلاحا فقد تعدّدت تعاريفها: « فهي: حركة اجتماعية بها تحل بعنف اسطورة جديدة محل اسطورة قديمة » ، وهي: « تغيير جماهيري سريع وعنيف ». وهي: « إعادة بناء الدولة ». وهي: مجرد إعادة بناء الحكومة ». وهي: « انقطاع في التّاريخ ». وهي: « ابدال القيم ». وهي : « التغيير خارج إطار نظام قانوني لا تتوافر فيه إمكانية التغيير، فهو تغيير فجائي وكلّي يتم خارج إطار نظام قانوني لا تتوافر له الشرعيّة ». وهي بهذا التعريف تختلف عن الإصلاح ؛ الذي هو تغيير تدريجي جزئي سلمي يتم من خلال نظام قانوني تتوافر له الشرعية. انظر: حسن أحمد حافظ، قورات غيّرت العالم، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2013، ص. 4 .

2) خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2010، ص. 111.

3) عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16، مج$_1$، دار الأمل، الجزائر، ط$_1$، 2005، ص. 235.

المبحث الثّاني: الحركات المناوئة خلال عهد البايلر بايات (1519- 1587م).

فبالرغم من قدوم الإخوة بربروس ومن معهم على إثر النّداءات والإستغاثات من الأهالي ببعض مدن المغرب الأوسط السّاحلية، دفعا للأخطار الأسبانية من احتلال ما تبقّى من المدن السّاحلية كاحتلالهم للمرسى الكبير سنة (1505م)، ووهران سنة (1509م)، وبجاية سنة (1510م)، وغيرها، وفرض الضرائب على السكان، أو حصارها كحصار مدينة الجزائر؛ بنصب حامية عسكرية على جزيرة البنيون، المقابلة لمدينة الجزائر ، بعد اتفاقية بين أعيان المدينة والأسبان سنة 1510م، واستخلاص الضرائب من سكانها، إلاّ أن ذلك لم يكن صكّا على بياض للعثمانيين. حيث ما إن حلّ الإخوة بربروس بالبلاد، وبدأوا يحرّرون المدن المغربية السّاحليّة، تارة ويتصدّون للأخطار المسيحية الخارجيّة تارة أخرى عنها حتّى برزت مواقف داخليّة مناوئة للسلطة العثمانية الفتية. وبتعاقب السلطات العثمانية بالجزائر خلال هذه المرحلة، توالت بالتّوازي معها حركات مناوئة لها [1]. والتي سنتناول أهمها: في هذا الفصل.

1) حركة سالم التّومي وإبنه (1516م).

يعد سالم بن التومي أمير الثّعالبة بمدينة بجزائر بني مزغنة وضواحيها، هوّ أول من ناوأ السلطة العثمانية وتمرّد عليها، بعد ما كان من المرحبين والمتحمّسين لاستقدام الإخوة بربروس من مدينة جيجل أيام عجز السكّان أمام الأسبان المحتلين للمدينة والرّابضين على الجزيرة الصخرية (البنيون) المقابلة للمدينة. بعد المحاولتين الفاشلتين لأروج من أجل تخليص مدينة بجاية من الاحتلال الأسباني[2].

---

1) Mohamed lakhdar Boubakeur et Saïd Dahmani,………… ARAJA édition, Constantine, imp$_1$, 2013, p : 29.

2) ليس عروج من حاول تحرير مدينة بجاية عدّة مرّات، وإنّما هو خير الدّين.(انظر، فيرو، تاريخ بجاية، ص. 155).

وخلال محاولتة الثّانيّة، فقد ذراعه الأيسر، وبعد شفائه، عاد إلى مدينة جيجل التي هي الأخرى تئنّ تحت وطأة الاحتلال الجنوي، فتعاون مع سكانها وهاجموا المدينة ولم يتراجعوا هذه المرّة حتّى تكلّل تعاونهم بالنجاح، وطرد القوات الجنوية من المدينة؛ واتخذها أوروج مقرّا له وقاعدة عسكرية لقواته مؤقت[1]. ونتيجة لذلك؛ ذاع صيته شرقا وغربا، وعلى كعبه، حتى بلغ ذلك مسمع أهالي مدينة الجزائر، التي كانت في مرمى مدافع الحامية الأسبانية الرابضة آنئذ على صخرة البنيون المقابلة للمدينة. فاتّصل به أهالي المدينة، وعلى رأسهم أميرهم سالم التومي؛ الذي يرى بعض الدارسين أنه كان معارضا لفكرة استقدام الأخوة بربروس[2].

ناشد أهل مدينة الجزائر قدومه إليهم مبرزين له ولإخوته ضعفهم وقلة حيلتهم، طالبين منه الذّود عنهم، وعن مدينتهم، وتحريرها من الحصار المضروب عليها؛ منذ توقيع الاتفاقية بينهم وبين الأسبان سنة 1510م. فاستجاب (أبو يوسف) أُروج أو بابا أُروج، كما كان ينادى، ودخل المدينة برا وأخوه خير الدين بحرا كمنقذين لها.

وعنما وصلها قاد هجومه الأول على الحامية الأسبانية سنة 922هـ/ 1516م، في الوقت الذي تخلّى فيه سالم التّومي عن زعامة المدينة وقيادتها، وبالتّالي التنازل عن مشيخة الثّعالبة طواعية، بعد فترة دامت حوالي ثماني (08) سنوات. إنّ تخليص المدينة من سيطرة الأسبان ونكدهم، والأمل المرجو من الإخوة بربروس حتّم على سالم التّومي وبعض الزعماء والأعيان القبول بذلك، وقد عبّر سالم التّومي عن ذلك بمضض، إذْ بعد دخول الإخوة بربروس

1) بناء على هذا يمكن اعتبار مدينة جيجل عاصمة أوّليّة اتخذها الإخوة بربروس ببلاد المغرب الأوسط، وربما لولا نداءات أهل جزائر بني مزغنّى لاتخذت عاصمة منذ ذلك الوقت.

2) محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر، ودور الإخوة بربروس (1512– 1543م)، شلركة الأصالة، ط3، الجزائر، 2015/ ص. 362 .

(أُروج، وخير الدّين وإسحاق) وجنودهم إلى المدينة، من أجل تخليصها من الحصار الأسباني القابع على صخرة (الجزيرة) المذكورة سابقا. فقد جاء أُروج إلى المدينة مع قوة عسكرية، تتكون من ثمانمائة تركي، وثلاثة آلاف متطوع من رجال زواوة، قادما من مدينة جيجل. واستطاع تخليص المدينة من المحتلّين الأسبان؛ الذين عاودوا من جديد الكرة وهاجموا المدينة في سبتمبر 1516م، لكنهم هزموا مرة أخرى مخلّفين وراءهم قتلى وأسرى قُدِّروا ب .3000 قتيل، و400 أسير[1].

أ) أسباب ودوافع حركة سالم التومي:

يعدّ الفشل في طرد الحامية الأسبانية من حصن البنيون(PEÑON)[2]، من بين أسباب انقلاب زعيم الثّعالبة "سالم التّومي" على الإخوة بربروس ومناوأتهم من أجل استرجاع سلطته وزعامته على المدينة وضواحيها، وعلى الثعالبة عموما [3]. هناك بعض الأسباب كانت أقرب ما تكون ذرائعا وحججا واهية، وتتمثّل حسب رأي وليم سبينسر في: الإخفاق الذي مني به الإخوة بربروس في إبعاد الخطر الأسباني الجاثم قبالة المدينة والمحاصر لها، وفي ذات الوقت قد غذّى هذه النّزعة استغلال بعض المعاملات غير الودية التي قد يكون

---

1) المدني، محمد عثمان باشا...، ص. 40 .

2) **حصن البنيون** بناه الأسبان مقابل مدينة الجزائر، على جزر صخرية بعد اتفاقهم مع أمير الثعالبة سالم بن التومي، وبقيادة بيدرو نافارو خلال شهر جانفي 1510م على إثر احتلاله مدينة بجاية، ، لكن خير الدين افتكها من الأسبان خلال شهر ماي 1529م، بعدما قتل وأسر أفرادها، وعلى رأسهم قائد الحصن مارتان دوفارغاس. انظر، كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510– 1541م، ترجمة جمال حمادنة، (د. م. ج.)، الجزائر، 2007. صص. 23، 46.

3) أبو القاسم سعد الله: على خطى المسلمين حراك في التناقض، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 1430هـ/ 2009م ، ص. .194

بعض الجنود العثمانيّين قاموا بها في حق السكّان، وهو الأمر الذي قد يكون سالم التومي قد استغلّه وألّب به رأي بعض الرّافضين للوجود العثماني خفية. وبالإضافة إلى كل هذا، ما لمسه سالم التّومي من تأييد ومساندة من الأسبان، مقابل الحفاظ على سلطته طبقا للمعاهدة المبرمة بينه وبين الأسبان، خلال شهر جانفي من سنة 1510م[1]. وبناء على هذه الأسباب، جاهر زعيم مدينة الجزائر بمناوأته للوجود العثماني والعثمانيّين، وتحولوا بين عشية وضحاها من منقذين مرحب بهم، إلى ضيوف غير مرغوب فيهم، وأصبح أروج بين خيارين؛ إما أن يغادر البلاد ويتخلى عن رغبته في محاربة الصليبيين وإنقاذ المستغيثين، وإما أن يبقى في الجزائر متحديا كل العقبات، لكن أُوروچ فضل الخيار الثاني وأصر زعامة المدينة ومواصلة مهمته النبيلة؛ المتمثلة في الذود عن المدينة[2]. ومهما يكن من تفسيرات أو استحضار الأسباب، فإن ما قام به زعيم الثّعالبة يكاد يكون طبيعيّا، لو لم يكن مسبوقا بعديد النّداءات والاستغاثات بالعثمانيّين، وكذلك لو لم تكن له يد ممدودة إلى الأسبان، وهو ما تؤكّده الرسالة التالية من أحد الأعيان إلى الأسبان التي جاء فيها:

« الحمد لله، إلى مدير المملكة القشتالية وكبيرها وخليفة سلطانها قرض نال(كاردينال) بعد سلامنا عليكم فالذي نعرفكم به هو أنّ ابن سلطان تنس هو إبنكم ومتعلق بكم، ومحسوب عليكم، وكذا إبن التّومي صاحبكم في الجزائر انذبح عليكم وعلى خدمتكم، وغفلتكم عليه وعلي إبن السلطان في (تنس) وعلى جميع من عاملكم، حاشاكم من هذا فإن كنتم تعملون على همتكم اعزموا للجزير (الجزائر) قبل ما تجيئ عمارة التركي فيستولي على هذا البر الكل، ونحن عرفناك ولو يكون هذا الخبر عندكم، وأيضا إبن سلطان تنس كان عنده خاله الشيخ المنتصر

---

1) سبينسر (W Spincer)، مرجع سابق ، ص. 32. و انظر كذلك، محمد درّاج، الدّخول العثماني ...، ص. 262.

2) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي 1419هـ/1998م، ص. 68.

ينغر عليه (أي يدافع عنه) واليوم مات، ما بقالو أحد إلاّ الله وأنتم، إذا ما عزمتم إليه ينفسد ويفسد الحال عليكم كثيرا في هذا البر، والقائد مرّتين درغوت عارف بكل شيء، وهو يكون عرفك بكل مقصد، وكتب لكم من مدينة مستغانم »(1). ويبدو من خلال الرسالة الموجّهة من قبل الأعيان إلى مملكة قشتالة، أنّ هؤلاء الأعيان والمقرّبين من سالم التّومي (الثّعالبي) أنّهم متعاطفون كثيرا مع زعيمي مدينة الجزائر، ومستفيدون من وجودهم في السلطة، ولذلك فقد نصّبا أنفسهما مدافعين عنهما ومناوئين للوجود العثماني. لكن السؤال الذي يجب طرحه أمام هذا الموقف وغيره من المواقف المشابهة لاحقا، هو: ما موقف السلطات العثمانية، ومواقف الفئات الأخرى أمام مثل هذه الأحداث وأشباهها ؟ وهي تساؤلات سنطرحها ضمنيّا لاحقا أثناء تناولنا للحركات المناوئة.

ب) موقف السلطة العثمانية من الحركة .

إن حركة سالم التّومي قد وضعت الإخوة بربروس أمام خيارين لا ثالث لهما، فإمّا ترك المدينة والعودة من حيث جاؤوا، أو اتخاذ موقف شجاع وحاسم والتصدّي للمناوئين. لقد كان الاختيار الثّاني وكان لحزم المجاهد أُروج بربروس وثقته في النفس الدور الكبير والقول الفصل في التّصدّي لحركة سالم التومي المناوئة، وبقرار التصدّي للمناوئين طبق مقولة أفضل وسيلة للدفاع هو الهجوم، فقصد رأس الفتنة، حسب تقديره والمتمثل في سالم التّومي باعتباره زعيم سابق، ومتّهم بالتواصل مع الأسبان. وقد ثبت ذلك التواصل والتآمر، من خلال ما تم العثور عليه، من الاتصالات التي تمت بين أحد شيوخ العشائر والكاردينال خمينيس

---

1) المدني، حرب الثلاثمائة سنة ... ، ص. 160. نقلا عن وثيقة موجودة ومحفوظة في سيمانكاس باسبانيا.

(ximenès) [1] الأسباني، والتي تكشف عن مدى الموالاة والتملق للأسبان وكذلك التحريض الصّريح والتشجيع على احتلال البلاد والعباد، وهذا ما تضمنته الرسالة السابقة. وبعد استقدام أُروج من قبل سالم التومي وأعيان المدينة، لم يدرك أن أُروجا سيكسب تعاطفا من قبل السكان وسيلتفون حوله، لا سيّما بعد أن نال حظوة كبيرة وشعبيّة واسعة في أوساط سكّان المدينة، وبالتالي قد أدرك هذا الأخير (سالم التومي) أنه جلب منافسا له على عرشه إذْ أصبح يشكل خطرا عليه؛ والدّليل على ذلك أن أصبح سكان المدينة يطلقون عليه لقب ملك الجزائر، ولهذه الأسباب وغيرها قرر سالم التومي التخلص منه في أقرب وقت، فراح يبحث عن دسيسة، أو مؤامرة له؛ إلا أن أَروج كان أكثر فطنة منه، ودهاء[2]. وعليه، فقبل أن ينال من خصمه، قام بجملة من الإجراءات كمراجعة التحصينات، الكائنة بالمدينة، ووسع من اتصالاته ونفوذه بالمناطق المحيطة بها، وكسب أتباعا وموالين جدد، مع استعمال وسيلتي الترغيب والترهيب؛ حتّى أنّه استطاع أن يحبط مؤامرة ضدّه، حاكها بعض الموالين لسالم بن التومي، وتمثّلت في

---

1) **خيمينيس**(1436–1517م) أحد الغلاة المتطرّفين من رجال الكنيسة الكاثوليكية الأسبان، ومضطهد المسلمين الأندلسيّين والمفتش العام لمحاكم التفتيش التي نصّبت من أجلهم، وهو الذي هاجم وهران سنة 1509م، وقتل 04 آلاف مسلم جزائري، وأسر 08 آلاف آخرين سنة 1505م وشكّل فيها محكمة للتّفتيش سنة 1515م. أما في غرناطة بإسبانيا= = فكان أول =المحرقين لآلاف الكتب من مصاحف القرآن الكريم وكتب اللغة العربية والفقه وكتب التاريخ والطب والرياضيات، وكل ما يمت بصلة للغة العربية والدين الإسلامي (انظر أيضا: عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيين المواركة، المقطّم للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1983 م، ص. 308. وانظر أيضا، هنري تشارلس لي، العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة، تر، حسن سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر بيروت، 1988، ص، 45،46.

2) شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800– 1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص. 11.

هجوم إسباني سنة 922هـ/1516م بقيادة دييغو دو فيرا (Diego de Verra)، لكنّ أُروج أفشلها بوادي الحراش بتاريخ: 4/أكتوبر/ 1516م بعدما ألحق هزيمة نكراء بقائد الحملة [1].

وبعد ذلك قرّر التخلص من خصمه سالم التومي فقام بقتله، وهو في حمّامه، ثم أكمل أبرز المتآمرين معه [2]. وعلى إثر ذلك، فرّ إبن سالم التّومي إلى مدينة تنس؛ بحثا عن حلفا خارج مدينة الجزائر. فوجد في أمير مدينة تنس المدعو حميدة العبد ما كان ينشده، فقد كان هذا الأخير ضد السلطة العثمانيّة؛ وبذلك خمدت نار الفتنة وَوُئِدت الحركة في مهدها [3]. لكن بعض المصادر الأخرى تشير إلى أن ابن سالم التومي المدعو يحيى قد فر إلى وهران وهي تحت سلطة الأسبان، مستنجدا بهم؛ وهذا ما سنتناوله لاحقا.

ج) موقف أعيان المدينة.

بعد الحوادث السّالفة الذكر، وعلى رأسها مقتا سالم التّومي، نتساءل عن الموقف المتخذ من قبل أعيان المدينة ؟ وهكذا تلقّى أُوروج مبايعة من أعيان المدينة، وعلمائها ليكون زعيما وسلطانا عليهم [4]. وبهذا، يكون حسب تقديرنا، قد وضع الإخوة العثمانيّون أولى خطوات

---

1) نيقولاي إيفانوف، الفتح العثماني الأقطار العربية 1516- 1574م دار الفارابي بيروت، ط2، 2004، ص، 125. وانظر: عمار بن خروف، العلاقات السيّاسية بين الجزائر والمغرب في القرن الـ10هـ/16م، دار الأمل، الجزائر،1427هـ/2006م ، ص، 21.

2) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، دار الوعي، ط2، الجزائر، 2015م، ص. 114. (وانظر، محمدد فريد بك المحامي، الإعدام قام به خير الدين وليس عروج.(انظر، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، تح، إحسان حقّي، دار النفائس، ص، 231).

3) محمد درّاج، مرجع سابق، ص، 163.

4) الحسن محمد الوزّان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجّي ومحمد الأخضر، ج2، (د.غ.إ)، ط2، بيروت، 1983م، ص. 39.

الوجود العثماني شبه الرسمي في بلاد المغرب الأوسط، ورسالة واضحة للقوى الأسبانية، على أنّ وجودهم بالشّمال الإفريقي ليس نزهة، وإنّما هو مهمة حضارية ومسئولية تاريخية. وكان لانتصار أُروج داخليّا على مناوئه سالم التّومي، وخارجيًا علي الأسباني دييغو دي فيرا، وإفشال حملته على الجزائر الأثر الإيجابي على مستقبل الأخوة بربروس على وجه الخصوص، وعلى مستقبل الوجود العثماني بالجزائر عموما. وتمثّل ذلك الأثر الإيجابي في استقرار الوضع، وتثبيت الحكم لأُروج كحاكم جديد بمدينة الجزائر، كما استطاع مد نفوذه إلى مدن أخرى محيطة بالمدينة، كدلس (تادلس) شرقا والمدية جنوبا ومليانة غربا، وعلى ما دونهما من البلدات [1]. لكن هل بقتل سالم التومي، وإعدامه من قبل أُروج تتوقف مناوأة العثمانيين؟ أم أنّ هناك من لا يريد التسليم بالأمر الواقع؟ وهل الأسبان سيستغلّون الفرصة ويقومون بتحريك المناوئين، خاصة وأنّهم هم الخاسر الأكبر في كل ما وقع وجري من تحرير صخرة البنيون ومقتل حليفهم الزعيم الثّعالبي سالم التّومي. هذا ما سنحاول الكشف عليه ومعرفته من خلال ما يتعرض له أوروج (بارب روس الأول) [2] بعدما توجه إلى الجهة الغربية من البلاد، وما يقوم به ابن سالم التومي.

-) حركة يحيى بن سالم التومي:

بعد القضاء على رأس الفتنة (سالم التومي)[3] واستتباب الأوضاع على الأقل ظاهريّا، غادر أُروج مدينة الجزائر باتجاه الغرب الجزائري وكر الأسبان، ومركز السلطة الزيّانية بعد

---

1) بن خروف، مرجع سابق، ص.21 .

2) هكذا جاءت في تحفة الزائر... لمحمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، ج1، ط2، ص. 26.

3) يذكر أبو القاسم سعد اللّه أنّه قد تم تمثيل مسرحية في ولاية فيلا دلفيا بالو. م. م. تتمحور حول زفيرة (ظفيرة) . وقد اختلفت المصادر حول هذه الرواية هي الزوجة أَم أُم سالم(سليم) التومي. (انظر جون بابتست ولف: الجزائر وأوربا، تر، أ.سعد اللّه، ص. 467). وهنا نلاحظ التهمة التي حاكها كاتب المسرحية لتشويه شخصية الإخوة بربروس في أخلاقهم.

طلب سكان تلمسان مع بداية عام 1517م الذين طلبوا منه التدخل لاسترجاع السلطة المغتصبة من قبل أبو حمود الثالث وإعادتها إلى عمه أبي زيان[1]. على إثر ذلك، توجه أُروج مستخلفا أخاه خير الدّين على مدينة الجزائر والناحية الشرقية عموما، وفي هذه الأثناء ثارت ثائرة يحيى بن سالم التومي ذاك الفتى ابن الحادية عشر(11) سنة [2].

أراد يحيى ابن سالم التومي أن يسير على درب أبيه ويكمل ما لم يكمله، تدفعه في ذلك دوافع أغلبها شخصية، ممثلة في الانتقام لأبيه، واسترجاع مكانته التي كان عليها، ولا نبرء صاحة المحيطين به والمقرّبين من أبيه، وخاصّة المنتفعين، حيث قام في وجه خير الدين بربروس، وهي مواجهة خالية من أي سند شعبي، وهو ما يفسر تحالفه مع حاكم إمارة تنس زعيم قبيلة سويد، ولجوئه إلى الأسبان عن طريق اتصاله بحاكم وهران، طالبا المساعدة للتخلص من العثمانيين [3].

د) موقف القوى الخارجية:

حينما نعلم بتوجه يحيى بن سالم التومي إلى الأسبان وهو في سن الحادية عشر فقط على إثر مقتل أبيه، تبرز وللوهلة الأولى حقيقتان: **الأولى**، أنّ الفتى لم يذهب وحده، فصغر عمره، وانعدام تجربته السيّاسية يجعلنا نعتقد أنّه لابد وأن سيكون برفقة وفد من الأعيان، ومن لهم احتكاك بالسيّاسة، وبالتأكيد من المقربين لأبيه. **أمّا الثّانية**، فهي في جواب السؤال التالي:

---

1) إيفانوف، مرجع سابق ص. 126.

2) وليم سبينسر الجزائر في عهد رياس البحر... ، ص. 32.

3) سعد اللّه ، "بحوث في التاريخ العربي الإسلامي"...، ص. 498 .

لماذا قصد ابن سالم التّومي الأسبان؟ وماذا ينتظر منهم ؟ وممّا سبق، تتضح لنا المواقف المختلفة من سياسة أروج تجاه مشيخة الثّعالبة. فموقف الثعالبة (الأعيان) و إن لم يكونوا كلهم ضد أُروج، فعلى الأقل البعض منهم كان معارضا للوجود العثماني، ويظهر ذلك من خلال الوقوف مع الصبي يحيى ابن سالم التومي ومؤازته والسير معه إلى غاية وهران. أمّا موقف الأسبان فيكاد يكون معروفا مسبقا. فماذا ينتظر من عدو فلسفته الحياتية هي العداء الصّريح، وأثبت ذلك من خلال التّحالف الذي تمّ بين القوى الأسبانية والسلطة الزيّانية، والذي كانت نتيجته استشهاد الأخوين إسحاق وأُروج فيما بعد. وبهذا الاتصال الذي يعد دعوة صريحة، وصك على بياض، تفاعل معه حاكم وهران (المحتلة). وتراسل هذا الأخير مع ملكه بإسبانيا، طالبا اغتنام الفرصة و إرسال المدد العسكري. ولم يتأخر الملك الأسباني في إرسال قوات عسكرية؛ مدعما بها القوات الرابضة في وهران من قبل، وفي نفس الوقت تعزيزا للقوات الزيّانية المناوئة للعثمانيّين؛ حيث تحالفا معا وقرّرا التصدّي لقوات الأخوين البربروسيين أُروج وإسحاق، ومن معهما. ولقد كانت النّتيجة كارثية بالنسبة للقوات العثمانية، وأقرب ما تكون كذلك بالنسبة إلى بلاد المغرب عموما؛ حيث أمام عدم تكافؤ القوتان العثمانية والزيّانية الأسبانية، على عدّة جبهات مما أدّى إلى استشهاد الأخوين إسحاق ثم أُروج: حيث استشهد إسحاق في جانفي 1518م في معركة مع قوات السلطان أبي حمو الثالث، المتعاونة مع الأسبان، قرب قلعة بني رشيد [1]. أما أُوروج، فبعد خمسة أشهر من الجهاد والذود عن تلمسان، ضد هجمات الأسبان فقد استشهد [2] في أيار/ ماي 1518م، بالقرب من منطقة سيدي موسى من ضواحي الواد

---

1) إيفانوف، مرجع سابق، ص. 26.

2) بعد ما استشهد أُروج في بمنطقة خارج تلمسان والتي اختلفت الآراء حولها، بين كل من: إبن سحنون الراشدي، وأبي راس النّاصري، و الفرنسي بربريجر، والدكتور شو،... حُزَّ رأسه وحمل إلى قائد وهران الأسباني، ثم حمل إلي بلاط الملك شارل الخامس بأسبانيا، ولا يزال رأسه هناك إلى اليوم. أمّا قفطانه المضرّج بالدّماء فقد نُزع منه وهو ميت وأُخذ كغنيمة ثمينة لفترة

المالح (Rio Salado) ، بعد ما تسلّل خارج المدينة مضطرا، من شدة الحصار المضروب عليه داخلها [1]. وبعد معركة حامية الوطيس خاضها مع ثلّة من رجاله في يوم شديد الحرارة ضد القوات الأسبانية استشهد أوروج، وهو يجاهد بيد واحدة ! وبها وحدها قتل حوالي مائة جندي إسباني [2]. لقد كان فقدان البلاد في استشهاد أُروج، فقدان سيف مشهور[3]، أبى صاحبه ألاّ ينسحب من ساحات الوغى، إلاّ وهومنتصر أو شهيد. وعلى إثر ذلك، عاد ما تبقى من جيشيه إلى مدينة الجزائر حاملا أسوأ خبر إلى خير الدّين بربروس[4]. وبعد وصول خبر استشهاد أروج مسمع خير الدين بربروس، وهو بمدينة الجزائر قال: « عندما وصل خبر استشهاد أخي إلى الجزائر قرّرت أن أعيش لغاية واحدة هي المضي في نفس الطريق الذي سار عليه أخي، تلك الغاية التي كانت تتمثل في التضييق على الكفار في إفريقيا والبحر المتوسط، فما قيمة الحياة بعد أخي ؟ » [5]. وهذا بعض من أهداف العثمانيين في المنطقة. هكذا كان استشهاد أُوروج (بربروس الأول) بعد ما وضع أسس الدولة الجزائرية، وإدارتها بإنشائه؛ ديوانا لمناقشة ودراسة أمور البلاد المختلفة، وبعد ماضرب النقود، وأسّس نواة الجيش، واتخذ راية رسمية للجزائر،

طويلة، ثم حفظ في أديرة بقرطبة. (انظر إيفانوف نيقولاي ، الفتح العثماني...ص. 127. وكذلك وليام سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص. 29.

1) إيفانوف، مرجع سابق، ص. 127.

2) خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص. 92.

3) لما استشهد أروج، أصبح الأسبان يرددون :« الشكر لعيسى فقد استرحنا من البلاء الأكبر، والآن يجب أن نتخلص بسرعة من البلاء الأصغر، قبل أن يتحول الثعبان إلى تنين » . انظر ، مذكرات خير الدين، ص. 93.

4) وولف، مرجع سابق، ص. 31 .

5) مذكرات خير الدين،... ، ص. 93.

ألوانها، الأصفر والأحمر والأخضر[1]. وبهذه النّهاية الأليمة يمكن القول أنّها وشجّعت زعماء محلّيين آخرين أمثال إبن القاضي أمير إمارة كوكو، وبوطريق زعيم منطقة مليانة على التمرّد وأثارت اضطرابا، خاصّة بضواحي مدينة الجزائر[2].

2) حركة ابن أحمد بن القاضي: (925هـ/ 1519 م)[3].

قبل تناول موضوع حركة التّمرد الأولى التي قادها ابن أحمد بن القاضي أمير إمارة جبل كوكو، والتي انطلقت من بلاد زواوة، نرى من الأهمية بمكان التعريف بالأمير أحمد بن القاضي الأب أوّلا، ثمّ التّمييز بين الأمير الأب، والأمير الابن. فالأمير الأب هو: الشيخ سي أحمد بن القاضي الغبريني سلطان إمارة كوكو، الواقعة ببلاد زواوة [4]. والغبريني هو أحد أجداده، ومن الذين عاشوا في القرن 13م. والشيخ سي أحمد بن القاضي هو سليل الأسرة الإدريسية، المنتسبة إلى الجد عامر بن إدريس، أمير قبيلة صنهاجة، خلال 275هـ/888 م. حيث بعد سقوط دولة الأدارسة بأقصى المغرب، نزحت أسرة عامر بن إدريس إلى منطقة كوكو الكائنة بجبال جرجرة، وأسس بها زاوية [5].

أما الشيخ سي أحمد بن القاضي، فقد كان يشغل منصب أمير على إمارة بجاية، التّابعة للدّولة الحفصيّة، وارتقى إلى منصب خليفة على المنطقة الممتدّة من مدينة جيجل إلى

---

1) عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج$_1$، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص. 215.

2) سعد اللّه: تاريخ الجزائر الثّقافي ...، ج$_1$، ص. 208.

3) Eugène Vayssettes, Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517-1837, pré. Ouarda Siari-Tengour, éd. Média –Plus, 2010, p. 41.

4) المدني، حرب الثلاثمائة سنة ... ، صص.189-195.

5) Henri Genvois : Les Rois de KOUKOU , Alger. (A. L. E), Alger, 2017 , p.15.

الأطراف الشّمالية للصحراء. وقد ساهم بدور فعال في استقرار الإخوة بربروس، لما قدم أُروج إلى مدينة بجاية والتحق به أصبحا صديقين متحالفين[1].

كما يعد سببا في ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية عن طريق سفره مع الوفد الذي أرسله خير الدين إلى السلطان العثماني سليم الأول[2]. وهو صهر السلطان الحفصي أبي بكر، بزواجه بإبنته (ياقوتة)، وكان زواجه هذا زواجا سياسيّا صرفا، لما كانت بجاية تابعة للعرش الحفصي، على غرار مدينة عنابة التي كان عليها أحمد بن الحسن الحفصي أميرا [3]. وإنّه لمن الطبيعي أن يوكّل السلطان الحفصي مهمة المنطقة الغربية والمحاذية للزيانيين إلى من يثق فيه؛ ولذلك عيّنه نائبا عنه ببجاية، حاضرة المنطقة الغربية من المملكة الحفصيّة. وصار بذلك حليفا وحارسا بالثغر الغربي للمملكة [4].

دخل العثمانيون بزعامة الإخوة بربروس إلى الجزائر بتشجيع من الأهالي وبعض الزعماء المحلّيين مثل: سالم التومي أمير الثّعالبة، والشيخ أحمد بن القاضي (الأب)، أمير إمارة جبل كوكو والقاضي السّابق بمدينة بجاية أيام الزمن الحفصي كما ذكرنا سابقا. هذا الأخير، وهو الذي اختاره خير الدين وعينه نائبا، عنه، كأول مسئول إداري يتولى مسئولية إدارة الجزء

---

1) شوفالييه ، مرجع سابق، ص. 27.

2) الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق : ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب اللإسلامي، ط1، د بيروت، 1991، ص. 33.

3) المطوي، مرجع سابق، ص. 706.

4) يوسف بنوجيت، قلعة بني عباس إبّان القرن السادس عشر ، تر. سامية سعيد عمار، دار دحلب، الجزائر. (د.ت)، (د.ط)، ص: 115، 114. و للمزيد من الإيضاح انظر توفيق المدني، حرب الثّلاثمائة سنة.

الشرقي من الإيالة، في العهد العثماني، وقد كان نعم الاختيار، ونعم المسئول، إذْ برهن على ذلك برفض إغراءات وعروض السلطان الحفصي للانقلاب على خير الدين بربروس(1).

ولما توفي الشيخ أحمد بن القاضي، كان من الطبيعي أن يحافظ خير الدين على استقرار المنطقة، ولأجل ذلك اسْتُخْلِفَ بابنه المعروف بإبن القاضي على العرش. والسؤال الذي يطرح هل سار إبن القاضي (الابن) على نهج سياسة أبيه؟ أم عاكسها؟ وهل تحالف مع السلطة العثمانية على غرار أبيه ؟ الحقيقة أن ابن القاضي (الابن) قلب ظهر المجن لحليف أبيه خير الدين. فيقول محمد أبو راس النّاصر: « فلما انتظمت له (أي: خير الدين بربروس) الجزائر واستحكم أمرها وأكثر جندها وأصلح خللها بفضل مساعدات السلطان سليم خان، ناوأه الشيخ أحمد بن القاضي، أمير جبل كوكو »(2). وهنا نلاحظ كذلك هذا المصدر كغيره من المصادر اعتقد أن من ناوأ العثمانيين، وثار ضد خير الدين بربروس، وتحالف مع السلطان الحفصي هو أحمد بن القاضي؛ والحقيقة ليست كذلك ، وإنما هو إبن أحمد بن القاضي من ثار ضد السلطة العثمانيّة (3).

لقد تحالف ابن أحمد بن القاضي مع الأمراء الزيّانيين المناوئين للإخوة بربروس، و[علنوا حربهم على حرب العثمانيين بالجزائر. ولكن ذلك التحالف لم يكن مجديّا ولا كافيّا لكسر شوكة العثمانيّين، والسبب يكمن في كون الزيّانيّين كانوا في حالة ضعف، وبسبب ذلك

---

1) مذكرات خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص. 131.

2) محمد أبو راس النّاصر (ي): عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثّقافية (crasc)، وهران، الجزائر، 2012، ص. 49. والصحيح هو الإبن (أي إبن أحمد بن القاضي)، الأستاذ المشرف.

3) شويتام، مرجع سابق.

الضعف تم القضاء على تلك حركتهم ليعلو صدى الإخوة بربروس، وتنهال نداءات الاستنجاد وطلبات المساعدة [1].

أمّا سلطان إمارة كوكو الجديد ابن أحمد[2] بن القاضي فكانت توليته السلطنة حدثا هامّا وفرصة سانحة للمناوئين، داخل الإيالة كقارة حسن، وخارجها كالسلطان الحفصي الذي لا يزال يحن إلى تملك الإقليم القديم والمتمثل في المناطق الواقعة شرق مدينة الجزائر، حيث قام باستمالة أحمد بن القاضي وشجّعه على التمرد ضد خير الدين للتخلص من حكمه للجزائر. فيقول صاحب تحفة الزائر حول تآمر سلطان تونس على خير الدين بربروس بواسطة ابن أحمد بن القاضي ما يلي: « فرآى صاحب تونس أنه لايتم له ما أراده إلا بمداخلة ابن القاضي، فاتخذ الوسائل في استمالته إليه، والخروج عن طاعة خير الدين، واشترط له المقاسمة في الجيش والذخيرة على حربه، فارتاح إبن القاضي لذلك، وأسرها في نفسه، وأقام يترصد الفرصة،... »[3].

وبعد المواجهتين المتتاليتين سنتي 1518م، و1519م بين الجيش الإسباني وجيش خير الدّين بربروس، واللتان انتصر فيهما انتصارا باهرا ومؤزّرا، ازداد نجمه سطوعا وكعبه علوًّا، وثارت حفيظة الأشقاء الأعداء، وارتعدت فرائص لأعداء، وهو يؤكد على هذا في مذكراته بقوله: « كان تقديرا إلهيا، حيث هزمت ملك تونس وأسرته. ولم أتمكن من الإنتصار على بدوي

1) النّاصر (ي)، المصدر نفسه، ص. 49.

2) **نظرا لتشابه الإسمين** بين ابن القاضي الأب وابن القاضي الإبن، ونظرا للخلط الذي كان سائدا من قبل، ووقع فيه الكثير من الكتاب . فقد نبهنا إليه الأستاذ المشرف. كما نبّه إليه وهو مشكور على ذلك، ولذلك أضفنا له صفة الإبن في العنوان.

3) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص. 116.

مثل ابن القاضي...ففي الوقت الذي كانت فيه فرائص ملوك أوربا ترتعد بمجرد ذكر إسم « بربروس» كانت حركات العصيان تتوالد في الجزائر » [1].

ج) **موقف السلطان الحفصي (مولاي عبد الله).**

من المواقف التي كشفت عنها هذه الحركة أيضا، موقف السلطان الحفصي (مولاي عبد الله)، حيث اغتنم الفرصة وراح يبحث عمّن يكون رأس حربة ضدّ الوجود العثماني عموما، وضد خير الدين بربروس على وجه الخصوص. فوجد السلطان الحفصي ضالّته في الأسرة القاضوية نفسها، حيث ربط اتصالاته مع حسين شقيق[2] إبن أحمد بن القاضي وحرّضه على مناوأة خير الدين. غير أنّ هذا الأخير كان أقوى وتمكّن من إلحاق الهزيمة بخصمه الجديد (حسين)، وقضى على أحلامه وأحلام سلطان تونس مولاي عبد الله [3]. فبعد ما علم السلطان محمد الحفصي بالنصر الذي حقّقه خير الدّين، والانكسار الذي أحدثه في القوات الأسبانية، ازداد حذره، وراح يبحث عن القوة والتحالف ضدّه، ولأجل ذلك راح يراسل سلطان تلمسان. ولو أنّنا لم نستعرض فحوى المراسلة هاهنا، ولكن من المؤكد أنّها ضد خير الدين بربروس. وهو ما تم فعلا ولكن يصفة مؤقتة. حيث بعد ما تحالف ابن أحمد بن القاضي مع السلطان الحفصي، وهاجمه بقوات مشتركة من أتباعه ومن قوات حفصية، وكان اللقاء بمنطقة فليسة سنة(925هـ/1519م). وفي الأخير، فقد أسفر الصدام عن تغلب القوات المشتركة على قوات خير الدين وأبيدت عساكره عن آخرها. على إثر هذا مالت كفت القوة لصالح المناوئين، مما

1) مذكرات خير الدين.....مصدر سابق، ص. 111.

2) **هناك اختلاف** عن هوية من واصل الحركة المناوئة بعد ابن أحمد بن القاضي، فعند كورين شوفالييه ابن عم ابن أحمد بن القاضي ويدعى فرحات. كما سبق وأن أشرنا قبل قبل هذا.

3) درّاج ، الدّخول العثماني... ، ص.348 ، 347.

فسح المجال لابن أحمد بن القاضي بحكم مدينة الجزائر بعد دخولها بقواته، وفي نفس الوقت كان أحد ضباطه المدعو قارة حسن قد حانه وتحالف مع ابن أحمد بن القااضي؛ وعندئذ أحس خير الدين بالجذن والإنكسار فانسحب مجبرا إلى مدينة جيجل التي آوته مع إخوته سابقا [1].

وهناك من يرى، أن خير الدين لما التمس العداوة من إبن القاضي سارع إلى إرسال حامية عسكرية من الجيش الإنكشاري بقيادة قارة حسن إلى منطقة أهل زواوة مستبقا هجوم إبن القاضي، واستطاعت القوات العثمانية إلحاق الهزيمة بقوات إبن القاضي قبل فراره إلى ضواحي القل ومنها، إلى مدينة عنابة بعد ملاحقته من قبل قوات قارة حسن. وعلى ثر ذلك عادة القوات العثمانية إلى من حيث انطلقت، أمّا أمير كوكو فمن مدينة عنابة تواصل مع السلطان الحفصي وتحالف معه. وعلى إثر ذلك التحالف الذي يخدم الطرفين، عاد إبن القاضي يقود جيشا مركبا من قواته القديمة ومن قوات تونسية ولما بلغ بلاد زواوة، رغّب النّاس في حمل السلاح وحمّسهم للإلتحاق به؛ ومن ثمة الهجوم على مدينة الجزائر وافتكاكها من خير الدين.

وأما السلطان الحفصي فكان يدور في خلده استرجاع سيطرته علي المناطق الشرقية لمدينة الجزائر، كما كانت سابقا تابعة للدولة الحفصية، ولما علم خير الدين بزحف المتحالفين استنفر قواته من مدينة الجزائر والتقى الجمعان بمنطقة يسّر وبعد معركة حامية الوطيس بمنطقة فليسة أم الليل والتي انتهت بهزيمة نكراء للقوات العثمانية، وعلى إثرها نجا خير الدين بصعوبة والتجأ إلى مدينة جيجل. أمّا إبن القاضي فقد دخل مدينة الجزائر وليستقر فيها مدة سبعة [2] سنوات، من 1520 إلى 1527م[3].

---

1) A. Berbrugger, Les Turcs en Kabylie, Tafat éditions, 2012, p. 23 .

2) **هناك اختلافات** بين المؤرخين في مدة بقاء وسيطرة ابن القاضي على مدينة الجزائر. فهامر يذكر ست سنوات، وبيربروغر يذكر ثلاث سنوات. في حين بوليفة يذكر سبع سنوات. انظر: كورين شوفاليية، الثلاثون سنة... ص. 44.

3) شوفالييه ، مرجع سابق، ص. 42،43.

وأما السلطة المغربية فقد استمالت إبن علي نائب خير الدين على الجهة الغربية لمدينة الجزائر ليتمرد هو الآخر على غرار ابن أحمد بن القاضي[1].

وهنا نلاحظ أن السلطتين في كل من تونس والمغرب الأقصى لم تستسيغا الوجود العثماني بالجوار؛ ولذلك راحتا تبحثان عن متعاونين داخليا تحارب بهم السلطة العثمانية، ومن أجل ذلك، استغلت كل ما يمكن استغلاله. لقد خالف ابن أحمد بن القاضي سياسة أبيه وقلب ظهر المجن لخير الدين كما أسلفنا ذكره، ليتحالف مع السلطان الحفصي، مستغلا رابطة المصاهرة السابقة، بين الحفصيين، والأسرة القاضوية ضد السلطة العثمانية [2].

ومن شدة مناوءته للسلطة العثمانية، أخذ يراسل كل القوى المحلية، محرّضا إياها على التمرد بقوله: « ما الذي جاء بالأتراك إلى الجزائر؟ هذي بلاد العرب لنجتمع ونتخلص منهم جميعا »[3].

ونعتقد أنه كان يعني بلاد المغرب الأوسط بكامله، دون تحديد جهة معينة، وكذلك لم يتكلم بلسان جهوي، ولا لسان عرقي. وقد كرر هذا مرة أخرى وهو يناشد السلطان الحفصي لدعمه قائلا له: « لنكن يدا واحدة، ونخرج الأتراك من بلاد العرب »[4] .

---

1) أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تح. توفيق المدني، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 42.

2) درّاج ، الدخول العثماني إلى الجزائر ، ص. 275.

3) خير الدين، مذكرات خير الدين بربروس... ، ص. 111.

4) خير الدين بربروس،مذكرات هير الدين بربروس، ترجمة، محمد دراج، دار طليطلة، المحمدية (الجزائر)، 2015، ص.117.

ب) أسباب المناوأة.

هناك جملة من العوامل اجتمعت، وتبدو لنا، كافية لتكون أسبابا دافعة لابن أحمد بن القاضي كي يناوئ السلطة العثمانية في الجزائر، وإعلان تمرّده على حليف والده بالأمس؛ والذي يذكر أنه رفض إغراء وتحريض سلطان المملكة الحفصية على خيانة حليفه خير الدين بربروس. وقد رد على إحدى رسائله المحرضة بالجواب التالي: « يا عجبا !.. أي شيء فعله معك خير الدين من الشر حتى تكتب لي فيه بمثل ما كتبت ؟ فإني لا أقدر على خيانته، ولا يساعدني قلبي على المكر به... فاقطع طمعك مني، فإني لا أتابعك على ما تريد، ولا يحصل مني ندم إن شاء الله... » [1]. أما عن عوامل تمرد ومناوأة ابن أحمد بن القاضي، فنوجزها في النّقاط التاليّة [2] :

•- مكاتبة السلطان الحفصي وتشجيعه بالدعم والمساندة على التمرد، منذ عهد أبيه، وإغراؤه بالسلطة بعد القضاء على خير الدين بربروس.

•- إلتماس الموافقة، والدعم من قبل قائد البحرية، قارة حسن، المتمرد على قائده خير الدين بربروس. وقد راسل ابن أحمد بن القاضي في هذا الشأن، ووعده بقيادة الأسطول وولاية غرب الجزائر في حالة الانتصار على خير الدين بربروس.

•- الرغبة والطموح الكبيرين إلى العرش وجاذبيّته، وكيف لا وهو ابن سلطان كوكو وقد عايش ذلك عن قرب. وقد عبر عن ذلك في رسالته للسلطان الحفصي قائلا:

---

1) دراج، الدخول العثماني .... ، ص. 367.

2) درّاج، نفسه ، ص. 368.

« لنكن أنا وإياك يدا واحدة... ونطرد خير الدين من الجزائر فأكون أنا سلطانا عليها...» [1].

•- ثقته في الأسبان واعتماده على عداوتهم للعثمانيين.

•- استغلال استشهاد أُروج بربروس وأخيه إسحاق، آملا تكسّر جناح خير الدين وضعفه.

ج) موقف السلطة العثمانية.

بعد ما تيقن خير الدين من عداوة ابن أحمد بن القاضي له، عين بسرعة فرقة عسكرية قوامها خمسمائة رجل وقد كلف خير الدين رفيقه في الجهاد قارة حسن بقيادة هذه الحملة،لإخضاع المنطقة الشرقية للبلاد والقضاء على إمارة كوكو الثائرة، والتي أصبحت ثورتها بالنسبة للمناطق المجاورة، مؤشر على ثورة شاملة. وكان من غير الإمكان استتباب الأمن بالمنطقة، وإبن أحمد بن القاضي قد توسع بالجهة الشرقي، هتى بلغ المنطقة الواقعة ما بين القالة وعنابة [2].

وبعد التراسل والتشاور بين المناوئين المتحالفين ضد السلطة العثمانية في الجزائر، دخل السلطان الحفصي بقواته داخل الجزائر بعد الاتّفاق مع أميركوكو على محاصرة خير الدين وقواته المتمركزة بمدينة الجزائر ومباغتته. فنُفّذ الهجوم الأول من قبل القوات الحفصية وبقيادة السلطان نفسه. لكن المواجهة من قبل خير الدين بربروس كانت عنيفة، وبذلك ألحقت بالقوات الحفصية هزيمة نكراء، ومن أبرز ما فيها: هو أسر السلطان الحفصي خلال المعركة. لكن خير الدّين أطلق سراحه بعد ما حقق نصرا ساحقا عليه. غير أن خير الدين بربروس لم يستمتع

---

1) خير الدين بربروس، مذكرات، مصدر سابق، ص. 118.

2) E . Vayssettes: op. cit , p.42.

كثيرا بانتصاره على السلطان الحفصي، حتّى باغته ابن أحمد بن القاضي من حيث لايدري، وكانت مباغتة قاصمة، كونها جاءت بعد مواجهة سابقة منهكة ضد القوات الحفصية [1].

د) نتائج هجوم ابن القاضي على خير الدين.

بعد الهجوم المفاجئ لقوات ابن أحمد بن القاضي للقوات العثمانية، ونظرا للتعب الكبير الذي أصاب قوات خير الدين؛ جراء المعركة السابقة؛ ضد القوات الحفصية، فإن، الانتصار السابق تحول إلى انكسار وهزيمة. فكانت نتائج ذلك الهجوم كما يلي[2] :

1- قُدّرت خسائر خير الدين بربروس أمام ابن أحمد بن القاضي بحوالي 750 رجل من القوات البحرية العثمانية.

2- وحوالي 1500 أسير من قوات خير الدين.

3- الانسحاب العسير لخير الدين، ومن معه من ميدان المعركة، ولجوئه إلى مدينة جيجل [3].
أمّا فيما يخصّ ابن أحمد بن القاضي، فإنّ أول نتيجة تحصّل عليها، تمثّلت في بسط هيمنته على كل المناطق الشرقية لمدينة الجزائر. مع إشاعة التّمرّد والعصيان بين سكانها. وأنّ القوات العثمانية قابلة للانهزام. وتوج كل ذلك بمغادرة خير الدين مدينة الجزائر، واللجوء إلى مدينة

---

1) درّاج: الدخول العثماني إلى الجزائر، ، ص. 276.

2) مذكّرات خير الدين بربروس، نفس المصدر. ص. 117.

3) **خلافا** عمّا وصفه محمد درّاج في كتابه " الدخول العثماني إلى الجزائر" ص. 276، بأنّ انسحاب خير الدين كان صعبا للغاية ، لكن ما يفهم من مذكرات هذا الأخير، أنّه خرج بإرادته رغم معارضة سكان مدينة الجزائر. المتمسكين به. انظر، مذكرات خير الدين، مصدر سابق، صص. 117 ، 119 .

جيجل، ملتمسا الوفاء ورد الجميل من أهلها[1]. وذلك بالرغم من اعتذار إبن القاضي (الابن) وإلحاح السكان عليه بالبقاء إلا أنه أصر، فقال: « لم أقبل الإعتذار وقلت للمرسل إليّ، هاهي مفاتيح قلعة الجزائر سلمها لسيدك المتلهف على السلطان والملك وليأتي إلى الجزائر وليستمتع بالجلوس على عرشها...» [2].

استقبل خير الدين بأحضان أهل مدينة جيجل، ورحبوا به، ومكث بينهم مدة ثلاث سنوات متنقلا بين المدينة وجزيرة جربة، مستغلا هذه الفترة في تمتين علاقاته مع أمير قلعة بني عباس المعادية لإمارة آل القاضي، وذلك بغية تقليص النفوذ الحفصي بالشرق الجزائري، مستغلاّ عدم تقبل سكان المدينة سياسة أمير كوكو، وأثبتوا حنينهم إلى زمن خير الدين [3]. بل بددوا كل ما ساوره من شك حول ولائهم له فقالوا له: « معاذا الله أن نكون قد شققنا عصا الطاعة لمولانا... فنحن لا نرض أن تنسب إلينا هذه اللوثة. إننا معتزون بتبعيتنا للسلطان سليمان خان ولا صلة لنا بما جرى في الجزائر من تمرد وعصيان »[4]. ومن خلال موقف أهل مدينة جيجل، نستنتج محدودية رفض السكان للعثمانيين. وأن تبعيّتهم كانت عن رضا وقناعة. لكن العداوة والصراعات استمرت بينهما إلى غاية هزيمة ابن أحمد بن القاضي سنة 1527م، في معركة فاصلة بأحد الأودية القريبة من بودواو، شرق الجزائر العاصمة، وبالضبط بمعبر عائشة.

---

1) مذكّرات خير الدين بربروس،نفس المصدر. ص. 117.

2) مذكرات خير الدين بربروس، نفس المصدر، ص. 119.

3) دراج ، الدخول العثماني إلى الجزائر... ، ص. 278 .

4) مذكرات خير الدين بربروس... ، ص. 120.

وعلى إثرها تمكن خير الدين من دخول مدينة الجزائر من جديد، سنة [1].

هـ) عودة خير الدين إلى مدينة الجزائر.

لم تكن عودة خير الدين بربروس إلى مدينة الجزائر نتيجة قرار فجائي أو ارتجالي، وإنما كان بعد مطالبة أهالي المدينة، وبإلحاح على عودته إليهم، وذلك عن طريق إرسال عدة وفود متتالية. فاستشار خير الدين رفيقه سنان رئيس الذي أحس بملاءمة الظروف لعودتهم فقال خير الدين: « علينا أن نظرب الحديد مادام ساخنا. لقد حان أوان عودتنا »[2].

وكان يشير إلى اغتنام فرصة السانحة؛ والمتمثلة ثي الوفود المتتالية من مدينة الجزائر تطالب خير الدين بالعودة إلى المدينة، وكذلك تذمر معظم السكان من ابن أحمد بن القاضي. فقرر خير الدين بربروس مغادرة مدينة جيجل بعد انقضاء فصل الشتاء، من سنة 933هـ/ 1527م واتجه صوب مدينة الجزائر؛ وذلك لما ضمنه من مؤازرة بعض قبائل الشرق الجزائري، واطمأنّ إلى رغبة أهل مدينة الجزائر في استقباله كسابق عهدهم. فزحف بقواته المقدرة بإثنى عشر ألف (12.000) بحار، من ضمنهم أربعة آلاف فارس (4.000)، بالإضافة إلى الآلاف الذين انضموا إليه من السكان وهو متجه إلى الجزائر. ولكن قبل وصوله بقليل وقع الصّدام بينه وبين قوات ابن أحمد بن القاضي من جديد، بمكان مسمّى ثنية بني عائشة (الثنية حاليّا). حيث التحم الجيشان وانتهى الصدام الأول على إثر إغارة ابن القاضي (الإبن) ليلا على القوات العثمانية، لكنها كانت غارة فاشلة، حيث فقد فيها ابن القاضي ثمانمائة من رجاله، في المواجهة

---

1) Mahfoud, Kaddache, L'Algerie des algeriens de la prehistoire à 1954, EDIF, 2000, p. 372, 373 .

2) المرجع نفسه، ص. 126.

الأولى. وفي المواجهة الثانية خسر مائة وخمسة وثمانين من رجاله وسبعة وتسعين من الخيول، ومن دون خسارة في صفوف القوات العثمانية. وفي اليوم الموالي وقعت المواجهة الثالثة، وبعد يوم كامل من الإشتباك، انتهى بمصرع الأمير ابن أحمد بن القاضي لما كان يهم بالفرار من المعركة [1].

وكذلك القضاء على، قارة حسن[2] المتمرد على رئيسه. بالإضافة إلى استسلام ك الجنود الذين جاءوا من الأناضول وانضموا لقوات ابن القاضي. ومن شيم خير الدين العفو متغاضيا عن زلتهم مع المتمرد ابن القاضي؛ و بذلك كسبهم وعزّز بهم صفّه[3]. وبعد ذلك، توجه خير الدين إلى مدينة الجزائر، وبعد ساعة من الزمن دخلها بمعية قواته ظافرا منتصرا. وكان أعيان المدينة في انتظاره فأكرموه بإطلاق طلقات مدفعية وهكذا استعاد المدينة المحروسة من جديد، لتلتحق به قواته المتبقية في مدينة جيجل بقيادة سنان رئيس، والمقدرة بثلاث وثلاثين سفينة بما فيهم عائلته [4]. وهكذا كانت هزيمة ابن أحمد بن القاضي، و رئيس قواته، أمام قوات السلطة العثمانية، بقيادة خير الدين بربروس. لكن هل بعد هذه النهاية ، كافية لإنهاء حركة التمرد القاضوية ؟

---

1) **تشير بعض المراجع** إلى أن مقتل ابن أحمد بن القاضي قتل على يد أحد أتباعه نتيحة الندم والتذمر الذي بلغوه نتيجة سياسته ، انظر، دراج، الدخول العثماني إى الجزائر. وهناك رأي آخر مفاده ؛ أنه قتل من قبل أحذ أتباع إمارة بني عباس المتحالفة مع خير الدين بربروس، وهذا الرأي لايرد على أصحابه لكون العداوة كانت على أشدّها بين كوكو وبني عباس.

2) **هو بحار** و قائد جيش خير الدين بربروس، الذي كلفه بالتصدي لقوات المتمرد ابن أحمد بن القاضي، غير أن هذا الأخير استماله ودفع به إلى التمرد بمعيته، واعدا إياه، بتقاسم العمل والرعية، لكن بعد ذلك استقل بشرشال وأعلن انفصاله بها. (انظر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، مصدر سابق، ص. 118).

3) مذكّرات خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.138.

4) مذكرات خير الدين بربروس، المصدر نفسه، ص. 139.

إنّ هذه النّهاية لم ولن تكن أخيرة، لإنهاء حركة التمرد على السلطة العثمانية؛ لأنّ هناك من واصل مناوأة السلطة العثمانية، ومعاداة خير الدين بربروس وهو المسمى فرحات[1] ابن أخ أمير كوكو، هذا الأخير واصل حركة التمرد على السلطة، لمدّة سنتين. ولكن دون مجابهة صريحة [2]. ومع ذلك، فقد ألقى جنود خير الدين القبض عليه، وسلموه، إليه. ولمّا مثل بين أيدي خير الدين بربروس، طلب الصفح منه و واعتذر نافيا علاقته بتمرد عمّه الشيخ ابن أحمد بن القاضي، ثم أقرّ بدفع الضريبة السّنوية بقيمة عشرة آلاف دينار. بالإضافة إلى ألف جمل، وألف بقرة وألفي شاة، ومائة بغل، وعشرين فرسا، مع عدم مغادرة جبال بلاد زواوة إلا بإذن من خير الدين [3]. وبذلك خمدت حركة تمرد آل القاضي ، والتي تعد من أخطر الحركات المبكرة المناوئة للعثمانيين بالمنطقة. وقد سمحت هذه النتيجة التي آلت إليها حركة تمرد آل القاضي على خير الدين إلى القضاء على الحركته[4]. لكن، السؤال الواجب طرحه هو، هل كان قضاء نهائيا ؟ هذا ما سنتعرف عليه من خلال التدخل الأسباني والتواصل مع إمارة كوكو.

و) موقف القوى الخارجية من حركة ابن أحمد بن القاضي.

كما أسلفنا أعلاه فإن القوى الخارجية وخاصة القريبة جغرافيا من الأحداث، كسلطنة تونس، ومملكة المغرب استغلتا الأوضاع الداخلية للجزائر، ووضعية السلطة العثمانية، ونزعة بعض المناوئين المحليين، فراحت منتهزة الفرصة؛ إما بالتدخل المباشر كما فعلت مملكة

---

1) في بعض المراجع ورد باسم حسين بن القاضي. انظر، دراج، الدخول العثماني... ، ص. 435.

2) مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، دار القصبة، الجزائر،2009، ص. 137، ها(2).

3) مذكرات خير الدين بربروس، مصدر سابق ، ص. 133. وانظر أيضا، شوفالييه، مرجع سابق.

4) درّاج، الدّخول العثماني... ، ص، 279.

المغرب حينما دعمت المنشق نائب خير الدين على الجهة الغربية من الجزائر، أو كما شجعت الدولة الحفصية زعيم التمرد بالجهة الشرقية ابن أحمد بن القاضي على محاربة خير الدين بربروس بالجيش والعتاد[1]. ورغم عدم تحقيق حركة ابن القاضي (الإبن) المناوئة للسلطة العثمانية، ما كانت تصبو إليه، وفشل القوى السياسية الخارجية الداعمة لها، إلا أنها استمرت في مناصبة العداء للحكومة العثمانية بالجزائر، واستمرت في ترصد الفرص المواتية. وهذا ماقامت به إسبانيا في تدعيم وتحريض إمارة كوكو ضد السلطة العثمانية خاصة، وأن هزيمة شارلكان سنة (948هـ/1541م) بساحل مدينة الجزائر لا تزال وصمة عار في الشرف العسكري الأسباني وملكه، الذي رمى تاجه في مياه الشاطىء الجزائري على إثر الهزيمة التي مني بها على يد الجزائريين بقيادة حسن آغا [2].

لقد استطاعت بعض تلك القوى الخارجية (الأسبانية)، استمالة حاكم إمارة كوكو، ووقعت بينهما مراسلات، من بينها رسالة من حسين بن القاضي إلى الأمبراطور الأسباني شرلكان سنة 1543م [3]. و تمتين العلاقة بين الطرفين استطاعت إسبانيا انتزاع موافقة أمير إمالاة كوكو على بناء حصن عسكري لحماية حامية عسكرية بالإمارة خلال شهر أفريل 1603م [4]. إن هذا التواصل المشبوه بين إمارة كوكو وإسبانيا قد يكون في رأينا من بين أسباب استمرار معاداة إمارة كوكو للسلطة العثمانية القائمة. فبعد ما استطاعت السلطة العثمانية

1) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ، ص. 116.

2) إلتر، مرجع سابق، ص. 166.

3) دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر... ، ص. 435.

4) Moulay, Belhamissi, Alger, L’Europe et la guerre secrète 1518-1830, éd. A.N.E.P. Alger, 2009, p.199.

بسطت نفوذها، وبعد جهد جهيد ولو مؤقّتا، على الجهة الشرقية، خاصّة بعد تغلبها على ثورة إبن الصخري، التي اندلعت سنة 1637م، وبعد ماحقّقت هذا النّصر (المؤقّت) تفاجأت قي حدود سنة 1643م، وقبل أن تلتقط أنفاسها، علمت السلطة العثمانية بقلاقل واضطرابات بإمارة كوكو. فجّهزت قوة عسكرية للتصدّي لتلك الحركة. فسيرت الحملة العسكرية نحو المنطقة، رغم صعوبة تضاريسها؛ [1].

غير أنّ السلطة تحسّست قوة المناوئين، وصلابة مقاومتهم، فتراجعت وعادت من حيث أتت، لكنّها وكعادتها، عمدت إلى المهادنة ربحا للوقت، وربّما للبحث عن طريقة من الطّرق البديلة لاحتواء الحركة. ويبدو أنها اهتدت إلى حل، فبعد عام، قام الدّيوان بتعيين (علي بتشين)؛ وهو صهر سلطان كوكو على رأس القوات البرية وتم تكليفه بتسيير شؤون الدولة. وخلال تلك الفترة تصدّى للحركة ، وبعد جهد كبير وبصعوبة بالغة، تمكّن من إخماد نارها، حيث استغرقت حوالي عشرية كاملة. وقد عاصرها يوسف باشا خلال الفترة الأولى من حكمه (1634 -1637) [2].

لكن الحقيقة أن التواصل بين الأسبان وإمارة كوكو لم ينقطع، فتشير بعض المراجع ال إلى تبادل الرسائل بين الطرفين خلال سنة 1598م، سواء من ملك كوكو إلى الملك الأسباني، أوحتى من شخصيات أخرى، وكانت تهدف إلى التعاون العسكري والتحريض ضد الأتراك، ومنها الرسالة المؤرخة قي يوم 16 جوان 1598م [3].

---

1) أرزقي شويتام و رقية شارف، المجتمع الجزائري عشية الإحتلال الفرنسي، دار الأمال، الجزائر، 2019، ص. 72 .

2) محرز، مرجع سابق، ص. 55.

3) عبد القادر فكاير، الغزو الأسباني للسواحل الجزائرية 1505- 1792م، دار هومة، ط2، الجزائر، 2012، ص. 136.

ز) آثار ونتائج الحركات المناوئة السّابقة:

يبدو أنّ تلك الحركات التي قادها كل من إبن أحمد بن القاضي وقارة حسن قائد الأسطول الجزائري السابق، وأهل مدينة الجزائر، كان لها صدى وتأثير حتّى على من هم بالمناطق النّائيّة. ففي السنة الموالية (934هـ/ 1528م) تحرّك أهل قسنطينة وثاروا على السلطة العثمانية بالمدينة والممثّلة في قائد المدينة الذي عيّنة خير الدّين وهذا له دلالة، إذْ يعدُّ التمرد على قائد المدينة بمثابة عدم الطّاعة والاعتراف بباشا الجزائر ومن ثمة عدم الرّضا على الوجود العثماني. إنّ ما جرى بشرق البلاد (قسنطينة) كان له نظير في غربها. إذْ قام سلطان تلمسان (مولاي عبد الله) الذي نصّبه خير الدّين على المدينة ومكّنه من الحفاظ على عرش آبائه وأسلافه، إلاّ أنّه تمرّد هو الآخر، حيث امتنع سنة (941هـ/ 1534م) عن أداء الضريبة المتفق عليها. ولم يتوقف عند حد الامتناع عن أداء الضريبة، وإنّما بلغ العصيان ومناوأة السلطة العثمانية، إلى حد الامتناع عن الخطبة باسم السلطان العثماني، مفضّلا إلقائها باسمه، بل الأكثر من ذلك، قام سلطان تلمسان (مولاي عبد الله) بمد اليد إلى الأسبان المحتلّين لسواحل بلاد المغرب وأعداء أهله وخير الدين نفسه[1]. أمّا عن أسباب ودوافع هذا العداء المفاجئ والتحول من معسكر خير الدّين والوطن إلى معسكر الأسبان، فإنّ بعض الأبحاث ترجعه إلى الضغوط التي مارستها مملكة إسبانيا على السلطان الزيّاني، وذلك باحتلال مدينة هنين السّاحلية بتاريخ : 1531/9/11م، وخنق تلمسان اقتصاديّا إلى غاية سبتمبر (940هـ/ 1534م)، وكل ذلك انتقاما منه بسبب علاقته الطيّبة مع خير الدّين. وأمام الضغط الأسباني والضعف الزيّاني استسلم السلطان عبد الله لإرادة الأسبان وقام بمعاداة خير الدّين الدين [2].

---

1) دراج، مرجع سابق.

2) درّاج، الدّخول العثماني ...، ص. 295 .

وفي هذا الصدد جاء في رسالة وجّهها الكاردينال خمينيس إلى الأمبراطور شارلكان مايلي: « ... كما أنّ امتلاكنا لمدينة هنين[1] يساعدنا بالأخص على إبقاء ملك تلمسان تحت أيدينا...» . وقد وفق الأسبان في مسعاهم، إذ، بعد احتلال هنين جاهر سلطان تلمسان بمعاداة خير الدين بربروس[2].

ح) **موقف السلطة العثمانية:**

ما كان من خير الدّين، إلاّ أن أعدّ العدّة الكافية وألقى القبض على السلطان المتمرد وسجنه، لكن لما تدخّل أعيان وعلماء مدينة تلمسان ملتمسين العفو عن سلطانهم مع إلزامه بدفع غرامة بقدر ثلاثين ألف دينار ذهبي؛ وجبرا لخواطرهم عفا عنه وأطلق سراحه [3]. وإذا كانت هذه آثار الحركات المناوئة التي تصدّى لها خير الدين بربروس، فإنّ نتائج ذلك التدخل تتمثل في ما يلي: التصدّي لتلك الحركات بحزم وعزم من قبل خير الدّين، كما كان من نتائجها ما أفرزته من مواقف لبعض أعيان وعلماء البلاد ، وذلك من خلال الفتوى التي أصدروها ودعّموا بها خير الدّين. بالإضافة إلى الاعتذار الذي تقدّم به بعض الشيوخ لخير الدين، وبذلك استقوى وراح يضرب بيد من حديد كل مناوئ للسلطة العثمانية. وبذلك أُخمدت حركة التمرد[4].

---

1) **تقع مدينة هنين** غرب مصب واد التافنة الذي شهد المعاهدة الشهيرة بين الأمير عبد القادر والماريشال الفرنسي بوجو. كانت ميناء تلمسان في القديم، ثم اندثرت ثم أعيد بناؤها من جديد وأصبحت عامرة وبنفس الإسم. انظر، محمد بن عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق، محمود بوعياد، (م. و. ك.)، الجزائر، 1985، ص. 287.

2) درّاج، الدّجول العثماني... ،ص. 296 .

3) درّاج، نفسه، ص. 297.

4) درّاج، نفسه، ص.297، 298.

ط) نتائج الصراع بين ابن القاضي الإبن وخير الدين بربروس.

ما يمكن استنتاجه من جراء الصّراع الذي دار بين السلطات العثمانيّة وإمارة كوكو مايلي:

1- بروز العداوة التي تكنّها السلطات الحفصية والمغربيّة نحو السلطات العثمانيّة بالجزائر.

2- التقارب الذي وقع بيت الأسبان وإمارة كوكو، وبلغ درجة إنشاء حصن عسكري ببجاية، عوضوا ماخسروه على يد خير الدّين بربروس بإجلائهم عن جزيرة البنيون سنة 1529م.

3- الخسائر البشريّة والماديّة التي ترتّبت عن المواجهات بين الطرفين.

4- إحداث شرخ في القيّادة العثمانيّة، وتمثّلت في انشقاق قارة حسن عن خير الدّين.

3) تمرد قارة حسن (934هـ/ 1528م) :

قارة حسن هو أحد الجنود البحارة المجاهدين الذين كانوا ضمن جيش خير الدين بربروس، وكان محل ثقته، وكان من الذين اعتمد عليهم كثيرا في السيطرة على بلاد المغرب الأوسط، وتثبيت سلطته، على الجهة الغربية من إيالة جزائر الغرب خاصّة بعد ما استشهد أخويه إسحاق وأُروج، وهو الذي سبق وأن استولى على مدينتي عنابة وقسنطينة. ولكن يبدو أنّ مغريات السلطة كبيرة والمؤثرات الخارجية كثيرة، وهو ما لمسناه كعوامل ظاهرية لحركته المناوئة لأميره وقائده خير الدين بربروس، فيقول عنه خير الدين: « لقد حدثته نفسه أن ينقلب علي ويجلس مكاني، وأوهمه عقله الصغير بأنه بمقدوره أن يفعل ما عجزت عنه أنا. وعندما بلغني بأنه قد راسل ابن القاضي قمت بطرده »[1]. وهنا نتساءل، يا ترى ماهي الدّواعي التي دفعت

---

1) مذكرات خير الدين بربرس... ، ص. 112.

بقارة حسن للتّمرد، وهو المحسوب على السلطة العثمانيّة الحاكمة في الجزائر، وقائد بحري كبير لبحرية خير الدين بربروس؟

فمن العوامل التي كانت سببا في تمرده هو الإغراء الذي قدمه ابن أحمد بن القاضي فيما مضى، والمتمثل في الحصول على منصب كبير، وكذلك تحريض سلطان الدولة الزيانية. ضف إلى ذلك تواصله مع الأسبان والاتفاق معهم على محاربة خير الدين بربروس، والقضاء عليه نهائيّا. فكانت هذه الأسباب كافية لدفع القائد العسكري على التمرد ومناوأة أميره. حيث قام بتحييد من كان معه من الجنود وانشق عن السلطة المركزية واتخاذ مدينة شرشال منطقة تحت سيطرته ونأى بحكمها عن السلطة المركزيّة. لكن الأمر لم يستغرق كثيرا حتّى بلغ خبر تمرده على السلطة المركزية، سكان مدينة الجزائر وأعيانها ومن ثمّة السلطة العثمانيّة بالجزائر[1]. وهنا نطرح السّؤال التّالي، هل سيمر الخبر كحدث عابر؟ أم أنّ مدينة الجزائر وسكانها سيكون لهم موقف في مستوى الحدث ؟

-) موقف السلطة العثمانية.

كعادة سكان مدينة الجزائر، لما قدّروا حجم الخطر الذي يشكله قارة حسن، عندما كان يدير مدينة الجزائر، وحالة الضعف العسكري التي كان فيها إلى درجة عدم استطاعته الخروج إلى الغزو، وبسبب ذلك ركدت التجارة، وبدأ النّاس يتذمرون. أرسل سكان المدينة رسولهم إلى خير الدين بربروس يستنهضونه ليعود إليهم، وليكف عنهم شر ابن أحمد بن القاضي ومعاونه حسن قارة [2]. قام خير الدّين بربروس ملبيّا دعوة أهلها؛ ليعدّ العدّة ويتخذ ما يراه ملائما،

---

1) مجهول، سيرة المجاهد خير الدين، مصدر سابق، ص. 136.

2) مذكرات خير الدبن بربروس، مصدر سابق، ص. 124.

لمواجهة حركة المتمرد الجديد. فعند الصباح ركب خير الدين وقواته خيولهم وتوجهوا صوب مدينة شرشال، لمواجهة الحركة واحتوائها قبل استفحالها. غير أن أتباع قارة حسن لما قدم عليهم خير الدين استشعروا سوء ما فعلوا، واستشعروا قوة خير الدين في آن واحد، فقرّروا الانحياز إلى هذا الأخير، مقدمين اعتذاراتهم وملتمسين العفو من طيبته، وبالفعل فقد عفى عنهم وأخلى سبيلهم، باستثناء مجموعة قليلة، تعصّبت لزعيم التمرد قارة حسن، وهم حوالي ثلاثة عشر نفرا. وأمام هذه المستجدّات، قرّر زعيم المتمردين ومن بقي معه التمنع ببعض حصون مدينة شرشال، لكن في نهاية المطاف مثلوا جميعا بين يدي خير الدين، وطلبوا هم كذلك عفوه، لكن خير الدّين خاطبهم قائلا:« لو أردتم أن يكون لكم ذلك منّي لأتيتم إليّ أولا مع جماعتكم». ثمّ خاطب زعيمهم بعنف شديد قائلا له: « يا أخبث الخلق، ويا أسود الوجه، أي شيء فعلته معك من القبيح حتّى تكافئني بالقيام عليّ والخروج على طاعتي». ثم أمر في الحين بإعدامه والتخلص منه، وممن كان معه بعد ما كان من خيرة أعوانه من البحّارة المرموقين[1]. وهكذا تطابق موقف وحزم خير الدين بربروس، مع وعي ورغبة الأهالي ومؤازرتهم للسلطة، تم الإجهاض على هذه الحركة في مهدها. في حين التف السكان حول خير الدّين بربروس. كما نستنتج أيضا حركة التمرد التي قادها حسن قارة لم يكن لها صدى كبير ولا أتباع كثيرون.

4) حركة إمارة بني العباس (936هـ/ 1529م).

يؤكد الرحالة الذين زاروا قلعة بني العباس، أو الذين كتبوا عنها خاصة حول الجانبين الطبوغرافي والجغرافي، على أنها تتمتع بموقع منيع، مناعة جبال البيبان. إذ شيدت على ارتفاع يقارب الـ1300م كما يعد كذلك موقعها إستراتيجي تحسد عليه؛ لما له من أهمية، خاصة في

---

1) مجهول، سيرة المجاهد خير الدين ، مصدر سابق، ص، 136،137.

العهد العثماني، لكونه يربط ما بين الشرق الجزائري وعاصمة البلاد دار السلطان[1]. وهذا ما ينعكس على الإمارة وعلى أهلها إيجابيّا من النّاحيّة الالأمنيّة والعسكريّة، كما يؤكّده الخبراء العسكريّون.كما نود الإشارة قبل تناول موضوع أمراء بني العباس[2]، المنتسبين لبني حماد [3].

أ) علاقات إمارة بني عباس.

لقد كانت هذه الإمارة في تنافس سياسي مع إمارة كوكو المجاورة لها شمالا، ببلاد زواوة. وكانت كل واحدة منهما تبحث عن إثبات وجودها وبروزها ككيان سيّاسي، له شأنه بالمنطقة. فلما حل العثمانيّون بالمنطقة، وتكونت رابطة التّحالف بين خير الدّين بربروس وأحمد بن القاضي أمير كوكو، والذي ثم تعيينه مشرفا ونائبا عن خير الدّين بالجهة الشرقية لمدينة الجزائر، وهو ما ينتج عنه من أن تكون إمارة بني عبّاس تحت إمرته، فرفض أبو العباس هذا المآل، وأظهر مقته لهذا الإجراء الإداري الجديد، معتبرا إيّاه حطّا من مركزه؛ فناصب العداء لخير الدّين بربروس، وللسلطة العثمانية عموما وهذا ما ذهب إليه أحمد توفيق المدني[4] .

لكن بعض الدراسات تقد أشارت إلى أن العشريات الأولى من الوجود العثماني كانت العلاقات بين السلطة العثمانية وإمارة بني عباس على ما يرام. بل كانت تعاون وتحالف إلى

---

1) نبيل بومولة، صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني إمارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، دار هومة، الجزائر، 2013، ص. 25.

2) ينسبهم عبد الرحمان بن خلدون إلى عرب بتي هلال الذين استوطنوا جبل المعاضيد أيام الدولة الحماديّة جنوب برج بوعريريج. وينسبهم الورتلاني إلى الأدارسة الأشراف. انظر، بومولة، المرجع نفسه، ص.53، 54.

3) Louis, Rinn, Histoire de l’insurection de 1871 en Algerie, librairie Adolphe Jourdan, imprimeur librairie, Alger, 1891, p. 9.

4) المدني، حرب الثّلاثمائة ...، ص. 195 .

درجة تسيير حملة عسكرية مشتركة سنة (959هـ/ 1552م) نحو إمارة بني جلاب بتقرت. ويرجع معظم الباحثين هذا التقارب الذي بلغ درجة التحالف إلى حاجة العثمانيين إلى التوسع شرقا، ولا يجب أن تكون إمارة بني عباس أو غيرها حجرة عثرة في طريقهم؛ فمن أجل هذا عمل خير الدين بربروس على استدراج سلطان عبد العزيز أمير قلعة بني عباس واستمالته، وبالتالي، كسب ودهم وتأمين جانبهم؛ حتى تتمكن السلطة من التنقل والتواصل مع الجهة الشرقية. ومن جهة أخرى فإن التقارب والتحالف مع إمارة بني عباس سيعطي قوة للعثمانيين على مواجهة الأسبان المهدّدين للسواحل الجزائريّة عموما، والمحتلين مدينة بجاية على الخصوص. وكانت أولى ثمار هذا التحالف، هو المحاولة المشتركة، لتحرير بجاية من الإحتلال الأسباني، لكنها فشلت ليستمر الاحتلال إلى غاية تحريرها في عهد[1] حسن باشا بن خير الدّين بربروس، على إثر هجوم جديد على الأسبان وحصار دام مدّة ستة أيّام، تمخّض عنها تحرير المدينة بتاريخ، 28 سبتمبر 1555م، بعد انكسار القوات الأسبانيّة بقيّادة ألونسو دو الفونصو بيرالطا (Alonso de Alfonso Perralta)، كما استرك الطرفان في محاربة التّحالف الأوربي خارحيّا، وفي عمليّة إخضاع السكّان والسلطات المحليّة التقليديّة، وقد تجسّد هذا في تسيير حملة عسكرية مشتركة سنة (959هـ 1552م) نحو إمارة بني جلاب بالصحراء بقيّادة صالح رايس (1552– 1556م) بمعيّة سلطان بني عبّاس المدعو (عبد العزيز)، لانتزاع الإعتراف بالسلطة العثمانية، وضمان دفع الضّريبة. ولم يكتف حسن بن خير الدّين بهذا المستوى من التقارب، وربما في حسن بن خير الدّين بعيدا فأراد ألاّ تقتصر العلاقة على التقارب السيّاسي، وإنّما سعى بأن يكون التقارب عن طريق الدم كذل، ولذلك رغب عي مصاهرة سلطان بني عبّاس، إلاّ أن هذا الأخير رفض الفكرة [2].

1) وشن، مرجع سابق، ص. 99.

2) وشن، مرجع سابق، ص. 100.

والسؤال هل ستستمر هذه العلاقة الحميميّة بين السلطة العثمانيّة وإمارة قلعة بني عبّاس؟ وسيستمر هذا التّحالف بينهما ؟ أم أنّها علاقة مرحليّة وستزول بزوال مبرّرات وجودها؟

ب) انقلاب التّحالف إلى صراع.

بعد عودة الحملة العثمانيّة التي قادها صالح رايس بمعيّة سلطان إمارة بني عبّاس إلى الجنوب تغيّرت العلاقة بين الحليفين السّابقين ليصيرا عدوّين لدودين لبعضهما البعض. ولقد تحولت آراء الباحثين حول الأسباب والدّواعي الحقيقيّة لانقلاب تلك العلاقة من النّقيض إلى النّقيض، ولكن في عمومها انقلبت إلى رأيين :

– رأي يرجع التحول في العلاقة بين زعيم بني عبّاس والسلطة العثمانيّة إلى عدم حصول سلطان بني عبّاس على ما يرضيه، مما تم تحصيله من الحملة التي قاما بها نحو إمارة بني جلاّب بتقرت سنة 1552م.

– ورأي آخر يرى أنّ السّبب يعود إلى تخوف السلطة العثمانيّة الزّائد من إمارة بني عبّاس المشرفة على الطّريق السلطاني (طريق البايلك) الرّابط بين دار السلطان وبين بايلك الشرق، فهو الطريق الذي تمرّ عبره المحلات العسكريّة والأموال المحصّلة من بايلك الشرق، وبما أنّ إمارة بني عبّاس بموقعها تشرف على هذا الطّريق، وأنّ أيّ خلاف بينهما يجعل السلطة العثمانيّة تحت رحمة بني عبّاس، وتصبح السلطة العثمانيّة في دار السلطان معزولة عن بايلك الشرق. وبسبب هذا التخوف والاحتمال من تقلب الأضاع، خاصّة بعد رفض سلطان بني عبّاس مصاهرة حسن بن خير الدّين، فقام هذا الأخر بالتقرب أوّلا من سلطان إمارة كوكو وصاهره بالتّزوج من إبنته وبذلك يكون قد أمّن أحد الأطراف المتصارعة وكسبها إلى صفّه، وهو بذلك أراد أن يطبق سيّاسة الصّفوف لإضعاف خصمه، وخاصّة بعد تحالف السلطة العثمانيّة مع إمارة كوكو، وكسب ودّها؛ قام البايلر باي حسن بن خير الدّين بربروس بشن

هجوم عل قلعة بني عبّاس لإخضاعها؛ بالتّالي تأمين الطّريق السلطاني وكسر شوكة البروز السيّاسي لبني عبّاس[1]. ونتيجة هذا الهجوم الذي تم من الناحية الجنوبية للإمارة، كان الإستيلاء على المحمديّة، ثم المسيلة التي تم تشييد بها حصنا عسكريّا.

وبعد ذلك توجّه شمالا وشيّد عصنا عسكريّا بمنطقة مرتفعة شرق القلعة، وأصبح يعرف بـ(زمّورة) أي الحصن العسكري، ثم شيّد برجا آخرا وهو حسب ما نعتقد المعروف حاليّا بـ(برج بوعريريج) سنة (966هـ/1559م)، جنوبا، ثم عرّج إلى سوق حمزة غربا (البويرة حاليا)، ونصّب به حاميّة عسكريّة، وكان الهدف من كل هذه الحصون والأبراج والحاميّات هو بالدّرجة الأولى حماية الطريق السلطاني، ومحاصرة سلطان بني عباس وقواته من كل الجهات، ولتسهيل عمليّات التدخّل السّريع بتلك القوّات المرابط' هناك [2]. واستمرت الصدامات بين الطرفين إلى غاية سنة (966هـ/ 1559م)، ولم تنته حتى قتل السلطان عبد العزيز، ورغم ذلك تواصل التدافع العسكري بين السلطة العثمانية وإمارة بني عباس بقيادة أحمد أمقران (أخ السلطان عبد العزيز)، الذي دخل في حرب أخرى شديدة وعنيفة، مع مملكة كوكو المجاورة، والتي استمرت سنتين كاملتين وستطاع أحمد أمقران سنة (1072هـ/1661م) توسيع إمارته على حساب مملكة كوكو ولم تضع الحرب أمزارها بين الطرفين إلا بعد معاهدة بينهما [3].

لقد زاد ذينك الصمود والانتصار في استمرارا المناوأة ، بل ازدادت تحديا أمام إصرار السلطة العثمانية على المزيد من الأبراج والحصون، مثل، حصن حمزة، وحصن سور الغزلان،

---

1) مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، ج3، الجزائر، 1989، ص. 94 .

2) الميلي، نفسه، ص. 94. وانظر أيضا، وشن،مرجع سابق...ص. 99. وانظر أيضا، بومولة،مرجع سابق ص. 173.

3) الميلي، نفسه ، ص. 94.

وحصن سطيف وحصن المسيلة، بالإضافة إلى الحاميات العسكرية التي كانت تهدف إلى تحقيق الأهداف التاليّة:

1- محاصرة المقرانيين وتضييق الخناق عليهم من كل الجهات.

2- تأمين الطّريق السلطاني الرّابط بين بايلك الشرق ودار السلطان.

3- القدرة على التدخّل بسرعة لأي محاولة عدائيّة من قبل بني عبّاس.

واستمر التّوتر بين الطّرفين حتّى سنة 1589م، أين شنّ خضر باشا 1589- 1592م هجوما على المقرانيّين بجيش قوامه خمسة عشرة ألف جندي، واستطاع السيطرة على الجزء الجنوبي من الإمارة، إلاّ أن، تلك السيطرة لم تستمر. ففي حدود سنة 1601م، وخلال العهدة الثالثة (1599- 1603م)، للخضر باشا انتفض سكان المنطقة الجنوبيّة (منطقة المسيلة) واستطاعوا السيطرة على الطّريق السلطاني مرة أخرى [1].

ب) عهد سليمان فنزيانو (البندقي).

بالرغم من مرور مدّة زمنيّة معتبرة عن المجابهات السّابقة بين السلطة العثمانيّة، وبرغم تغني الزّعماء بالسّلام، إلاّ أنّه لم يحل بعد بين الطرفين. إذ تذكر المصادر على تجدّد المعارك ، ومنها المعركة التي وقعت بوادي السّاحل، حيث تم فيها دحر القوات العثمانيّة التي تقهقرت إلى غاية برج حمزة، لكن ومع ذلك فإن من نتائجها مقتل أحمد أمقران في كمين نصب له[2]. ولما توفيّ أحمد أمقران، خلفه إبنه الدعو سي ناصر، هذا الأخير الذي استطاع إلحاق الهزيمة

---

1) وشن، مرجع سابق، ص. 109.

2) وشن، مرجع سابق، ص. 109 .

بسليمان فينزيانو خلال معركة جمعة الصهريج بالقرب من منطقة البيبان[1]، لكنّها هزيمة غير حاسمة، لذلك نلاحظ تجدّد التوترات في عهد الباي علي باشا نقسيس (1754- 1766م من جديد واستمرت إلى غاية بوم 16/ 07/ 1757م أين شنّ المقرانيّون هجوما على قوّات السلطة في شهر أوت 1757م ، ومن بين نتائجه تحطيم وتهديم برج بوغني[2].

ج) عهد محمد شاكر باي (1814م- 1818م).

خلال شهر مارس من سنة 1229هـ /1814م/ تم تعيين باي جديد يدعي محمد شاكر باي بدل الباي السّابق؛ نعمان باي (فيفري 1226هـ /1811م- مارس1229هـ/ 1814م) على بايلك قسنطينة [3]. ويبدو أنّ الباي الجديد عازم على وضع حد لحركة المقرانيّين بأقل الخسائر ولذلك فضّل أسلوب سيّاسة الصّفوف ربما لفشل الأسلوب العسكري سابقا، أوربما لعدم ثقته في قدراته العسكريّة، خاصّة وأن المسافة بين مقر البايلك ومنطقة مجانة نوعا ما طويلة. بالإضافة إلى وعورة المنطقة. غير أنّه سرعان ما اعتمد على الأسلوب العسكري، وقد أعدّ له جيّدا، وهذا ما تفسّره أثار المعارك بين قوات شاكر باي وقوات المقرانيّين. فالدّراسات تتحدّث عن أضرار كبيرة خلّفتها المعارك في مناطق المجابهات كثل زمّورة وبئر قاصد علي، والغدير والحمّاديّة وعين تاغروت ومنصورة [4]. وقد يكون ذلك سببا في ظهور تلك الظواهر الاجتماعيّة السلبيّة، كالمجاعات، والأوبئة والأمراض بين السكّان[5]. وفي هذا المجال تشير

____

1) الجيلالي مرجع سابق، ص. 92.

2) H. D. de Gramment, op. cit. , P. 283.

3) فايسات، تاريخ بايات قسنطينة... ، ص. 277.

4) وشن، مرجع سابق، ص. 110.

5) الزبيري ، مرجع سابق ، ص. 111.

بعض الأبحاث إلى تسجيل انتشار الوباء ببايلك قسنطينة سنة 1816م، وصار صاع القمح يساويه خمسة سلطاني، بعد ما كان يساوي نصف سلطاني [1].

لم يستطيع شاكر باي من القضاء على الحركة رغم القيّادة القيّادة الجديدة لسي ناصر قليل الخبرة، بعد مقتل والده الزعيم السّابق أحمد أمقران. ولا استطاعت القوات الحكوميّة القضاء على المناوئين لها، وهكذا استمرت حركة المقرانيين في حالة شبه سبات، وتشتمر معها حالة اللاّ أمن واللا حرب بين الطّرفين إلى غاية سنة 1815م. أين سجّل لنا تاريخ المنطقة وقوع حادثة كانت سببا في اندلاع المواجهات المسلّحة من جديد. تتلخص الحادثة في مقتل أحد أفراد أسرة المقرانيّين، ورالرغم من سكوت المصادر المتوفرة لدينا عن الجهة التي كانت وراء القتل، إلاّ أنّ التّهمة موّجّهة إلى السّلطات العثمانيّة المحليّة؛ ولذلك فام المقرانيّون بالهجوم من جديد على الحاميّات العثمانيّة الرابطة بالبرج ومجانة واستعرت نار المعارك بالبرج وبمجانة وكاد المقرانيّون أن يبيدوا أدراد الحاميّتين لولا قدوم نجدات عسكريّة من الحاميّا المجاورة؛ كحاميّة سطيف، وحاميّة سور الغزلان[2]. وهنا ندرك مدى النظرة الثّاقبة للتخطيط العسكري من قبل السلطة العثمانية، في بناء الأبراج، ووضع الحاميّات المحيطة بمجانة . بعد قدوم التعزيزات العسكريّة من الضّواحي وتفادي الهزيمة للقوة العثمانيّة المرابطة في مجّانة والبرج، عاد الهدوء من جديد بين الطّرفين لا منتصر ولا منهزم نهائيّا، لتتجدد المواجهات العسكرية في عهد ولاية الداي حسين (1818- 1830م)، مرّة في سنة 1820م. ثم مرّة أخرى سنة 1826م، دون تغلب طرف على طرف إلى غاية الاحتلال الفرنسي للبلاد وزوال السلطة العثمانية سنة

---

1) فلة موساوي- القشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518- 1871م، منشورات بن سنان، الجزائر، (د.ت)، ص. 441.

2) وشن، مرجع سابق، ص. 111.

(1246هـ/1830م)[1]؛ وهو خلاف ما ذهب إ يوسف بنوجيت، لم جعل مقتل سلطانها سي ناصر سنة 1624م، كنهاية لإمارة بني عباس. ويمكن إرجاع صمود المقرانيين طول العهد العثماني، إلى مناعة الموقع، وليس إلة وفرة السلاح ؛ وقد قال أحد أعيانهم مرة : « لو كان لدينا ما يكفينا من البارود لما استطاع أحد أن يؤذينا » [2].

هكذا عاشت إمارة بني عباس لمدّة تقارب الثلاثة قرون مع السلطة، السلطة العثمانيّة لا غالب ولا مغلوب. وعاش الجبش العثماني بين الحرب والسلم .

5) حركة قبيلة سويد:

قبيلة سويد، قبيلة عربية، تنتسب إلى سويد بن عامر؛ الذي استقر مع أخيه (بخيس) بضواحي وهران. كانت قبل الوجود العثماني تحكم المنطقة الواقعة غرب مدينة الجزائر، والتي تمتد من ضواحيها غربا إلى غاية غرب مدينة مستغانم، وكانت مدينة تنس قصبتها ومركز حكمها. وكانت تشكل كيانا سيّاسيّا على شكل إمارة ضمن فسيفساء الكيانات السياسية التي ظهرت ببلاد المغرب الأوسط. حيث كان أخر وجود سياسي لها على عهد حميد العبد الذي كانت بينه وبين زعيم الثّعالبة بجزائر بني مزغنّة علاقة وطيدة وطيبة حسب رأي سعد الله الذي يقول: « ولا شك أنّهم (أي سويد) تأثّروا لمقتل سليم التّومي على يد عروج » [3].

---

1) وشن، مرجع سابق ، ص. 112.

2) علي رضا بن حمدان خوجة، ذكريات رحلة من مدينة الحزائر إلى قسنطينة عبر المناطق الجبلية، منشورات ثالة، الجزائر، 2008، ص. 23.

3) سعد اللّه ، المرجع نفسه، ص 209، 210.

و كذلك من زعماء قبيلة سويد، حلال القرن 8هـ، نذكر عريف بن يحي وأبناؤه ابوبكر، وعيسى، ومحمد [1].

أ) أسباب الحركة.

كان تعيين حميدة العبد على إمارة مدينة تنس وجلوسه على عرشها مصادفا لبدايات الوجود العثماني. ونظرا لعدم تقبل هذا الوجود، بسبب مزاحمة السلطة المحلية وفرض السلطة العثمانية، فلا غرو أن يكون فرض الضرائب على سكان المنطقة أمرا غير مقبول كذلك، بل ومستهجن من قبلهم، وبالتّالي فلا عجب من الرفض والعصيان، لاسيما بعد استشهاد الأخوين إلياس وأُروج. ويبدو أن الصراع قد بلغ أوجه بين قبيلة سويد والسلطة العثمانية، وتطورت إلى صدامات عسكريّة كبيرة، حتى صارت حديث العام والخاص. وكما أسلفنا سابقا حول ندرة المعلومات الدقيقة والمفصّلة حول أسباب التمرد، وموقف السلطة العثمانية منه، ونتائج الحركة، فإنّ ما خلّفه لنا أحد شعراء القبيلة المدعو إبن (السوَيْكَتْ) يجلي لنا الإبهام والغشاوة على الأسباب. فعلى غرار بعض القبائل الأخرى المناوئة للسلطة العثمانية، قامت قبيلة سويد بدورها بحركة مناوئة لها. وهو ما نستشفّه من البيتين التاليين لشاعر القبيلة :

قالوا الترك ندو(شلف) لا وهمـــــــة * * قلنا لهـم جـدودنا في الــــــواد.

مانتركوش (شلف) حتّى تطيب الصمّة * * وما نهدوش العقبــة على الأولاد.

وقد عبّر شاعر القبيلة بواسطة البيتين السّابقين عن رغبة السلطة العثمانية في التوسع بمنطقة الشلف التّابعة لقبيلة سويد، وكذلك عن والرفض الذي عبّرت أبدته القبيلة؛ ولذلك ناوأت

---

1) ، مصطفى أبو الضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب العربي في عصري الموحدين بني مرين، (د. م. ج. م)، 1982م،ص. 228.

السلطة العثمانية، دفاعا عن سلطتها ونفوذها في المنطقة[1]. ولدعم قوتها اغتنم زعيمها (حميدة العبد) الوضع العام وتقرب من الصّليبيين الأسبان أعداء المسلمين عموما، والبربروسيّين خصوصا، وأبدى استعداده لتزويد الأسبان بثلاثة آلاف رجل مسلح، وبكل ما يحتاجونه من مؤونة، بل أعلن استعداده للمساهمة في حملة شارلكان التي في وقت لاحق من سنة (1541م)، لكنّه لم ينفذ ذلك [2].

ب) نهاية الحركة.

بالرغم من شح المعلومات عن أسباب إحجام حميدة العبد(زعيم إمارة تنس) عن التعاون مع الأسبان، فإننا نجده بالمقابل تم تثبيته في منصبه من قبل السلطة العثمانية، إذْ بعدما كان من المناوئين للسلطة العثمانية ، وبعدما كان من المتحالفين مع الأعداء الصليبيين، أصبح من المقربين من السلطة، بل ويحظى بثقتها ومشاركا القوات العثمانية في شهر مارس سنة 1543م ضد هجمة القائد الأسباني" الكوديت"على الجزائر[3]. وهذا ما يعرف بسيّاسة الإحتواء عند العثمانيّين؛ بتحويل المناوئين إلى حلفاء، وقد نجحت في كثير من الحالات. ومما سلف ذكره، ومن خلال تراجع حميدة العبد عن تحالفه مع الأسبان، فإننا نميل إلى الإستخلاص بأنّ هناك تفاهم ما، وربما يكون على شكل تنازلات من الطرفين، بينه وبين السلطة العثمانية، سواء كان نتيجة تعقل حميدة العبد وتراجعه عن المناوأة، أو كان بسبب تخوف السلطة العثمانية من تحالفه من الأسبان وبالتالي مدت له يد الحكمة والدهاء وابطلت مفعول تحالفه مع أعدائها.

---

1) الرّاشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقبق، المهدي البوعبدللي، عالم المعرفة، الجزائر. 2013، ص. 39.

2) عبد القادر فكاير، الغزو الأسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (1505-1792م)، دارهومة، الجزائر، ط$_2$، 2015، ص. 127.

3) فكاير، نفسه، ص. 128.

6) حركة بو طريق المناوئة 951هـ/ 1544م.

تعد حركة بوطريق المناوئة التي اندلعت بعد ذهاب البايلر باي حسان آغا وبداية حكم حاجي باشا [1] من بين الثورات التي قامت في وجه السلطة العثمانية على غرار ثورة (حميدة العبد) وشكلت خطرا كبيرا على السلطة المركزية بمدينة الجزائر؛ لما حققته من انتصار ساحق على الحامية العثمانية عند المواجهة الأولى، وما أقدمت عليه أثناء زحفها نحو الجزائر العاصمة والذي سنتناوله لاحقا. وفقد وصفها عبد الرحمان الجيلالي بقوله: «.. ومن أشهر هذه الثّورات، ثورة بوطريق سنة 1544م فيها حاكم الترك بمليانة فخرج إليهم صاحب الجزائر وهو (الحاج بشير) الذي تولّى حكم إيالة الجزائر خلفا لحسن آغا، فهزمهم وبدّد جموعهم ». ويضيف عبد القادر الجيلالي قوله: « غير أنّ سكّان النّاحية وهم سكان ريغة كثيرا ما خرجوا على الحكم الجديد »[2]. ورغم غياب المعلومات الدّقيقة والمؤكّدة؛ إلاّ أنّ حركة بوطريق تبدو حركة عنيفة، ويتضح ذلك لكون الحاكم العثماني أثناء قيامها تم القضاء عليه، خلال المواجهة بين المتمرّدين وقوات السلطة العثمانية .

أ) الظروف العامّة وقيام الحركة :

قامت هذه الثورة في ظروف سياسية أقل ما يقال عنها أنّها ظروف غير مستقرة، أو ظروف انتقالية؛ والتي تتمثّل في وفاة حسن آغا [3] (940- 950هـ/ 1533- 1544م) خليفة

---

1) بنوجيت، مرجع سابق، ص. 154.

2) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاثة الجزائر المدية مليانة، منشورات وزارة الثقافة الجزائر، ط$_2$، 2005، ص، 206، 307. فيما يذكر محفوظ قدّاش في كتابه: (... L'Algérie des Algériens). سنة 1543م بدل 1544م،

3) يعد حسن آغا من أكبر مساعدي خير الدين بربروس ومن المقربين منه كثيرا، نشأ وتربّى في بيته منذ أن جاء به أسيرا وهو طفل صغير من جزيرة سردينيا. ونظرا لذكائه وشجاعته استخلفه في كثير من المهمات، وقد كانت انجازاته وأعماله في مستوى

خير الدين بربروس وإبنه بالتبنّي، الذي يعدّ من أبرزالبايلر بايات في الجزائر وقاهر الملك الأسباني شارلكان خلال هجومه على الجزائر بتاريخ 948هـ/ أكتوبر 1541م، حيث قام الدّيوان المحلّي بالجزائر بتعيين (حاجي باشا) وبشكل سريع ليتولّى مهمة البايلارباي قبل تعيين حسن بن خير الدّين خلفا (لأخيه) حسن آغا بتاريخ 29 ربيع الأول 951هـ الموافق لـ 20 جوان 1544م. فخلال ربيع 1544م وأثناء تولية حاجي باشا الدعو الحاج بكير مؤقتا، ريثما يعيّن الباب العالي حاكما جديدا، قامت قبائل منطقة مليانة بثورة ضدّ الأتراك (1).

استغل أحد زعماء منطقة مليانة المدعو بوطريق (أي: صاحب الطريق الرابط بين مدينة الجزائر ومدينة مليانة، حسب صالح عباد نقلا عن (بيربروجير)، الوضع المضطرب، أو كما يسمى في وقتنا بالفراغ السياسي على مستوى السلطة، وقاد حركته المناوئة. حيث قام بتجنيد ما يقارب العشرين ألف (20.000) مقاتل بين مشاة وفرسان، من قبيلته ومن القبائل المجاورة، وحرّضهم على التمرّد ، حاملا شعار استرداد السلطة من العثمانيين (2).

ب) موقف السلطة العثمانية من الحركة.

قد لا يكون من الطّبيعي أن تسكت السلطة العثمانية على حركة مناوئة تجاهر بعدائها لها؛ اللهم إذا كان في السّكوت حكمة وعن قصد. لكن ومهما يكن من أمر فإنّ السلطة

= طموح وهمة مربيه (خير الدين). وفي عهده عرفت الجزائر نقلة نوعية من مدينة شبه مجهولة إلي مدينة متوسطية ذات شأن. انظر كذلك: كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام ... مرجع سابق، ص. 83.

1) عيسى الحسن، تاريخ العرب....، ص. 526.

3) بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب... ، ص. 34م.

العثمانية لم تسكت أمام حركة الشيخ المتمرد بوطريق، وواجهت الموقف مباشرة باستعمال القوّة، وفي عقر دار المتمردين بمليانة؛ فبداية تصدّت الحامية العثمانية المارابضة في عين المكان (مليانة)، والمتكونة من بعض العشرات من الجنود؛ إلاّ أنّها فشلت في التصدّي ببشيخ بوطريق وكبح جماح قوادته؛ وهو أمر طبيعي بالنظر إلى الفارق العددي بين الطّرفين[1].

ج) نتيجة المواجهة.

بناء على معطيات القوى لدى الطّرفين، والفرق العددي بين أفراد الحاميّة، وقوات الشيخ بوطريق، حيث ألحق هذا الأخير وأتباعه بالحامية العثمانية المتصدّية لهم، هزيمة نكراء، وخسائر فادحة. واعتمادا على ما خلفته المواجهة في صفوف القوات النّظامية؛ فقد انتشرت أخبار هزيمة القوات العثمانية، وانتصار المتمردين كانتشار النار في الهشيم، وانتشر معها الخوف والهلع، الذان سبقا أصحاب الحركة في الوصول إلى مدينة الجزائر. أما الشيخ بوطريق فانطلق مزهوا بانتصاره (المؤقّت) بقواته خلال شهر مارس من نفس السنة 1544م، واجتاح بهم سهل متيجة، قاصدا مدينة الجزائر. وأثناء سيره أتى على ما اعترض طرقه. فقام بتحطيم وتدمير ونهب كل ما يعترض طريقه نحو مدينة الجزائر من أجل دخولها [2]. ويبدو من خلال المواجهة الأولى، أنّ السلطة استخفت بقوة حركة بوطريق، ويتضح ذلك من خلال حجم القوة العسكرية المسخرة لمواجهة المتمرّدين والمتمثّلة في وحدات صغيرة، وكذلك بالنّظر إلى انتصارات الثّائرين الأولى، حيث استطاع القائد بوطريق تحقيق بعض الانتصارات على تلك المجموعات النّظامية، ولكن بعد ذلك استوعبت السلطة حقيقة الحركة وقوة المتمرد بوطريق

---

1) صالح عباد، الجزائر خلال العهد التركي 1514- 1830م، دار هومة، الجزائر، 2007، ص. 71.

2) عباد، نفسه، ص. 71.

فتصدّت له مرة أخرى وواجهته بقوة نظامية قوامها يقدر بحوالي أربعة آلاف وخمسمائة (4500) صبايحي، مدجّجين بالأسلحة النّارية [1].

د) نهاية حركة بوطريق.

كان التفوق العددي ونوع السلاح والتدريب العسكري واحترافية الجيش النّظامي والانضباط الذي يتميز به الجيش العثماني عموما الأثر الكبير في نهاية المواجهة. ونتيجة الصّدام بين الطرفين وما آلت إليه المواجهة الثانية والأخيرة. فالزمن كان نهاية شهر ماي من نفس السنة حيث قام الباشا الجديد الذي تولى منصب البايلر باي مؤقتا خلف للبايلر باي حسن آغا بالإستعداد لمواجعة الشيخ بو طريق وأتباعه. فجهز جيشا قوامه أربعة آلاف (4.000) من الأتراك، ودعمهم بحوالي خمسة مائة (500) رجل من الصبايحية وأسند الجميع إلى قيادة مختارة؛ تتكون من: أحد يسمى رمضان كقائد عام للجيش، وأحد الأعلاج كقائد للمشاة وأصله من مدينة كطانا الصقلية، بالإضافة إلى قادة آخرون منهم القائد صفا، والقائد عميسة ومصطفى قائد المدية. وقبل وصول السشيخ بوطريق وأتباعه إلى العاصمة ارترضتهم القوات الحكومية يضواحي البليدة، ونشبت المعركة بين الطرفين وقد عزمت السلطة على أن تكون معركة فاصلة، وقد كانت كذلك. فإذا كان المتمردون قد تفوقوا في الجولة الأولى بعددهم على قوات الحامية بمليانة، فإن الجولة كان التفوق للحامية العثمانية لكون سلاحها الجيش أكثر تطورا. وحققت به هدفها، وهو القضاء على الحركة المناوئة يزعامة الشيخ بوطريق[2]، بعد ما

---

1) H.D.Grammont: Histoire d’Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest LEROUX, Éditeur, Paris, 18887, p: 72.

2) عباد ، مرجع سابق، ص.71.

فرّ قائدها هاربا مع ما تبقّى من أتباعه باتجاه الغرب؛ وبذلك تبدّدت قوات هذه المتمرد بوطريق، وخبت جذوتها نار حركته [1].

7) حركة بني جلاّب 1552م :

تقع سلطنة بني جلاّب بالشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية ، وبالضبط بمنطقة وادي ريغ التي تضم كلاًّ من تقرت وجامعة والمغير وما حولها من قرى، وتجمعات سكانية أخرى، بالإضافة إلى واحتي ورقلة وواد سوف. أمّا عن تأسيس السلطنة فجل المراجع تحيلنا إلى مؤسّسها الأول وهو الجد الأول لبني جلاب المسمّى الحاج سليمان المريني الجلاّبي الذي قدم من مدينة فاس(Fez) المغربية، وفي مدينة تقرت حطّ رحاله وطاب له المقام بها. وقد عُرِفَ بدماثة أخلاقه من: كرم، ورجاحة عقل، وحلم، وتواضع، وحكمة،[2]. ولما استقر الجلاّبي المريني بوادي ريغ تأمّر على سكان المنطقة، وحدث ذلك في حدود سنة 937هـ/1531م، بعد ما عرضوا عليه الموضوع[3]. ولقد تزامن نشوء سلطنة بني جلاب ككيان سياسي، مع بدايات الدخول العثماني إلى البلاد المغرب الأوسط (920هـ/1514م)، واستمرت في الوجود إلى غاية بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر(1267هـ/1850م). وبذلك تكون سلطنة بني جلاّب قد عمّرت حوالي 340 سنة، وتعاقب عليها أربعة عشرة سلطانا ابتداء من المؤسس الحاج سليمان المريني الجلاّبي، وانتهاء بالشيخ محمد بن سليمان.

---

1) H.D. Grammont, op, cit. p : 72.

2) هاينريتش ف. م: ثلاثة سنوات في شمال إفريقيا، ج3، تر: أبو العيد دودو، (ش. د. أ)، (ط.خ)، 2009، ص: 156،157.

3)عبد القادر موهوبي السائحي: ومضات تاريخية واجتماعية لمدن واد ريغ وميزاب وورقلة،...، دار البصائر، الجزائر،2011، ص. 59. كما يشير صاحب الكتاب إلى روايتين حول تاريخ تولي الإمارة وهي، 1414م، /1450م، ص. 60.

أ) سكان السلطنة:

يتميز سكان سلطنة بني جلاب بالاستقرار، نظرا لكونهم يمارسون، زراعة النخيل أساسا، بالإضافة إلى الزراعات المعيشية الأخرى. وأما عن أصلهم فيقول عنهم الأستاذ العربي عقون: « ولا ريب أنّهم ينحدرون من الميلانو- جيتول (Mélano gétules) الذين ورد ذكرهم في جغرافية سترابون أي: أنّهم مزيج من الأمازيغ (من قبيلة ريغة والحنانشة) ومن الأفارقة »[1].

أمّا في العهد العثماني فكانت تتكوّن من ثلاثة قبائل كبرى وهي: قبيلة أولاد مولات ويكون أفرادها السّواد الأعظم لسكان السلطنة، وكانوا بالنسبة للسلطان كقبائل المخزن بالنسبة للسلطة العثمانية وهي قبيلة تفتخر بنسبها وبانحدارها من العرب الفاتحين الأوائل وبمحافظتها على نقائها بسبب عدم ارتباطها بالغرباء عنها. بالإضافة إلى هذه القبيلة توجد قبيلتان هما: قبيلتي أولاد سعيد ولد عامر، وأولاد السّايح[2].

وكان أغلب سكان السلطنة من أتباع الطّريقة الطيبية لزعيمها مولاي الطيب، ولذلك كان التنافس بينهم وبين التيجانيين(أي أتباع سيدي أحمد التيجاني) كبير. عاشت مدينة ورقلة قبل الوجود العثماني في فوضى واضطرابات جرّاء الاجتياح العربي، الثّاني وثورة إبن غانية[3].

---

1) العربي عقون، التوبونيميا الأمازيغية في مناطق بسكرة وسوف ووادي ريغ، اليوم الدراسي حول إمارة كوكو، تيزي وزو، 30سبتمبر 2010م، مجلة فعاليات، المحافظة السامية الأمازيغية الجزائر،2011م، ص. 100، 101.

2) Laurent- Charles FEAUD: Les BENI-DJELLÂB sultans de Touggourt, présentation, et notes critiques de Abderrahmane REBHI, Livres Edition, (A. L.G.), Alger, 2012, p : 8 , 27, 28, 41 .

3) إبن غانية هو علي بن اسحاق الميورقي، من بن بني سليم، جاء من جزيرة ميورقة غازيا الموحدين في بجاية في 06 من شعبان سنة 580 هـ/1184م، ثم توسع في السيطرة عدة مدن منها: الجزائر ومليانة وأشير وقلعة بني حماد، وقد ساعدته =

لكن بعد كلّ هذا عرفت عملية إحياء من جديد بفضل الهجرات المتنوعة التي عرفتها، وصار سكانها من الزّنوج ، واليهود ومن أتباع المذهبين الوهابي والإباضي، وشيئا فشيئا بسبب هجرات أخرى تكونت حولها الواحات والمراكز السكّانية، ومن أهمها نقوسة. كما دخلت تحت السلطة الحفصية خلال القرن الثالث عشر(13م)، وبعد ذلك أصبحت معبرا معلوما للقوافل والتجار بين بلاد الزاب وبلاد السّودان. ورغم ارتباطها بحكومة بسكرة إلاّ أنّها أصبحت سلطنة تضم بني يفرن ومغراوة والمنحدرين من بني ورقلة، وبقيت على هذه الحالة إلى غاية الدّخول العثماني [1].

ب) ظهور الحركة سنة 1552م .

غادر حسن باشا بن خير الدين بربروس إيالة الجزائر في شهر سبتمبر959هـ/ 1551م نحو القسطنطينية، وعلى الفور تمّ استخلافه بالقايد الصّفا بصفة مؤقتة، وبعد سبعة أشهر تم استخلاف هذا الأخير ببايلر باي جديد في شهر أفريل960هـ/1552م يدعى صالح رايس[2]. لكن ما إن حل هذا البايلار باي بجزائر الغرب حتّى صادفته حركة عصيان وتمرد بسلطنة بني جلاّب الواقعة بجنوب الإيالة.

=بعض القبائل ومساعدات من أمراء بجايا، لكن سرعان ما استعاد الموحدون السيطرة على المنطقة. انظر : المطوي، السلطنة الحفصية(تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي، دار الغرب للاسلامي، بيروت 1986م صص، 17 إلى27.

1) Laurent- Charles Féraud: op cit. p . 372, 373.

2) استشهد صالح رايس (959هـ/ أفريل 1552م- 963/ جوان 1556م) حسب تقدير توفيق المدني، بمرض الطّاعون وهو في أوج قوته وعطائه رغم بلوغه 70سنة، بعدما ضم مدينة فاس المغربية إلى الحكم العثماني 1553م، وحرر مدينة بجاية 1554م. وبعد وفاته في رجب 963هـ/1556م، تم استخلافه بالباشا محمد تكلرلي الذي اصطدم برفضه من قبل الديوان وعدم قبوله على رأس ايالة الجزائر. (انظر، إبن المفتي حسين شاوش، تقييدات ابن المفتي...ص. 40 . وانظر ايضا، أمين محرز، الجزائر في عهد الآغوات (1659- 1671)م، دار البصائر الجزائر، 2011، ص. 44.

ج) أسباب ظهور الحركة :

يبدو أنّ موقع منطقة وادي ريغ جعلها منيعة عن السلطة المركزية إلى حدّ ما، ولما تكون السلطة بعيدة تكون يدها مغلولة، وهو ما يساعد ويشجّع على الخروج عن الطّاعة بالعصيان والتمرّد، وهذا ما سجله تاريخ بني جلاّب. فحسب استنتاجات عبد القادر موهوبي " فإنّ خضوع سلطنة بني جلاب إلى السلطة العثمانية بعد حملة البايلر باي صالح رايس سنة 1552م كان خضوعا مؤقتا، وإلاّ كيف نفسّر تعدد الحملات العثمانية على المنطقة فيما بعد (سنة 1649م)؟ وكان من نتائجها إخضاع المنطقة، بالإضافة إلى ما شهدته المنطقة فيما بعد من اضطرابات سنة 1179هـ/1766م بسبب امتناع بني جلاب عن أداء الضريبة المفروضة عليهم. وبعد حوالي سبعة سنوات جرّد باي قسنطينة حملة نحو الجنوب سنة 1197هـ/1783م؛ لإرغام الممتنعين عن أداء الضريبة، لكنّ حملته أخفقت وانكسرت شوكته عند أسوار تقرت أمام أهل الإمارة بقيادة الشيخ فرحات بن عمر الجلابي. وفي سنة (1203هـ/ 1789م) قاد باي قسنطينة صالح باي حملة جديدة على الجنوب ،فبعد إخضاعه لكل من الأغواط، ومنطقة ميزاب، توجه إلى منطقة وادي ريغ مجددا وحاصر عاصمتها(تقرت) مدة ثلاثة أشهر كاملة ولم يغادرها حتى أخضعها، بعدما جمع زعماء المنطقة بقرية زريبة الوادي[1]، وجرت بينهم مفاوضات وترتيبات، ترسّم على إثرها الخضوع للسلطة العثمانية. مع تحمل بنو جلاب كل ما ترتب من خسائر جراء العمليات الحربية السّابقة[2]. وهكذا يبدو جليّا، أنّ الرفض والامتناع الصّريح عن أداء الضريبة من بني جلاّب للسلطة العثمانية كان هو السبب والدّافع إلى القيام

---

1) **قرية** من قرى ولاية بسكرة تقع بالزاب الشرقي، وتبعد عن مقر الولاية ب 80 كلم شرقا، ومن معالمها وادي العرب الذي تنطلق روافده من ضواحي مدينة خنشلة شمالا، ويعبر مجراه الرئيسي القرية ليصب مياهه في شط ملغيغ جنوبا.

2) أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر،(66- 1791) م،(م. و. ك.)، الجزائر، 1986م،ص. 139.

بحركة العصيان والتمرد على السلطة. كما كان هو السّبب والدّافع المباشر للحملة التي شنّتها القوات العثمانيّة على الإمارة [1]. ثم نتساءل ألا يكون مجرد جسّ نبض للسلطة الجديدة ؟ أم هناك سببا آخرا (خفي) دفع بأهل بني جلاّب إلى الامتناع والتمرّد وقد كانوا من قبل يؤدّونها ؟ لكن حسب(هايدو) فإنّ الأكيد هو كون هذا الرفض وهذا العصيان يعد أمرا طبيعيّا؛ لكونه وقع خلال فترة خاصّة تعد فترة فراغ سيّاسيّ، وهو ما استغلّه بني جلاب؛ ونعني بذلك فترة البايلر باي المؤقت (قايد الصّفا)، وهذا مثلما وقع عندما ثار بوطريق أثنا تولّي هذا البايلر باي (حاجي باشا) حكم إياله جزاير الغرب خلفا للبايلر باي حسن آغا. ولكن مهما تكن الأسباب؛ سواء كانت الجزية، أو كان سببا آخر، فإنّ حركة التمرّد والعصيان قد قامت في وجه السلطة العثمانية ممثلة في شخص البايلر باي الجديد، والتي تعتبر تحدّيا بالنسبة لها، ولذلك فالسلطة الجديدة إمّا أن تكون أو لا تكون.

د) موقف السلطة العثمانية من الحركة:

لقد كان موقف البايلر باي صالح رايس حازما، وحتّى الذين من بعده؛ فعلاوة على شخصيّته الحربية وتمرّسه المكتسب من خلال معايشته لخير الدين بربروس عن قرب، وخوضه عديد المعارك، فإنّه لم يتوان في إعداد العدّة اللاّزمة للتوجّه نحو الجنوب باتجاه السلطنة وإنهاء التمرد بنفسه ووضع حدّ للمتمرّدين[2]. وفي سبيل تحقيق هذه الغاية التقت رغبة التوسع نحو الجنوب، وبسط النفوذ علي كافة المناطق، مع ضرورة تحصيل الضرائب في شخص البايلر باي الجديد (صالح رايس). فقام هذا الأخير بتجهيز جيش قوامه ثلاثة ألاف (3000) من

---

1) بنوجيت، مرجع سابق، ص. 154. (وانظر، أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995م، ص، 317.

2) نفسه، ص، 154.

الرجال المسلحين بالبنادق، مدعّمين بألف (1000) صبايحي مزودين بمدفعين، ثم عزّزهم بحوالي ثمانية آلاف (8000) من رجال زواوة بقيادة أمير قلعة بني عبّاس المدعو عبد العزيز. وبعد الاستعدادات سيّر حملته العسكرية باتجاه الجنوب قاصدا مهد التمرد مدينة تقرت عاصمة (بني جلاب)، وبعد الوصول إليها تمت محاصرتها مدّة ثلاثة أيام، حتّى أُرغمت على دفع الضريبة المفروضة عليها، ثمّ واصلت الحملة سيرها نحو مدينة ورقلة التي امتنعت هي الأخرى عن دفع الضريبة لكن ما إن وصل خبر قدوم قوات صالح رايس إلى مسمع حاكمها حتّى انسحب منها باتجاه الجنوب بقوة عسكرية قوامها حوالي 4000 فارس وبعض من الأهالي باتجاه الجنوب واستقر بمنطقة المنيعة. دخلت قوات صالح رايس مدينة ورقلة والسيوف في أغمادها وبعد إقامته بها حوالي عشرة (10) أيام، ققل راجعا بعد ما استخلص من تجارها ألفي ريال (2000)، وتاركا رسالة اطمئنان لحاكم المدينة الفار نحو الجنوب، طالبا منه العودة ، ولا خوف عليه ما دام يعترف بالسلطة العثمانية ولا يقاومها، ويلتزم بدفع ما عليه من ضريبة، لكن إن لم يلتزم بذلك فإنّه سيعود مرة أخرى ولا يفلته [1]. ولما بلغ ذلك مسمع سلطان ورقلة، وفكّر في الأمر، عاد إلى المدينه، بعد ما غادرها صالح رايس، وألزم نفسه بدفع الضريبة المقدّرة بثلاثين زنجيّا [2].

هـ) نتيجة تدخل السلطة العثمانية.

بالرغم من هزيمة صالح باي سنة 1197هـ/1783م وانكسار الشوكة العثمانية أمام

---

1) السائحيي، مرجع سابق ، ص. 16.

2) Laurent-Charles Féraud ,op. cit . p : 374.

(وانظر كذلك، أبو عمران الشيخ وآخرون : معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995/، ص: 317).

بني جلاّب، إلا أن ذلك كان بمثابة كبوة جواد ليس إلاّ، بحيث في الحملة الموالية سنة 1203هـ/1789م استطاع صالح باي إلحاق هزيمة كبيرة بالمتمردين بحيث أجبرهم على رفع راية الاستسلام والتفاوض السلمي. وتمخض عن ذلك عدة نتاج من أهمها: إخماد نار(الفتنة) والقضاء على التمرد، وتحمل إمارة بني جلاب دفع الخسائر المترتبة عن الحرب، وكذلك الخسائر التي وقعت في الأرواح، وما تلف من الزروع وقطع النخيل، وما ترتّب عن ذلك من فوضى، ومجاعة، ونزوح بعض السكان، ناهيك عن الضرائب التي فرضتها السلطة العثمانية على سلطة بني جلاّب، والتي من بينها ثلاثين عبدا تدفع سنويّا إلى الداي. لكن يبدو أنّ خضوع بني جلاّي كان مؤقّتاً، وقد أثبتت حوادث الماضي أنهم غير مؤتمني الجانب، وأنّ ثورانهم أسرع ما يكون كلما سنحت الفرصة لذلك؛ وهذا ما حدث سنة 1224هـ/1818م، والتي لا نملك بين أيدينا معطيات دقيقة حول هذه الثورة سوى ما أُشير إليها باقتضاب، تصدّ لها أحمد باي المملوك بشن حملة عسكرية. أقدم فيها على التدمير والتخريب لعاصمة بني جلاّب (تقرت) [1].

و) إمتناع حاكم ورقلة عن دفع الجزية.

قبل الحديث عن امتناع أهل ورقلة عن أداء المستحق عليهم: من ضريبة، وخضوعهم للسلطة العثمانية، نرى من الأهمية أن نقدم لمحة عن حالة المدينة قبيل الوجود العثماني؛ غير أنّ المعلومات التاريخية عن مدينة ورقلة، خلال العهد العثماني جد شحيحة ونادرة، وتميزها، حسب اطلاعنا، ندرة التفاصيل[2]، وما كُتِبَ في شأنها لا يشفي غليل الباحث في شؤون أحداثها الخاصة بالفترة العثمانية، باستثناء القليل الذي كتب، ونذكر منه، ما كتبه الرحالة العياشي الذي

1) موهوبي، مرجع سابق ،ص. 62.

2) نفسه، ص. 160.

زار المدينة خلال (1661- 1663م)، وما كتبه القنصل الفرنسي " لوران – شارل فيرو"، الذي أورد حادثين إثنين يتعلقان بتاريخ مدينة ورقلة، ومناوأتها للسلطة العثمانية. وهذان الحدثان هما: حملة البايلار باي صالح رايس في شهر مارس سنة 960هـ/1552م، والاعتداء الذي وقع على البعثة العثمانية الخاصة بتحصيل الضريبة السنوية عام 1245هـ/1829م.

ز) الحملة على بني جلاّب ونتيجتها:

إنّه وبالنّظر إلي قوة الحملة العثمانية، ومن خلال مكوناتها، والتحالف المضاد لتمرد بني جلاّب. وبالنّظر إلى حالة السلطنة ووضعها، فإنّ نتيجة الحملة كانت خضوع السلطنة من جديد للسلطة العثمانية، والاعتراف بالتبعية لها، و الإمتثال إلى الضرائب، ودفع ما يفرض عليها سنويّاً، مقابل احتفاظ أهل الجنوب بكيانهم السياسي وحكمهم الذّاتي. ولكن هل هذا الخضوع والاعتراف بالتبعية للسلطة العثمانية هو بمثابة الاستسلام التام والنّهائي؟ أم أنّه خضوع واعتراف بالتّبعية اللتان اقتضتهما الظروف وموازين القوى، وبالتالي فالأمر ما هو إلاّ استراحة محارب؟ وهذا ما سنحاول التعرف عليه في الفصل الأخير من هدا البحث.

8) حركة الشيخ عبد المؤمن 975هـ/1561م:

أ) التعريف بالشيخ عبد المؤمن:

هو سيدي عبد المؤمن من أسر قسنطينية عريقة، ذات وجاهة اجتماعية، ومكانة دينية

منذ العهد الحفصي[1]. فهو سليل أسرة شريفة استقرت في الماضي (ق8هـ/14م) بعد ما قدمت من المغرب الأقصى. ونظرا لشرفها رحّبت بها الحكومة الحفصية، ولاقت كل الاحترام،

1) معاشي، مرجع سابق، ص. 114.

والترحاب والمآزرة من الجتمع المحلي وخصوصا من عرب أولاد صولة. ولم يتوقف الأمر عند الترحاب والاحترام، كان لهذه العائلة التبجيل والتشريف، وهذا ما تترجمه عملية أُسناد مشيخة الإسلام إليها بسبب نسبها الشريف بالمدينة، وهي أعلى مرتبة اجتماعية ومنصب روحي، ثم تولت فيما بعد رئاسة وإمارة ركب الحج. وهكذا كانت أسرة سيدي عبد المؤمن من الأسر المميّزة والبارزة وخاصّة في أواخر العهد العثماني.

ب) موقف أسرته الشيخ عبد المؤمن من الوجود العثماني:

حينما بدأ الحكم الحفصي ينكمش عن قسنطينة في نهاية (9هـ/ 15م)، وأوشك على الزّوال، لاح في الأفق فراغ سياسي بالمدينة، ذلك الفراغ الذي كان في الحقيقة تمهيدا لحلول الحكم العثماني. لكن السؤال هل الأسر المحلية النّافذة في المدينة والحاكمة في بايلك الشرق الجزائري مستعدّة لتسليم مفاتيح الحكم ومقاليد الأمور إلى العثمانيين بدل الحفصيّين، أم أنّها ترفض الخضوع والتبعيّة، وهي ما هي عليه من مكانة واحترام بين السكان ؟

إنّ الحقيقة السيّاسيّة التي أسفر عليها أُفول نجم الحفصيين في المنطقة، وبروز الوجود العثماني هو: انقسام أهل المدينة إلى مرحّبين بالعثمانيّين، وإلى رافضين له. وبما أنّ هذه الأسرة كانت جدّ متنفّذة، ولها أتباع كثر، فقد أدّى ذلك إلى تأخر الدخول العثماني إلى المدينة بسبب المعارضة الصلبة والموقف المناوئ للسلطة العثمانية الجديدة، خاصّة وأنّ زعيم أسرة عبد المؤمن التي تزعّمت التيّار الرافض للوجود العثماني، قد ساندها في موقفها بمعيّة بعض أتباعها في المدينة وضواحيها. بالإضافة إلى تأييد قبيلة عرب أولاد صولة لها حسب (فايست). وربما لمكانتها بين أهل قسنطينة ومؤازرتها من قبل أولاد صولة، تجرأ زعيم الأسرة وأوصد أبواب المدينة أمام البايلار باي(حسن أغا) الذي خلف البايلار باي

خير الدين بربروس[1].

قد لقد تجذّر الخلاف بين المرحّبين بالوجود العثماني بزعامة أسرة الفكون والمناوئين بزعامة أسرة عبد المؤمن، واتسعت الهوة بين الموقفين وبالتالي بين الفريقين إلى درجة اندلاع صدامات بينهما، في حين بقي العثمانيون بعيدا على الحياد ينتظرون هدوء العاصفة السياسية، وهذا الوضع هو الذي تسبب في تأخير الدّخول العثماني إلى غاية الربع الثّاني من القرن 16/10م.

فهذه الحركة المناوئة التي وقعت مبكرا مع استهلال الوجود العثماني بمدينة قسنطينة، تشابه في ظروف اندلاعها حركة التمرد التي قادها سالم التّومي بمدينة الجزائر ضد الإخوة بربروس بمدينة الجزائر سنة 1516م؛ أي قبل الوجود العثماني الرسمي إلاّ أنّ هذه الحركة تزيد عن حركة سالم التومي بمنع العثمانيين حتّى من الدّخول إلى المدينة .

ج) أسباب ودواعي الحركة.

لم نقف من خلال الكتابات التي تعرضت إلى هذه الحركة واطلعنا عليها، على أي أسباب صريحة وإنما هنالك ماهو إلاّ استنتاجات من واقع الأسر ومكانتها بالمدينة. فبعض الأبحاث ترجع أسباب حركة عبد المِؤمن بقسنطينة، إلى الدفاع عن مكانة الأسرة الاجتماعية، وعن مكتسباتها، وهذا بالرغم من الحظوة التي نالتها من الباشا خير الدين مباشرة منه؛ والمتمثلة في تثبيت إمارة الحج لها. وقد صادف وأن كان خير الدين بربروس في زيارة إلى مدينة القل، وهو بها جاءه وفد من أعيان مدينة قسنطينة للمبايعة وعرض

1) معاشي، الأسر المحلية الحاكمة ،...مرجع سابق، ص. 114.

الطّاعة، وهوما كان خير الدين في حاجة ماسّة إليه، فما كان من هذا الأخير إلاّ أن وافق وقبل العرض (السخي) [1].

وبالمقابل عين من بين أعضاء الوفد بايا على المدينة نيابة عن البايلار باي خير الدين، فقبل عودة الوفد إلى المدينة انتشر الخبر وعلى إثر ذلك جنّ جنون زعيم عائلة عبد المؤمن الذي من دون شك يرى نفسه أحق من غيره بهذا المنصب فكانت هذه الواقعة السبب المباشر في مناوأة العثمانيين. وكتعبير ملموس عن ذلك قام عبد المؤمن بغلق أبواب المدينة ومنع الوفد العائد من القل من دخولها بما فيهم الباي الجديد الذي عيّنه خير الدّين بربروس[2]. لكن ما قد يكون سببا، ولم يذكر، هو أن أسرة عبد المؤمن تعود جذورها إلى أشراف المغرب المناهضين للعثمانيين، والمنكرين لخلافتهم. وقد وصف السلطان السعدي محمد الشيخ المهدي (1539- 1556م) السلطان العثماني بأنه: « سلطان الحواته » استخفافا به، بل فكر حتّى في طرد الأتراك من المشرق [3].

د) موقف السلطة العثمانية وأعيان المدينة :

في البداية، وأمام الصّراع البيني (بين أسرتي عبد المؤمن والفكون)، وأمام إغلاق أبواب المدينة، اكتفى الجيش العثماني بالتمركز بسطح المنصورة وأخذ يتابع الأحداث دون تدخل أو استعمال القوّة، ولكنّه لم يبق سلبيّا، بل رأى من العمل الدبلوماسي ما يتدخّل به، وذلك

____

1) أبو القاسم سعد اللّه ، أعلام وبيئات شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي،بيروت ط2، 2005، ص. 50.

2) سعد اللّه ، أعلام وبيئات ،... ، ص. 50.

3) ناصر الدين سعيدوني: محمد الشيخ المهدي، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995، ص. 518.

بالتقرب من أسرة الفكون ذات الجاه والمكانة لدى المجتمع القسنطيني، والمنافسة لأسرة عبد المؤمن، وطلب منها الاستشارة، فأشير على العثمانيين بالتقرب وملاطفة أسرة عبد المؤمن زعيم للوصول إلى حل يرضي الجميع، إلاّ أنّ الشيخ سيدي عبد المؤمن رفض التقارب والتقرب من السلطة العثمانية. وأمام هذا الفشل لجأت السلطة العثمانية إلى الحيلة واستدرجته إلى مقر الجيش العثماني بسطح المنصورة حتّى تمكنوا من القبض عليه .

هـ) نتيجة المواجهة ونهاية الحركة :

بعد استدراج الشيخ سيدي عبد المؤمن إلى مقر الجيش العثماني بسطح المنصورة، أُلقي القبض عليه وتم قتله [1]. وبعد ذلك تمت محاصرة أسرته لمدة يومين كاملين. غير أقل ما يقال عن معاملة السلطة كانت معاملة إنسانية، وحسنة، وتليق بمكانتها الاجتماعية. فيذكر، أنّ العثمانيين قد أنزلوا الأسرة منزلتها السابقة والمعهودة وذلك بالإبقاء على ممتلكاتها وعلى منصبها الدّيني المتمثل في رئاسة ركب الحج. كما تركت لهم السلطة العثمانية حرية الاختيار بين البقاء في المدينة أومغادرتها. وبالفعل فقد غادر بعض أفراد الأسرة المدينة نحو الجنوب، وبالضبط إلى مدينة بسكرة، والبعض فضّل البقاء بقسنطينة. أمّا أتباعه فقد تمت ملاحقتهم بالتصفية مع مصادرة الأسلحة التي كانت بحوزتهم. أمّا فيما يخص قبيلة أولاد صولة المساندة لأسرة عبد المؤمن والمناوئة للسلطة العثمانية، فقد استمرت الصّدامات المسلحة بينها وبين القوات الحكومية، إلى أن منيت بهزيمة نكراء كادت أن تبيد على إثرها، مما دفع بالنّاجين من المعركة أن يتوجهوا جنوبا ويلتحقوا بأولاد عبد المؤمن بضواحي مدينة بسكرة[2]. واستقروا بالزّاب الشرقي، شرق المدينة بمكان يعرف بـ " الذيبية " .

---

1) معاشي، مرجع سابق، ص. 15.

2) نفسه، ص. 116. وإلى اليوم لا يزال أولاد صولة موجودون شرق مدينة بسكرة ببلدية عين النّاقة.

9) حركة بني عباس (1544-1552م).

أ) تولية السلطان عبد العزيز.

تم تعيين عبد العزيز كسلطان على مجانة خلال عهدة حسن بن خير الدين الأولى (1544- 1552م) [1]، الذي تولى شؤون إيالة الجزائر، وابتداء من عام (1544م)، حيث قام بجهود معتبرة؛ لتنظيم البلاد. ومن بينها تعيينه بعض الأعيان على بعض المناطق الشرقية للإيالة، ومنهم عبد العزيز الذي عينه على مجانة [2]؛ وهي المنطقة الواقعة بين سطيف والبويرة (برج حمزة)، وطلب منه تولي أمر سكان تلك المنطقة، وأن يضمن موالاتهم وطاعتهم للسلطة العثمانية. وقد أظهر عبد العزيز قدرته على التحكم وتكوين جيش استطاع به صالح ريس (1552- 1556م)، خليفة حسن بن خير الدين أن يستعين به في حملته على مدينتي تقرت وورقلة وإخضاع إمارة بني جلاب للسلطة العثمانية. وقد أشير في بعض الدراسات المتعلقة بتاريخ المنطقة، على أن المعاهدة المبرمة عام 936هـ/ 1529م بين إمارة قلعة بني عباس والسلطة العثمانية بالجزائر ظلت محترمة من الجانبين؛ والتي أسفرت على علاقة حسنة وتفاهم وتعاون كبيرين، إلى درجة التحالف. وكل المؤرخين يستشهدون على ذلك بالحملة المشتركة بين قوات البايلك مع قوات الأمير عبد العزيز زعيم بني عباس وبالتعاون مع شيخ العرب بوعكاز

---

1) تولى حسن بن خير الدين باشوية الجزائر ثلاث مرات: (جوان/1544- سبتمبر/ 1551)،(جوان/1557 – سبتمبر/1561)، (سبتمبر/ 1562 – نهاية:1566).

(Diogo de Haëdo, ,op, cit, pp: 80-130. :انظر)

2) هي المنطقة الواقعة ما بين عين تاغروت شرقا ومضيق البيبان غربا (شمال برج بوعريريج)، حكمها منذ القديم أولاد مقران وهم سلالة عبد الرحمان أمير قلعة بني حماد، وكثير من البايات تصاهروا مع هذه العائلة. انظر: أوجين فايسات، تاريخ بايات قسنطينة في العهد العثماني،...تر: صالح نور، دار قرطبة، الجزائر، 2010، ص: 309، ها (144).

على منطقة وادي ريغ بقيادة البايلر باي "صالح ريس" سنة 960هـ/1552م، الذي أرغم زعماء تقرت وورقلة على الخضوع، ودفع الضريبة والعودة إلى الجزائر العاصمة بغنائم معتبرة [1]. بعد ذلك كان عند عبد العزيز أمل في الإشراف على المنطقة الواقعة بين بسكرة والمسيلة كمكافأة على تعاونه، غير أن ذلك لم يتحقق، مما أدّى إلى التذمر ومعاداة السلطة. ولم يلبث المتحالفان طويلا حتّى نشب بينهما الخلاف وتطوّر إلى عداوة. وتحول بنو العباس من حلفاء للسلطة العثمانية إلى مناوئين لها [2] .

ب) التعريف بإمارة بني عباس:

اختلفت الدراسات حول تاريخ قلعة بني عباس، وحول مؤسسها، وبرزت عدة آراء متضاربة. فمن قائل أن المؤسس ينحدر من قلعة بني حماد، بعد الإجتياح الهلالي لمنطقة الحضنة سنة 1739م/1152هـ. ومن قائل أن مؤسسها قدم من مدينة بجاية بعد احتلالها من قبل الأسبان سنة 916هـ/1510م. وهناك من من يرجع تأسيسها إل ما قبل ذلك، على يد أحد الشيوخ المدعو عبد الرحمن[3]. وهناك من يرجع تأسيس القلعة إلى سنة (905هـ/ 1500م) على يد الشيخ أحمد أمقران. وبعد التأسيس برزت شخصية عائلة المقرانيين، وبدأت سلطتهم على المنطقة مجانة وبني عباس[4]. حسب وضع القلعة الذي شوهد سنة 1848م، فإنّها تتكون من أربعة أحياء كبيرة على شكل قصبة، شيّدها السلطان عبد العزيز، وأدخل إليها (04) مدافع من العيار الثقيل للدفاع عنها. أمّا سكانيّا فالقلعة يتكون سكانها من مجموعات قبلية، وهم

1) بنوجيت، مرجع سابق، ص. 155.

2) العنتري، مصدر سابق، ص. 29.

3) Oulhadj Nait Djoudi, At Abbas et Koukou, éd. El-Amel, Algerie, 2018, P. 38.

4) فكاير، مرجع سابق، ص.137.

التالي: أولاد العزيز الذين يشكلون قاعدة بوغني وهم الخاضعون لحكم الأتراك، وبنو بندير، وبنو يعلى، وبنو عيسى، وهؤلاء جميعا ينتسبون إلى أولاد بليل. أمّا المجموعة الثانية فتتكون من: آل مشدالة، وأولاد منصور، وبني عباس. ثم جماعة برج زمورة الذي تم تأسيسه على يد حسن باشا بن خير الدين حوالي 1560م الواقع غرب سطيف وجنوب قنزات، كمركز للجنود الأتراك، فمعظهم سكانه من الكراغلة [1].

ج) أسباب الحركة:

لما رفض البايلر باي صالح ريس الموافقة على توسيع سلطة عبد العزيز على المناطق الممتدّة ما بين بسكرة والمسيلة، فما كان من أمير إمارة بني عباس إلاّ أن ينقلب في علاقته مع السلطة العثمانية، فجاهر بعصيانه، ورفض دفع الضريبة المفروضة على سكان المنطقة. وأصبح يتصرف في إمارته تصرف المستقل عن السلطة العثمانية رافضا الخضوع لها. كما حاول التقرب من خصمه اللدود أمير إمارة كوكو ورغب في مصاهرته للإستقواء به على السلطة العثمانية وقواتها النظامية. ولم يكتف بهذا، بل راح يهاجم المناطق المجاورة لإمارته، والخاضعة للسلطة العثمانية، وبالخصوص الحاميات العثمانية ببرج زمورة والمسيلة وبرج حمزة [2].

وبحكم موقع الإمارة أصبح عبد العزيز يشكل تهديدا كبيرا وواقعيّا للاتصالات العثمانية فيما بين مقر بايلك قسنطينة ومقر السلطة المركزية بدار السلطان، وذلك لقربه وتحكمه في

---

1) بنوجيت، مرجع سابق، ص. 225 ، 221. نقلا عن: (in exploration scientifique de l’Algérie. Par : E.CARETTE)

2) إبن المفتي: تقييدات إبن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، دراسة وتحقيق: فارس كعوان، دار الحكمة، العلمة (الجزائر)، ط$_1$، 2009، ص: 40. ها (1). وللإشارة فإن برج حمزة هي مدينة البويرة حاليا.

منطقة البيبان التي تعد معبرا للطريق السلطاني[1]. وكذلك، التقرب من السلطان السعدي، المعادي للسلطات العثمانية بالجزائر. كما فتح الباب ورحّب بكل السجناء الأسبان الفارين من سجون الجزائر، مما زايد في تعداد قواته، وأصبح يشكل خطرا، كبيرا ومتناميّا، على السلطة العثمانية [2].

د) موقف السلطة العثمانية من الحركة:

-) الخطوة الأولى:

استشرف الباشا حسن بن خير الدين هذه المرحلة وأدرك متطلباتها، وما يجب تحضيره أمام خصمه، وما تستلزمه المنطقة، فقد استهل مرحلة حكمه (1552- 1554) م بإنشاء منشآت عسكرية. فقام بتأمين المسالك والطرق، وبناء الأبراج لتمركز قواته وخاصّة بالمناطق القريبة من الإمارة. ومن بينها : برج مجّانة الهام من حيث موقعه، ووضع قوة انكشارية ثابتة به؛ وهذا ليتسنّى له محاصرة الأمير عبد العزيز وتضييق الخناق عليه، وفي نفس الوقت توفير الأمن للقوات العثمانية بالتحرك بكل أمان وحماية عبر الطّريق الشرقي في الإيالة والرابط بين دار السلطان وبايلك الشرق. غادر حسن بن خير الدين المنطقة بعد هذه الترتيبات عائدا إلى مقر الباشوية، لتصريف شؤون الإيالة، ثم الاستعداد لما هو آت. لكن أمير بني عباس تفطّن من خلال عيونه المبثوثة في كل مكان، إلى ترتيبات حسن بن خير الدين، وما أصبح يحيط به

---

1) ينطلق هذا الطريق من باب عزون العاصمة نحو قسنطينة مرورا بقنطرة لحراش، خميس الخشنة، واد قدارة جبل بوزقزة، واد الزيتون جبال، بني جعاد وبني خلفون، محطة بني هارون، محطة برج حمزة، محطة بني منصور، أبواب الحديد بجبال البيبان، محطة البرج بمجانة، محطة سيدي مبارك السماتي، محطة سطيف، محطة تاشودة، الخربة، محطة بئر البقرات، قسنطينة. انظر، سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت،2000، ص. 448،449.

2) بن خروف، العلاقات السيّاسية ...، ص. 103.

من خطر، فاستعجل الأمر وبادر بالهجوم على منجزات خصمه من أبراج وحصون ودارت معارك ضارية بين الطرفين، وبعد ما قضى على ما فيها من قوات البايلك في غياب غريمه حسن بن خير الدين[1].

وهكذا قضى أمير بني عباس(عبد العزيز) على جهود الباشا حسن بن خير الدّين، وأفشل استعداداته الأولية. وبالتّالي كانت نتائج الصدامات سقوط ضحايا من الطرفين ومن بينهم "الفضل" أخو زعيم الثورة [2].

-) الخطوة الثانية:

ما كان لحسن بن خير الدّين أن يقدم على الخطوة الموالية في مواجهة إمارة بني عباس، بعد الأولى التي قام بها وفشلت؛ لولا إدراكه قوة خصمه، وفي نفس الوقت أمله في إدارة الصراع بعدة أوجه، وبمختلف الأساليب.

وعلى هذا الأساس قام بتغيير إستراتيجية التعامل مع الأمير عبد العزيز، حيث فكر في هزيمته والتغلب، وفرض السلم بطريقة سلمية من غير صدام، ولا مواجهة، بل تحويله من عدو مناوئ إلى حليف وصديق حميم. فتناسى الصدام المسلح ، وفكر في المصاهرة مراهنا على الزواج السيّاسي و التّقارب الأسري عن طريق الخؤولة ضمانا للسلم وتأمينا للجانب؛ فتقدّم وطلب يد ابنة الأمير عبد العزيز، بعد ما خفض جناح الأمان والمسالمة. رفض أمير القلعة عرض المصاهرة، ولم يغريه واحتفظ بمعاداة للسلطة العثمانية[3].

---

1) نفسه ، ص. 104.

2) العنتري، مصدر سابق، ص. 29.

3) بن خروف، مرجع سابق، ص. 104.

-) الخطوة الثالثة:

بعد ما جرّب البايلر باي حسن بن خير الدّين خلال مواجهة أمير بني عبّاس أسلوبين مختلفين، وفشل في الأولى قبل إتمامها والمتمثلة في استعمال القوة العسكرية وقهر خصمه بقوة السلاح، التجأ إلى كسبه وديّا وسلميّا عن طريق المصاهرة، وكان مصيره الفشل كذلك. فما كان منه إلاّ أن يبحث عن أسلوب آخر يكسر به شوكة غريمه. فكان لزاما، والأمر كذلك، على حسن بن خير الدين إلاّ أن يجمع بين الدهاء السيّاسي والقوة العسكرية بالتخطيط واستعمال الذّكاء، وذلك بتطبيق مقولة "عدو عدوّي صديق " أي سيّاسة الصّفوف. ولتنفيذ ذلك التجأ إلى إمارة كوكو مستغلاّ العداوة البينية للإمارتين، ونجح في التحالف معه، عن طريق المصاهرة. أنشأ الطرفان حلفا سياسيّا بينهما، فاستقوى به باشا الجزائر وأعلنا الحرب على إمارة بني العباس من جديد. فجرد حملة قوامها (3000) انكشاري من بينهم (500) فارس صبايحي مدعمين بحوالي 400 فارس من العرب الموالين للسلطة العثمانية، وكلهم معزّزين بثمانية (8) قطع مدفعية والتي وجد فيها فرصة لشفاء غليله من عدوّه عبد العزيز، الذي ما إن علم بقدوم القوات العثمانية حتّى نزل من جباله الحصينة خلال شهر سبتمبر 1559م بقواته قدرت بحوالي (600) فارس، و(10000) من المشاة، و1000 من رماة البنادق من مهتدين (Renégats) ونصارى[1].

والتقى الهدفان في عدوّ واحد، فقاد البايلر باي حسن بن خير الدّين جيشه مع جيش ابن القاضي وهاجما إمارة بني عباس، ونشبت المعارك بينهما مدة ثمانية أيام[2].

---

1) Haëdo, in Histoir des rois d'Alger, R.A, N° 18, p. 108, 109.

2) إبن المفتي، تقييدات إبن المفتي ...، ، ص. 40، ها (1). نقلا عن فيرو: المقرانيون أسياد مجانة، ص. 226.

هـ) نتائج التحالف الجديد.

كان من النتائج التي وقعت بعد التحالف بين القوات العثمانية وجيش ابن القاضي وبعد تلك المواجهات قتل زعيم الحركة "عبد العزيز" واستخلف بأخيه أحمد أمقران.

وخلال سنة 1559م وإجراء مفاوضات بين السلطة وزعيم بني عباس الجديد، أسفرت على تقليص نفوذ المقرانيين ببلاد الزاب والضفة الغربية لواد الساحل[1].

و) التحالف ضد الخطر الخارجي.

عندما تدخلت الظروف الطّارئة، بتأثيراتها، والمتمثلة في التهديدات الخارجية والتي لاحت من قبل القوات الأسبانية خلال سنة 968هـ/1560م، والمتوجّهة نحو طرابلس الغرب. بالإضافة إلى قوات السلطان السعدي التي تحركت باتجاه مدينة تلمسان.

ولمّا كانت أخطارا محدقة، وتستدعي توقيف الصراع. ولما طلب السلطان العثماني من حسن بن خير الدين سنة 1562م الاستعداد للتصدي لفرسان مالطة في جزيرتي جربة ومالطة، شارك أحمد أمقران بـ (12000) مسلح من منطقة البيبان مع القوات النظامية. وفي شهر أفريل 1563م طلب منه الاستعداد لتطهير وهران من الاحتلال الأسباني، لكن قبل القيام بالمهمّة استدعى السلطان العثماني حسن بن خير الدين على عجل إلى الأستانة [2]، فأُرْجِئَت

---

1) واد الساحل يقصد به واد الصّومام .والذي له تسميات عديدة منها: واد أقبو، واد بني بو مسعود، الواد الكبير. والذي ينطلق من نواحيسور الغزلان، ويصب بخليج بجاية على بعد أربعة كم. وبه عُقِد مؤتمر الصّومام (20 أوت 1956م).انظر أيضا: L.C.Féraud, Histoire de Boujie , Editions TALANTIKIT, Bejaïa , 2012, p. 196)

2) العنتري، مصر سابق، ص. 30.

مسألة تحرير وهران إلى وقت لاحق. لكن، رغم ضبابية النهاية التي أسفرت عنها الحرب، إلاّ أن جملة من النتائج يمكن تسجيلها لصالح إمارة بني عباس والمتمثلة في النّقاط التّالية: [1]

-) مقتل أمير إمارة بني عباس "عبد العزيز"؛ والذي يعتبر خسارة معنوية كبيرة لأتباعه وإنذارا لكل من يريد الزعامة.

-) إنشاء برج زمّورة من قبل الباشا حسن بن خير الدين؛ كنقطة حراسة ومراقبة على الطريق الرّابط بين الشرق ودار السلطان (مدينة الجزائر) عام 1560م.

-) احتفاظ إمارة بني عباس باستقلالها الدّاخلي، وعدم خضوعها للسلطة العثمانية، بالرغم مما آلت إليه المواجهة، وبالتالي بقاؤها في موقف المناوئ والثّائر.

-) استخلاف عبد العزيز بأخيه أحمد أمقران [2] حاكما (أميرا)، الذي أبرم اتفاقية تعاون وتحالف عسكري مع حسن بن خير الدين، مقابل إعفائه من الضرائب. وكخلاصة فقد تميزت بكثرة الأحداث سواء داخليّا وخارجيّا، فالخارجية، نذكر منها:

1- الصراع المستمر مع القوى الخارجية المعادية، لدفع الأخطار المحدقة، خاصّة الأوربيّة.

2- الارتباط المتين بالباب العالي خلال طول مدّتها، بالمقارنة مع الفترات الأخرى.

---

1) بن خروف، مرجع سابق، ص. 104. وانظر أيضا، بنوجيت، مصدر سابق، ص. 218 .

2) وابتداء من تولية أحمد أمقران (أي أحمد الكبير) الإمارة، أصبحت تعرف بإمارة المقرانيين، وإليهم تنسب ثورة 1871م ضد الإحتلال الفرنسي.

3- السيطرة الشبه كليّة على الحوض الغربي للمتوسط.

• أما الدّاخلية فمنها :

1- تحرير عدة مدن ساحلية من الأحتلالات الأجنبية.

2- كما عرفت عدّة تدابير تنظيمية، كتقسيم البلاد إلى بايلكات وتعيين البايات للإشراف عليها.

3- كما عرفت إجراءات عسكرية، كتنصيب الحاميات وإنشاء الأبراج لتثبيت الوجود العثماني، وإخماد بعض الحركات المناوئة الثورات والتمردات المعاصرة.

4- نشوء خلالها حركات مناوئة سمّى بعضها ابن المفتي،[1] فتنا داخلية.

2- ظهور بوادر الضعف، فتقهقرت حالتها سياسيا واقتصاديا في أواخر أيّامها.

3- بداية تدهور وضعها الاقصادي، وتمثّل ذلك في انخفاض قيمة عملتها (الأقجة) ما بين سنتي (1584م و 1586م) [2]..

---

1) هو المنسوبو إلى أبيه المفتي الحنفي حسين بن رجب شاوش بن محمد المولود بالجزائر حوالي (1095هـ1688م) وهو كولوغلي تولّى منصب الإفتاء في العهد العثمانيي.

2) إينالجيك، التاريخ الاقتصادي... ،مرجع سابق، ص. 75.

الفصل الرابع:

مرحلة الباشوات(1588– 1659م).

أولا : مرحلة الباشوات، تسميتها ومميزاتها.

1- تسمية المرحلة .

2- مميزاتها.

أ) في المجال السياسي.

ب) في المجال الأمني.

ثانيّا : الحركات المناوئة خلال مرحلة الباشوات

1- حركة بني عباس 1590م.

2- حركة أهل تلمسان سنتي 1624، و1626م.

3- حركة الكراغلة سنتي (1629م، 1633م).

4- حركة إبن الصخري (1047هـ/1637م – 1051هـ/ 1642م).

5- الحركة الإنكشارية ؛ سنتي 1642م و 1645م.

6- حركة أولاد عبد المؤمن 1642م.

سنحاول في هذا الفصل الثالث، والخاص بفترة الباشوات (1588- 1659م) التطرق إلى نقطتين هامتين في المبحثين التّاليين وهما: المبحث الأول: ونتناول فيه، تسمية المرحلة ومدلولها، والمميزات التي ميزتها من النواحي السياسية والأمنية. ثم نتناول المبحث الثاني: ونستعرض فيه أبرز الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر؛ والتي ظهرت في فترة الباشوات. محاولين أثناء تناولها الوقوف على أسبابها و دواعيها، و أهدافها والأطراف الفاعلة فيها، ثم مآلات تلك الحركات فيما يلي:

المبحث الأول: تسمية ومميزات المرحلة .

لقد تميزت هذه المرحلة بفترات قاسية خاصّة في النصف الأول من القرن السابع، وبالضبط خلال الفترة الممتدّة من: 1602م إلى سنة 1647م، حيث يقول أبو القاسم سعد الله نقلا عمّن عايشوا تلك الأوضاع من أمثال عبد الكريم الفكون، والذين عايشوا جملة من الكوارث الطبيعية من: جفاف ومجاعات وجراد، وأمراض، خاصّة في الجهة الشرقية من البلاد، ومما قاله: « وقعة الجراد الوارد علينا...حتّى عم الأفق كثرته، وأوجد السهل والجبل منه حتّى أنّه في سنة 1024هـ/1614م جعل من واديها (قسنطينة)، قناطر... ويضيف: يذكر لي من أثق به حين خرج مع أهل البلدة لمحاربته (الجراد) أنّه يجاز على متنه عدوة الوادي... وقد تغير منه الوادى ما يزيد على شهر وصار كالقطران لونا و كالجيفة نتنا،... إلخ » [1].

---

1) سعد الله ، أعلام وبيئات شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 2005، ص. 27،28.

1) تسمية المرحلة ومدلولها.

كان الخوف الذي راود السلطان مراد الثالث (1574- 1595م) [1] من انفصال البايلر بايات بالجزائر عن الباب العالي وراء تبديل نظام البايلر بايات بنظام الباشوات [2]، والذي دامت مرحلته إثنين وسبعين (72) سنة، فعليّا؛ أي من1587م إلي 1659م، وفي بعض المراجع الأخرى من عام 1588م، 1659م. أمّا شكليّا فقد استمر إلى غاية سنة 1710م؛ وذلك باستمرار تعيين الباشوات من قبل السلطان العثماني للتولى على إيالة الجزائر. وتعاقب علي تسييرها خلال الفترة المذكورة أعلاه سبعة وعشرون حاكما من الأتراك، بدءا بدالي أحمد باشا (1587- 1589م)، وانتهاء بالباشا إبراهيم (1656م- 1659م) [3]. والذي تولى الباشوية على إيّالة الجزائر سوى مدّة ثلاثة أشهر فقط [4]. وكان الحاكم الذي يُعيّن من طرف الباب العالي يطلق عليه لقب باشا بدل بايلر باي، وهكذا مع دالي أحمد باشا بدأت مرحلة الباشوات والمعروفين بالباشوات الثّلاثيّين، واستمرت إلى آخرهم؛ الباشا إبراهيم. وهناك من أرجع أسباب تغيير نظام البايلر بايات بنظام الباشوات، إلى الهزيمة التي مني بها الأسطول العثماني

---

1) **وهو الذي** أمر رمضان باشا والي الجزائر العام بفتح المغرب، وبعد السيطرة عليه قام بتنصيب عبد الملك بن محمد سلطانا على المغرب عام 1576م، ثم هزم الجيش الصليبي (البرتغالي والأسباني والفرنسي...) عام 1578 قرب مدينة طنجة، وبذلك أصبح شمال إفريقيا كله تحت السيطرة العثمانية. انظر، صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، دار النيل، القاهرة، ط$_1$، 2011م، ص. 133.

2) شويتام، المجتمع الجزائري ...، ص. 35.

3) جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500- 1830م، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2010م،ص. 15. وانظر أيضا: حكيمة منصور، السلطان العثماني محمود الثاني ومسألة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1808- 1839م)، منشورات ألفا، ط$_1$، الجزائر، 2014م، ص.65.

4) محرز، مرجع سابق.

بمشاركة الأسطول الجزائري في معركة ليبانت (LEPANTE) سنة 979هـ/ 1571م، ضدّ الأسطول المسيحي. حيث لم تعد الدّولة العثمانيّة قادرة على تتبع ما كان يحدث في ولاياتها. فكانت تخشى من الحركات الانفصاليّة التي قد تحدث في تلك الإيّالات؛ لذلك أقدمت على تعيين الباشوات بدل البايلر بايات، وهكذا جعلت أولئك الباشوات مرتبطين بالسلطة المركزيّة مباشرة . ولم يعد في إمكان الباشوات التفكير فالإنفصال. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التنظيم الجديد (البالشوات) لم يكن مقصورا على إيالة جزائر الغرب فقط، بل كان مطبقا في عدّة ولايات عثمانية أخرى[1]. أمّا الخوف من الانفصال فسببه كان حرص السلطة العثمانيّة بالباب العالي على وحدة الشّعوب الإسلامية وقوّتها؛ وعليه، كان سببا في تحويل نظام البايلر بايات إلى نظام الباشوات. وهذه الحقيقة أقرّها الكثير [2].

أما مدلول التسميّة، فإن مصطلح الباشوات (الباشلر) جمع باشا. فهو لقب من ألقاب التشريف خلال العهد العثماني. وكلمة باشا معناها باللغة التركية الرأس، وكانت تطلق على أصحاب الرتب العالية في الجيشين البري والبحري، ثم أصبحت تطلق على الوزراء والولاّة. وبعد توسع الدّولة أصبح اللقب يمنح لكبار الأعيان ورجال الدولة مسلمون وغير مسلمين[3].

وعند الأتراك الأغوز، يطلق هذا اللقب على أول مولود لهم، كما يطلق على الأخ الأكبر. ومن شدة سمو معنى الباشا؛ قد أطلق الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي لقب باشا

---

1) شويتام ، نهاية الحكم العثماني....ص. 20.

2) قنان ، الرجع السابق، ص. 15.

3) عبد اللطيف بو جلخة، الدولة العثمانية، دار المعرفة ، الجزائر 2005 م، ص. 67 ، 68)

على الله. فناجى ربه بقوله : (أي پاشا) أي: يا پاشا. أما أصل الكلمة فيعتقد أنها كلمة فارسية وتعني: الملك [1].

2) مميزات المرحلة.

ا) في المجال السياسي .

لما كان نظام الباشوات هذا بديلا عن نظام البايلر بايات السابق، بقصد و بإرادة الباب العالي، فإنه بالضرورة يكون متميزا عن سابقه بعدة مميزات يمكن إيجازها فيما يلي[2] :

أ) ترسيم خطبتي الجمعة باسم السلطان العثماني بصفة رسمية ونهائية. وهو ذكر السلطان في خطبتي الجمعة بالثناء علية والدعاء له، وذلك يعد تأكيدا على الولاء والطّاعة.

ب) منح الباشوات سلطة إصدار الغرامات وتحصيلها؛ حيث يصبح الباشا هو من يحدد المبالغ المالية، التي ستفرض على الرعية، وبالتالي فالباشا هو المخول مراعاة الكيفية التي تفرض بها أنواع الضرائب وتحديد قيمها، تقدير ظروف الإيالة وظروف البايلكات الاقتصادية؛ وبناء عليه تحدد الغرامات والضرائب حسب استطاعة كل بايلك، مع تسليط قبائل المخزن الموالية للسلطة العثمانية، بحيث خلال هذه المرحلة أصبحت قبائل المخزن بحكم موالاتها للسلطة تتمتع ببعض الإمتيازات، وبفضل تسلحها، تمتلك اليد الطولى على بقية الرعية.

ج) تقليص سلطة ونفوذ حكام الإيالة (الباشوات)، عكس ما كانوا عليه خلال فترة البايلر بايات؛ الذين كانوا في حكمهم أقرب إلى ملوك بدون تيجان، لكن مع ضمان ولائهم للسلطنة.

---

1) حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004/ ص. 28.

2) بن خروف، العلاقات السياسية ... ، ص. 235.

د) كما يذكر أنّ حكام هذه المرحلة تميزوا بالجشع ونهب الأموال المحمولة من مختلف البايلكات إلى القصر بالعاصمة الجزائر، وذلك بهدف تعويض الأموال التي دفعوها سابقا لشراء مناصبهم، وإلى جانب ضعفهم، تغول الإنكشاريون [1].

هـ) بوادر الميل إلى النزعة الإستقلالية عن الباب العالي، وقد صاحب ذلك ضعف بعض السلاطين العثمانيين. إذْ عرفت العلاقات الجزائريّة مع الباب العالي انقلابا عمّا كانت علية وهذا بعد وفاة ملك اسبانيا (فليب الثّاني) سنة 1598م . كما عرفت ساحة الحوض الغربي للمتوسط زيّادة وحريّة في النشاط التجاري، من قبل الدول الإيطاليّة، وجنوب فرنسا التي أشهرت رغبتها في فرض سيطرتها الملاحيّة [2].

أما داخليا على المستوى الاجتماعي، فقد كانت الأوضاع مضطربة؛ وهذا ما سنلمسه من خلال علاقات السلطة مع الكراغلة، وحركات العصيان التي تقوم بها بعض قبائل الشرق الجزائري من حين لآخر، ناهيك عن الصراع بين للإنكشاريين ورياس البحر علو مستوى القمة، حيث عرفت مرحلة الدايات تقلبات بينهما. فعرفت المرحلة من 1671 إلى 1689م حكم رياس البحر، ثم بعدها عادت السلطة إلى الإنكشاريين. أما على مستوى العلاقة مع الباب العالي، فبالرغم من عدم انقطاعها النهائى إلا أنها عرفت تدهورا[3]. كما تميزت مرحلة الباشوات (1587- 1659م) بتعاقب خمسة وعشرين باشا، ومعظمهم حكم حوالي ثلاث سنوات .

---

1) زهراء النّظام: العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية – ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، دار الأمان، ط1، الرباط، ص. 348.

2) Inconnu rapport déplomatique sur L'expedition Toscane Contre Bône en 1607, ARAJA édition, Constantine, 2013, p. 66.

3) شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته...، ص. 36.

ومن هؤلاء من حكم مرتين غير متتاليتين[1]، وهذا يوحي لنا بعدم وجود من يتولى منصب الباشوية في الجزائر بسهولة؛ مما يحتم على السلطان اللجوء إلى القدماء.

وإذا كانت مرحلة البايلر بايات تعد من أهم فترات ومراحل العهد العثماني في الجزائر؛ وذلك لما تمتّع به باشواتها من قوة ومكانة لدى الباب العالي، وبما كان لهم من سلطة ونفوذ، ابتداء من عهد أوّلهم خير الدّين بربروس إلى غاية آخرهم العلج علي (مارس 1568م-1587م)، حيث كانوا يعيّنون بفرمانات [2] سلطانية دون تحديد المدة لحكم إيالة جزائر الغرب، وخلالها كانوا يعتبرون نوابا عن السلطان، وهم بذلك أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة في الإيالة، ولا معقب علهيم؛ وعليه فإنّ على الجميع الطّاعة والامتثال بما في ذلك الأوجاق (أي فرق الجيش) [3].

أمّا العهد الباشوي فكانت فترة الولاية للباشا محدّدة بثلاث سنوات، حتّى أصبحوا يعرفون بالباشوات الثّلاثيّين. لقد بدأت هذه المرحلة بقرار السلطان العثماني مراد الثالث (1574-1595م) كما أسلفنا بفصل طرابلس الغرب، وتونس، عن الجزائر وتنصيب على رأس كل واحدة باشا لمدة ثلاث سنوات، فكان أول باشا بالجزائر هو دالي أحمد باشا(1587-1589م)،

---

1) المدني، مرجع سابق، ص. 50.

2) **فرمانات:** جمع فرمان، بالفارسية يعني الأمر، ثم انتقل المصطلح إلى العثمانية. وهو مرسوم (قانون) سلطاني يصدره السلطان العثماني، وعادة ما يكون بمناسبة تعيين البايات والدّايات وكبار موظفي السلطنة العثمانية، وعند بداية تنفيذه يُقرأً من قبل الباش كاتب أمام المشايخ والأعيان ،.. للإشهاد والإعلام. (انظر، حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية ، الدار الثقافية للنشر، ط$_1$، 1425هـ/2004م، ص. 100. (وانظر أيضا، أوجين فايسيت، تاريخ بايات قسنطينة (1792- 1837م)، تر، صالح نور، دار قرطبة، ط$_1$، الجزائر، 1432هـ/2010م، ص. 306).

3) سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي،... ج$_1$ ، ص. 138 .

حاكم جزيرة رودس سابقا، وآخرهم إبراهيم باشا[1]. وخلال هذه المرحلة أصبحت السلطة في أيدي الباشوات الثّلاثيّين، الذين يتم تعيينهم من قبل السلطان العثماني، بالباب العالي، لممارسة صلاحياتهم على رأس السلطة في إيّالة جزائر الغرب لمدّة ثلاث سنوات؛ وخلالها يكون الباشا هو الآمر والنّاهي بها. لكن رغم المكانة التي خولها له القانون، وحضه بها السلطان العثماني، ومرتبته العالية في السلّم الإداري، إلاّ أنّه لا يجد الراحة، ولا الاطمئنان على منصبه، وذلك نظرا لما يتربص به، وما يكابده من صعوبات وما يتعرض له من مخاطر، ولا نغالي بالقول إذا قلنا: أنّ منصب الباشا لايقل عن مجازفة غير مأمونة الجوانب، فهو منصب محفوف بالمخاطر إلى درجة أنّ منصب الباشوية في الجزائر شبّهه السّفير الهولندي، الذي زار المنطقة، بـ (وكر الأفاعي) [2]، حيث قال: « إنّ الباشا بعد تعيينه من الباب العالي وحلوله بالجزائر، يُستقبَل بكل ترحاب و تجلة، لكن بعدها يكتشف أنّ وضعه في الحكم معقدا، وأن تأثيره على من دونه قليل ومحدود. وإذا ما حاول الخلاص من هذا الوسط سالما، عليه أن يكون على تفاهم وتعاون مع السلطة الخفية من الإنكشاريّين » [3].

---

1) العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1985م، ص. 59.

2) هو السّفير الهولندي (كورنليس بيجناكر) من مواليد 1570م عائلة بورجوازية، درس في جامعتي ألمانيا، وإيطاليا وتحصّل على الدكتوراه في القانون عام 1597م، ثم تحصّل على رتبة الأستاذية من جامعة فرونينغ وفيما بعد أوفدته حكومة بلاده ممثّلا لها مرتين في كل من الجزائر وتونس، حيث كانت مهمته الدبلوماسية الأولى من [1622/07/07م إلى غاية 1623/3/21م]، أمّا المهمّة الثّانية فكانت ابتداء من: [1625/9/08م إلى غاية 1626/11/19م]. وقد عايش الأوضاع عن قرب، وسجل ملاحظاته مثلما هي.

3) Cornelis PIJNACKER, Description historique des villes de Tunis, d’Alger et d’autres se trouvent en Barbarie (1626), introduction et annotation, Gérard van Krieken ; éd,(E.N.A.G.), Alger, 2015, p.11.

إنّ هذا الحال، وهذا الوضع هو ما صادفه أول باشا تم تعيينه قي بداية مرحلة الباشوات على رأس إيالة الجزائر[1]. فقد صادف هذا الباشا خلال هذه المرحلة، قيام ثوره الانكشاريين سنة 1589م، الذين ثاروا بسبب ما تسرب لهم من أخبار حول مرتباتهم، والتي مفادها أنّ دفع أجورهم المقبلة بالعملة الجديدة؛ والتي تتميز بانخفاض قيمتها.ولهذا فقد بلغ الغضب بالثائرين درجة قصوى، إلى درجة المطالبة بإعدام رئيس الخزانة، ومعاونيه المسؤولين علي السياسة المالية الجديدة [2]. وانطلاقا من هذه الشهادة الحية والوصف الدّقيق من الدّاخل يسهل على المتتبّع فهم الأحداث السياسية والعسكرية والاقتصادية والأمنية على وجه الخصوص التي عرفتها الإيالة حيث عاشت في بدايتها اضطرابات هنا وهناك، وخاصة تمردات وثورات الانكشاريين على الحكام المحليين. وعموما، قد عرفت المرحلة فترات من الفوضى وعدم الاستقرار[3] . وهذا ما سنحاول الكشف عليه ودراسته في هذا الفصل.

ب) في الجال الأمني:

لقد كان الوضع يتميّز باللأمن، ولا بد أن يكون كذلك، انعكاسا للوضع السياسي. فقد تميزت فترة الباشوات باضطرابات داخلية، وبالثورات في مدينة الجزائر، وبمختلف أنحاء الإيالة وقد فاق عددها الثّماني حركات مناوئة للسلطة، في مدّة تكاد تغطي طول العهد الباشوي كاملا ومن هذه الثورات: ثورة بني عباس التي وقعت بُعيْد بداية العهد الباشوي (1590م)، ثم تلتها

---

1) أول باشا تم تعيينه خلال هذه المرحلة (الباشوات) هو الباشا دالي أحمد (1589– 1592م)، كان فيما سبق حاكما لجزيرة رودس.

2) إيناجيك، مرجع سابق، ص ص. 76، 75 .

3) عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسّساتها، (م. م. و.د.ح. و) وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2007 ، ص، 44 – 52.

الحركات الأخرى، كحركتي أهل تلمسان، آل القاضي، وثورات الكراغلة [1] التي نتجت عن توتر العلاقات وبين أهل تلمسان وبينهم، إلى درجة أن قام هؤلاء الأخيرون بثورة على السلطة، سنة 1629م ووقعت خلالها صدامات عنيفة [2].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى تميّزت بصراع حاد بين فئتي رياس البحر والإنكشاريين؛ إذْ ترى كل فئة منهما أنّها أحق بالسلطة من الأخرى. لقد مهّد ذاك الصراع، إلى إضعاف مركز الباشوات، ثم أفضى فيما بعد إلى إزاحتهم عن الحكم نهائيّا وتولّي طائفة الريّاس مقاليد السلطة ليبدأ عهد جديد، عرف بعهد الآغوات (1659- 1671م) [3].

أما على الصعيد الخارجي، فقد عانى هو الآخر من اللاأمن، وقد تمثل ذلك في التحرشات العسكرية الأوربية، والتي تمثلت في العديد من الهجومات الأوربية خلال السنوات التالية: 1601، 1603، 1604، 1607، 1610، 1611، 1617، 1620، 1621، 1624، 1637، 1652، و 1658، على الساحل الجزائري. وما يمكن ملاحظته، هو أنّ السيّاسة العثمانيّة التي كانت سائدة أثناء حكم البايلر بايات والرّاميّة إلى ضم المغرب الأقصى إلى مشمولاتها في عهد البايلر بايات، قد تخلّت عنها نهائيّا، تلك السيّاسة التي شهد بها وأكّد

---

1) توفيق دحماني، عهد الأمان القانون الأساسي السياسي والعسكري للجزائر في العهد العثماني ، الدار العثمانية، الجزائر، (د. ت.) ، ص. 15.

2)) ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص. 95. وانظر:

-Achour Cheurfi : Dictionnaire des localités algèriennes, éd. Casbah, Alger, 2011, p. 265.

3) شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2011م، ص. 28.

عليها أحد السّفراء الأسبان لدى المغرب الأقصى، حيث أشار إلى سياسة الأتراك بقوله: « فلم يهدأ لهم خاطر حتّى أدخلوا ممالك البربر في تبعيتهم وسلّموا عبد الملك رايتهم... إشارة بطاعته فنحّاها هو عن جدارة وأمر بتمزيقها » [(1)]. فكان الباشوات بمثابة موظّفين إداريّين اكتفوا بتسيير البلاد من قصورهم، عكس البايلر بايات الذين كانوا يعملون في الميدان، إذْ كانوا يقودون الحملات البحرية والبريّة بأنفسهم [(2)].

- المبحث الثّاني: الحركات المناوئة خلال فترة الباشوات.

عرفت إيالة الجزائر، غربا وشرقا، خلال هذه الفترة، كسابقتها من العهد العثماني، العديد من الحركات المناوئة للسلطات العثمانيّة . إلاّ أنّها كانت متفاوتة فيما بينها، ومختلفة في بعض أسبابها ونتائجها،؛ وهذا ما سنتعرّف عليه من خلال استعراض بعضها منها فيما يلي:

1- حركة بني عباس سنة 1590 م.

لقد تميّزت العلاقة بين إمارة بني عبّاس والسلطة العثمانيّة في الجزائر بالتّوتّر، وعدم الاستقرار. فقد كانت في عهد البايلر بايات متوتّرة إلى درجة العداء، وما يدلّ على ذلك تلك المعارك التي وقعت بين الطّرفين، لاسيّما في عهد البايلر باي صالح رايس، ثم من بعده حسن بن خير الدّين. فبالرغم من عدم ذكر أي سبب أو دافع مباشر حرّك نعرة التّمرّد لدى بني عباس، إلاّ أنّ الأمر قد يكون مبيتا وأن سنوات الأمن التي عاشها أهل الإمارة ما كانت إلاّ كالهدوء الذي يسبق العاصفة. ولسنا متحاملين على قائد بني عباس في ذلك لأنّ "بربروجر"

---

1) أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق: إبراهيم بوطالب وآخرون، الجمعية المغربية للتّأليف والترجمة والنّشر، الرّباط (المغرب)، 2011، ص. 80، 81 .

2) بقلم الأستاذ المشرف.

يخبرنا على الاستعدادات المسبقة للحركة؛ التي كانت على قدم وساق، ومنها: توسيع مراقبته وإشرافه على المناطق الواقعة خارج حدود القلعة وإلى غاية منطقتي مجّانة والحضنة جنوبا وبذاك يكون قد وضع طريق البايلك الرابط بين مدينة الجزائر وقسنطينة تحت عيون قواته التي بلغ تعدادها ثلاثين ألف (30000) مقاتل من بينهم خمسة آلاف يحملون البنادق. بالإضافة إلى اطمئنانه من ناحيّة أهل مجانة والحضنة، وموقفيهما نحوه طوعا بحكم الجوار، أوكرها بما يمتلكه من قوة. وفي سنة 1559م تم وضع حد لتمرّدات بني عباس وانتهت الصّدامات باتفاقيّة، بين السلطة العثمانية وإمارة بني عباس، ومنذئذ والعلاقة بينهما وديّة [1].

تناسى الطّرفان على إثر تلك المعاهدة، كل الصّدامات التي وقعت بينهما. وساد بينهما سلام كامل، مشفوعا بتبادل الهدايا. وعاش الطرفان في كنفه ردحا من الزمن ناهز الثلاث عقود كلّها سلم وأمان. وعموما عرفت فترة العلاقة بين إيالة جزاير الغرب والمملكة المغربيّة خلال عهد البايلر بايات مرحلتين وتمثّلتا في مواجهات عسكرية مسلّحة، وتلتها مرحلة ثانية تميّزت بالسلم والأمن. ولكن ما إن انقضى عهد البايلر بايات وبدأ عهد الباشوات حتّى تعكّر جو العلاقات بين الطرفين، وانقلب الود والهدايا إلى صدامات وحروب ضدّ بعضهما البعض، إلى درجة الاستغراب. وعادت العداوة القديمة بين الطرفين من جديد، كما تعرضنا إليها في الفصل السّابق . ويقول بربروجر[2] عن هذا التحول في العلاقة بين السلطة وبني العباس: « لم تستمر العلاقات الطيبة بين بني العباس والأتراك، ففي عام 1590م تمرد بنو العباس ضدّ

1) سعيدوني، صالح رايس، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص. 319.

2) **أدريان بربروجر**، هو أركيولوجي فرنسي من مواليد 1801م بباريس، تنقّل كثيرا في أرجاء الجزائر، واكتشف الكثير من المواقع التّاريخية بها؛ حتّى أصبح من المتخصّصين في الأبحاث والدراسات حولها. و قد نشر الكثير من دراساته عبر مختلف الدوريات، وتوفي بالجزائر سنة 1873م.

الأتراك من جديد،...» [1]. ومن غير ذكر أي سبب، ومن خلال سياق كلامه « تمرّد بنوعباس ضد الأتراك من جديد..». وما يفهم من هذه الجملة، أنّ بني عباس نقضوا المعاهدة المبرمة بينهما عام 1559م وعادوا إلى التمرد من جديد على السلطة العثمانية [2]. ومهما يكن من أمر؛ فإنّ معاهدة السّلم الممضاة بين الطرفين سابقا، أصبحت في حكم المنسوخ.

-) موقف السلطة العثمانية:

لقد تزامن هذا التمرد مع ولاية خيضر باشا (1589-1592م)، الذي تصدّى لهذا التحول المعادي بإعداد جيش قوامه إثني عشر ألف (12000) رجل من المشاة وحملة البنادق، ودعمهم بألف(1000) من الصبايحية، بالإضافة إلى ما انضم إليهم من الموالين المتطوعين من القرى والأرياف التي مرّوا بها، وهم في طريقهم إلى المتمرّدين. وقد قدّر عددهم بربروجر بأربعة آلاف (4000) مناصر[3]. وبعد وصول القوات النّظامية، وبسبب الموقع الحصين للقلعة، توقفت القوات العثمانيّة عن التقدّم أكثر ممّا بلغته، واكتفت قوات الباشا بحصار قوات بني عبّاس وقطع الطّريق لمنع أي اتصال بين القوات المناوئة وغيرها من القوى الأخرى المحليّة. وبالتالي حرمانهم من أي تموين أو مدد[4]. وأكثر من هذا قامت القوات العثمانية (الإنكشاريون) بأعمال تخريبية أقرب ما تكون إلى الضغط النفسي، وتمثّلت في قطع الأشجار ومداهمة القرى المحيطة، رغم الدّفاعات والتّحصينات. وعبثا حاول زعيم بني عباس إحداث ولو

1) بنوجيت، مرجع سابق، ص. 183.

2) بنوجيت، ، مرجع سابق، ص. 183.

3) بنوجيت ، مرجع سابق، ص. 184.

4) تمّ اختيار أعلى بقعة بجبال البيبان المنيعة، لوعورة المسالك إليه، ولتكون مشرفة على كلّ شاردة وواردة حولها، ومهيمنة على كل محاولة عدائية. مع تزويدها بمدافع.

ثغرة في الحصار المضروب عليه من قبل القوة العثمانية، وبقي الوضع على حاله، فلا منتصر ولا منهزم، لمدّة عامين أو يزيد[1].

-) **دور القوى المحلية.**

أمام الوضع الذي آلت إليه المواجهة بين الطرفين؛ الذي تميّز في عمومه بالتكافؤ، بحيث لا غالب ولا مغلوب، ولا فصل في النّزاع. وعليه تدخّلت القوى المحلية بين الطّرفين، وتمثّلت في أحد مرابطي المنطقة الذي توجّه بندائه للمتصارعين ومخاطبا عقولهم بقوله: « لا ينبغي أن يقتتل المسلمون، بل ينبغي أن يوجّهوا ضرباتهم ضدّ الكفار »[2]. وهنا نلاحظ انشغال القوى المحليّ بالأخطار الخارجيّة، وهذا الوضع هو الذي جعل التلاحم ين العثمانيّين والقوى المحليّة في مواجهة تلك الأخطار. تلقفت آذان العقلاء من الجهتين المتخاصمتين هذا النداء، وكان له صدى إيجابيّا، لاسيّما وأنّه صادر عن شخصيّة لها مكانتها في المجتمع. وعلى إثر ذلك جنح الطّرفان إلى السلم بعد صراع بينهما عمّر سنتين كاملتين، على أن يدفع شيخ بني عباس إلى السلطة العثمانية مبلغا ماليّا قدره : ثلاثين ألفا (30.000) قطعة ذهبية [3].

- **نتائج المواجهة :**

لقد تمّ اللّقاء وإلتحم الطرفان، والكل يحدوه النّصر والظّفر بالمعركة، لكن يبدو أنّ القوّات العثمانيّة لم تعد العدّة الكافيّة لهذا اللّقاء؛ إمّا استهانة واستخفافا بالقوات النظاميّة، أو

---

1) بنوجيت، المرجع السابق، ص. 183.

2) المرج نفسه، ص. 183.

3) المرجع نفسه، ص. 184.

لجهل بعض المعطيات العسكريّة، وهذا ما نسطيع استخلاصه من خلال ما أسفرت عنه المواجهة بين الجيشين من النتائج؛ والتي من أهمها:

1- اندحار القوات العثمانية وتراجعها القهقرى، أمام المناوئين بزعامة أمير الإمارة نفسه (أحمد أمقران) إلى منطقة برج حمزة (البويرة حاليا). ومنها عاد الباشا سليمان فنزيانو إلي مدينة الجزائر بخفي حنين.

2- تكبّد المنتصرون (قوات بني عبّاس) خسائر كبيرة، رغم انتصارهم. إذْ لا تقلّ خسائرهم أهميّة عن الخسار التي منيت بها القوات العثمانيّة. بل قد تفوقها إذا ما اعتبرنا وأخذنا في الإعتبار الإستراتيجيات العسكرية؛ والتي تمثّلت في مقتل زعيم الثورة وقائد الحركة (أحمد أمقران)، على غرار أخويه الفضل، وعبد العزيز. وبذلك كان أحمد أمقران ثالث[1] زعماء بني عباس، من يقتل في مواجهات القوّات العثمانيّة دفاعا عن استقلاليّة سلطة الإمارة.

3- بقاء الوضع المتوتر السّابق بين الطّرفين قائما على حاله، والمتمثّل في:

4-) استمرار إمارة بني عبّاس في عصيانها للسلطة العثمانيّة وعدائها لها.

5-) إبقاء القوات العثمانية خاضعه لنظام العبور، عبر أبواب الحديد (البيبان)، أثناء تنقلها بين مدينتي الجزائر وقسنطينة.

وعلى هذه النتائج انتهت المواجة، وبقيت احتمالات قياما واردة، والتي لامناص، في رأينا، من وقوعها؛ وذلك لكون موقع إمارة بني عبّاس يتحكّم في أمن وسلامة القوات العثمانيّة المتنقّلة بين دار السلطان (مقر السلطة المركزيّة) وبين بايلك الشرق من خلال طريق البايلك

---

1) انظر شجرة نسب المقرانيّين، (عند فيرو).

العابر بأبواب الحديد الكائنة بحبال البيبان. ولم تنطفئ جذوة الثورة والعصيان لدى آل العباس؛ بالرغم من وفاة زعيمهم أحمد أمقران (أي: أحمد الكبير) في المواجهة الأخيرة. فقد أُنتخب ابنه ناصر الذي أصبح يعرف فيما بعد "بسي ناصر" الذي حمل مشعل الحركة المناوئة وأكمل مسيرة أسلافه. فقد استمرّ مدّة ربع قرن كامل وهو في مواجهات وصدامات مع القوات العثمانية، إلى غاية مقتله هو الأخر سنة 1624م [1].

بعد مقتل سي ناصر خلفه أخوه المسمّى باتكة (بتقه)، الذي واصل درب المناوأة وسياسة المواجهة كسابقيه من آل أمقران؛ الذين أصبحوا يعرفون فيما بعد بآل المقراني. فقد قام هذا الأخير، من بين ما قام به من مواجهات الاشتباك مع القوات العثمانيهة بالمناطق المجاورة للقلعة: كزمورة، وبرج حمزة، وبرج بوعريريج، ومسيلة [2].

2- حركتا أهل تلمسان سنتي: 1035هـ/1624م، و1037هـ/1626م.

تعد ثورتا تلمسان، اللتان اندلعتا سنتي: 1624م، 1626م، من الثورات المحليّة التي اندلعت من غير دافع ديني، ولا بزاعمة أحد الصلحاء أو المرابطين، شأنهما في ذلك شأن ثورة الكراغلة التي وقعت سنة 1634م، والتي كان سببها التهميش وسيّاسة الإقصاء التي مورست عليهم من قبل الإنكشاريّين؛ الذين أقدموا على إقصاء الكراغلة من صفوفهم، إذْ تسبّب ذلك الإقصاء في حرمان هؤلاء الأخيرين من عديد الامتيازات التي تمنحها السلطة للإنكشاريّين [3].

---

1) بنوجيت، تاريخ بجاية وضواحيها.

2) بنوجيت، قلعة بني عبّاس ...، ص. 197.

3) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،... ، ص. 212.

أ) الحركة الأولى (1035هـ/1624م).

تعد هذه الثورة التي اندلعت بتلمسان سنة 1035هـ/1624م من الحركات المناوئة للسلطة العثمانية، التي، حسب اطلاعنا، لم يكتب عنها الكثير، ولذلك فإن المعلومات عنها شحيحة، حيث لم نجد خلال بحثنا فيما توفر لدينا من مصادر ومراجع، ما يغطّي أحداثها. فقد قامت هذه الثورة بتلمسان في ظل القائد محمد بن سوري المتوفى سنة 1040هـ /1629م، والذي تميزت سياسته بالتسلط والجور منتهجا الفظاعة في معاملاته مع أهل تلمسان، وكل من جايله وخضع لسلطته، وعايش عجرفته وجلافته. ومن صور معاملاته الفضة وقساوته، يروى عنه أنه في إحدى المرات سلخ جلدي إثنين مناوئيه كسلخه للشاة، وحشاهما بالتبن، وحملهما إلى مدينة الجزائر العاصمة[1].

أمّا عن أسباب هذه الحركة، فإنّ أبا القاسم سعد الله يرجعها إلى السياسة التي انتهجها القائد محمد بن سوري مع السكان، ومن الذين شهدوا على تلك السياسة وتصرّفات القائد بن سوري، الشيخ (محمد العبدلّي) المتوفى سنة (1035هـ/1624م)، ومحمد بن سليمان، صاحب كتاب" كعبة الطّائفين. وقد وصف أحد المعاصرين تلك الأحداث بقصيدة شعريّة واصفا سياسة القايد جاء في أحد أبياتها ما يلي:

ترقّب يوم موتك يا فلان ***** وراهقك الرحيل من الديّار.

و من هذا البيت ندرك معاناة السكان، ويقينهم بعقاب الظالم في الآخر، وحال لسانهم يقول: سيأتي اليوم الذي تموت فيه أيها الطّاغية، وتستريح من ظلمك البلاد والعباد.

---

1) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثّقافي... ، ص. 213 م.

ب- الحركة الثّانية: (1037هـ/1626م).

أمّا الحركة الثانية، فقد كانت نتيجة فشل الحركة الأولى، إذْ يبدو أنّ أهل تلمسان لم تخمد نار حركتهم. فبعد سنتين فقط من توقف حركتهم المناوئة الأولى، اندلعت حركتهم الثانية، والتي حسب شهادة ووصف العالم محمد بن سليمان في كتابه "كعبة الطّائفين"، أنّها كانت حركة عنيفة، بل فاقت شدّتها وخطورتها عنف وشدّة الحركة التي سبقتها، إذْ قيل عنها: «... كانت أعظم من الأولى » [1].

-) موقف العلماء والصّلحاء من حركتي تلمسان.

كان العلماء على وعي كبير بالوضع العام السائد، وبطبيعة العلاقة بين السلطة المحلية والرعية، وكانوا يدركون درجة الظلم والجور المسلطين على أهل البلد، من قبل الحاكم العثماني (الباشا) محمد بن سوري. وبحكم مكانتهم لدى السلطات، كانوا يتدخّلون من الحين والآخر لدى السلطة المحلية؛ للتوسط بين السكان والحاكم، وغالبا ما يقدّمون شفاعتهم لتخليصه من بأس الباي أو على الأقل للتخفيف من غضبه، وفي حالات أخرى، كانت منازلهم وزواياهم ملجأ للمستجيرين بهم من ظالميهم. ومن هؤلاء العلماء نذكر محمد بن سليمان، والشيخ محمد بن علي العبدلّي العالم الكبير[2].

---

1) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... ، ص. 212، 213.

2) مدحه الورتلاني وقال عنه : ذو العلم والمهابة والحلم والإنابة والسطوة والاستجابة والتحقيق والإصابة .. الزاهد بالتحقيق بعد التمكن من الدنيا كما يليق.. نجل القدوة والدرة الثمينة سيدي محمد بن علي العبدلي.(انظر، أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال،... (م.و.ف.م) الجزائر، 2007 م، ص. 336 .

3- حركة الكراغلة: 1596م و1629م و1630م و1633م.

قبل مباشرة موضوع حركات الكراغلة؛ التي وصفها ابن العنتري بالثورة الدموية نود الإشارة إلى من تناول ثورة هذه الفئة من السكان بالدّراسة، ونذكر منهم، كلاً من: "بيير بوايه" Pierre (Boyer) « مشكلة الكراغلة في إيّالة الجزائر»، « مجلة الغرب الإسلامي، عدد خاص_سنة 1979م، والأسير الانكليزي " فرانسيس نايت " سنة 1640م، في كتابه (سبعة سنوات...)، وكتب عنها الأسير(جوزيف بيتر). بالإضافة إلى بعض الكتاب الجزائريين الذين أشاروا إليها في مؤلّفاتهم، ومنهم أبو القاسم سعد الله الذي وصفها بالثورة وبأنّها كانت ثورة سياسية واقتصادية واجتماعية. وكذلك أرزقي شويتام في تناوله لموضوع " نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره" ودراسته المعنونة بـ"المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519- 1830م)"، وفي دراستة المنشورة بمجلة أفكار وآفاق بعنوان" دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (1519- 1830م)" وغيرها من الدّراسات. فمن هم هؤلاء الكراغلة ؟ وكيف كانت علاقتهم مع غيرهم، من سلطة، وجيش إنكشاري؟ وما حقيقة حركتهم؟

إنّ كلمة كرغلي لغة هي: لفظة من أصل تركي، مركبة من شطرين هما: قول، وأغلو. فـ قول أو غول حسب النطق تعني بالتركية العبد أو الجندي. أما أوغلو فمعناها ابن. وجمع الشطرين يعني ابن العبد وكان الأتراك يعتبرون أنفسهم عبيد[1] السلطان العثماني.

---

1) المصطلح عبيد" هنا في مفهوم الحظارة العثمانية يختلف عن مفهوم العبيد عند العرب في الجاهلية أو عند الغرب المسيحيي . فالأفارقة الذين اقتادهم الأوربيون إلى أمريكا كرها، وحولوهم إلى عبيد، لم يسمح لهم بالمساواة ولا بالترقية الاحتماعية، ولا بتولى المناصب القيادية ولا حتى بممارسة االمشاعر الإنسانية، بل كانوا عرضة للاحتقار والإذلال، فأصبح المحتمع يعاني من الإمتيازات والاستعلاء أو ما يعرف بـ(العنصرية). أما العبيد في فلسفلة العثمانيين؛ فإنها تتيح لهم فرص الترقية بل تعتمد عليهم في كل شؤون الحياة، وتولي المسؤوليات السياسية، وباختصار فهم عبيد من غير عبودية . وأمثال ذلك، وليس حصرا، خير الدين بربروس، والعلج علي، والرايس حميدو، وحسن فنزيانو، فكلهم تقلدوا مناصب عليا بالرغم من =

أمّا المدلول الاصطلاحي للكلمة، فإنّ الوقوف عليه يحتم علينا الرجوع إلى الدراسة المتخصصة للمجتمع الجزائري إبان العهد العثماني، والتي قام بها أرزقي شويتام الذي تناول فئة الأترك بمكوناتهم الثلاثة: (الأتراك العثمانيون، والأعلاج المهتدون والمحسوبون على الأتراك، والمولدون أي الكراغلة). فيقول عنهم بأنهم: « فيئة مولدة نتيجة تصاهر بين بعض الأتراك (العزاب) الوافدين إلى الجزائر مع بعض النساء المحليات »[1]. وقد يكون حسن باشا بن خير الدين بربروس الذي حكم إيالة الجزائر ثلاث مرات؛ هو أول كرغلي، أو من أوائل الكراغلة الجزائريين. فهو من أب عثماني (خير الدين بربروس)، ومن أم جزائرية أو من أم أندلسية من الأندلسيات النّاجيات من الاضطهاد الأسباني (حسب الروايات).

- ظهور الكراغلة في الجزائر وانتشارهم.

أمّا عن ظهور الكراغلة وبروز فيئتهم في المجتمع الجزائري وتوزيعهم، فإن ذلك يعود إلي بدايات الوجود العثماني ببلاد المغرب. فقد كان الإنكشاريون المجنّدون من منطقة الأناضول، يُستقدمون إلى الجزائر عزّابا، الواحد منهم يدعى باللسان التركي (زبنطوط). ويُوزَّعون هؤلاء الإنكشاريّون على الحاميات المنصّبة ببعض بالمدن الجزائرية [2]: كتبسة، وعنابة، وبرج زمورة، وبرج حمزة(البويرة حاليّا)، وميلة، وبسكرة، وتلمسان، وعنابة، وبجاية،

=كونهم ليسوا أتراكا. انظر، حلمي علي مرزوق، فلسفة شوقي في مدح العثمانيين، تكريم مسيرة دراسات تاريخية، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، ج$_2$، 2006، ص. 744 .

1) شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، ص. 172 .

2) شويتام، المرجع نفسه، ص. 171 (ها).

ومستغانم، ووهران، وغيرها من المدن كمجنّدين، وكل مدينة لها عدد معين من الجنود[1]. ولما سُمِح لهم بممارسة بعض الأعمال والحرف، والزّواج من أهل البلاد، تزوّج بعضهم من جزائريات أو أندلسيات، وكونوا أسرا، ونتيجة ل لهذا الزواج المختلط (المصلحي) تولّد الكراغلة، وبالتّالي تشكلّت فئة اجتماعيّ جديدةمن آباء أتراك ، ومن أمّهات محليات (جزائريّات أو أندلسيّات) [2]. وفي سنة 1596م استقوى خيضر باشا (1595- 1596م) بالكراغلة في تصدّيه للثّورة الإنكشارية، وخلال هذه الواقعة برز الكراغلة كفئة مميزة في المجتمع الجزائري، كما أحسّوا بكيانهم وبوجودهم وثقلهم الاجتماعي[3]. وهكذا بدأ ظهورهم كأفراد وانتهى بتجمعهم عبر أهم الحواضر الجزائرية بعد ما تزايد عددهم. غير أن الإحصائيات الخاصة بهم لا تتميز بالدقة؛ لأن التخمين والتقريب في عمليات الاحصاء هما السائدان في تلك الفترة، وهذا ما جعل قنصل فرنسا بالجزائر السيد فالبير (Valliere) يقول:« إن عدد سكان الجزائر قليل إذا قارناه بمساحتها الواسعة، إنه من الممكن معرفة أولئك المقيمين في المدن، ولكن كيف يمكن تعداد أولئك القاطنين في الأرياف والجبال والرحل »[4].

وباستثناء المدن التي بها سجلات الضرائب؛ فإن سكانها عموما مسجلون. لكن، إذا كان عدد الكراغلة قد قُدِّر في سنة 1621م في مدينة الجزائر وحدها بحوالي خمسة آلاف فرد، فإنّه حسب فالبير نفسه، قد تراوح مابين الأربعين والستّين ألف كرغلي في كامل التراب الوطني،

---

1) شويتام، دراسات ووثائق.... ، ص. 30، 31.

2) شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته...، ص. 172.

3) شويتام، نهاية الحكم العثماني...، ص. 111.

4) شويتام، ***الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (1519- 1830م)***، مجلة أفكار وآفاق، جامعة الجزائر2، المج 3 ، العدد 04 ، السنة 2013، ص. 175.

بينما قُدّر في مطلع القرن الـ 19م بأقل من ذلك بكثير، وبشأن هذا التّضارب في الأرقام وعدم دقتها، يرجع بعض المؤرّخين ذلك إلى العائق الدّيني، المنكر لعملية الاحصاء في الثّقافة الدّينية عند كل من المسلمين واليهود. إلاّ أنّه لا يمكن أن نهمل ونقلّل من نقص إمكانيات الاحصاء وضعف تقنياتها في تلك الفترات. لكن مهما تضاربت الأرقام وبالأخذ في الحسبان التناقص الحاصل في السكان بسبب الحروب والمجاعات والأوبئة، وكذلك تراجع عدد الوافدين الجدد فإنّ بعض المصادر قدّرت عددهم عند نهاية العهد العثماني بحوالي 8688 نسمة[1]. أما بالنسبة لتواجدهم وتوزيعهم، فإننا نجدهم منتشرين في كثير من المدن الجزائرية، خاصّة منها السّاحليّة ومن هذه المدن نذكر: مدينة الجزائر وتلمسان والبليدة ومعسكر والمدية وقسنطينة ووادي الزيتون (مدينة الأخضريّة) وما جاورها و القليعة، ومستغانم ومازونة وقلعة بني راشد، ولو بأعداد قليلة، وغيرها من المدن. وعلى العموم، فهم متواجدون بكل البايلكات. وقد كان توزيعهم حسب الجدول التّالي[2] :

أماكن تواجد الكراغلة	أعدادهم
مدينة الجزائر	2076 كرغلي
بايلك الشرق	1130 كرغلي
بايلك الغرب	1415 كرغلي

1) P . BOYER « Le problème Kouloughlé dans la régence d'Alger, R.O.M . N° spécial , année 1979.

2) شويتام، الكراغلة في...، ص. 178.

بايلك التيطري وادي الزيتون[1]	1402 كرغلي 2665 كرغلي
المجـــــــــــــمـــــــــــوع	**8688** كرغلي

- علاقتهم السياسية والاجتماعية.

إنّ الوئام الذي كان سائد بين العثمانيين والكراغلة في بداية الوجود العثماني في الجزائر يمكن إرجاع أسبابه إلى قلّة الأعداد المتعايشة في الجزائر، وكذلك إلى وفرة الثروات؛ ممّا كان يسمح لكل فئة أخذ نصيبها وحقوقها، إلاّ أنّه بعدما شحت الثروات، وما صاحب ذلك من تكاثر في التعداد السكّاني أدّى إلى نشوب صراعات بين الفئتين (الكراغلة والإنكشاريّين). وهذا ما دفع العثمانيّين إلى التفكير في إقصاء العنصر الكرغلي من صفوفهم. وبالرغم من ذلك كلّه، فإنّ الحكام اضطرّوا في القرن 18م إلى مراجعة مواقفهم من الكراغلة، إذْ أرغمتهم الظروف القاهرة على الإستعانة مرّة أخرى بالكراغلة، أوّلا لمواجهة خطر الإنكشاريّين وتهديداتهم، وثانيّا لتعزيز صفوف الجيش لمواجهة التحرّشات الخارجيّة، وهكذا أصبح الكراغلة يعيّنون في مناصب عليا في الدّولة منها منصب الباي [(2)].

لما ننظر إلى الوضع الاجتماعي لفئة الكراغلة، والتي تولدت من فئتين مختلفتين، فئة الأتراك القادمين من آسيا الصغرى، وفئة الأهالى المغاربة والأندلسيين، فإننا نتساءل عن ماهية وضعيتهم ؟ وعن علاقتهم السياسية والاجتماعية خاصة بالسلطة. ولقد كان لقوة شخصية البايلر

---

1) ملاحظة: لقد تعمّدنا إدراج وادي الزيتون (منطقة الأخضريّة وما جاورها من بلاد زواوة) ضمن الإيّالات ؛ في الجدول أعلاه، لكونه منطقة تميّزت باستقبال أعدادا كثيرة من الكراغلة المهجّرين من مدينة الجزائر.

2) بقلم الأستاذ المشرف.

بايات الأوائل وعدلهم بين أفراد الرعية، الفضل في احتواء واندماج الكراغلة بالعثمانيين وإنشاء علاقات متينة بينهم، وهو ما جعلهم يتمتعون بما تمتع به آباءهم من الأتراك خلال العهد العثماني الأول تقريبا. وإذا كانت سياسة الساسة العثمانيين العادية قد وحدت بين مختلف الفئات بما فيهم الكراغلة، فإن الأخطار الخارجية المحدقة بالبلاد والعباد هي الأخرى ساهمت في تلاحم مختلف الفيئات الاجتماعية، لكن هذا التوافق وهذا الانسجام لم يستمران، حيث مع بدايات عهد الباشوات(1588- 1659م)، وبالضبط خلال سنة 1596م انقلبت الأضاع وتحول الانسجام والتوافق إلى مناوأة وصدام [1].

وأصبحت فئة الكراغلة فئة مميزة ومستقلة، عن غيرها. وأصبحت العلاقة بين الكراغلة (الأبناء)، وبين العثمانيين(الآباء) علاقة شك وارتياب إلى درجة الخوف والحذر، مما جعل السلطة تحترز منهم، بل وتقطع الطريق أمامهم للحيلولة دون تبوئهم مناصب عليا، كذلك العضويه في الديوان، ولم يسمح لهم إلا المشاركة في الجهاد البحري[2]. ونتيجة لهذا الوضع الذي أصبح عليه الكراغلة، وقد شهد القتصل الأمريكي شيلر (SHALLER) على ذلك قائلا: « الكراغلة لا يتمتعون بحقوق أكثر مما يتمتع به الجزائريون، فيما يتعلق بالمناصب في الدّولة، لكن يمكنهم الرقي في البحريّة، كما يمكنهم الوصول إلى مناصب القائذ والباي... ولكن لا تربطهم أية علاقة بالأتراك. وقد رفضهم العنصر التركي رفضا مطلقا، واعتبرهم من جنس السكّان الجزائريّين» [3].

---

1) شويتام، الكراغلة في ... ، ص.180.

2) غطاس، الحرف والحرفيون... ، ص.26.

3) شويتام، المجتمع وفعاليّاته ...، ص. 177.

أمّا حول المهن التي يمارسها الكراغلة فقد حصرها (مارسيل إمريت) في كتابه " الجزائر في عهد الأمير عبد القادر الجزائري" في مجالين إثنين وهما: الإنخراط في الجيش، والعمل في البستنة [1]. هكذا بدأ ظهور الكراغلة على مسرح الأحداث؛ اعتبارا من التّاريخ المذكور أعلاه. إلاّ أنّ هذا الظهور كان على المستوى الاجتماعي، ولم يكن له تأثير على غيرهم. بل لقد عرف الكراغلة بعد هذا التّاريخ أي مع مطلع القرن الـ 17م، معاملة سيّئة وتهميشا من بني جلدتهم. إلى غاية 1565م؛ أين أمست السلطة في أمس الحاجة إليهم، وذلك عند الحصار الذي ضربته على مقر فرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطة. وبعد هذه الحادثة لانجد لهم ذكرا لدى السلطة إلا بمناسبة الحركة المناوئة التي قام بها الإنكشاريون عام 1596م؛ إذ قام خضر باشا(1595/ 1596 م) بتجنيدهم للإستعانة بهم ضد آبائهم[2]. وأمام هذه الأوضاع آل حال الكراغلة إلى الصدام مع السلطات العثمانية، والتي ظهرت خلال عدّة سنوات منها 1626، و1629، 1633م [3]. فما أسباب حركة الكراغلة المناوئة للسلطة العثمانية ؟ وما هي المواقف المتخذة حيالها؟ وكيف كانت نهاياتها ؟

-) أسباب الحركة :

لقد صادف عام 1596م أن قام فيه الإنكشاريون بعصيان السلطة في عهد خضر باشا، وأمام السيل الجارف للإنكشاريبن وتقدير الباشا لخطرهم، ما كان عليه إلا أن يستنجد

---

1) مارسيل إمريت، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر الجزائري، تر: عبد الحميد بورايو وحميد بولحبيب، دار الرائد للكتاب، 2015 م، الجزائر.

2) عليليش، مرجع سابق، ص. 31.

3) غطاس، المرجع سابق، ص. 26.

بالكراغلة ويدرأ بهم خطر الإنكشاريين[1]، الذين اجتمع منهم حوالي (1800) إنكشاري بإحدى الثكنات في منتصف سنة 1626م للاحتفال بالمبادئ البكداشية، التي من بينها يمنع الانتساب إلى الجيش الانكشاري لأيّ أحد باستثناء أبناء المسيحيين الأسرى، والذين نشأوا في مدارس خاصة، وكذا المسيحيون الدّاخلون في الإسلام (الأعلاج). وكان من شدّه التضييق واحتكار الانتساب إلى صفوف الجيش الانكشاري أن منع أتراك الأناضول أيضا بالانتماء إلى الانكشارية، إلاّ في العشريات اللاحقة من التاريخ المذكور أعلاه (أي: في بدايات القرن التّاسع عشر). ففي هذا الاجتماع قرّر الإنكشاريون تصفية صفوفهم من أي ضابط من الأهالي، تحت غطاء وحجة أنّ وجودهم في الدّيوان يجعل الجزائر تنسلخ عن الإمبراطورية، ومن ثمّة استقلال الجزائر. ولم يكتف الإنكشاريون بطرد الضباط الأهالي من صفوفهم، وإنّما أضافوا إليهم الأندلسيين، والزواويين، والكراغلة بالخصوص؛ لكونهم هؤلاء الأخيرين قد تعاونوا مع خضر باشا ضدّهم، وانتقاما منهم، قاموا بإجبارهم على الرحيل ومغادرة مدينة الجزائر[2].

ومن وجهة نظرنا قد يكون طموح الكراغلة في تولّي المناصب العليا هو ما أثار حفيظة الإنكشاريين ضدّهم. ومهما كان الأمر فإن الكراغلة أصبح لا ينظر إليهم بعين الرضا، وبالتالي هم أيضا أصبح لهم موقفا خاصّا بهم، وجسّدوه بحركتهم. ومهما تتعدّدت الأسباب الدّاعية للعصيان أو التمرّد فإن أبو القاسم سعد الله يلخصها في نقطتين:

– الأولى وهي: الإحساس بالدّونية في الترتيب الاجتماعي، من قبل الإنكشاريين، وهذا يبدو جليا؛ حينما ننظر إلى الفرص التي تتاح للأعلاج؛ كي يتصدروا المشهد السياسي والعسكري،

---

1) شويتام، الكراغلة في الجزائر...، مرجع سابق، ص.180.

2) Kamel CHEHRIT: Les Janissaires origine et histoire des milices ottoman et tout spécialement celle d’Alger, op, cit, p :82.

وعلى سبيل المثال لا الحصر(حسين ميزي مورتو)؛ الذي تحول من أسير إلى باشا بإيالة الجزائر، ثم ارتقى إلى قبودان باشا على الأسطول العثماني، في حين لا يرتقي إلى رتبة باي إلاّ القليل من الكراغلة. غير هذه الفرص التي تتاح للأعلاج والمناصب التي يصلون إليها لم تأتيهم على أطباق من ذهب ولا فضّة؛ وإنّما اتحقّوها استحقاقا بفضل ما قدّموه للدّولة العثمانيّة [1]. والثّانية: تتمثل في عدم السماح للكراغلة بتولي مناصب الوظائف العليا وممارسة المسؤوليات [2]، وهو ما يتوافق معٍ رأي أحد الدّارسين، الذي يقول:«... ثم الكراغلة الذين لم يكن مسموحا لهم بتولّي المسئوليات العليا سواء في فرقة الإنكشارية أو في حكومة الإيالة ». ويضيف قائلا: « وقد لاحظنا أنّه خلال النصف الأول من القرن السّابع عشر (17م)، أدّت محاولات الحد من دور الكراغلة في النهاية إلى الثورة »[3].

لقد كان الإنكشاريون من أشد المعارضين لأيّ ترقية اجتماعية أوسياسية للكراغلة، ناهيك عن عدم السّماح لهم بالانضمام إلى الجيش خلال معظم مرحلة البايلر بايات. وإنّ المتتبع لمسار فئة الكراغله، ومنذ نشوء فئتهم داخل المجتمع الجزائري، لم يظهروا أي تكتل أو ظهور سيّاسي أو اقتصادي، إلى غاية عهد الوالي خيضر باشا؛ والذي يرجع له الفضل في إبرازهم ككتلة متضامنة، ولها وزنها؛ وذلك لمّا جمعهم عام 1596م، وأقحمهم في صفوف الجيش الإنكشاري، وبهذا وضع توازنا داخل فئة الإنكشاريّين[4].

---

1)) جون بابتست وولف، الجزائر وأوربا (1500–1800) م، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، (ط.خ)، الجزائر، 2009، ص. 163.

2) سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي.....، مرجع سابق، ص. 139.

3) وولف، المرجع السّابق ، ص. 163.

4) بقلم الأستاذ المشرف.

كما سُمِح لهم ببناء وإنشاء مدارس عسكرية شبيهة بمدارس الأتراك، لأبناء الميسورين والمتعلمين منهم، ومن أبناء السكان[1]. وقد أقدم الإنكشاريّون على عزلهم من مناصبهم، ثم حرمانهم من الإمتيازات، ضاربين عرض الحائط ما قام به الباشا السّابق(خضر باشا)، وازداد تدخل الإنكشاريّين في الشّؤون السيّاسيّة، حتّى صاروا يتدخلون في تحديد من يكون على رأس السلطة في الجزائر، بل هم من يختار الدّاي بالانتخاب محليّا، ثم بعد ذلك ينصّب من قبل السلطان العثماني؛ لما يخلع عليه لقب الباشا، ليقدم الباشا الجديد فيما بعد اعترافه بالسلطان، ومقدّما له الولاء[2].

وكذلك انتقامهم لحادثة طردهم من مدينة الجزائر سنة 1629م، وذلك لما عاضدوا الانكشاريّين في حركتهم المناوئة للسلطة العثمانيّة[3]. وعلى حين غرة فاجأوا الجيش الإنكشاري، واستطاعوا السيطرة بسرعة علي بعض المواقع الهامة والتابعة للسلطة. لكن تلك السيطرة لم تدم طويلا، حيث استطاع الإنكشاريون التغلب على المتمرّدين مرة أخرى، غير أنّ هذه المرة كان تدخل للسلطة دمويّا، حيث تمّ القضاء على أكثر من خمسمائة عنصر من الكراغلة، ومن نجى هاجر إلى بلاد زواوة [4].

وبهذا المآل انتهت محاول الكراغلة الثّالثة بعد بضع سنين. وبالرغم من هذه النكبة التي تعرض لها الكراغلة، إلاّ أنّهم شكّلوا نجمعات سكانيّيّة في المدن الدّاخليّة، وفي بعض تالنناطق الرّيفيّة ، فقد أصبحوا يشكّلون قوة سيّسيّة واقتصاديّة في بعض المدن ، مثل تلمسان.

---

1) Kamel Chehrit : op. cit., p :79.

2) العربي، المقاومة الجزائرية ... ، ص. 20.

3) العربي، نفسه، ص. 20.وانظر أيضا، عبّاد، مرجع سابق، ص. 119.

4) عباد، مرجع سابق، ص. 119.

وهذا ما دفع بالكراغلة إلى القيام بحركتهم بعد 35 سنة أي: خلال 1629م. وتبدو، في نظرنا، هذه الأسباب والدّواعي؛ التي أدّت بالإنكشاريين إلى القيام بحركتهم أسبابا واقعية. لكن الغريب في الأمر هو أنّ هذا المنع اقتصر فقط على من كانت أمّهاتهم جزائريات. فبعد كل هذه الإجراءات والقرارات من قبل الإنكشاريين، قام الكراغلة (المنبوذون) بعرض تظلّماتهم ومقدّمين شكاويهم على كل من يعتقدون منه أن ينصفهم، أو يقدم لهم يد المساعدة [1].

- مراحل حركة الكراغلة.

- المرحلة الأولى.

كما سبقت الإشارة إليه أعلاه، فإن الكراغلة قد قاموا بعدّة حركات مناوئة للسلطة العثمانية وسنتناول، وفق ما بين أيدينا من معلومات حول تلك الحركت التي قاموا بها خلال، السّنوات التالية 1596م، 1629م، 1630 و1633م، بالإضافة إلى الحركة التي قاموا بها بتلمسان سنة 1748م، والتي عدّها الأستاذ أرزقي شويتام من أخطر الحركات. فبعد السياسة الإقصائيّة التي طبقتها السلطة العثمانية في حق الكراغلة، وعزلهم من الوظائف الحكومية، وخاصّة منها السّاميّة، وتجريدهم من حقوقهم وامتيازاتهم، وإخراجهم من مدينة الجزائر، ونفيهم منها حتى قال عنهم القنصل الأمريكي شيلر (1816- 1824م): « الكراغلة يتمتعون بحقوق أكثر مما كان يتمتع الجزائريون، فيما يتعلق بالمناصب في الدولة، لكن يمكنهم الرقي في البحرية، كما يمكنهم الوصول إلى مناصب القائد والباي.. كما يتمتعون بامتيازات لا قيمة لها، ولكنه لا تربطهم أية علاقة بالأتراك. وقد رفضهم العنصر التركي رفضا قاطها، واعتبرهم من جنس السكان الجزائريين»[2]. فقرر هؤلاء الأخيرين(الكراغلة) أخذ زمام المبادرة وإسماع

---

1) وولف، مرجع سابق، 163 .

2) شويتام ، الكراغلة في الجزائر... ، ص. 182.

صوتهم، لأخذ مكانة بين الفئات الأخرى من المجتمع. وأول ما قاموا به هو تشكيل تجمعات سكانية في البايلكات الثلاثة في كل من تلمسان ومستغانم والمدية وعناية، وبذلك شكلوا نوعا من الضغط المعنوي والتهديد، وأصبحوا يتقلدون بعض المناصب الحكومية. لكن رغم ذلك فقد تزايدت مطامعهم وتطلعاتهم إلى ما هو أعلى من ذلك، وكانت عينهم على السلطة [1]. ويذكر أنّهم ثاروا في أواخر عهد حكم خضر باشا، (1003هـ/1594م- 1005هـ/ 1596م)، أي في سنة 1005هـ/ 1596م، وبتحريض منه شخصيّا، وذلك لمّا أراد الإستعانة بهم، وبالأعراب؛ من أجل القضاء على الانكشاريين وتدعيم سلطته في الجزائر[2]. وحيث وجدوا دعما من سكان المدن، وسكان منطقة زواوة خصوصا، ممّا أجبر الإنكشاريين على منح الكراغلة بعض الامتيازات. غير أنّ الإنكشاريّين (الأوجاق) استطاعوا استرجاع نفوذهم مع مطلع القرن الـ17م وأساؤوا معاملة الكراغلة كما ذكرنا سلفا [3].

- المرحلة الثّانيّة (ماي 1629م) .

كان الإنكشاريون معارضين لأيّ ترقية اجتماعية أوسياسية للكراغلة، ناهيك عن عدم السّماح لهم بالانضمام إلى الجيش خلال معظم مرحلة البايلر بايات. وهذا بالرغم من كونهم عثمانيّين، بحكم الأبوة، إلا أنّهم حروموا من حقوقهم كأتراك،

---

1) نفسه، ص. 183.

2) شويتام، المجتمع الجزائري...المرجع السابق، ص. 173. وانظر ايضا، توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، دار البصائر، ط 3 ، الجزائر، 2009، ص. 50 .

3) الرديني، المؤسسة العسكرية...، ص. 183م.

أو حتّى من امتيازات التي ينالها الأعلاج المهتدون [1]. ولهذا لما بدأت قضية الكراغلة تطرح لكونهم فئة مميزة، قاموا وتمرّدوا من جديد مغتنمين فرصة تمرّد الانكشاريين، الذين ثاروا ضد حسين باشا (1614– 1633)؛ والذي كان مصيره القتل بالسم سنة 1629م. و بعد مقتله، استُخلِف بـيونس باشا (يوليو 1630م)، ثم حسن باشا الشيخ (لثالث مرة نوفمبر 1632م). فحينما فكّر الكراغلة فيما أقدموا عليه؛ من حركة ضد السلطة لتغيير الأوضاع السّائدة، وبعدما تدارسوا الأمر، اجتمعت كلمتهم حول بداية تنفيذ حركتهم بالاجتماع في مكان غير بعيد نسبيّا عن مقر الحاكم أنذاك، وهو الباشا حسين (1627– 1633م). وتم اختيار حصن الأمبراطور للاجتماع، والمنطلق في نفس الوقت[2].

ويبدو أنّ قوة الكراغلة قوة لا يستهان بها، فقد أتيحت لهم الفرصة لأبرازها وإظهار ثقلهم الاجتماعي في المجتمع. وبالتّالي التعبير عن ضغائن دفينة لديهم، وتنفيس لما هو في طي الأحاسيس والكتمان. ويفهم من هذا أنّ هناك دوافع لذلك، ومن بينها: انتقامهم لحادثة طردهم من مدينة الجزائربعد ثورتهم التي قاموا بها سنة 1629م، وذلك لما عاضدوا الانكشاريّين في حركتهم المناوئة للسلطة العثمانية آنذاك. وما كانوا يدخلون متنكّرين لولا الخوف من اكتشاف أمرهم، وهو دليل على ذلك الطرد الإجباري[3].

---

1) من بين الإمتيازات التي يتمتع بها أولئك الأعلاج وأهمها، الترقية لإدارية والعسكرية، إذْ استطاع العديد منهم بلوغ مرتبة الباشوية . ومن أمثالهم، العلج علي باشا شغل منصب بايلر باي ومنصب قابودان باشا بعد معركة ليبانت 1571م، انظر، محمد سي يوسف، أمير أمراء الجزائر، علي باشا، دار الأمل، الجزائر، 2009، ص. 150. ومنهم أيضا علي بتشين، وحسن ميزو مورتو، وغيرهما...

2) عباد، مرجع سابق، ص. 119.

3) عبّاد، مرجع سابق، ص. 119.

- المرحلة الثّالثة سنة 1630م.

تعد الحركة التي قام بها الكراغله في مدينة الجزائر خلال سنة 1630م امتدادا للحركة السابقة، وفي نفس الوقت تعتبر من أخطر الحركات المناوئة للسلطة العثمانية على الإطلاق، ويمكن حصر أسبابها في نفطتين وهما: كون هذه الحركة وقعت في عاصمة الإيالة، وبالقرب من مقر السلطة، بل أمام أعين الباشا حسين (1627-1633م) نفسه، وهو تحدّي صارخ له. وكذلك كون هذه الحركة وجهت سهام مناوأتها لأعلى سلطة عثمانية في الجزائر؛ وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي: ما الغرض من قيام هذه الحركة ؟ أو إلى ما يهدف أصحابها؟

- المرحلة الرّابعة : سنة 1633م.

ففي عام 1633م جمع الكراغلة أمرهم وعزموا على الزحف على العاصمة، واقتحامها مستعملين نفس الحيلة التي استعملتها السلطة العثمانية في مواجهة تمرّدهم سنة 1629م. فدخلوا مدينة الجزائر متنكّرين في أزياء فلاّحين وبأسلحة مخفية. لقد تحدّث عن هذه الثورة ابن العنتري بشكل مقتضب من خلال كتابه فريدة منسية، أو"(تاريخ قسنطينة)، وخلاصة هذه الحركة التمرديّة أن الكراغلة الذين تمرّدوا سابقا وثاروا ضدّ السلطة العثمانية وتمت معاقبتهم، ومن بين ماعوقبوا به من قبل السلطة، انّه تم تسليط عليهم عقوبة النفي (الإبعاد) حيث تم إخراجهم من العاصمة وتوزيعهم على عدة مناطق منها وادى الزيتون وزمورة شرق مدينة الجزائر، كما ذكرنا خلال تعرضنا للثورة الأولى أعلاه، ولا ندري هنا، هل عملية النفي تمت في مرحلتين (أي خلال الثورتين)؟ أم أن الأمر اختلط على العنتري ونقل عن ابن المفتي، دون تمحيص. غير أنّ عطف حسين باشا الذي اعتزل بإرادته سنة 1633م، ثم استخلف بيوسف باشا (1627- 1633م)، جعله يقوم بإجراء إنسانيّ، وتمثّل في السّماح لبعض المنفيين منهم إلى مدينة عنابة بالعودة إلى العاصمة، ورغم أن ابن العنتري لم يحدّد لنا زمن هذه الحركة بدقة، إلاّ أنّه زودنا ببعض الخسائر التي تمخضت عن مواجهة حركتهم، مع قوات السلطة

العثمانية؛ ومن بين الخسائر التي أسفرت عنهاهي: تهديم حوالي خمسمائة (500) مسكن، ومقتل حوالي ستمائة (600) شخص[1].

- أهداف الحركة.

من خلال المجال الجغرافي الذي قامت فيه هذه الحركة، ألا وهو مدينة الجزائر العاصمة، وهي المقر الرسمي للحكم والقرارات السياسية، ولكونها هي مقر النظام القائم والدولة الجزائرية والسلطة السياسية، فإنّ أي عمل مناوئ ما بالمدينة، من شأنه أن يكون له تأثيره الكبير على الحكم مباشرة؛ ولذلك اختار الكراغلة مكان حركتهم، والطرف المقصود بالعصيان. وبذلك أرادوا إزاحة السلطة القائمة على الحكم ليحل المناوئون محلها، وعن هذا عبّر أحد الكتاب بقوله: « وضع أفراد تلك الطبقة مشروعا يهدف إلى طرد الأتراك، آباءهم وأجدادهم، الذين كانوا يحكمون البلاد »[2]. وعلى هذا الأساس ونحن بصدد الحديث عن حركة انقلاب واستيلاء على السلطة، نرى من الأهمية بمكان التعرف بموقف السلطة الحاكمة من حركة الكراغلة، وما هي الإجراءات التي اتخذت من قبلها نحوهم ؟

- موقف السلطة العثمانية

لا شك أنّ السلطة العثمانية لها عيون تترصّد بها حركات أعدائها، وهي بشكل أو بآخر بمثابة جهاز أمني وقائي على شاكلة الأجهزة الأمنية المخابراتيةالحالية [3].

---

1) محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، دار البصائر،(ط.خ)، الجزائر، 2010.

2) صالح عباد، مرجع سابق، ص. 119.

3) لفقد استعمل هذه الطريقة من قبل خير الدين بربروس سابقا. انظر، مذكرات خير الدين بربروس، مرصدر سابق.

ولذلك قامت السلطة العثمانية في الجزائر بالتصدّي مبكّرا لحركة الكراغلة في مهدها. وهذا يدل على يقضة السلطة من ناحية، وتحسّبها لمثل هذه المفاجآت من الحركات. فيذكر أنّ المتمرّدين من الكراغلة لما همّوا ببدء حركتهم، كانت السلطة العثمانية بالمرصاد. حيث قامت بعملية تمويه وتحايل؛ فوظفت مجموعة من البرانية متمثلة في بعض الميزابيين على شكل ميليشيا متنكّرين في أزياء نسائية، لإخفاء ملامحهم وأسلحتهم، ومدعّمين بقوات عسكرية نظامية من خلفهم. واستطاعوا بتنكرهم مغالطة الكراغلة المتحصّنين بالحصن، ودخوله من بابه، إذ بعد ما ولجوه كشفوا عن حقيقتهم، وعن سلاحهم، وعن الدعم الذي كان يعضدهم من العساك النّظاميين، وبذلك استطاعوا إحباط المحاولة وأفشالها. ولا شك أن إبطال مفعول حركة التمرد وإفشالها، يعد انجازا كبيرا للسلطة العثمانية، التي استطاعت القضاء على خطرهم المناوئين لها. ولعل أكبر إحراج وقعت فيه السلطة العثمانية بالجزائر في تعاملها مع الحركات المناوئة هو كيفية معاقبة المتمردين من الكراغلة. فالسلطة هاهنا في موقف لا تحسد عليه، وهي فيه بين مطرقة السيادة والحكم وما يتطلبانه من حزم، وبين سندان العلاقة الدّموية التي تربطها بالكراغلة المتمردين، لكن، مهما كان الوضع فهي مجبرة على اتخاذ الموقف المناسب، وبالتالي التدخل لفرض النظام والطاعة. فأمام الوقائع السّابقة كان على للسلطة أن تتحرك، وتقوم بالإجراء المناسب والذّكي في ذات الوقت. ومن بين الخطط التي درستها السلطة العثمانية واعتمدتها في مواجهة المتمردين كإجراء أولي مستعجل هو إرسال فرقة من الجنود البواسل ذوي التجربة والحنكة والدّهاء، وبعدما سلّحتهم أرسلتهم متخفّين ومتنكّرين في أزياء بني ميزاب، ومدّعين فرارهم من بطش السلطات العثمانية ولجوءهم إلى المتمرّدين. وبهذه الحيلة تمكنوا من كسب ثقة الكراغلة المتمردين إلى غاية بلوغهم باب الحصن وفُتح لهم واستقبلوا بداخله، وكانوا أملا في

الاستقواء بهم لكن المفاجأة أن أخرج المتنكرون المستنجدون أسلحتهم من تحت ألبستهم وعاثوا بينهم قتلا وإثخانا حتّى قضوا عليهم نهائيا، وأخمدوا ثورتهم من منطلقها [1].

أمّا الإجراء الثّاني، فتمثّل في اتخاذ قرار لا يقل حزما وقساوة عن الأول، وتمثّل في طرد الكراغلة من مدينة الجزائر نهائيّا. وبالفعل فقد تمّ ترحيلهم إلى عدّة مناطق متفرقة من البلاد وبعيدا عن العاصمة. ومن تلك المناطق: واد الزيتون حتّى أصبحوا يعرفون بالزواتنة [2].

- نتائج حركة الكراغلة وتدخل السلطة.

بعد تدخّلات السلطة لقمع حركة الكراغلة تحققت جملة من النتائج [3] :

1) إبراز مشكلة الكراغلة كفئة مهمّشة من قبل السلطة.

2) إحباط عملية التمرد، بالقضاء على المحاولة في مهدها.

3) حرمان الكراغلة من أي وظيفة عليا في الإيالة، ولو أن هذا الحرمان كان بشكل غير صارم؛ لأنّنا نجد بعض الكراغلة ممن تقلّدوا مناصب عليا وقيادية في الجزائر، وكانت لهم الكلمة العليا، واليد الطولى بالبلاد.

---

1) إبن المفتي، تقييدات... ، ص. 49، ها (2).

2) إبن المفتي، نقييدات... ، ص.49.

3) عباد، مرجع سابق، ص. 119.

4) معالجة حركة تمرد الكراغلة علاجا جذريّا، وارتأت أن يكون دون قطع الجذور، فقامت بإجراء قاس في حقهم، ولكنّه مستلطف؛ وذلك بطردهم من مدينة الجزائر ونفيهم منها إلى عدّة مناطق متفرقة من الوطن ومنها منطقة وادي الزيتون شرق العاصمة بالقرب من وادي بوزقزة.

5) حصول الكراغلة على بعض الحقوق، ومنها الحق في الإنتساب إلى الحيش، في عهد خيضر باشا من عام 1596م. فبعد هذه الحركة المناوئة والموقف الذي اتخذته السلطة العثمانية ضد الكراغلة المتمردين، وبعد النتيجة التي آل إليها التدخل من قبلها، نطرح السؤال التالي: هل كفّ الكراغلة عن التمرد، والثوران ضد السلطة ؟ إنّ الجواب عن هذا السؤال يكون بالنفي؛ إذْ لم تمر فترة طويلة حتّى عاودوا تمردهم من جديد سنة 1630م.

-) رد فعل الإنكشاريين:

بالفعل لقد أحسّ الإنكشاريون بمخاطر التشكّي، ومنها التشهير بهم، وذلك بعرض الكراغلة قضاياهم، ومن أجل الإسراع لتكميم أفواههم، شنّ الإنكشاريون هجوما عليهم، وعملوا فيهم مقتلة كبيرة بالشوارع والبيوت، واعتقلوا ما يقارب المائتي (200) شخص، وأُغرقوهم في البحر داخل أكياس [1].

وكل ذلك من أجل تكميم أفواههم، وتحسيسهم بدونية مرتبتهم الاجتماعية. فلهذه الأسباب وربما لغيرها؛ كان الصّراع على أشدّه بين فئة الأتراك وفئة الكراغلة، فهؤلاء الأخيرين يعدّون أكبر منافس للعثمانيين، ولا يستهان بهم في صراعهم معهم [2].

---

1) K. CHEHRIT, Les Janissaires, op. , cit. , p.82.

2) إبن المفتي، تقييدات ...، ص.41.

كما أن المكان المعلن منه التمرد والعصيان يعد إحدى مُؤسسات الدّولة ورموزها، ناهيك عن كونه يقع بالعاصمة على مرأى ومسمع القناصل والسفراء الأجانب. غير أنّ السلطة العثمانية تفطّنت وأفشلت الخطة المبيت عليها من قبل الكراغلة، وقضوا عليها في مهدها قبل تطورها [1].

- فشل حركة الكراغلة وأسبابها.

يذكر أنّ المتمرّدين من الكراغلة لما همّوا ببدء حركتهم، كانت السلطة العثمانية بالمرصاد. حيث قامت السلطة العثمانية بعملية تمويه وتحايل؛ فوظفت مجموعة من البرانية متمثلة في بعض الميزابيين على شكل ميليشيا متنكّرين في أزياء نسائية، لإخفاء ملامحهم وأسلحتهم، ومدعّمين بقوات عسكرية نظامية من خلفهم. واستطاعوا بتنكرهم مغالطة الكراغلة المتحصّنين بالحصن، ودخوله من بابه. إذ بعد ما ولجوه كشفوا عن حقيقتهم، وعن سلاحهم، و الدعم الذي كان يعضدهم من العساكر النّظاميين، وبذلك استطاعوا إحباط المحاولة وأفشالها. ولا شك أن إبطال مفعول حركة التمرد وإفشالها، يعد انجازا كبيرا للسلطة العثمانية، التي استطاعت القضاء على خطر وشيك عليها. وأسباب فشل تلك الحركات يعود إلى جملة ما يلي:

-) عدم تواصلهم بالأهالي، وبالتّالي عدم الإستعانة بهم.

-) فقدان المساندة من ريّاس البحر.

-) إبعادهم وتشتيتهم بعيدا عن الجزائر، مما حرمهم من التكتّل من جديد واستعادة قوّتهم.

---

1) سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي ... ، ص. 139.

4- حركة ابن الصخري (1047هـ/1637م-1051هـ/1642م).

- التعريف بصاحب الثورة.

هو محمد بن أحمد بن الصخري بن بوعكاز العلوي قائد وشيخ قبيلة الذواودة الهلالية، حسب سعد الله. أمّا الرحالة الألماني: ج. أُ. هابنسترايت فيذكر زعامته على قبيلة الحنانشة المستوطنة سوق أهراس وضواحيها [1]. وأما فتيحة معاشي فتقول هو: أحمد بن السخري بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بوعكاز السخري الذي ينتهي إلى هلال بن عامر. وهو ثالث أخويه وهما: أحمد وبلقيدوم[2]. وبعد ما توفي والدهم (شيخ العرب) الذوادي: محمد بن الصخري بن أحمد، خلفه إبنه محمد على مشيخة الذواودة. لكنّ حبل الطّاعة، والموالاة والوفاق الذي كان موصولا بين والده والسلطة العثمانية انقطع في عهده، فما كان من السلطة العثمانية إلى أن ألقت عليه القبض، وتحول من دائرة الموالين وأعوان السلطة العثمانية إلى مناوئين لها. فخلال شهر جوان من عام (1637م)، تم التخلّص منه بتنفيذ حكم الإعدام في حقّه [3]. ويبدو أن بمقتله زاد سعير الثورة التهابا.

- النّطاق الجغرافي للثورة وأسبابها.

تعد حركة ابن الصخري، والتي يطلق عليها في بعض الكتب ثورة الذواودة، ولكونها كانت حركة ذات الطابع قبلي؛ فقد كانت من أعتى الحركات المناوئة للسلطة العثمانية، بل

---

1) ج. أو. هابنسترايت، رحلة إلى الجزائر وتونس وطرابلس، تر، وتع، ن.د. سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط$_1$، 2008، ص. 85، ها(1).

2) معاشي ، مرجع سابق، ص. 40.

3) عباد، الجزائر....، ص. 12. (وانظر أيضا ، سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي ...، ج$_1$، ص. 214.

ومن أخطرها على الإطلاق ببايلك الشرق الجزائري. وممّا زاد من هذه الخطورة – في نظرنا– هو تزامنها مع تمرد وقع بجبال جرجرة، ومن شدّتها كادت أن تطيح بالسلطة العثمانية، وقد ورد في بعض الدّراسات ما يلي : « لقد هزّت هذه الثورة إقليم قسنطينة من الأعماق، وأطاحت بالسلطة العثمانية هناك (بايلك الشرق)، وهدّدت حتّى السلطة المركزية بالجزائر ودام خطرها سنوات، وسنلاحظ تجدّدها لاحقا لما نتناول الحركات المناوئة في عهد الأغوات، و قد مات من جرّائها آلاف النّاس، وبسببها تبعثرت عائلات كثيرة. ويضيف: ونتيجة لهذه الثورة، عدل باشوات الجزائر عن حرب الأسبان بوهران والمرسى الكبير واتجهوا بكل قواهم نحو الشرق الجزائري. وجندوا أو حاولوا.. كل العناصر القوية في البلاد من أصحاب النفوذ والمصالح كالأعيان في المدن، والعلماء، ورجال التصوف» [1].

وكذلك تكمن خطورتها في استمرارها لمدة طويلة؛ حوالي ستة سنوات، ابتداء من سنة (1047هـ/1637م إلى غاية سنة 1051هـ/1642م). وعايش أحداثها ثلاثة باشوات، وكلهم فشلوا في القضاء عليها، وكتب عنها الكثير من المؤرّخين [2]. كما أنّها أولى الحركات المناوئة – فيما نعلم– التي فرضت على السلطة العثمانية عقد معاهدة، وبشروط مذلّة، حيث تضمّن الشرط الثّالث من المعاهدة: عودة الأتراك إلى الجزائر دون أن يلتفتوا يمينا ولا شمالا وهو ما سنتعرّف عليه لاحقا عندما نتعرّض لنتائجها. وهي الحركة الوحيدة – حسب اطلاعنا– التي دفعت السلطة العثمانية إلى التفكير في منح الاستقلال الذّاتي لها [3].

---

1) سعد الله، أعلام وبيئات، الشيخ عبد الكريم الفكون ...، ص. 54.

2) نذكر من بينهم: أُجين فايسات، ولورون شارل فيرو، وأبو القاسم سعد الله .

3) عباد، مرج سابق، ص. 123.

- النطاق الجغرافي للثورة.

إنّ من بين العوامل والأسباب التي جعلت حركة ابن الصخري تعد من الحركات الكبيرة والخطيرة في ذات الوقت، هو انتشارها على نطاق جغرافيّ واسع؛ إذْ شملت كل المنطقة الواقعة بين بلاد الزاب جنوبا، وضواحي دار السلطان غربا، وإلى غاية حدود إيالة تونس شرقا، هذا عن امتدادها المكاني. أمّا عن امتدادها الزّماني، فقد استغرقت فترة طويلة، إذ اندلعت هذه الثورة سنة 1047هـ/1638م، واستمرت إلى غاية 1051هـ/1642م. وكذلك تعد من الحركات الخطيرة، لكونها زعزعت البلاد وهزت أركان النّظام السياسي القائم، حتّى أوشك على السقوط؛ وذلك بالنظر إلى نتائجها والخسائر التي خلّفتها، ومنها: تعاقب ثلاث باشوات كما أسلفنا سابقا، وكذلك سقوط ضحايا كثيرين من الطرفين، ناهيك عن إتلاف ثروات كثيرة، نباتية وحيوانية. ودخلت البلاد من جرائها مرحلة من الفوضى السياسية [1]، وكان من سوء الصدف أن تزامن ظهورها مع وضع مزري تمثّل في توالي الجوائح الطبيعية المختلفة من: « طواعين، وجفاف، وجراد،... كما تفشت ظاهرة السلب، وكثر قطاع الطرق » [2].

- أسباب الحركة.

لقد تناول الكثير من المؤرخين حركة ابن الصخري بالكتابة على غرار: الآب دان، وفايسات وبربروجر وأبو القاسم سعد الله،...وغيرهم. وتطرقوا إلى أسبابها ودوافعها، وكان معظمهم يجعل من العامل الاقتصادي سببا وعاملا لقيامها، متمثلا في رفض أداء الجباية من قبل السكان. لكن لا أحد رشح العوامل الشخصية كدافع قوي، وسبب من الأسباب المؤثرة

---

1) سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي ...، مرجع سابق، ص. 213 .

2) سعد الله ، أعلام وبيئات ، ... مرجع سابق، ص. 73.

والفاعلة. ففي الظاهر والمتداول بين المؤرخين هو كون أسباب ودوافع هذه الحركة المناوئة لسلطة بايلك الشرق تعود إلى ما قامت به السلطة العثمانية نفسها، من إجراءات اقتصادية بمدينة عنابة، وكانت في الظاهر تبدو ضدّ فرنسا ومصالحها الاقتصادية؛ والمتمثّلة في الامتياز التي تحصلت عليه بالساحل الشرقي للبلاد؛ حيث كانت تقوم بعملية استغلال المرجان هناك .

وهذا الإجراء، في نظرنا، يمس في عمقه وأبعاده المصالح الاقتصادية للقبائل القاطنة بالشرق الجزائري، والتي كانت لها معانلات تحارية مع الفرنسيّين العاملين بحصن الباستيون. فقد أقدمت السلطة العثمانية على اقتحام الباستيون ونهديمه على يد علي بتشين سنة 1637م[1]، بعد ما هدمته سابقا سنة 1603م على يد أمير البحر مراد رايس (1534-1638م) في عهد الباشا رضوان باكرلي (1607- 1610م)[2]، حيث بعدما اقتحمه قام بأسر بعض الفرنسيّين، وقتل حوالي 317 آخرين، منهم مسؤول الحصن نفسه. بالإضافة إلى ما غنمه من الحصن[3]. والحجة في ذلك أن فرنسا قد حولت هذا الحصن من مركز استغلال المرجان إلى مركز لتخزين

---

1) تم تهديم الباستيون على يد رئيس طائفة رياس البحر (علي بتشين)، في آخر شهر ديسمبر 1637م، وذلك بأمر من باشا الجزائر، وبالتالي إلغاء معاهدة الامتياز مع الشركة الافريقية الفرنسية عام 1630م؛ بحجة خرق المعاهدة. وفي شوال 1204هـ الموافق لــ 23 جوان 1790م تم تجديد المعاهدة وعدل البند الخاص بما تدفعه فرنسا للجزائر لترتفع الأتاوة من حوالي 17000ف /سنة، إلى 56700ف/سنة. (انظر: بنور فريد، الجواسيس في الجزائر 1782-1830م، دار الواحة، الجزائر، (د.ت)، ص. 82، ها(4).

2) مجهول، تقرير من جمهوريّة البندقيّة بتاريخ 1607/10/28م عن غزوة التوكسانيّين لبونة في سبتمبر 1607م، تقديم و تع. محمد لحضر بوبكر وسعيد دحماني، مؤسّسة الرّجاء للنّشر، قسنطينة، 2013، ص. 49.

3) بابتست، مرجع سابق ، ص. 290.

القمح بعد شرائة، ثم تسويقه فيما بعد إلى فرنسا، بالإضافة إلى جعله سوقا لمختلف المنتجات والمبادلات التجارية، وبذلك خالفوا مبدأ استغلاله المتفق عليه [1].

ولا يستبعد أن يكون سبب هدم الباستيون هو ارغام فرنستا نجديد معاهدة الاستغلال، وذلك من أجل رفع مقابل الكراء. كما أنّ فرنسا اتهمت بالتّآمر مع قبائل المنطقة ضدّ السلطة الجزائريّة، إذْ تأكّد أنّها كانت تبيع الأسلحة لبعض القبائل الشرقيّة. وكانت النتيجة، توقف الباستيون عن دفع التزاماته المالية السنوية، إلى خزينة الإيالة، وهو ما حرم الدولة من مدخول مالي قار، كما توقفت مبيعات القبائل مع الباستيون[2]. ومن تبعات هذا الإجراء أيضا حرمان تلك القبائل وخاصّة قبيلة الحنانشة من مداخيل مالية، كانت تدرّها متاجرتهم مع الفرنسيّين العاملين بالمنشآت التجارية في كل من القالة وعنابة، وعلى رأسهم القرصان الفرنسي (نابولون) مدير حصن الباستيون؛ حيث كانت قبائل الشرق الجزائري تبيع القمح والجلود والشموع، وبالمقابل تشتري البارود والأسلحة. وبسبب ذلك تدهورت نشاطاتهم الاقتصادية نتيجة شح المداخيل ممّا دفعهم إلى الامتناع عن دفع الضرائب السنوية المستحقة للبايلك، متحجّجين بتوقف المداخيل، وه نفس السبب الذي ذكره الأب (دان) ومعه بربروجر[3].

فإذا كان هذا الإجراء السيّادي من قبل السلطة العثمانية يعد وقودا لثورة ابن الصخري، فإنّ ما أقدم عليه باي قسنطينة حسن باي (1047- 1049 هـ/1637- 1639م) حسب ما جاء في الوثيقة الني تؤرّخ للعدّة حوادث من بينها مقتل شيخ الذواودة محمد بن الصخري ، بمعيّة إبنه أحمد وستة من من أعضاء الوفد المرافق لهما؛ وذلك بعد أداء زيارة للباي حسن،

1) عباد ، مرجع سابق، ص.121.

2) بابتست، مرحع سابق ، ص. 290.

3) E. Vayssettes, Histoire de Constantine … ,p : 72.

والحجة في ذلك هي: اتهامه من قبل السلطة العثمانية بقيادة وتحريض قبيلة الذواودة على السلطة العثمانية، وبالتّالي الخروج عن الطّاعة السلطانية، وكذلك بالوقوف إلى جانب قبيلة الحنانشة، ومن ثار ضد تهديم الباستيون؛ يعدّ الشرارة التي أشعلت نار الثورة [1]._وبالفعل بعد الإتهام الذي وُجِّه إليه تمت الموافقة على عقابه قتلا بالإتفاق مع أعضاء ديوان البايلك، وبعد موافقة باشا الوقف (علي باشا) [2].

وقد لخّص أحد الّدارسين هذه الواقعة بقوله: « وخلاصتها أنّ شيخ العرب، محمد بن الصخري بن بوعكاز العلوي قائد الذواودة والحنانشة، قد زار (مراد باي)، باي قسنطينة سنة 1047هـ/1636م في مكان خارج المدينة، لكن الباي اتهمه بالخروج عن الطّاعة وأودعه السجن عنده، ثم تشاور في شأنه مع باشا الجزائر والدّيوان، فأشاروا بقتله هو وإبنه وستة من أعيان العرب. وبعد أن علّقوا رؤوسهم على الخيمة العسكرية فترة جيء بتلك الرؤوس إلى قسنطينة، وعلّقت مرّة أخرى بها، لكن هذة المرة من غير رأسي محمد بن الصّخري وإبنه »[3] . فكانت هذه المعاملة القاسية كافية لثوران أحمد بن الصخري زعيم قبيلة الذواودة وحليفتها قبيلة الحنانشة ضد السلطة العثمانية، ومهاجمة البايلك.

– المواجهة الأولى.

اختلفت الآراء حول بدايات ثورة أحمد بن الصخري، فإن الثابت هو أنها قامت بعد عام من إقدام السلطة العثمانية على إعدام محمد بن الصخري. وإذا تساءلنا عن هذا التأخر وعن

---

1) محرز، مرجع سابق، ص. 54.

2) نظر الملحق .

3) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي... ، ص. 214.

المدّة الفاصلة بين إعدام محمد بن الصخري، وانطلاق الحركة، فإنّ ذلك، في رأينا، يعود إلى التحضيرات البشرية والماديّة التي باشرها أحمد بن الصخري للرد والإنتقام من السلطة العثمانيّة التي أقدمت على الإعدام. أو قد يكون سببه عدم وجود استجابة سريعة من قبل السكّان. وإذا كان امتناع السكان بايلك قسنطينة قد امتنعوا في شهر سبتمبر 1638م عن دفع ما عليهم من لزمة للسلطة العثمانية، فإن تهديم الباستيون يعدّ أحد الحجج التي تحجج بها أتباع حركة ابن الصخري [1]، فإنّ مقتل أخيه الشيخ محمد بن الصخري يعدّ، في نظرنا، القشّة التي قصمت ظهر البعير وفجرت عصيانهم. فعندئذ قام أخ الضحية، المدعو أحمد بن الصخري، بشحذ الهمم، وتحريك العصبية القبلية، وتجييش الجيوش، وجمع التحالفات، وكل القوى المتواجدة بالشرق الجزائري: من عرب البدو، وقبيلة الحنانشة القوية، وكافة بقية السكان، من الحدود التونسية شرقا إلى حدود مدينة الجزائر غربا. ولكن حسب ما يبدو أن أحمد بن الصخري لم يلق استجابة سريعة خلال تحشيده الحشود ضد السلطة العثمانية، وذلك بالنظر إلى تأخر ثورته، لمدة عام كامل، منذ إعدام أخيه محمد من قبل لسلطة العثمانية، دون أن نتجاهل إتساع رقعة بايلك الشرق وكثافة سكانه. لكن ربّما يعود ذلك التّأخير إلى الإستعدادات البشرية والماديّة، كما أشرنا سابقا، والتى تتطلبها المواجهة، خاصّة إذا كانت ضد البايلك. ولكن مهما كان الفارق الزمني بين مقتل شيخ العرب محمد بن الصخري واندلاع ثورة أخيه أحمد بن الصخري ضدّ السلطة العثمانية المحلّية، فإنّه بعد عام من التحريض والتحظير والحشد، إندلعت الثورة، وسارت قوات إبن الصّخري المناوئة من: مشاة وفرسان، وما تحمله من أسلحة، وتوجهت نحو مدينة قسلطينة مقر بايلك الشرق والسلطة المحلية [2].

---

1) A. BERBRUGGER, notes relatives a la révolte de Ben Sakheri, in , R. A. N° 10, annee 1866, p. 342 .

2) E. Vayssettes, Histoire de Constantine , op. , cit. , p. 71.

- موقف السلطة العثمانية.

على إثر ماتقدّم ذكره من أسباب، قام إبن الصّخري بمحاصرة مقر بايلك الشرق، فما كان من باي قسنطينة الباي مراد إلاّ مواجهة حركة إبن الصخري ومناصريه والتصدّي لها. وكان من الطبيعي في بداية الأمر الاعتماد على قواته المحلية، ودون اللجوء إلى باشا الجزائر. لكن الحركة المناوئة انتشرت شمالا وجنوبا كانتشار النار في الهشيم، حتّى بلغت بلاد الزّاب جنوبا، ومدن السّاحل كمدينة عنابة شمالا. والتي كان من بين ضحاياها الكاتب الشخصي للباي المدعو شريط بن صولة [1].

-) نتيجة المواجهة.

فلما قصد الثائرون مدينة قسنطينة دخلوها، حاولوا محاصرة مقر البايلك، لكن السكان تتصدوا ومانعوا. إلاّ أنّ قوة إبن الصخري وأتباعه، وربّما عنصر المباغته، كان عونا لهم على قوات البايلك .وأ سفرت المواجهة الأولى عن جملة من النّتائج، وهي كالتّالي:

أ- مقتل حوالي خمسة وعشرين (25) عنصرا من المناهضبن للثورة.

ب- دحر وإجبار قوات البايلك على القهقرى محتميين بداخل المدينة.

ج- أمام تراجع مقاومة سكان المدينة، واصلت القوى الثائرة بقيادة أحمد بن الصخري، انتقامها وصبت غضبها في اليومين الموالين على الممتلكات الواقعه شمال المدينة، حيث أقدمت على

---

1) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثّقافي...، ص. 214.

حرق المحاصيل الزراعية من قمح وشعير وبعدة مناطق أخرى باتجاه مدينة ميلة وتواصل ترعيب السكان حتى نزح منهم الكثير، وتركوا المنطقة شبه مهجورة [1].

- المواجهة الثّانيّة.

وهنا أصبح الباي مجبرا على طلب الإعانة والمدد العسكريين، من الباشا، بعدما أحدثت ثورة أحمد بن الصخري خرابا وفوضي في الأرجاء. فأرسل مراسيله، لعلي باشا شاكيا ومستعرضا عليه ما نعرّض له من هجومات المتمردين. وبعدما تلقّى باشا الجزائر الشكوى تم توجيه قوة عسكرية داعمة سنة 1638م انطلاقا من الجزائر العاصمة، قوامها أربعة آلاف رجل، ومعهم القائدان يوسف وشعبان. والتقى الجمعان في مكان يسمى قجال غرب مدينة قسنطينة في معركة دموية طاحنة كان تاريخها يوم السبت: 12 من جمادى الأولى1048هـ/ سبتمبر 1638م، مدعِّما بها قوات البايلك المتواجدة هناك من قبل، والمقدرة بألفي (2000) رجل. ولكن وبالرغم من ذلك، فإنّ هذا الحشد وهذا الدّعم لم يُسْتَقْبَلْ بالورود، بل استقبلته القبائل الثّائرة، بكل أطيافها، تصديها بقوة وإصرار، وواصلت تكسير هجومات القوات النّظامية، عتّى ألحقت بها هزيمة نكراء. وقد وشارك في هذا التصدّي، وهذا ما تعبر عنه الأبيات الشعرية من الشعر الشعبي، التي اقتطفها لنا أبو القاسم سعد الله من قصيدة طويلة؛ والتي تؤرّخ للتصدّي الجماعي للقوات النظامية، والاستمرارية في المواجهة، وإلى بسالة الثوار ولو بقيادة امرأة فيما بعد. وتدعى علجية بنت بوعزيز، التي وصفها الرحّالة الفرنسي بيسونيل بِ"جان دارك" الجزائريين.

أمّا الأبيات فهي كالتالي [2] :

---

1) E. Vayssettes, op, cit, p. 71.

2) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثّقافي...، ج1، مرجع سابق، ص. 214،215.

طاحوا اليوم سادات في الحروب ابدان ••• أهل العلوم يقراوا من الحمد للبقـــرة.

ينــدهـــوا الى أشياخ القـــومـــــان ••• بــــنت بـوعزيـــز سيدة الرجـــالة .

ركبا على زرقا تنـــطـــمـــــــــي ••• تسبق الغزال تشطفه تزيد في لغواط .

- نتائج مواجهة حركة أحمد بن الصخري.

تعد ثورة أحمد بن الصخري من الثورات التي مرّغت أنف السلطة في التراب، وأظهرت عجزها أمام السكان، وفشل قواتها العثمانيّة في إطفاء لهيبها والقضاء عليها؛ ولا أدلّ على ذلك قيادتها في أحد الفترات من قبل امرأة، المسماة علجيّة التي تقدّم ذكرها. ولكن، وبالرغم من الهزيمة التي منيت بها القوات العثمانية، إلاّ أنّ الباشا قرّر إعادة الكرة على المتمرّدين، لكن هذه المرة فالباشا هو نفسه من سيقوم بقيادة الهجوم على قوات أحمد بن الصخري، لكن وبالرغم من الاستعداد، عدّة وعتادا إلاّ أن قوات الباشا هُزِمَتْ للمرّة الثانية، وبقيادة الباشا شخصيّا. وأمام فشل الحل العسكري، وهذا الموقف المحرج، إضطرّت السلطة العثمانية انتهاج أسلوب جديد في المواجهة؛ وهو أسلوب التفاوض، الذي أضفى إلى عقد معاهدة بين الطرفين(1). وأمام العجز العسكري الثّاني للسلطة العثمانية، في القضاء على ثورة ابن الصخري، ورغم انشغاله بالحرب المأساوية التي تخوضها السلطة العثمانيّة ضد القبائل بمنطقة جرجرة(2). ولقد قام باشا يوسف، بمجموعة من الإجراءات، منها:

1- قرّر التراجع عن مجاهدة الأسبان، وأرجأ ذلك إلى وقت لاحق.

---

1) محرز ، مرجع سابق، ص. 54.

2) E. Mercier,. « ***Histoire de Constantine*** » ; p. 227.

2- دعوة صفوة العلما ورجال الدين، أمثال: محمد السّاسي البوني، لكي يتولّى تهدئة الأوضاع؛ بالضغط على اتباع الصّخري، واطفاء نار الحركة. وهذا ما وعد به محمد السّاسي البوني يوسف باشا، لكنّه في المقابل اشترط عليه عدم متابعة الثّائرين والصفح عن الأهالي. وبهذه الخطوة، وبهذا الإجراء، تم إطفاء نار ثورة ابن الصخري التي استمرت مدّة ست سنوات كاملة؛ من 1637 إلى1642م. وهو ما سمح للسلطة العثمانيّة بقيادة جمال يوسف باشا، بالتصدّي للأسبان المحتلين لمدينة وهران ومحاولة استرجاعها[1]. ومن النتائج التي تمخّضت عن ثورة أحمد بن الصخري، وكانت لها دلالات كافية على شدّتها، وتأثيرها ومنها: إلحاق ثورة إبن الصخري هزيمة شنعاء بالقوات العثمانية، ممّا اضطرّها إلى العودة مهرولة إلي العاصمة وهي تجر أذيال الخيبة وانكسار وراءها، مخلفة مقتل الكثير من المشاركين بما فيهم كاتب الباي شريط بن صولة الذي قُتِل شر قتلة. أما عن الباي نفسه فيقول عنه فايسات: « فقد اضطر إلى الفرار بمفرده » [2]. فكما أسلفنا سابقا، لقد كانت المفاوضات لصالح المتمرّدين، ومذلّة للقوات العسكرية العثمانية، حيث جاء في المعاهدة ما يلي:

- لا يُقْلِقْ الأتراك المنتفضين بخصوص اللزمة.

- يعود الأتراك إلى مدينة الجزائر دون أن يلتفتوا يمينا أو شمالا.

- يعيد الأتراك كل الكراغلة إلى مدينة الجزائر، كما يعيدونهم إلى مواقعهم ويعيدون لهم تشريفاتهم التي حُرِموا منها. وبعد هذه المعاهدة نتساءل عن مدى قوتها واحترامها ؟ وهل وضعت حدّا للصراع والتّوتر بين الطرفين ؟ أم أنّ خلفاء علي باشا سيرثون أوضاعا متوترة ؟

---

1) تقرير دبلوماسي مجهول، غزوة الطوكسانيين لبونة في شهر سبتمبر 1607، تقديم وتعليق، محمد لخضر بوبكر، وسعيد دحماني، مؤسّسة الرّجاء للنشر، قسنطينة 2013، ص. 69 .

2) Vayssettes. E , Op . , Cit. p. 72.

لقد بقي التوتر هو السائد، وظل بايلك الشرق مضطربا، سواء في عهد الباشا حسين الشيخ (1640/1639م)، أو في عهد الباشا جمال يوسف (1642/1640م)، ممّا دفع بهذا الأخير إلي تسيير حملة عسكرية من الإنكشاريين وجنود المدفعية، وقادها بنفسه بحرا خلال شهر ماي من سنة 1642م، لأنهاء التمرد المتواصل بعنّابة وضواحيها. غير أنّه بعد وصوله لمدينة عنابة غيَّر رأيهه وأحجم عن المواجهة العسكرية، واستبدلها بإحياء النّشاط الاقتصادي بالباستيون، ووعد قبيلة الحنانشة بمنحهم الاستقلال الذّاتي (وهي سابقة خطيرة). وبهذه الترضيات استطاع توقيف التمرد الذي كاد أن يطيح بالسلطة العثمانية المركزية بالجزائر، وليعم الاستقرار والهدوء إلى غاية ثورة الآغوات وحلول عصرهم [1].

إنّ ما يمكن استخلاصه من محتوى المعاهدة؛ هو أن الحركة لم تكن لها أهداف سياسيّة ولا أهداف دينية، ولا لتحقيق أهداف مستقبلية، أو إنشاء مراكز حقوقية جديدة للمتمردين، وإنّما قامت لتحقيق أمرين اثنين هما:

1- فشل القوات العسكرية العثمانية في قهرها وتكسير شوكتها في أكثر من مرّة.
2- خضوع السلطة العثمانية بالجزائر للتفاوض السلمي، وتبنّي الحوار والذي أفضى إلى إعادة تشغيل الباستيون، بدل المواجه المسلّحة، وبالتالي تنشيط الحياة الاقتصادية بشرق البلاد [2].

5- حركة الإنكشارين سنتي 1642م و1645م.

يختلف الجيش الإنكشاري في إيالة الجزائر عن بقية الجيوش الانكشارية في بقية إيالات الأمبراطرية العثمانية، وذلك للدّور اللامحدود الذي يقوم به. فإذا كانت الجيوش

---

1) سعد الله، أعلام وبيئات الشيخ عبد الكريم الفكون.... ، ص. 54.

2) عباد، مرجع سابق، ص، 123.

الإنكشارية في بقية ربوع لأمبراطورية ملتزمة بالدور العسكري المنوط بها منذ انشائها، فإنّ الأمر غير كذلك في إيالة الجزائر. فالمؤسسة الإنكشارية في الجزائر، ناهيك عن دورها العسكري فهي مهيمنة علي المجال السياسي لاسيما الضباط الكبار؛ إلى درجة أن أصبحت السلطات المدنية والعسكرية في أيديهم، وأمست سطوتهم مزعجة للباشوات والدّايات بالجزائر، وبذلك بات أمرهم متمنعا حتّى علي الباب العالي؛ لهذا فلا غرابة من وجود بعض الكتابات التي تصف إيالة الجزائر بـ"جمهورية الجزائر العسكرية[1].

-) حركة 1642م ,

وتعد الحركة التي وقعت في عهد الباشا الجديد المدعو جمال يوسف، من الحركات السريعة والخاطفة؛ حيث قامت في ظرف كان يعج بالأحداث ببايلك الشرق الجزائري، وبعاصمته تحديدا، وهي حركة أحد أعيان المدينة والمعروفة بحركة أو ثورة أولاد عبد المومن 1642م.

فلم يكن الباشا جمال يوسف أفضل حضّا من سابقه، ولم يكن مرضيّا عليه. فبالإضافة إلى ثورة أولاد عبد المومن سنة 1642م بقسنطينة التي سنتعرّض لها لاحقا، قامت ثورة أخرى بقيادة قبيلة الحنانشة المحتجّة على تهديم الباستيون الكائن بمدينة عنابة. وعند عودة الباشا جمال يوسف من حملته العسكرية على مدينة عنّابة التي قادها بنفسه ضدّ قبيلة الحنانشة الثّائرة، واجهته حركة مناوئة من قبل الإنكشاريين، وقد كانت ثورة عنيفة ومباغتة؛ مما أدّى إلى إحساس الباشا (جمال يوسف) بالضعف أمامها، ونتيجة لذلك تغلب المناوئون عليه وعلى قواته،

---

1) Kamel CHEHRIT: Les janissaires, origins et histoire des milices turques des provinces ottomanes et tout spécialement celle d'Alger, (A.L.E.), Alger, 2005, p :78,79.

وتم إلقاء القبض عليه كسابقه وأودع السجن، ثمّ عوّض بالباشا محمد برصالي الذي استقر على سدّة الباشوية، من 1642م إلى سنة 1645م.

-) حركة الإنكشاريين سنة 1645م.

منذ استلام الباشا محمد برصالي مقاليد الباشوية ابتدا من سنة 1052هـ/ 1642م، وإلى غاية نهاية حكمه، لم يسجل لنا المؤرخون أيّ حركة مناوئة في عهده من قبل الإنكشاريين، وبذلك كانت فترته فترة هدوء، لكنّه الهدوء الذي يسبق العاصفة. ففي السنة الأخيرة من حكمه (1645م)، ثار الانكشاريون وانتفضّوا عليه [1].

أما سبب ذلك فيبدو من خلال الوقائع، ومجريات الأحداث، فإنّه كان سببا اقتصاديّا، و يتعلّق الأمر بتأخر صرف رواتب الجند[2]. وهذا ما يفهم ويستنتج من مطالبة الإنكشاريين الثّائرين علي بتشين (PACCINIO) بدفع رواتبهم بعد هدوء الأوضاع. و كذلك الشيء الذي يستنتج من تسلسل الوقائع، أنّ علي بتشين قد امتصّ غضب الثوار وأخمد ثورتهم، بوعده لهم على دفع أجورهم، خاصّة وأنّنا نعلم، أنّه من رجال البحر الأثرياء. وبذلك كان من حسن حظ الباشا، هذه المرة، وجود القبطان (علي بتشين)؛ الذي حمل لواء التصدّي لثورة الإنكشاريين، وكفاه شرّ مواجهتهم. لكن لما أخلف وعده ناصبوه العداء وهاجوا عليه، ولم يجد بُدًّا من الفرار هربا، ويلجأ إلى أصهاره بجبل كوكو[3]. لكن بعد هدوء عاصفة الإنكشارية تولّى حكم الإيالة بتزكية من الباب العالي إلاّ أنّه لم يستمر في الحكم طويلا.

---

1) K . CHEHRIT, op. cit , p : 79 .

2) كانت رواتب الجنود تدفع على رأس كل قمرين (شهرين)، وعند الأزمات والضّائقات المالية يؤخر دفعها أكثر.

3) حول مصاهرته وثرائه وفراره: انظر تهميشنا لعلي بتشين في الفصل الموالي (مرحلة الآغوات) .

- رد فعل الإنكشاريين ونهاية الحركة.

إشطاط الثوار غضبا، وهاجوا وماجوا في البلاد عبثا، وانتقاما من علي بتشين، قاموا بالاستيلاء على ثرواته من: عبيد وأموال، جهارا نهارا، وعلى إثر ذلك عمّت الفوضى واستشرى نهب البيوت والمحلاّت وبخاصّة محلاّت اليهود. وبينما كان الهيجان في تراجع بلغت الإنكشاريين أخبار عودة علي بتشين إلى العاصمة، مما زاد في غضبهم. ويبدو أنّ فراره إلي جبل كوكو لم يكن فرار جبن وخوار، وإنّما كان فرار تدبّر وتخطيط . و كما أسلفنا، فإنّ ذهاب علي بتشين إلى أصهاره لم يكن للنزهة أو التخلّي عن المواجهة، وإنّما كان لجمع العدّة والاستعداد. فبعد الاتصالات مع الباب العالي، وتجييش الجيوش من منطقة زواوة عاد بجيش من هناك، مدعّما من قبل رياس البحر. أما الباب العالي فقد أرسل وفدا يحمل الأموال اللاّزمة لدفع الرواتب، وفي ذات الوقت جاء بقفطان التولية لعلي بتشين، وهي رسالة دعم ومؤازرة من قبل الباب العالي. وبذلك أُخمدت الثورة وهدأت نفوس الإنكشاريين المناوئين[1].

6- حركة أولاد عبد المؤمن 1642م بقسنطينة.

منذ قبل مجيء الأتراك إلى بلاد المغرب الأوسط، واتصالهم بمدنه، كان مدينة قسنطينة من بين الحواضر التي تشد الرحال، كمثيلاتها من المدن الأخرى؛ مثل بجاية وبسكرة وتلمسان. فيقصدها الناس من كل حدب وصوب، حتى أثارت إعجاب الأدباء والشعراء، وامتدحوها إعجابا، ومن بين ما جاء في شعر أحد الشعراء قوله [2] :

---

1) عباد ، ص. 124، 125 .

2) محمد بن الصالح العنترين، فريدة منيسة عي حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تح، يحيى بوعزيز، دار البصائر، ط. خ. الجزائر، 2009، ص. 141.

إن رمت طيب هواء أرض لم يحل ••• فعن قسنطينة الحسناء لا تمل .

أكرم بها بلدة للحسن قد جمعت ••• فشمس حسنها في الآفاق لم تأفل.

تنسي الغريب دياره وأوطانه ••• وتلهيه عن تذكار الأهل والخول.

فكل من أمها ألقى عصاه بها ••• وود أنه منها غير منتقل.

كم فقير أتاها وهو مكتئب ••• فصار يزمل في جمع من الحلل.

كم فيها من عالم لعلمه ضربت ••• من الآفاق أكباد الخيل والإبل.

وكم من عابد أضنى الخوف مهجته ••• تراه مجتهدا في ليله الأليل.

فبالإضافة إلى ذكر محاسن البلدة، فإن الشاعر لم يفته التنبيه إلى أن المدينة مضيافة، ومقصد طلاب العلم وموطن العباد والصلحاء؛ ولهذا فمن السهولة بمكان أن تصبح لعائلة عبد المؤمن القادمة من المغرب الأقصى، مكانة علميّة واجتماعية بالمدينة بها.

ونظرا لما كانت تضمه من مختلف طبقات السكان، فقد ظهرت بها عائلات مرموقة علميا واجتماعيّا، وذات نفوذ ومكانة ووجاهة، وعلى غرار ذلك برزت عائلتان بارزتان، هما عائلة إبن الفكون، وعائلة أولاد عبد المومن وكل واحدة منهما لها مناصريها، وتتقاسمان السلطة علي المدينة وسكانها، وهذا ما يؤكّده أحد المؤرّخين فيقول: «كانت المدينة مقسمة إلى قسمين، من جهة يوجد أولاد عبد المومن ومعهم سكان حي باب الجابية (أسفل المدينة)، وفي الجهة الأخرى أبناء الفكون وسكان من حي البطاحة إلى غاية القصبة (أعلى المدينة) » [1].

---

1) E . MERCIER , op. cit. p. 27.

وفي ذات الوقت كانتا في تنافس شديد على زعامة المدينة العتيقة، وهما: أسرة آل الفكون، وأسرة آل عبد المومن؛ اللتان كانتا تقتسمان المدبنة؛ فقد كانت أسرة الفكون تسكن بالجزء المرتفع من المدينة والمسمّى بالبطحا وتشرف عليه. أما غريمتها أسرة عبد المؤمن فكانت تسكن بالجزء السفلي، والمسمّى باب الجابية وتشرف عليه [1].

أما عن أسرة عبد المومن فهي أسرة قدمت من المغرب الأقصى إلى مدينة قسنطينة مع بداية القرن الـ16م من منطقة الساقية الحمراء وواد الذهب بإقليم درعة [2]. وقدأصبح لها فيما بعد، بالمدينة، من المكانة والسلطة ما يناظر النّفوذ الدّيني والسيّاسي لعائلة إبن الفكّون؛ التي توارث أبناؤها الإمامة وإمارة الحج. وهذا ما تحتويه التعيينات الصّادرة في لصالح أفراد عائلة الفكون ومن بينها التعيين الصادر من الباشا إسماعيل بن خليل، والمؤرخ في الثلث الثاني من شهر صفر 1074هـ الموافق لـ (من 13 إلى 23 سبتمبر 1663م جاء قي أحد التعيينات ما يلي: « الحمد لله، ليعلم من يقف على الأمر الكريم من القواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرّفين في الأحوال ببلد قسنطينة...أما بعد فإن حامله [الأمر] ... أبي عبد الله محمد بن المرحوم الشيخ سيدي عبد الكريم الفقون...أنعمنا عليه وجدّدنا له حكم الأوامر التي بيده لإخواننا الباشاوات المتقدّمين قبلنا بأن يكون في موضع والده المرحوم المذكور إماما مرضيّا وثقة محضيّا وخطيبا بالجامع الأعظم بصلّي فيه بالنّاس الصلوات الخمس... ويكون جمبع تصرف أحباس الجامع...بيده ...» [3].

---

1) Idem, p. 27.

2) Idem, p.10.

3) Idem, p. 43

ومن بين المهام الدّينبة التي تولّتها عائلة عبد المؤمن إمارة ركب الحج عن طريق أحد أبناء العائلة، وذلك خلال عام 1563م [1].

- أسباب الحركة:

لم تكن هذه المرة الأولى ولا التي يناوئ فيها أولاد عبد المؤمن السلطة العثمانية في الجزائر، وهذا ما يفهم من كلام أحد المؤرّخين بقوله: « في عام 1572م اندلعت ثورة جديدة بقسنطينة، تحت قيادة أولاد عبد المؤمن، واحتضنها أولاد صولة » [2]. فحمل أولاد عبد المؤمن وأتباعهم في يوم 12 أكتوبر1642م، وثاروا صاخطين، في وجه الإنكشاريين بالمدينة. ويذكر أنّ المواجهة بين الطّرفين دامت يومين كاملين، وكان مسرحها شوارع المدينة العتيقة.ولعل السّؤال الذي يفرض نفسه للطّرح عن الأسباب والدّوافع التي كانت وراء تحرك عائلة أولاد عبد المؤمن وهي الأسرة المرموقة، وذات الجاه والمكانة بمدينة قسنطينة. فهل ياترى كانت دوافعها وأسبابها سيّاسيّة ؟ أم كانت أسبابا اجتماعيّة ؟

حسب إبن العنتري، وهو ابن المدينة، فإنّ حركة ودوافع حركة عائلة عبد المؤمن تسبّب فيها الجنود الإنكشاريّون الذين، فيما يذكر، قد ألحقوا بالعائلة وأبنائها أضرارا كبيرة من إعتداءات وضحايا وإهانات . ونحن نعلم ما لهذه العائلة من مكانة واحترام وتجلّة بين القسنطينيّين، ولدى سكان الشرق عموما. بالإضافة إلى أنّ ما فعله الإنكشاريّون بالعائلة يعدّ إهانة وإحراجا أمام

1) Idem, p. 26.

العائلات الأخرى، ذات الجاه والسلطان، وذلك على غرار عائلة الفكّون الأثيلة [1]. ومن هنا نتفهّم الأسباب والدّوافع الشخصيّة والإجتماعيّة التي دفعت بآل عبد المؤمن إلى الثوران. ولكن قد يكون ذلك بإيعاز من بعض العائلات المنافسة؟ أو قد يكون عملا مقصودا من قبل السلطة العثمانيّة، والغرض من ورائه كسر شوكة آل عبد المؤمن، وإرضاء عائلات محليّة أخرى. ويبدو أن السلطة المحليّة كانت مصمّمة على إلحاق الأذى، والضّرر الكبير بالعائلة، وإلاّ لما التجأت هذه الأخيرة واعتصمت بأحد الأحياء القسنطينيّة العتيقة، المسمّى حي الجابية؛ والذي يعد موطن العائلة من القديم.

- نتائج حركة أولاد عبد المؤمن :

تشير البحوث حول حركة أولاد عبد المؤمن ونهايتها، إلى أنّه لولا تدخل الخيّر من ذوي النفوذ والسلطة والتأثير في المدينة من علماء وأعيان، أمثال: شيخ البلد، والقاضي، وشيخ الإسلام، لاستمرت المواجهات وأريقت دماء كثيرة بين الطّرفين ولتفاقمت الخسائر أكثر. إذْ بعد تدخل الخيّرين للوساطة، بين الطرفين من الشّخصيّات النّافذة، كما أشرنا سلفا، وإخماد نار الفتنة بينهما لما توقّف الصراع والمجابهة، وبالتّالي لما توقّفت الخسائر في حدود 24 ضحية من أولاد عبد المومن قبل أن يعتصموا داخل حي الجابية، ملازمين بيوتهم تحت حصار الحامية العسكرية العثمانية؛ التي بدورها فقدت بعض العناصر من جنودها [2]. وبعد هذه

---

1) عائلة الفقون عائلة قديمة بقسنطينة منذ حوالي (16م)، قدمت من الأوراس، وتنتسب إلى فقونة البرغواتية الأمازيغية، عن طريق الجد يحيى الفقون الذي هاجر إلى تونس سنة 1535م الذي استشهد هناك على إثر حملة شارل كانت فعاد إبنه قاسم إلى قسنطينة ، وبها تولّى الإمامة ، ثم عينته السلطة العثمانية قاضيّا على المدينة إلى غاية وفاته يوم 9 جويلية 1558م. وتولّى أخوه سيدي عبد الكريم، إمارة ركب الحج (ت. 9 أوت 1580م)

2) حي الجابية يقع في وسط المدينة حاليا، وبه ساحة تعرف برحبة الجمال. للمزيد: أنظر: أُجين فايسيت: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792-1837)م، تر: صالح نور، دار قرطبة، ط1، الجزائر،2010 ، ص 304.

الوساطة، تم الاتفاق مع آغا النّوبة (قائد الإنكشارية بالمدينة)، على الانسحاب والعودة إلى الثكنة، مع معاقبة المتسببين فيما وقع من شغب وخسائر[1]. ويمكن القول أن نتائج الحركة وتدخل السلطة قد أسفر على ما يلي:

1- كبح جماح عائلة عبد المؤمن، وإذلالها، وربما الحد من نفوذها، وبالمقابل ربّما تحذير للعائلات الأخرى ذات الشوكة والمكانة على غرار عائلة ابن الفكّون .

2- سقوط ضحايا بشريّة من الطّرفين منهم: 24 ضحيّة من عائلة عبد المؤمن، والآخرين من صفوف القوّات الإنكشاريّة.

وفي نهاية هذا الفصل، استتخلصنا أنّ مرحلة الباشوات مرحلة مفصلية في العلاقة بين إيالة الجزائر والباب العالي؛ وقد تزامن ذلك مع تهاية القرن السادس عشر و بداية القرن السابع عشر. ففي سجلنا تراخي الإرتباط بين مدينة الجزائر ومدينة اتانبول، وقد انعكس ذلك على نعية عكام الجزائر، وعلى كيفية انتخابهم ثم تعيينهم، تكان ترهل سيّاسي واضح ممّا سهل أنفلات الأمني ولأصبح الإنكشاريّون (مات البلاد والنظام) هم من يتسبّبون في االإضطرابات المتمثلة التمرّدات كحركتي: 1642، و1645م، وعصيان السلطة المفضي إلى اعدام رموزها.

كما شهدت المرحلة حركات أخرى مناوئة في تلمسان (حركة سكان تلمسان)، وفي قسنطينة (حركة ألاد عبد المؤمن) وفي مدينة الجزائر(حركة الكراغلة) والتي تفاوتت في شدتها وتأثيرها، وكلها كانت مزعزعة للسلطة، وخاصة منها ثورة ابن الصّخري 1637- 1642م .

---

1) العنتري، مصدر سابق، ص. 38.

الفصل الخامس:

مرحلة الآغوات (1069هـ/1659- 1082هـ/1671م)

المبحث الأول: مرحلة الآغوات، التعريف بالمرحلة ووضعها العام.

1- التعريف بالآغوات.

2- مميزات مرحلة الآغوات .

3 - الوضع العام.

المبحث الثّاني: الحركات المناوئة خلال مرحلة الآغوات.

1- ثورة عام 1070هـ/ 1659م .

2- ثورة رياس البحر 1659م.

3- حركة الانكشاريين 1072هـ/1661م.

4- ثورة الحنانشة والذوادة 1666م.

5- ثورة تلمسان (الكراغلة) 1669م

سنتناول في هذا الفصل الرّابع الذي يخص مرحلة الآغوات(1659- 1671م)؛ والتّي تعدّ أقصر مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر في العهد العثماني، و في ذات الوقت تعدّ، في نظرنا، من المراحل الصعبة التي مرت بها الإيالة. فقد بدأت سنة 1659م، وكان أول آغا هو خليل بولوكباشي، واستمرّت إلى غاية عام 1671م لمّا تم تعيين الحاج محمد من قبل رياس البحر دايا على الجزائر، وبه تخلصت الجزائر من النظام الآغوي الدموي[1]. وربما من لطائف الله أنها لم تستمر طويلا، لتعقبها مرحلة استقرار نسبي عاشتها الجزائر لمدة طويلة وهي مرحلة الدّايات[2]. إذ عرفت جملة من الحركات المناوئة للسلطة العثمانية الحاكمة، والتي سنتناول فيها نقطتين اثنتين هما:

- أولا، التعريف بالآغوات و ما تميزت به مرحلتهم، ثم نتعرف على وضـــعها العام.

- ثانيّا: سنتناول في النقطة الثّانية، الحركات المناوئة للسلطة العثمانية التي ظهرت خلال هذه الفترة المذكورة أعلاه . ابتداء من ثورة رياس البحر عام 1070هـ/ 1659م، والتي تعتبر ثورة فاصلة، وانتهاء يثورة الكراغلة بتلمسان، والتي تسمّى مجازا بثور تلمسان.

---

1) عباد، مرجع سابق، ص. 132.

2) سعيدوني: النظام المالي للجزائر ...، ص. 24 .

المبحث الأول : التعريف بالمرحلة ومميّزاتها.

1- التعريف بالآغوات.

عرفت هذة الفترة بفترة الآغوات، نسبة إلى الحكّام الذين تولّوا سلطة الجزائر من فئة الآغوات خلال إثنتى عشر سنة؛ إبتداء من 1659م إلى 1671م. وخلال هذه المدة الوجيزة إعتلى سدّة الحكم أربعة آغوات. وسنتعرض لهم بالتّتالي.

فالآغوات لغة: هي جمع لكلمة آغا، وهي كلمة تركية من أصل فارسي، يلفظها الإيرانيون آقا، ولكن مخرج القاف يكون بين القاف والغين في اللفظ .

أمّا اصطلاحا، فهي لقب من ألقاب التعظيم والتفخيم، ولها عدة معاني ودلالات. فمن معانيها: السيد، والأب، والعم، والأخ الأكبر، ورئيس الأسرة، ورئيس الخدم. وقد أُطلقت على قائد الجيش في النظام التركي، والذي يعتبر الضابط المميز عن غيره من الضباط في الجيش العثماني وقائده العام؛ والذي له وظيفتان أخرتان، وهما قيادة جيش العاصمة، وعضو في مجلس الدولة . كما تعني مقر رئيس الإنكشارية ، وتطلق أيضا علي الرجل من عوام الناس مقابل الرجل المتعلم والمتأدب. كما تطلق أيضا على من يعملون في قسم حريم السلطان، كحراسة الأبواب، حيث يتولّون فتحها صباحا وإغلاقها مساء. وما يشترط في هؤلاء أي ما يجب أن يتوفّر فيهم هو: الصدق، والأمانة، وغض البصر. ولا يزال هذا المصطلح مستغلا بين الإيرانيين و يستعملونه إلى اليوم [1].

---

1) (انظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح. إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1430هـ/ 2009م، ص. 177، ها(1). وكذلك، حسين مجيب المصري، معجم الدواة العثمانية الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 1425 هـ/ 2004 م، ص. 18. وكذلك، عبد اللطيف بو جلخة، الدولة العثمانية، دار المعرفة، الجزائر، 2005 م، ص. 60. وكذلك، ماجدة صلاح مخلوف، الحريم في القصر العثماني، دار الآفاق العربية، القاهرة ،ط1، 1998م، ص.12، ها (1)).

2- مميّزات المرحلة.

يتفق العديد من الباحثين منهم: الأب دان، وفرانسيس نايت، والقناصل الفرنسيين والأنجليز الذين عاشوا في الجزائر خلال النصف الأول من القرن السّابع عشر على أنّ السنوات المتأخّرة من عهد الباشوات كانت مميّزة بعدم الإهتمام بالأوامر والتعليمات التي تأتي من الباب العالي. فكان الباشوات لا يوافقون على أمر إلاّ إذا وافق عليه الدّيوان، إلى درجة أن أصبح رياس البحر يشترطون على السلطان قبل الإستجابة إلى أمره [1].

إنّ مرحلة الأغوات (1659-1671م) هي المرحلة الثّالثة من مراحل الوجود العثماني في الجزائر، والتي تلت مرحلة الباشوات الممتدّة من سنة 1588 إلى غاية سنة 1659م، حسب التقسيم الشائع، وهي: أقصر الفترات العثمانية بالجزائر زمنا، إذ لم تتعدّ مدتها إثنتي عشر سنة، ولكنّها أكثر الفترات اضطرابا ودمويّة [2].

وما يميز هذه الفترة هي بروز طبقة الإنكشاريين على الواجهة السياسية وتحكمهم في زمام الأمور للبلاد والحكام الفعليين للإيالة. أما ولاة الإيالة فهم شرفيون لا غير [3].

وكذلك، محمد سهيل قطوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، داربيروت المحروسة، ط1، 1995م، ص. 28.

1) وولف، مرج سابق، ص. 136.

2) عند ابن المفتي لم تتجاوز الفترة الـ 11سنة،؛ إذ يحدّد بدايتها باعتلاء خليل بو لكباشي منصب الآغوية بتاريخ: ذي القعدة 1070هـ /1660م، ونهايتها بقتل الحاج علي آغا يوم: 14 /جمادى2/ 1082هـ /1671م.

3) يميتة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2007،ص. 12 .

لكنها أيضا تميزت بالسماح للكراغلة بالإنخراط في صفوف الجيش الإنكشاري، بعدما حرموا وهمشوا خلال فترة حكم الباشوات السابقة[1]. كما تعد مرحلة دموية لا مثيل لها، بالمقارنة مع المرحلتين السّابقتين؛ ولذا وصفها أُوزون جرشلي بقوله: « فترة الانتخاب الدّموي »[2].

وقد كان صائبا في وصفه لها، وذلك لأن خلالها كان الحاكم (الأغا) ينتخب لمدة شهرين فقط ؛ حتّى غدى معروفا باسم أغا الهلالين، غير أن هذه المدّه لم تكن محترمة من قبل الآغوات المنتخبين؛ بسبب طموحاتهم في الحكم، وتشبّثهم به لأكثر من شهرين، وهذا ما أثار الكثير من الصدامات الدموية [3].

وربما لولا تدخل رياس البحر ووضعوا حدا لتلك المرحلة، لاستمرت الفوضى السياسية، ولربما آلت الأوضاع إلى الأسوأ. أما فكرة بداية مرحلة الآغوات، فإنها تعود إلى القرار الذي اتخذه الجيش الانكشاري، بإعلان التّمرّد الصّريح على سلطة الباشوات السّابقة وافتكاكه زمام مقاليد حكم إيالة جزائر الغرب من أيدي الباشوات [4].

ويقول أحد المؤرخين حول هذا الانقلاب بالمفهوم المعاصر:« تمرّد الوجق على الباشوات وطلبوا من السلطان أن يكون الحكم الحقيقي في أيديهم، أما الباشوات فيبقى لهم وجود

---

1) حبيبة عليليش، الكراغلة في المجتمع الجزائري العثماني القرن 10- 13ه/16- 19م، شركة الأصالة للنشر،ابجزائر،2017، ص. 34.

2) أُوزون جرشلي، لم نتمكن من الحصول على المرجع مرة ثاتيّة، لتدوين المعلومات عنه .

3) بيات، الدولة العثمانية في المجال...، ص: 540.

4) محرز ، مرجع سابق، 2011.

رمزي فقط باعتبارهم ممثلين للسلطان »[1]. لكن الجدير بالذكر أنّ تدخل الإنكشاريّة في شؤون الحكم في عهد الباشوات، قد بدأ في مرحلة متقدّمة، ومع الوقت توصّلوا إلى الإستيلاء على السلطة في البلاد وإدارة شؤونها. وبالرغم من قصر مدّة حكمهم، (1659- 1671م)، إلاّ أنّها كانت مليئة بالأحداث؛ فمن فتن واغتيالات، إلى تمردات وصدامات ومجابهات، خاصة خلال السنوات الأخيرة من المرحلة. ومثال ذلك تمرد الأهالي سنة 1079هـ/1668م، وتمرد الإنكشاريين سنة 1082هـ/1671م، ولذلك فهي، تعد في نظرنا، مرحلة فوضى سياسية، وتخبط على مستوى القمّة. والدّليل على ذلك هو تعيين خمسة آغوات على الأقل في ظرف ثلاثة أيام فقط [2].

أمّا على مستوى المسار السيّاسي والتّاريخي لإيالة الجزائر، فإنّ مرحلة حكم الآغوات تعتبر بمثابة شرخ بالنسبة لتاريخ الإيالة؛ حيث العديد من المؤرخين وقفوا على أهميتها وتميّزها. ورغم ذلك، لا تزال إلى حد الآن غير مدروسة دراسة كافية، وهذا قد يعود إلى نقص الوثائق المتعلّقة بفترتها، أو المهتمّين بها، بأستثناء الدراسة الجادة حولها من قبل أمين محرز؛ والذي تناولها من الجانب السيّاسي بأكثر تفصيل. أو قد يكون مرد ذلك، إلى كون البحوث المنجزة إلى حد الآن تتعلق بالقضايا السياسة الخارجية على حساب المسائل المؤسّساتية الدّاخلية [3]. وعلى العموم فإن الوضع الاجتماعي والثّقافي لهذه الفترة، حسب اطلاعنا،لا يزال غير مدروس.

---

1) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثّقافي... ، ص. 138.

2) صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514- 1830م، دار هومة، الجزائر، 2007، ص. 132.

3) Pierre Boyer, *« **la revolution dite des Aghas dans la régence d'Alger** »* (1659- 1671) , in R.A. p. 3/20.

وبالفعل تم بموجب هذا الإنقلاب إلغاء نظام الباشوات السابق، وإقرار نظام الأغوات بحيث تولّى هؤلاء الحكم وصار الجيش الانكشاري على رأس السلطة، بعد سيطرة ضباطهم، وأحدثوا بذلك منعرجا في مسار النظام السياسي، فكانت مرحلة فوضوية، مضطربة [1].

وقال عنها بيير بوبيه (P. Boyer) « إن مرحلة الآغوات تعتبر شقّا في تاريخ إيالة الجزائر»[2]. ورغم ذلك فقد كان من واجباتهم تحمل مسؤولية المرحلة والتي من أهمها مسؤوليتين متتاليتين، خطيرتين لارتباطهما بالإنكشاريين وهما [3] : الإلتزام بتوفير أجور أفراد الجيش الإنكشاري. وتوفير منحة محترمة للباشا المعزول.

- أسباب إنقلاب الآغوات .

يرى بعض المؤرخين ومنهم: (بيير بواييه)، أن من بين ما يمكن اعتباره من أسباب وعوامل الانقلاب الذي قام به الآغوات على الباشوات سنة 1070هـ/ 1659م، يكمن في سببين أساسيّين هما:

السبب الأول: ويتمثّل في الوضع اقتصادي؛ حيث تفاقمت مبالغ المصاريف؛ إلى درجة أن أصبحت أكبر من مبالغ المداخيل. وصار العجز في الميزانية واضحا وجليّا؛ ممّا تسبّب قي حرمان الكثير من مرتباتهم. والسبب في ذلك يعود بالدّرجة الأولى إلى الإرتباط الشبه كلّي بالأسطول البحري وعائداته. فكلّما كثرت العائدات البحرية، من أتاوات وأسرى وغنائم

1) حكيمة منصور، السلطان العثماني محمود الثّاني ومسألة الاحتلال الفرنسي للجزائر(1808-1839م)، نشر ألفا، ط1، الجزائر، 2014م، ص، 65.

2) P. Boyer, op, cit,

3) Henri, Dalmas, De Grammont, Alger sous la domination Turque (1515-1830), éd. Bouchéne, Paris, p. 272.

فتمتلء الخزينة، وبالتّالي تكون المرتبات متوفرة، وتصير الأمور هادئة. أما إذا كان العكس، فإن الأوضاع تضطرب ويفتقد الإستقرار.

أمّا السبب الثّاني: ويتمثل في التأثر بالأوضاع السياسية والأمنية الخارجيّة بإيالة تونس المجاورة، وبأوربا وعلى وجه التحديد بين كلّ من فرنسا وإسبانيا من جهة، وبين إنجلترا والبرتغال من جهة أخرى. عفندما حدث بين هذه الدول شيئ من التقارب والتفاهما، ضيقوا الخناق على الأسطول البحري الجزائري في البحر المتوسط، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا. وكذلك لما مسك الإنكشاريون السلطة ابتداء من سنة 1590م؛ بواسطة أحد القادة من الدّايات حيث انتقل المنصب إلى إحدى العائلات المرموقة. لكن المؤرخ الأمريكي جون بابتست وولف ينسب الأسباب التي أدت إلى القيام بهذا الإنقلاب من الحكم الباشوي الثلاثيني إلى الحكم الآغوي هم رياس البحر أنفسهم ومن وحيهم، وبالتعاون مع كبار الإتكشاريين. فيقول: « فالتمرد قاده المسمّى خليل في مجلس الدّيوان » [1].

وما دام التمرد وقع على مسمع ومرآى من الدّيوان، وبحضور أعضائه فهو بالنّتيجة مشارك في المؤامرة (الإنقلاب) سواء برضا أو من غير رضا. كما كان الريّاس في حاجة إلى حماية أنفسهم من السيطرة التي فرضتها طائفة الإنكشاريّين، وفرض سيّاستها على غيرها من الطّوائف الأخرى، ولهذا كان الإستيلاء على السلطة هو المخرج والوسيلة التي تحميهم، وتبعد عنهم خطر الإنكشاريّين [2].

---

1) ج.ب. وولف، الدزائر وأوربا 1500- 1830، ترجمة أ. سعد الله، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص. 139.

2) وولف، نفسه، ص. 140.

3- **الوضع العام .**

حينما نقرأ تصريح وشهادة القسّيس الفرنسي الأب دان (P. DAN) ، وهو أحد الذين زاروا الجزائر في عهد الباشوات، والذي تولّى عملية افتداء الأسرى الأوربيّين بالجزائر، حول حقيقة الحكم والنظام الجاري العمل به، على غرار هايدو الأسباني، إذ جاء في تصريحه ما يلي: « إنّ الدّولة كانت ملكية بالإسم فقط لأنّهم في الحقيقة حوّلوها إلى جمهورية»[1].

فإننا نقف على نوع النظام السائد خلال هذه المرحلة والذي لا هو نظام ملكي بمعنى الكلمة، ولا هو جمهوري صريح؛ مما جعله نظاما هشًّا. ويوافق الأب دان (DAN) فيما قاله كلّ من: فرانسيس نايت، الذي اقترح في أحد المرات على بلده احتلال الجزائر بـ (30000) عنصر. وكذلك قنصلا إنجلترا وفرنسا؛ اللذان عاشا في الجزائر خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، وعايشا فعاليات النظام السياسي عن قرب. فإنّ هذا التصريح من الأب دان، وغيره من القناصل تدل على أنّ الإيالة لم تكن تسير بصرامة وحزم، ولم تكن في قبضة قوية من قبل حكامها. ومن شدة غضب السلطان العثماني من تصرّفاتهم أن راسلهم قائلا:

« إنّ الحكومة لن ترسل إليكم من الآن فصاعدا واليا، فبايعوا من تختارون من بينكم، فأنتم طائفة عاصية لا تطيعون السلطان، ولا حاجة له لعبوديتكم، فإنّه يمتلك آلاف البلاد كالجزائر. ومن الآن فصاعدا يمنع اقترابكم من سواحل الدولة العثمانية » [2].

---

1) جون بابتست وولف، الجزائر وأوربا... ، ص. 136.

2) بيات، الدولة العثمانية.... ، ص. 541. وللمزيد عن عدم تعاون الجزائر مع الباب العلي ، وعن قرارات السلطان، انظر: شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته .

إن ما يفهم من رد السلطان أن السلطة في الجزائر وقعت بين أمرين، أو بين خيارين وهما: خيار الامتثال لقرار السلطان العثماني، والاستفادة من التعاون مع الباب العالي فيما يخص التجنيد، والتعامل التجاري، وبين استقلال القرار السياسي، ولاستغناء عن التجنيد والتعامل التجاري مع الإيالات الشرقية. ويبدو أن السلطة في الجزائر اختارت الخيار الثاني، وهذا ما يستدل من خلال عدم الإستجابة لنداء السلطان العثماني الموجه إلى الحكام في إيالة الجزائر، بل اشترطوا المعونة قبل التلبية. وقد أكّد هذا السلوك (العصيان) "جون بابتست وولف" بقوله: « فقد قرّر الريّاس ألاّ يذهبوا ثانية لنجدة السلطان دون معونة مقدّما »، فهذا ما وقع فعلا، وهذا ما سيقع لاحقا. وحتّى عندما غضب السلطان العثماني من عصيان طائفة الرياس، وعلى رأسهم أمير الأسطول علي بتشين [1]، أمر باشا الجزائر بقطع رأسه، إلاّ أنّ ذلك الأمر لم ينفّذ. أما بيير بوييه (Pierre Boyer) فيخالف فاضل بيات وينسب الغضب إلى الصدر الأعظم المدعم كوبرولو (köprülü). ومهما يكن من أمر، فإنّنا نلمس روح العصيان والتحدّي بجلاء، واللذان تزامنا مع ضعف الباب العالي وسلطة الباشوات المتأخرين [2].

وهو ما دفع الباب العالي إلى تسليط عقوبات على إيالة الجزائر: سياسية واقتصادية جد قاسية، وتمثلت في جملة من الإجراءات وهي :

---

1) علي بتشين (بتشينيو Paccinio) هو المسمّى أحمد علي باشا(1645- 1647م) من طائفة الرياس، وهو أحد الأسرى المهتدين من إيطاليا أو البندقية، تميز بالجرأة والشجاعة ؛ مما أهله إلى المناصب العليا، تزوج بإبنة سلطان كوكو، وتميز بالخشونة حتى مع الباشا نفسه؛ لذلك سماه أسيره فرانسيس نايت "بالطّاغية" كما لوحظ عليه تعدد التحالفات، وذلك مع سلطان كوكو، وزعماء الكراغلة لذلك اتهم بالتخطيط للانقلاب .كان ثريا إلى درجة أن كان له أسطوله الخاص. وهو الذي رفض طلب السلطان العثماني المتمثل في الهجوم على جزيرة مالطا، إلا بعد دفع المؤونة المعتادة للجزائر. وخوفا من انتقام السلطان فرّ هاربا ملتجئا إلى صهره سلطان كوكو، وبعد الأمان الذي تلقّاه عاد إلى الجزائر مات على إثر مرض مفاجئ وسريع، يقال الوباء .(انظر. ج. ب. وولف، المصدر السابق، ص. 202،203).

2) ج. ب. وولف، المصدر السابق، ص. 136.

1- إعدام علي باشا.

2- قطع العلاقات مع حكام الإيالة.

3- منع عملية تجنيد الإنكشاريين من الإيالات العثمانية لصالحها [1].

والذي كان بالنسبة للجزائريّين عمليّة ضروريّة، بل وحيويّة، وكانوا يجلبون المجنّدين من الأناضول ومن بلاد البلقان ومن سوريا [2].

4- منع إيالة الجزائر من المتاجرة مع إيالات العثمانية الأخرى واستعمال موانئها .

5- منع السكان من أداء فريضة الحج، ونحن نعلم، أنّ قوافل الحج يشرف عليها السلطان نفسه، وبالتّاي فقافلة الحج المغربية تكون خالية من الحجاج الجزائريين.

- أمّا على المستوى الخارجي فإن التفاهم البيني الذي حدث في أوربا على إثر اتفاقية السّلام الموقّعة بين عرنسا واسبانيا المعروفة بسلام البيريني (Pyrenees) سنة 1070هـ/ 1659م قد فسح المجال للقوات الفرنسيّة والأسبانية بتكثيف وجودهما بالبحر المتوسط، والتفرغ لمناوشة وترصد الحركة البحرية الجزائريّة، وبالتّالي تضييق الخناق عليها.

بالإضافة إلى التقارب الذي تم بين البرتغال وإنجلترا عن طريق الزواج السيّاسي وحصول هذه الأخيرة على مرسى طنجة فكل هذا، كان في غير صالح رياس البحر الجزائريّينن والجزائر عموما[3]. وفي هذه الأثناء برز لهم منافس عنيد وشرس وتمثّل في فئة الآنكشاريين الذين كانوا

---

1) P. Boyer, op. cit. p. 7/20.

2) ج.ب. وولف، ميجع سابق، ص.138.

3) وولف، نفسه، ص. 140.

لا ينظرون إلى الباشوات الحاكمين[1] بعين الرضا، فكان لذلك الأثر الكبير في حدوث تمرّدات واضطرابات [2].

إن ما سيق قد يكون مؤسّسا، في نظرنا، إلى التحول الذي سيحدثه الانكشاريون فيما بعد في النظام القائم بالجزائر؛ بالتمرّد والسطو على السلطة بإزاحة الباشوات الثلاثيين ونظامهم وإحلال محلّهم نظام الآغوات(1065-1081هـ)/ (1659-1671م)، أي آغوات القمريْن، وعددهم أربعة آغوات وهم:

خليل آغا، الذي اغتيل في أواخر شهر محرّم 1071هـ/ بداية شهر أكتوبر 1660م. ورمضان آغا (يورك رمضان)، والمعروف برمضان بولكباشي (1660-1661م)؛ الذي قتل في البادستان (السّوق) يوم السبت 15 من شهر محرّم 1072هـ/10 من شهر سبتمبر 1661م. وحسب دارندا إمانوييل فقد تم ذبحه مع 28 من أعضاء مجلسه. ثم شعبان آغا (1072- 1076هـ/ 1661- 1665م)، ثم الحاج علي آغا (1076- 1062هـ). ولقد ابتدأت المرحلة بخليل آغا بلوك باشي صاحب النفوذ الكبير، وصاحب فكرة الانقلاب التي تمت في شهر ذي القعدة 1070هـ/1659م[3]. وبذلك انتقلت السلطة إلى الدّيوان العسكري المحلّي واستمرت، ولو لفترة وجيزة، وانتهت بمقتل الحاج علي آغا يوم 10/18/ 1671م[4].

---

1) لقد كان الباشوات في نظر الإنكشاريين مجرد موظفين أجراء، من غير صلاحيات، فكانوا سلبيين إلى درجة أن أصبح الآغوات يوقعون معهم . ثم فينا بعد صاروا لا يوقعون الريائل الخارجية، بعد سنة 1672م. انظر، ج. ب. وولف، الجزائر وأوربا...، ص. 137.

2) زهراء النّظام، العلاقات..... ، ص . 34.

3) المدني، محمد عثمان باشا ...، مرجع سابق، ص. 58.

4) إبن المفتي، مصدر سابق، ص: 54. وللمزيد: انظر أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات... ، ص. 79،133.

وقد تعاقب خلال مرحلة الآغوات على السلطة أربعة آغوات كما سبق وأن ذكرنا ذلك أعلاه، وهم:

1) **الأغا خليل بولوك باشي(يوليو/1659– أكتوبر/ 1660م):** ولقد قُتِل بعد ما عايش اضطرابات وأحداث جسام خلال فترة حكمه القصيرة.

2) **الأغا علي رمضان بولوك باشي (1660- 1661م).**

لم يأت هذا الآغا بجديد في سياسته، وفضّل السّير على نهج سياسة سلفه، ودون المساس بها. وإذا كان على المستوى الدّاخلي المحلّي قد سار مهتديّا بسياسة سلفه؛ فإنّه في المجال الخارجي قد اجتهد في تغيير الواقع، فإنّه قد حاول التصالح وربط الجسور مع الباب العالي بعد وفاة الصدر الأعظم، محمد كوبرلي (Mehmet Köprülü) [1] ، واستخلافه بالصدر الأعظم أحمد كوبرلي (1072-1087هـ)[2]، حيث عيّن السلطان العثماني محمد الرابع (1058هـ/ 1648-1099هـ/1687م) إسماعيل البوشناقي[3] لتولي الإتصالات والمحادثات مع إيالة الجزائر؛ وذلك من أجل تحسين العلاقات. وبالفعل تم ذلك بعدما كلّف خزينة الإيالة مبلغ عشرة آلاف دوكة (10.000). كما حاول الآغا رمضان بولوك باشي (1660-1665م) تحسين العلاقة مع مملكة فرنسا، وذلك من أجل استئناف دفع المستحقات

---

1) **هو محمد باشا كوبريلي**، من أصل أرناؤوطي تولى الصدارة العظمى يوم 25 من ذي القعدة 1066هـ / 1655م، في عهد السلطان محمد خان الرابع. ومكث فيها خمسة سنوات وسبعة أشهر. انظر، إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية قي التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان،(د. م)، (د. ت)، ص. 271.

2) **هو أحمد باشا** فاضل كوبريلي زاده، تولى الصدارة العظمى يوم 2 من ذي الحجة 1072هـ/ 1661م، في عهد السلطان محمد خان الرابع. و مكث فيها مدة 15 سنة ونصف. انظر ، ياغي، مرجع سابق، ص. 271.

3) **البوشناقي**، نسبة إلى بلاد البوشناق (البوسنة حاليّا)، الواقعة بغرب منطقة الروملي (اليونان).

المالية مقابل استغلال الباستيون[1]، من خلال إبرام معاهدة جديدة خلال شهر فبراير1072هـ/1661م، لكن موته المبكر حال دون التمتع بمردود المعاهدة؛ حيث تم قتله ذبحا مع 50 شخصا من حراسه، يوم 10 سبتمبر 1072هـ/1661م، خلال ثورة الإنكشاريين ضدّه دون معرفة الفاعل[2].

ويبدو من خلال تسلسل الأحداث، أن إعادة بعث التواصل والحوار بين إيالة الجزائر المحروسة والباب العالي، قد كان معطلا أثناء الصدارة العظمى لمحمد كوبرلي، وبقي الوضع على حاله إلى غاية وفاته. ومباشرة بعد ذلك استؤنفت الاتصالات الدبلوماسية في عهد خلفه الصدر الأعظم أحمد كوبرلي [3].

3) الآغا شعبان بولوك باشي (1661- 1665م):

يعد الآغا شعبان بولوك باشي ثالث الآغوات الذين توالوا على هذه المرحلة، إذ بعد

اغتيال الآغا السّابق رمضان آغا، حل محلّه الآغا شعبان، الذي كان مخالفا تماما لسابقيْه (الآغا خليل، والآغا رمضان)، فهو من صنف الآغوات المعزولين، أي الذين أصبحوا خارج

---

1) **البستيون:** هو بناء بناه تاجران فرنسيان (طوماس لينش و كارلان ديدييه) ، بين عنابة والقالة سنة 1560م، يدعى باستيون فرنسا؛ من أجل استغلاله كمخزن ومكان استراحة صيادي المرجان ومتجر لبيع الحبوب والخيول ويبدو أن بناءه كان من آثار اتفاقية الامتيازات التي منحها الباب العالي لفرنسا، وفيما بعد تم بناء مركز أخر ليس ببعيد عن الأول، لكنه على شكل الحصن؛ نتيجة ما نعرض له الباستيون الأول من تههديم على ي على بتشين. انظر:

A. BERBRUGGER, notes relatives a la révolte de Ben Sakheri, in, R.A. N° 10 , annee , 1866 . P. 337 .

2) P. Boyer, op, cit , p.10 -20.

3) محرز، الجزائر في الآغوات، دار البصائر، الجزائر، 2011م، ص......

الخدمة العسكرية. وفي عهده تأزم الوضع بين الجزائر وفرنسا، كما تميّز بتصديه للحملة الفرنسية على ميناء جيجل، وألحق به هزيمة نكراء[1]. وفي فترته الجفاف والمجاعات. وفي عهده عاد الطّاعون وانتشر من جديد بقوة خاصة في سنة 1072هـ/ 1661م، إلى درجة أنه قضى على حوالي ثلث سكان مدينة الجزائر [2].

ورغم أنّه لم يكن تركيّا، وإنّما كان من المهتدين، وابن بحار برتغالي، أو اسباني حصسب اختلاف الرّوايات[3] . فإنّه قد تميز عن سابقيْه بالعمل مع الدّيوان في تسيير شؤون الإيالة [4]. كما كان متميّزا بالطّيبة والعدل والغنى، ومن المجاهدين البحريين، خاصّة بعد إعتناقه للدّين الإسلامي [5].

ومع ذلك فقد تعرّض لمحاولة اغتيال فاشلة وهو بأحد المساجد. لكن بعدما عاد الجيش الإنكشاري المرابط بالتخوم الجزائريّة، التّونسيّة. فزحف إلى غاية مدينة الجزائر وألقي القبض علة الآغا شعبان ليوضع بالسجن لمدّة ستّة أيام من قبل الإنكشاريين، محاولين ان يدلّهم على مكان خزينة المال، ليعدم بعد ذلك .

---

1) يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة الجزائر، 2007، ص.13.

2) فلة موساوي- القشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائرأثناء العهد الفثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871م،منشورات بن سنان، الجزائر،(د. ت)، ص. 233.

3) معزول يعني أنهى سنوات عمله العسكري وأصبح متقاعدا، وبعد ذلك يمكنه أن يصبح صبايحيا، أوجنديا متقاعدا، أو مستشارا لدى سلطة الإيالة. (انظر: ج.ب. وولف، الجزائر وأوربا 1500-1830 م).

4) P. Boyer, op, cit, P. 13/20.

5) محرز، المرجع السابق، ص. 97.

4) الحاج علي آغا (1665- 1671م):

وهو من الأغوات المعزولين أيضا، إلاّ أنّه كان يتمتع بمكانة محترمة بين علماء الدّين، وربما كان ذلك وراء طول فترته. وخلال حكمه تحسّنت الأوضاع، ووقعت إصلاحات إدارية كالتعديل في هيكلة الدّيوان، وتنحية هيئة الأغوات المعزولين، مع توظيف بعض كبار الأوجاق الموالين له، وهذا الإجراء يبدو إجراء احتياطيّا خوفا ممّن حوله، استبدلهم بمن يثق بهم ويأمن جانبهم [1].

وفي عهده تم عقد مصالحة مع فرنسا، بعد تهديدات البحرية الفرنسية، وعلى إثرها تلك المعاهدة تم إطلاق سراح 127 من الأ سرى الفرنسيين[2]. وبالرغم من ذلك، فلم تجديه احتياطاته، وقُتِل خنقا هو الآخر على إثر ثورة الإنكشاريين بعد عودته من الشرق الجزائري على رأس المحلّة. وتمّ دفنه قرب رأس تافورة [3].

ولما كان البلدان المملكة التونسية والمملكة المغربية تعيشان في منأى عن القلاقل والاضطرابات، كانت الجزائر تعيش حالات متغيرة ومتقلبة بين الاستقرار والاضطراب كما ذكرنا آنفا. وقد عبّر عن هذه الأوضاع محمد بن ميمون الجزائري بقوله:

« وقد كان القطر الجزائري في عصري الآغوات والدّايات يموج باضطراب مزعج، وقلق كبير، وبليّة عديمة النّظير، ويضيف، فإنّنا نرى الحكومة الجزائرية التركية تموج في بحور من

---

1) P. Boyer, op, cit, P. 13/20.

2) يمينة درياس، السكة الجزائرية في العثماني، دار الحضارة ، ط1 ،الجزائر، 2007، ص. 13.

3) محرز، مرجع سابق ، صص. 97،111،137.

دماء الثورات الدّاخلية، التي اندلعت بين أعراش القبائل وانفجر بركانها في أوساط البدو..» [1]

كما تجدر الإشارة إلى أنّ مرحلة الآغوات قد كانت من أحلك الفترات. وتميزت من بدايتها إلى نهايتها بالكوارث الطّبيعيّة والفوضى السيّاسيّة وخاصّة الإغتيالات ونفوذ الإنكشاريين كقوة مهيمنة ، مما جعل كل من هو مُؤهّل لمنصب الآغويّة، أو من يُرشَّح له يعزف عنه ويزهد فيه. فهي مرحلة متميزة كثيرا عن بقية المراحل العثمانية في الجزائر، والتي لم تعرف الإيالة مثيلا لها [2]. ويمكن على ضوء ما تقدّم، تمييز فترتين في مرحلة الآغوات وهما:

الفترة الأولى (1659- 1665م): وقد تميّزت بجملة من الأحداث نذكر منها [3]:

1- بدء المرحلة بثورة طائفة رياس البحر سنة 1070هـ/1659م) على الآغا "علي باشا" بإلقاء القبض عليه، وإرساله إلى مدينة أزمير (IZMIR) بالأناضول أين حكم عليه بالإعدام هناك.

2- محاربة المتحالفين والمتعاونين من قبائل بايلك الغرب مع الأسبان، بالجهة الغربية، إلى غاية 1075هـ/ 1664م.

3- تعاقب على منصب الآغوية ثلاثة آغوات، رغم قصر الفترة نسبيا؛ وهو ما يوحي بعدم الاستقرار على مستوى هرم السلطة، سواء داخبيا أو على المستوى الخارجي.

---

1) محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الطّباعة الشعبية للجيش، الجزائر،2007، ص. 15.

2) يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، ط1، الجذائر، 2007، ص. 12.

3) محرز ، مرجع سابق، ص. 94.

4- استمرار الفوضى السيّاسية والاضطرابات الدّاخلية، بقيام ثورات بالجهة الشرقية، في عهدي الآغوين رمضان بولكباشي(1660- 1664م)، والحاج علي (1664-1671م).

5- تزايد الكوارث الطّبيعية؛ ممّا زاد في الأمر سوءا، بفعل المجاعات والطّواعين التي حلت بالبلاد منذ 1065هـ/1654م، واستمرت في حصد أرواح ما يعادل ثلث سكان مدينة الجزائر وحدها إلى غاية 1077هـ/ 1666م [1].

وبالرغم من الفوضى التي عمت البلاد، إلا أن الجيش الجزائري بمساعدة الأهالي تمكن من تهدئتها والسيطرة عليها [2].

أمّا على الصّعيد الخارجي، فقد تعرّضت الجزائر في عهد الآغوات إلى عدة اضطرابات في علاقاتها مع مملكة فرنسا على وجه الخصوص. ومنها الحملة التي قادها السيد بوفور (Beaufort)، على مدينة جيجل سنة 1075هـ/1664م. وتعدد إبرام المعاهدات المختلفة حول التجارة وسلامة الرعايا والعلاقات الأمنية.

- الفترة الثانية (1666- 1673م).

لقد تميزت هذه الفترة الأخيرة من الفهد الآغوي بجملة من المميزات نذكر منها:

---

1) فلة موساوي – القشاعي،الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871م، منشورات بن سنان، الجزائر، 2013، ص. 233. وانظر أيضا، شويتام، المجتمع الجزائري...، ص. ص. 400-427.

2) E. WATBLED, « ***Expédition du Duc de Beaufort contre Djedjeli*** » , in R . A. N° 17, Alger, 1873, P .218.

1- تحسّن الأوضاع الصحيّة بسبب انقطاع الأوبئة، وأصبحت البيئة صحيّة في عموم إيّالة الجزائر، واستمرّت كذلك إلى ما بعد انتهاء مرحلة الآغوات، أي إلى غاية سنة 1673م[1]. لكن هناك مناطق أخرى مستثناة من بايلك الشرق وقد أصابها الوباء كمدينة بجاية [2].

2- كما عرفت الفترة شيئا من الهدوء والرّخاء؛ بفضل بعض الإصلاحات، التي قام بها الآغوات. لكن ذلك لم يدم طويلا. وانقلبت الأوضاع رأسا على عقب، وتحول الهدوء والسكينة إلى اضطراب، والرخاء إلى جدب وفاقة. وكأنّ مفعول الإصلاحات السابقة قد زال؛ حيث انتهت بفوضى كبيرة بكل أنحاء مدينة الجزائر. ومن نتائج ذلك؛ قتل الحاج علي آغا، وخمسة آخرين من المرشحين لمنصب الآغوية [3].

وعلى العموم، فقد تميزت الأوضاع الداخلية بالاضطراب؛ التي تعد من مخلفات أواخر عهد الباشوات بين منطقة امتنعت عن دفع الضرائب، وأخرى تريد توسيع نفوذها. ومنها إمارة كوكو، على حساب سلطة البايلك وأراضيه، وبين سلطة تعمل على إشاعة الأمن والسكينة وكسب الولاء.

3- أما خارجيا، فقد كانت العلاقات متشنجة خاصة مع ممالك فرنسا التي أبرمت معها الجزائر لوحده أربع معاهدات [4]. منها: ثلاث معاهدات صلح وتجارة، والتي كانت على التّوالي:

---

1) فلة موساوي – القشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثنا العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، 1518-1871، ص: 98، 99. وتضيف صاحبة الكتاب أنّ الطواعين (جمع طاعون).

2) القشّاعي، الواقع الصحّي....، ص. 99 .

3) محرز: مرجع سابق، ص. 111،137.

4) بن ميمون...، مصدر سابق، ص. 17. وانظر ايضا، صالح عباد، مرجع سابق، ص. 119.

-) في شهر فبراير1072هـ/1661م، وهي معاهدة امتياز لاستغلال الباستيون، جاءت للحفاظ على معاهدة 1640م واستمرارها؛ والتي عقدت بين الدولة الجزائرية، والسيد (دي كوكييل) الفرنسي، وهذا الأخير تخلى فيما بعد عن استغلال الباستيون لصالح فرنسي آخر يدعى (توماس بيكي)؛ الذي استغل ثقة السكان وطيبتهم فأخذ بعض منتوجاتهم وأموالهم، واختطف حوالي ثمانين شخصا وفر سنة 1069هـ/ 1658م، وباعهم في مدينة ليفورنة.

فسارعت فرنسا لاسترضاء الجزائر، وإعادة تجديد العاهدة. ووالتي تمكّنت من إبرامها من جديد في 9 فبراير 11072هـ/ 1661م[1]. وفي سنة 1077هـ/1666م، وقد جاءت سعيا من الملك الفرنسي لويس الرابع عشر لضمان حياد الجزائر في صراعه مع إنجلترا المتحاربة مع حليفتها هولندا. ومن أجل ذلك سعت فرنسا لإنهاء حالة اللاتفاهم بينها وبين الجزائر، وأبرمت هذه المعادة في 17 ماي 1666م [2].

وفي شهر فبراير من سنة1081هـ/ 1670م، أُضيفت مجموعة من البنود تتعلق بمعاملات الأسرى، وحول بعض عائدات الباستيون لصرف خرتبات الأوجاق ومشكل تأخرها مما يتسبب في إحداث قلاقل اضطرابات بين صفوفهم [3].

كما كانت العلاقة مضطربة أيضا مع بعض البلدان، ومنها إنجلترا؛ التي انتهزت فرصة الأوضاع المضطربة فنكثت المعاهدة المبرمة سابقا مع الجزائر والتي كبنت هي الساعية

---

1) جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619- 1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص. 71.

2) المرجع نفسه، ص. 78 وما بعدها.

3) المرجع نفسه، ص. 82 وما بعدها. وانظر أيضا، مسعود مجاهد، الجزائر عبر الأجيال، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، (د. ت.)، ص. 109.

وراء إبرامها، فشنت حملتين بحريتين وهاجمت بهما الجزائر؛ سنتي 1079هـ/ 1669م، و 1082هـ/ 1671م، وإسبانيا [1].

المبحث الثّاني: الحركات المناوئة خلال مرحلة الآغوات.

سنحاول في هذا المبحث دراسة بعض الحركات المناوئة للسلطة العثمانية، التي ظهرت خلال عهد الآغوات، سواء كانت من الانكشاريين أو من اللأهالي. ومن تلك الحركات ما يلي:

1- ثورة عام 1070هـ/1659م.

عاد الإنكشاريون إلى العصيان، والثوران ضد السلطة العثمانية بالجزائر، من جديد. وقد تزامن ذلك مع مشكل تأخر تسليم الرواتب في موعدها المحدّد[2]، وهو ما أثار حفيظة الإنكشاريين واستفزّهم فثاروا معبرين عن سخطهم. لكن هذه المرة كان عصيانهم وثورتهم على السلطة العثمانية مطعّما بطعم الانقلاب؛ لذلك تعد هذه الثورة بمثابة الجسر الذي انتقلت عبره السلطة من النّظام الباشوي ذي الثلاث سنوات إلى نظام الآغوي ذي القمرين. وقاد هذه الثورة خليل آغا البولكباشي الذي يُعد المدبّر والقائد الخلفي للثورة. ابتداء من: 1071هـ/1660م، الذي رفض قدوم علي باشا، الموفد من الباب العالي، إلى الجزائر كحاكم جديد وبديل، وأرغمه على العودة من حيث أتى بمعية حاشيته. وبما أنّ الأمر كان مدبّرا ومخطّطا له، فقد قام المتمرّدون وبكل يسر بإلقاء القبض على الباشا إبراهيم (آخر الباشوات) ورموه سجينا، وعلى إثر ذلك أعلن المجتمعون على لسان البولكباشي (مهندس الانقلاب وقائد الثورة) عن نهاية العهد الباشوي، الذي أشرنا إليه سلفا والممتد طوال إثنين وسبعين سنة، لتدخل إيالة الجزائر عهدا

---

1) عباد، مرجع سابق، ص. 119.

2) عبّاد، نفسه، ص. 120.

جديد، عرف بمرحلة الآغوات (1659م–1671م) [1]. وهنا نلمس الضعف الذي بلغه السلطان العثماني محمد الرابع (1648– 1687م)[2] ، حتى صارت أوامره ترد عليه، وبضعف مركز السلطان في نظر رياس البجر الذين استخفوا بمبعوثه من أجل سفينة البندقية التي أسروها

وأبوا إرجاعها رغم تدخل الباب العالي [3].

–) موقف الباب العالي من حركة الإنكشاريين.

حيال تغول الإنكشاريين وتسلطهم، وهيمنتهم على أهم القرارات في الإيالة، كما أسلفنا، صارت إيالة الجزائر إيالة مارقة عن النسق العام، لبقية الإيالات الأخرى؛ فأصبحت تجاهر باستقلالها هن الباب العالي؛ عن طريق مواقف حكامها. خاصة بعدما أصبح الإنكشاريون مسيطرين ومتحكمين؛ ممّا اضطر الحكام الفعليين إلى الخضوع لهم، وينفذوا أواملرهم. ففي هذا الصدد نقدم شهادة أحد المؤرّخين عن علاقة الجزائر بالباب العالي، فقال: « وكانت الجزائر أكثر أوجاقات الغرب من جهة عدم امتثالها للأوامر الصّادرة من السلطان العثماني » [4].

---

1) P. Boyer : La révolution dite “ des Aghas” dans la régence d’Alger (1659-1671) , in, R.A, n° :

2) خلال عهد هذا السلطان عمت الفوضى وانتشرت الإضطرابات واستشرى الفساد في جميهع مناحي الحياة وضعفت الدولة العثمانية أمام تغول العساكر واستبداد الإنكشاريين والسباهية وأصبح سلطة من غير فعالية. وللمزيد انظر، وديع أبو زيدون، تاريخ الأمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط$_2$، 2011، ص. 167 .

3) ج. ب. وولف، الجزائر وأوربا 1500– 1830م، عالم المعرفة، الجزائر، 2009،ص. 135.

وانظر أيظا، ج. ب. وولف، الجزائر وأوربا 1500– 1830م، تر. أ. سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص.145.

4) بيات، الدولة العثمانية في....، مرجع سابق، ص. 540.

إنّ لهذا التسلط مبرّراته؛ والتي تعزى إلى كون الدولة العثمانية كانت في تلك الآونة منشغلة بالحركة الجلالية[1] المناوئة بالأناضول، وبالحروب القائمة بينها وبين الأوربيين من جهة، وبينها وبين الصّفويين من جهة أخرى. فأصبح الأغوات يستنسرون على الولاة المرسلين إلى الإيالة، رغم تعيينهم بفرمانات سلطانية، فكانوا يشغلون مناصبهم ويتقاضون مرتّباتهم من غير فعاليّة. ولمّا كانت قبضة السلطنة غير قوية أخذ الإنكشاريون يتدخّلون في شؤون الإيالة بواسطة ديوان الأغا، بدل ديوان الباشا الذي هُمّش ابتداء من سنة 1618م [2].

وهكذ أصبحت الإيّالة بحاكمين : حاكم معيّن من الباب العالي، ولكن ليس له دور يذكر. وآغا منتخب محليّا هو الآمر والنّاهي والحاكم الفعلي. واستمرت هذه الظّاهرة كجسم واحد برأسين إلى غاية سنة 1122هـ/1710م أين تم عدم استقبال مبعوث السلطان، ورفض فرمانه، ومعاكسة إرادته، واعتبر ذلك تمرّدا صريحاعلى ذاته، وقد أشرنا سابقا إلى رد السلطان بخطاب عنيف. ولما عاد مرسول السلطان "علي باشا" إلى الأستانة لرفض استقباله من قبل البولكباشي

---

1) **الجلاليّة** : نسبة إلى بوزوكلو جلال والمعروف بالشيخ جنيد التركماني الذي ظهر في منطقة توقات ومن أصحاب التيمارات بالأناضول، وتصفه بعض المصادر العثمانية بالملحد . وفي سنة 1517م اتخذ لنفسه لقب جلال، وجمع حوله حوالي عشرين ألف من الفقراء والمعدومين ورافضي الضرائب، من منطقة تقات وأماسيا، وقام بثورة ضد السلطان سليم الأول بمعية أتباعه، معلنين عصيانهم، خلال تواجد السلطان العثماني بمصر. لكن بايلرباي الرومللي فرهاد باشا تصدّى له بحملة عسكريّة، واستطاع تشريد أتباعه الذين فرّ معظمهم إلى إيران. أمّ الشّيخ جلال (زعيم الثورة) فقد ألقي عليه القبض قرب أرزنجان مع بعض أتباعه فقُتِلوا وقطّعت أجسادهم إربا إربا. أما رأس جلال فقد أُرسل إلى السلطان سليم ياووز، (كعادة العثمانيّين). ومنذ تلك الحادثة أصبح يطلق على الإنتفاضات اللاّ حقة اسم الجلاليين. ومنها: انتفاضة شاه ولي سنة 1519م، وانتفاضة بابا زينون سنة 1525م، وانتفاضة أتماجا سنة 1526م، وانتفاضة زينون أوغلو سنة 1527م، وانتفاضة شاه كلدي سنة 1580م، وانتفاضة شيخ صقاريا سنة 1628م،...الخ . انظر: محمد نور الدين وآخرون، الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد 1516م، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، الفنار (لبنان)، 2001، ص ص. 123- 129.

2) بيات، الدولة العثمانية في ...، ص.548.

خليل أغا (المتمرد)، غضب الباب العالي أشدّ الغضب وعبر عن ذلك بخطاب على لسان الصدر الأعظم محمد باشا(1655- 1661م) ، كما أسلفنا وذكرنا ذلك، وأرسله إلى حاكم الجزائر خليل أغا كوالي جديد على الجزائر[1].

ولكن ظاهرة العصيان هذه لم تقتصر على طائفة الإنكشاريين وحدهم، بل طالت حتّى فئة ريّاس البحر كذلك؛ والذين تمردوا بميناء الجزائر فيما بعد، إذ سرعان ما تحول تمردهم إلى ثورة عنيفة، أزاحوا بها حكم الآغوات وأوصلوا بها فئة الدايات إلى سدة الحكم. وحل ما اصطلح عليه مرحلة الدايات بدل مرحلة الآغوات، والتي سنتناولها في الفصل الخامس لاحقا. وهنا نتساءل ما دور علي باشا كموفد إلى إيالاة الجزائر فيما قام به خليل أغا ؟ وما المطلوب منه في هذه الوضعية ؟

يبدو أنّ هناك تعليمات سلطانية (هيمايونية)[2] مرسلة إلى (علي باشا)، خالفها أو لم يعمل بها. ومهما كانت التفسيرات لموقف السلطات العثمانية والتأويلات، فإن الباب العالي قد اتخذ جملة من الإجراءلت والتدابير حيال ما وقع في الإيالة، والتي سنراها لاحقا في الفصل الموالي.

---

1) هو محمد باشا الكوبريلي الأرناؤوطي، تولى الصدارة العظمى من 1066ه إلى 1072ه، وخلفه أحمد باشا فاضل الكوبريلي زاده

2) هُمَايون. كلمة فارسية مشتقة من كلمة (هما) وتعني إسم طائر كان يعتقد القدماء أنه إذا طار ووقع ظله على رأس رجل، يصبح هذا الرجل ملكا، وكان هذا الطائر رمزا عند الأتراك الأغوز، وانتقل هذا المعتقد منهم إلى العثمانيين. وكلمة همايون تعني شيئا ما ملكي أو سلطاني، أيضا بمعنى مبارك أو سعيد. انظر : حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية الدار الثقافية للنشر، ط$_1$، القاهرة، 2004 ، ص. 152.

2- ثورة رياس البحر 1659م.

كان الباب العالي يمر بفترة ضعف، أمام القوى الأوربية، كما تميزت الرابطة بين السلطة في الجزائر بالباب العالي زمن الباشوات المتأخرين بالفتور، وعدم الاكتراث بالباب العالي، وآخرهم إبراهيم باشا (1659- 1665م). وهذا ما عبّر عنه أحد الدارسين بقوله:

« الواقع أنّ رفض إرادة السلطان من وجق الجزائر قد بدأ مبكرا، أي منذ القرن العاشر، ولم يتمكن عدد من الباشوات المبعوثين من اسطنبول إكمال مددهم ثلاث سنوات، بل كانوا يجبرون على العودة »[1].

أمّا دارندا (D'ARANDA) فقد وصف الوضع بقوله: « إنّ الباشا كان... ويعترف بنوع من الخضوع الشكلي للسلطان الأعظم، ولكنّه لا يعير أوامره أي اهتمام،...لقد كان الجنود يخيفونه أكثر من السلطان الأعظم » [2].

ومن خلال هذه الشهادة نستتشف مدى سطوة الجيش الانكشاري على الباشوات، ولذلك فلا غرو من عصيانهم وتمردهم على السلطة. فكانت هذه الأوضاع تمثل إرهاصات تؤسس لمرحلة الآغوات المقبلة. وبالرغم من استيلاء الآغوات على السلطة في عام 1659م إلا أن السلطان العثماني استمر في إرسال الباشوات إلى الجزائر، بالرغم من كون وجودهم كان شرفيّا، أمّا السلطة الفعليّة فقد كانت في يد الآغوات. ولذلك لمّا كانت القوانين والقرارات تصدر من الباب العالي في عهد الباشوات، كانت تصدر بالعبارة التّاليّة :

---

1) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج1،...، ص 140، ها(16).

2) دارندا، مرجع سابق.

« أنا باشا الجزائر قرّرنا ،...»، ثم أصبحت تصدر بصيغة التفخيم (الجمع)، والعظمة؛ وذلك من خلال بالعبارة التّالية: « نحن باشا الجزائر، والميليشيات التي لا تقهر قرّرنا ،...» [1]. فمن خلال المقارنة بين مقدّمتي الخطابين، نلمس الفرق بينهما، ومدى دلالة القوة والتحكّم والسيطرة على مقاليد الحكم بينهما، فبعدما كان الباشا يقرر بمفرده، أصبح يقرّر مع الميليشيات التي لا تقهر؟. وقد استمرت ازدواجيّة الحكم بين الباشا، (المعين والمرسل من الباب العالي)، والآغا (المنتخب محليا) إلى غاية عهد الدّايات إذْ قرّر أحد الدّايات سنة 1710م من رفض استقبال الباشا (مبعوث السلطان) رفضا قاطعا.

ومنذ ذلك التّاريخ، استقلّت الجزائر عن الباب العالي ولم يبق يربطها بالأستانة إلاّ الرّباط الرّوحي، والأخلاقي، باعتبارها عاصمة الخلافة الإسلاميّة، وسلطانها يمثل خليفة لرسول الله. ولكن مهما كانت درجة استقلال الجزائر عن الباب العالي إلاّ أنّ حكّامها كانوا مضطرّين إلى تنفيذ أوامر السلطان، ويعود ذلك الإضطرار إلى كون الجزائر كانت مرغمة على تجنيد جنودها من الولايات العثمانيّة. وقد لاحظنا أنّ عمليّة التّجنيد وموانئ المشرق وأسواقه اتخذها السلطان ورقة ضغط على حكام الجزائر [2].

في ظل هذه الظروف كان رياس البحر ينزعون إلى العصيان والتمرد؛ بسبب ما كانوا يحسّون به من قوة. فلذا كان كافيا أن يعلن رياس البحر تمرّدهم وعصيانهم لأي سبب كان، ويثورون على السلطة نفسها، كلّما سنحت الفرصة لذلك. فمن بين حركات العصيان التي قادوها نذكر: لما طلب الباب العالي انضمام البحرية الجزائرية إلى بحرية الباب العالي؛ فإنّ الباشا إبراهيم رفض الأمر بالانضمام متحجّجا بأن خزينة الإيالة فارغة وتحتاج إلى موارد مالية، وأنّ

---

1) شويتام، نهاية الحكم العثماني مرجع سابق، ص.

2) شويتام، نفسه .

المشاركة مع الباب العالي تقلل من تواجد الأسطول الجزائري بالحوض الغربي للبحر المتوسط، وبالتالي تضعف من المردود البحري من الغنائم، ناهيك عن حرمانه هو شخصيّا من نصيبه من تلك الغنائم. ولم يكتف الباشا بهذا التعليل، بل اشترط تعويضا ماليّا لخسارته – في حالة المشاركة– وقدَّره بنفسه بـ (10%) مما التزم به سلطان الدولة العثمانية نحو إيالة الجزائر، والمعروف بالمعونة التي يرسلها إلى إيالة الجزائر؛ مقابل كل نجدة يطلبها السلطان وتأتيه من الجزائر.

ولما بلغ الخبر إلى رياس البحر، وكان بالنسبة لهم بمثابة فرصة . وصادف ذلك أن كان على رأسهم خليل بولكباشي، والذي بمجرد علمه بالموضوع تحمس، واعتبرها فرصة لا يمكن إهدارها. فقام بتهييج رياس البحر الآخرين، وشجّعهم على العصيان، فَرُفِضَ الأمر جماعيّا، وعلى إثر ذلك تمّ تجريد الباشا إبراهيم من صلاحياته وسلطته وسلّمت إلى الأغا قائد الجيش الانكشاري وأعضاء الدّيوان. تلقى الأغا والدّيوان مقاليد الحكم من قبل خليل بولكباشي وكأنّها هدية، ولم يُبدُوا أي اعتراض، إلاّ أنّنا نشك في براءة هؤلاء الأخيرين من العملية.

أمّا عن موقف الباب العالي، فقد سلّم بالأمر الواقع، وكف عن إرسال الباشوات الثلاثيين ابتداء من سنة 1710م[1]. ومنذ هذا التاريخ، أصبح رياس البحر على هرم السلطة وحدهم، ومن غير مزاحم.

-) أسباب الحركة:

بالنظر إلى الوضع الاقتصادي العام، الذي طبع الفترة التي سبقت عهد الآغوات، وإلى الوضع السياسي بإيالة تونس المجاورة، في المرحلة ذاتها؛ نستطيع أن نستشف الأسباب

---

1) جون. ب وولف، ، مرجع سابق، ص. 136، 137 .

الرئيسية لانفجار الوضع في أخر عهد الباشوات، وظهور حكم الأغوات؛ الذي أحدث ما يشبه الفجوة في النظام السياسي بالجزائر. وتشير بعض الدراسات، إلى وجود سببين كانا قد ساهما بشكل كبير في حركة رياس البحر وهما [1] :

-) السبب الأول: أنّ النّتيجة التي إنتهت إليها نهاية المرحلة الباشوية وأفرزتها حركة العصيان التي قادها الباشا إبراهيم باشا ضدّ السلطان العثماني تتمثل في انتهاء هذه المرحلة الباشوية مع آخر باشواتها إبراهيم باشا، (1656- 1659م)، وتبدأ مرحلة الأغوات مع الأغا خليل باشا (1659م) كما ذكرنا سابقا.

-) السبب الثّاني: تغيير نظام الحكم، وإصباغ الحكم العثماني بإيالة الجزائر بصبغة جديدة، وصارت السلطة في الإيالة أكثر استقلالية عن الباب العالي. وفي هذا الصّدد يقول يوسف عبد الكريم الرديني عن الانكشاريين في هذه المرحلة :

« استطاع الانكشاريون(أغوات الانكشارية) التربع على عرش الجزائر بغض النظر لفترتهم القصيرة (1659-1671م) بحيث كانوا خلال هذه الفترة والتي صادفت عهد السلطان محمد الرابع (1648- 1687م)، جد متنفذين وبلغوا مرتبة الولاة، وقد اجبروا السلطات العثمانية على قبول الأمر الواقع، ألا وهو الاستيلاء على ما بيد الباشوات، ومع بداية القرن 18م استمر تمرد الانكشارية وكذلك عصيانهم ضد السلطة العثمانية في الجزائر طيلة القرن 18م » [2].

---

1) P. Boyer, op.cit. P. 95.

2) الرديني، مرجع سابق، ص، 183.

3- حركة الانكشاريين[1] سنة 1072هـ/1661م.

كان الوضع العام في الجزائر خلال هذه السنة لا يبعث على الارتياح، بل كان مقلقا؛ وذلك بسبب الأحداث الدّائرة ببايلك الشرق؛ الذي قامت به ثورات هنا وهناك، وكان أشدّها وأخطرها تلك الثورة التي ظهرت ببلاد زواوة كما سيأتي ذكرها لاحقا.

كما عرفت البلاد خلال هذه السنة من الناحية الطبيعية جفافا، وقحطا شديدين، تسبّبا في تراجع حاد للثروة الحيوانية والمحاصيل الزراعية؛ وهذا ما أدخل البلاد في مسبغة كبيرة، كان من شدّة تأثيرها أن التجأ بعض السكان إلى مدينة وهران اضطرارا، وهي تحت الاحتلال الإسباني، بحثا عن ما يسد الرمق.

واستغلالا للمسغبة الشديدة التي حلّت بالبلاد والعباد، وكذلك ظروف اللاّجئين، استطاع الأب " پيريز دي لا پارا" (Père.Perez de la PARRA)، أن ينصّر 500 جزائريا جائعا منهم، وإرسالهم إلى إسبانيا[2].

---

1) **كان الانكشاريون** في بداياتهم في غاية الطّاعة والانقياد لسلطتهم حتّى قيل فيهم " أربعون منهم ينقادون بشعرة " كناية على طاعتهم للأوامر. وكان إذا خالف أحدهم قانون الأوجاق وأركانه، فإنّه لا يجد الحماية منهم، بل يقومون بتأديبه بسرعة. لكن بعد ما اختلّ نظامهم ، ودبّت بينهم المصالح الشخصية وحب الدنيا وزخرفها وابتعدوا عن روح الجهاد وتقديس السلطان، أصبحوا لا ينقادون، وصاروا علّة لكثير من الفضائح كالخروج عن طاعة السلطان مثلا وعدم النظر في الأعمال النّافعة للدّين والدّولة. أي حوالي منتصف القرن 11هـ/17م وبعد ما كان هؤلاء الأوجاق مطيعين ولا يعصون أمرا تغير حالهم من التابع المطيع والمنفذ للأوامر إلى عنصر رافض للواقع وطرف غير راض عن واقعه كثير القلاقل والثورات .(انظر: يوسف ع. الكريم طه الرديني: المؤسّسة العسكرية العثمانية، دار الحامد، ط$_1$، عمَّان، 2014م، ص: 72. وانظر سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج$_1$، 1985، ص: 138.

2) محرز، مرجع سابق، ص، 94.

كما أضافت كارثة مرض الطّاعون الذي حلّ ببلاد المغرب عموما و بالجزائر على وجه التحديد، سوءا على سوء، حيث حصد هذا الموت الأسود، الكثير من الأرواح[1]. وفي بعض المصادر يكون قد حصد في إحدى السنوات حوالي ثلث السكان [2].

وبالرغم من وجود بعض المستشفيات، ووجود، واعتناء السلطة العثمانية بها، حرصا على سلامة السكان، حن طريق بناء الستشفيات وسن القوانين والإنفاق عليها من قبل السلطة. إلا أن الأوبئة والأمراض استمرت في الظهور كوباء الطاعون الذي ظهر إبتداء من سنة 1541م وبقي يظهر من حين لآخر إلى غاية 1822م [3].

- أسباب ودواعي الحركة الإنكشارية.

يعد السبب المادي هو الدافع الأقوى والمحرك القوي لحركات الإنكشاريين المناوئة،

فالمتفحص لمسار الجيش الإنكشاري عموما وفي إيالة الجزائر تحديدا يجد أن الإنكشاريين كان ن تواجدهم قي بدايات الوجود العثماني في بلاد المغرب الأسط هو الدافع الديني والذود عن الإسلام والمسلمين، ولا يطمعون إلا فيما يفتكونه من أيدي أعدائهم وما يغنمونه. لكن مع مرور الوقت، أصبحوا يولون أهمية كبيرة إلى جمع الأموال وتحصيلها، وخاصة بعدما سمح لهم بمزاولة بعض الحرف والمهن، والزواج، والتحرر من ملازمة الثكنات. ومن هنا أصبح اهتمامهم بالجانبين المادي والسياسي كبير، وفي ذات الوقت تراجع الدافع الديني.

---

1) فلّة موساوي– القشّاعي، الواقع الصحّي والسكّاني في الجزائر، مرجع سابق، ص، 99.

2) شويتام، المجتمع الجزائري...، ص. 413 .

3) شويتام، نفسه، ص. 409 .

ولهاذا كلما حدثت أزمة مالية، أو حاول أحد الباشوات أو الدايات المساس بمصالحهم المادية إلا وثارت ثائرتهم، وسلكوا كل سبيل من أجل تحقيق رغباتهم ولو كان ذلك بالعنف [1].

لقد كانت الأعمال البحرية (الجهاد البحري) من المصادر الهامة التي تدر على خزينة الدولة أرباحا معتبرة، ومن أمثلة ذلك ما ذكره أوجين هاتان(Eugène Hatin) عن محتويات خزينة الجزائر أوائل العهد العثماني وإلى غاية بدايات القرن الثامن عشر الميلادي، كانت كذلك[2].

إلا أن المردود الاقتصادي من الجهاد البحري لم يكن مستقرا وثابتا، إذْ أصبح بعد هذا التاريخ قليلا، ولا يف بحاجيات الإيالة من المداخيل [3].

وكان على الباشا في مثل هذه الحالة أن يبحث على مصادر أخرى لتمويل الخزينة وتغطية النفقات اللازمة، وأمام هذه الظروف التي شحت فيها الموارد المالية وتعطّلت وقلت معها المحاصيل الجبائية، التجأ الباشا (الأغا) يورك رمضان (1660- 1661م) إلى تكثيف عمليات الغزو البحري للزيّادة من المداخيل وبالتّالي يتسنّى له (تغطية النفقات والمصاريف)، إن لم يكن يهدف إلى رفع حصته (سهمه من عائدات البحر). غير أنّ هذا الإجراء لم يكن بالمضمون ولا بالكاف، ولذلك أقدم على إجراء آخر؛ وهو دخول البادستان (السوق) ومزاحمة

---

1) أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري الفترة العثمانية 1519- 1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص. 35 .

2) Moulay Belhamissi, Alger, L'Europe et la guerre secrète 1518-1830, éd. ANEP, Alger, 2009, p. 104.

3) سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، ص.113.

الانكشاريين في عملية شراء الغنائم بأسعار منخفضة، وهو ما قام به في يوم السبت 15 محرم 1072 هـ الموافق لـ: 10 سبتمبر 1661م، إذْ قصد البادستان (أي: السّوق).

ومن المؤكّد سترسو كل المزادات عليه، لماله الوفير ولجاهه. إنّ هذا التصرف رأى فيه الانكشاريون مزاحمة لهم، وحرمانهم من عوائد السّوق الذي يعتبر مصدرا للإسترزاق للطبقة البسيطة. فحنقوا عليه وعلى الطّائفة الحاكمة. وبحثوا عن مكيدة له ليوقعوه في الفخ، فتشاوروا في الأمر، وما وجدوا إلاّ إثارته واستغضابه وذلك بإحراجه أمام العامة، وكان السّوق أنسب مكانا لتنفيذ خطّتهم.

فيقول الأب " أوفري" حول عدم قبول الإنكشاريين مزاحمتهم بالسوق وإثارة الآغا في السّوق: «.. وقد أغاضهم تصرّف الحاكم (يورك رمضان)، بحيث تشاوروا للتخلّص منه، ولما اتخذوا جميع تدابيرهم، سعوا إلى مخاصمته في البادستان واشتكوا له بأنّ الجنود لم يكونوا يتقاضون أجرا جيّدا»؛ و بهذا أثاروا غضبه وهو بالسوق . فابتلع الأغا (يورك رمضان) الطعم، وثار على عدم احترامهم له وهو بالسوق.

وفي نهاية هذا الفصل القصيرر، والمميز في ذانت الوقت، فإن الإنكشاريين بعد ما أثاروا الآغا رمضان، كانت ردّت فعله سريعة نحوهم، ففي الحين أمر حرسه بإلقاء القبض عليهم لكونهم مشاغبين متعجرفين، وهو ما كانوا يسعون إليه. وبعد إلقاء القبض على بعضهم في السوق، هاجمته البقيّة المتربّصة به، ولمّا ألقوا القبض عليه، وقتله قاموا بحزّ رأسه (الآغا يورك رمضان). ثم بعد ذلك، هاجوا وماجوا بالمدينة طولا وعرضا، وعاثوا في أحيائها قتلا

وفساد، خاصّة لكبرائها وأتباع الأغا رمضان. وقد خلّفوا ما يقرب من الستين (60) ضحية، وحزوا رؤوسهم جميعا، وعلقوها مقابل مسكن الباشا نفسه نكالا [1].

وقد وصف إبن المفتي حالة الإنكشاريين في هذه الواقعة بقوله: « وهاج الكشايرية على يورك رمضان وقتلوه شر قتلة مع حراسه وسط البادستان يوم السبت 15 محرم 1072هـ»[2].

أمّا عن المنصب فقد شغله من بعده معزول آغا شعبان[3]. وهكذا كانت أسباب ثورة الانكشاريين وما آلت إليه، والتي يبدو جليّا أنّها تكمن في التخلص من الباشا (يورك رمضان) ليس كباشا أو كحاكم، ولكن كرجل أعمال منافس في السوق.

وبالتّالي فإنّ السبب والدّافع الأساسي للحركة، كان اقتصاديا بحتا. ولا يمكن أن نصفها هذه الحركة سوى بالانتفاضة؛ لكونها محدودة الزمان والمكان. ولم تكن تهدف إلى تغير أوضاع عامّة، وإنّما كانت ضد شخص الحاكم؛ الذي كان طرفا في قضية اقتصاديّة والمتمثلة في السّوق وعائذاته. وقد بلغت ذروتها سنة 1662م؛ حتّى أصبحت تهدد السلطة بالزحف على مقرّها بمدينة الجزائر، محاكية في ذلك ثورة الكراغلة سنة 1633م.

---

1) محرز، مرجع سابق، ص. 95 .

2) إبن المفتي، تقييدات ابن المفتي ...، ص. 54، 55.

3) شعبان آغا من الأعلاج البرتغاليين المهتدين (Rénegats)، وهو بحار وإبن بحار، عُرِف بطيبته وحكمته وعدله. (انظر: أمين محرز، مرجع سابق، ص. 97.

4- حركتا الذواودة والحنانشة [1] 1666م.

-) التعريف بقبيلة الذواودة [2]:

هي قبيلة عربية صميمة من بني هلال، وأحد فروع رياح. استقرت في بادئ الأمر بضواحي قسنطينة، في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الميلادي (حوالي 572هـ الموافق 1176م)، ثم اتسعت أراضي القبيلة على يد أحد زعمائها محمد بن مسعود بن سلطان. أمّا كلمة الذواودة فتعني الأشراف، كما تدل على الفرسان الذين ينتمون إلى عائلاة الأمير أو الشيخ [3].

ويقال عن قبيلة الذواودة أنها منحدرة من عائلة البرامكة؛ كانوا قد هاجروا خوفا من الخليفة العباسي هارون الرشيد، من بغداد إلى بلاد المغرب، في بداية عهد الأدارسة [4].

وفي العهد الزياني أوكلت لهم إمارة العرب، بواسطة عائلة بوعكاز، وذلك منذ ما قبل الوجود العثماني. فخلال النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي توسع ملكها بعدما استولت على مناطق خاضعة للسلطة الحفصية، وهي منطقة ورقلة والزاب والأوراس والحضنة، بهذا

---

1) قبيلة الحنانشة: قبيلة بربرية كانت قديما بطرابلس الغرب، ثم انتقلت مع الفاتحين الأوائل إلي بلاد إفريقية. (للمزيد ينظر، معاشي، الأسر المحلية في، ...، ص.41.

2) الذواودة. عند إبن خلدون الدواودة :(بالدّال بدل الذّال).

3) أوجين فايسات، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي، ترجمة، صالح نور، دار قرطبة، الجزائر، 2010، ص. 310. ها(145).

4) محمد العربي حرزالله، منطقة الزاب 100 عام من المقاومة (1830- 1930م)، دار الواحة للكتاب، الجزائر، 2009، ص. 89. نقلا عن: عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، كتاب العبر (المقدمة).

التوسع أصبحت قبيلة الذواودة تسيطر على معظم المناطق الشرقية من بلاد المغرب الأوسط[1].

وبالرغم من هذا الاتساع في الرقعة الجغرافية والانتشار للقبيلة، فإن منطقة الزاب تبقى المكان المركزي لتواجد عناصر القبيلة. وفي أواخر القرن الرابع عشر، بلغت قبيلة الذواودة قمة مجدها وعزّها سياسيا واقتصاديا وفرضت نفسها سياسيا وعسكريّا علي الدولة الحفصية. ولما حل العثمانيون ببلاد المغرب تواصلوا مع الذواودة وكسبوا ولاء قبيلتهم ابتدا من عهد البايلر باي خير الدين بربروس، وتمثل ذلك في دعوة خير الدين بربروس كافة القبائل سنة 936هـ/ 1529م إلى قراءة الخطبة باسم السلطان العثماني سليمان المشرع. فاستجاب الذواودة لدعوة خير الدين، وبالمقابل تعهد هذا الأخير بعدم المساس بما تحت أيديهم من أراضي، وترك لهم الحرية في اختيار أمرائهم بأنفسهم والعمل بأعرافهم الاجتماعية [2].

وهكذا كانت قبيلة الذواودة قوة اجتماعية، وبرزت من خلالها أسرة بوعكاز التي كان لها دور كبير طيلة العهد العثماني بالجزائر. فبعد ما اندحرت القوات الفرنسية؛ التي هاجمت مدينة جيجل في 22 يوليو1664م، وتحالف القوات العثمانية مع قوات أهل زواوة وقوات بايلك الشرق ضدّها، وبعد ما خفت وطأة وباء الطّاعون؛ الذي بلغ أوج شدته سنة 1661م [3]، تحسنت الأوضاع في بايلك الشرق، وعلى وجه الخصوص بمنطقة أهل زواوة، وعاد الهدوء والسلم إلى البايلك. إلاّ أنّ ذلك الهدوء و ذلك السلم، لم يعمرا طويلا، على غرار ما عاشته البلاد سابقا،

---

1) حرزالله، المرجع السّابق، ص. 90.

2) معاشي، الأسر المحلية... ، ص ص. 31 – 36.

3) القشاعي، الواقع الصحي والسكاني...، ص. 233 .

من حركات مناوءات وثورات، إذْ قامت ثورة جديدة، ضد السلطة العثمانية، بقيادة قبيلتي الحنانشة والذواودة [1]. فما هي أسباب ودواعي ثورتهما ؟ وما هي نتائجها؟

قبل تناول الأسباب والدّواعي ، وما ترتّب عنهما من نتائج، نقدّم تعريفا ولو وجيزا بقبيلة الحنانشة، على غرار تعريفنا بقبيلة الذواودة.

تعيش قبيلة الحنانشة بأقصى الشرق الجزائري على منطقة عرفت قديما بنميديا، وقد حدّدها الدكتور طوماس شو (Thomas Shaw) وقال : « هي محصورة مابين واد حميز ومسكيانة وما بين نهر مجردة ». وبذلك فهي تتميّز بالإمتداد الواسع ، مع الخصوبة. وتعد قبيلة الحنانشة من أكبر القبائل الجزائريّة وأقواها بأقصى شرق الإيّالة. كما تتميّ هذه القبيلة بكونها قبيلة محاربة، مع أنها حضريّة في ذات الوقت. كما يعود لها الفضل على كل سكان الإيّالة في حروبها الأخيرة مع تونس انطلاقا من منطقتها [2]. أما عن نسبها فيعود إلى الخليفة عمر بن الخطّاب [3].

-) أسباب الثورة .

تعود أسباب قيام ثورة قبيلتي الحنانشة والذواودة، سنة 1666م، إلى السياسة التي انتهجها الباي محمد بن فرحات 1063-1077هـ/ أكتوبر 1653م - 1666 م ببايلك الشرق، والذي تولّى مهمّة البايلك خلفا لفرحات باي بن مراد باي (1057هـ- 1063هـ) الموافق لـ (1647م- 1653م). فأراد أن يضيف موارد مالية إضافية يدعّم بها خزينة البايلك. فاجتهد،

---

1) معاشي، الأسر المحلية... ، ص. 36.

2) Docteur Chaw , voyage dans la régence d’Alger, op cit, p. 378.

3) Féraud, (L.Ch) , R. A., 1874, p . 349 .

وفكر، ثم أقدم على فرض ضريبة جديدة على السكان، وهي ضريبة اللزمة [1]، على القبيلتين المذكورتين سابقا (قبيلة الحنانشة وقبيلة الذواودة)؛ لكنهما رفضتا هذا الإجراء، وامتنعتا عن دفع هذه الضّريبة. ولم بكتف أهل الذواودة والحنانشة بالعصيان، والامتناع عن دفع الضريبة، بل قاموا بالهجوم على السلطة المحلية المتمثلة في مقر الباي بعاصمة بايلك الشرق، وكان ذلك خلال أواخر عام 1066هـ، الموافق لمنتصف صيف عام 1666م [2].

-) موقف السلطة العثمانية:

لما هاجمت قبيلتا الحنانشة والذواودة مقر البايلك بقسنطينة، لم يبق للسلطة العثمانية إلا أن تواجه المهاجمين، وتصد الهجوم. فحركت قواتها العسكرية، قوات المرابطة بالمدينة والمسماة بالمحلّة[3]. وتتكون من: الإنكشاريين لكونها محلة محلية تابعة للباي. وفي ذات الوقت طلب الباي النجدة من باشا الجزائر الحاج علي آغا، الذي لبى النّداء، وأرسل على جناح السرعة محلّة أولى، ومعلوم أن المحلة التي تكون بالجزائر العاصمة مخصّصة لجمع الصرائب من البايلكات في مدّة أقصاها ستة أشهرحيث جاء في عهد أمان محلة الغرب ما نصّه:

---

1) **اللزمة** : هي ما تدفعه القبائل المغلوبة لتموين الجند في الأرياف، وتتمثل في رسوم نقدية أو عينية، وكمياتها تكون حسب المناسبة والضرورة. (انظر: سعيدوني، النظام المالي للجزائر ...، ، ص. 96،97.

2) محرز، مرجع سابق، ص. 129.

3) **المحلّة** : مفرد محلات. وهي فرق عسكرية تتألف من عدّة نوبات (وحدات). ترسل إلى البايلكات (بايلك الشرق، وبايلك الغرب، وبايلك التيطري) في فصلي الربيع والخريف لمساعدة البايات في تحصيل الضرائب والتدخل إن لزم الأمر، ولا تعد إلى العاصمة إلا بعد إنهاء مهمتها ، والتي تتراوح ما بين أربعة أشهر و ستة أشهر، وذلك حسب شساعة البايلك وكثافة سكانه وتعاملهم مع المحلة، ما ينصّ عليه عهد الأمان. للمزيد من التفاصيل، انظر: شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر...، ص ص. 19- 35.

« وخلاص المحلّة ستة أشهر مقطوع، وإن جاوز يوم واحد فبرضانا »[1] ، وهذا في فصلي الربيع والخريف، وتتكون من فرق الإنكشارية وفرق الزمالة، وفرق الدواير[2].

لم يكتف الآغا الحاج علي بالمحلة الأولى المرسلة، بل أردفها بمحلة ثانية، لكن قبل وصول النجدة المرسلة من قبل الجزائر، تمكّن الثّائرون في البداية من التغلب على القوة المحلية. غير أن بعد وصول الدعم العسكري من الجزائر تراجع المتمردون القهقرى مرغمين على فك حصار المدينة. ولكنّه تراجع مؤقت، لأنّ الاضطرابات ستظل قائمة إلى غاية سنة 1670م [3].

وأمام هذا الاستمرار للاضطرابات وعجز سلطة بايلك الشرق عن وضع حدّ لها، قام الآغا الحاج علي (1664–1671) م بعزل باي قسنطينة محمد بن فرحات عقابا على عجزه، ثم صادر ممتلكاته، وعوّضه بباي آخر هو الباي رجب ابتداء من شهر ربيع$_1$ 1077هـ/ أكتوبر 1666م، ليستمر على **رأس** البايلك إلى غاية سنة 1083هـ/1672م والذي جاء مصمّما على بسط الأمن والهدوء بالإقليم [4].

ففي البداية واصل سياسة القوة، واعتمد على الحل العسكري، بالرغم من الانتصارات التي حققها إلاّ أنّه فشل في النّهاية؛ ولذلك فضل الحل الدبلوماسي عن طريق تحويل العداوة

---

1) توفيق دحماني، دراسة في عهد الأمان القانون الأساسي السيّاسي والعسكري بالجزائر، الدار العثمانيّة، الجزائر،2009، ص. 67 .

2) شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ ...، ص. 32 .

3) محرز، مرجع سابق، ص. 129 .

4) العنتري، فريدة منسية....

إلى صداقة، وكعادة بعض الأتراك يحولون الأعداء إلى حلفاء عن طريق الزواج السيّاسي، كما تعرضنا إليه سابقا، بين البايلر باي حسن بن خير الدين وسلطان كوكو[1].

حيث قام الباي الجديد (رجب) بتزويج ابنته، أم هانيء بأخ شيخ قبيلة الذواودة، يتلمس الأمن من خلال هذه المصاهرة التقرب من الأسر النّافذة والقويّة، وهي إحدى السبل والطرق التي كثيرا ما استعملتها السلطات العثمانية ؛ وذلك من أجل كسبها وجعلها وسائط ضغط ومساعدة [2].

وبالرغم من ذلك فقد تواصلت الاضطرابات، خاصّة بعد تحالف قبيلة الحنانشة مع بني عباس، وكان من نتائج هذا التحالف؛ أن أصبح الطريق المار بالبيبان مهدّدا بالقطع، ومن الصعوبة بمكان عبوره إن لم يكن تحت حماية أهل المنطقة. وهذا ما يفهم من كلام رضا بن حمدان خوجة، بعد ما مر به خلال رحلته مع أبيه إلى قسنطينة، وقال واصفا خطورته : « لم يتمكن الأتراك وهم في أوج قوتهم أبدا من عبور البيبان بالقوة... وسمي هذا الممر الضيق هكذا

---

1) **الزواج السياسي** يكون إما بين حاكمي دولتين، أو بين زعيمين لقبيلتين أو حزبين في نفس الدولة، وهدفه التقارب بين الأطراف بغية التحالف، أو التّوسع، أو تأمين الجانب،.. ومثال ذلك: كزواج بايزيد الأول بدولت شاه خاتون إبنة حاكم كرميان، وزواج جوانا المجنونة بفرديناند الأرغواني، وتصاهر فيرديناند الهابسبورغي والملك المجري. (انظر، إلبير أُورطايلي، نحن وتاريخنا (tarihimiz ve biz) ، مرجع سابق، ص. 65. وتزويج الملك ماكسيمليان الأول (1493–1519) أبناؤه وبناته من العائلات المالكة بأوربا. (انظر، محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، ص. 230. أما في الجزائر، عقد تمت زيجات سياسية كثيرة نذكر منها : زواج خير الدين بربروس وزواج إبنه الكرغلي حسن من أسرة آل القاضي، وزواج علي بتشين من نفس الأسرة، وزواج أحمد القلي من عائلة بن قانة، ومحمد الشريف والد أحمد باي... الخ من الزيجات التي تمت بين عثمانيين وأهالي.

2) للمزيد أنظر الفصل الثاني من هذه الرسالة بعنوان أدوات وأساليب السلطة العثمانية في اخضاع السكان .

لأنه عبارة عن جبلين منيعين يوجد بينهما طريق عميق هو في الواقع مجرى سيل » [1]. وأمام تأخر الحسم، أرسل الأغا الحاج علي محلة أخرى كدعم للقوى المحلية، حيث بعد ذلك تمكّن باي قسنطينة من إخماد الشغب [2].

5- حركة الكراغلة بتلمسان (1669م) [3].

اعتمد العثمانيون، كما أشرنا سابقا، على مصاهرة العائلات المهابة كأحد السبل والطرق من أجل التقرب من المجتمع المحلي، من أجل الاستقواء بها على بقية الأهالي، ومن ثمة الولوج إلى سياسيا والتحكم في الرعية؛ وبالتالي التمكن من البقاء والإستقرار، فتواصلوا مع العائلات الكبيرة والقوية، مثل: عائلة بن قانة ببسكرة، وعائلة المقراني بمجانة، وعائلة بن القاضي صاحبة إمارة كوكو، وعائلة بن شهرة بالجنوب. كما أن حالة العزوبة التي جاء بها أغلب العثمانيين إلى الجزائركان لها دخل في التقارب والمصاهرة. فكان من نتائج تلك المصاهرات ظهور جيل جديد من آباء أتراك وأمهات غير تركيات (جزائريات)، عرف بالكراغلة. وعن طريق تلك المصاهرة عزَّز العثمانيون وجودهم، وبأصهارهم تحكموا في الأهالي، وفي نفس الوقت قد استفادت تلك الأسر من امتيازات سيّاسيّة ومن نفوذ اجتماعي. وما هي إلا بضعة عشرات من السنين حتى أصبح في الجزائر جيل من المولّدين كوّن فئة

---

1) علي رضا بن حمدان خوجة، ذكريات رحلة من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر المناطق الجبلية، تقديم وترجمة علي تابليت، منشورات ثالة، الأبيار(الجزائر)، (د. ت.)، ص. 23، 24.

2) محرز، مرجع سابق، ص. 129، 130.

3) ليست هذه الثورة الوحيدة التي وقعت بتلمسان، بل هناك ثورة أخرى اندلعت خلال مرحلة الباشوات سنة 1038هـ/ 1629م، والتي قام بها رجل من المغرب الأقصى، لكنه قتل مع خليفته وسلخ جلديهما ومُلِأى بالتبن وحُمِلا إلى الجزائر العاصمة . (انظر إبن المفتي: تقييدات إبن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، بيت الحكمة، مصدر سابق، ص: 48).

مميزة عرفت بفئة الكراغلة. وتحول عناصرها من مجرد أفراد عاديين في المجتمع، إلى فئة مميّزة، لها خصوصيّاتها، ولها وزنها وظروفها ومطالبها [1].

تعد تلمسان من المدن الرّئيسيّة ببايلك الغرب الجزائري؛ التي استقرّ بها الكثير من الكراغلة؛ سواء من الذين قصدوها بمحض إرادتهم؛ لكونها مدينة جاذبة بحكم ماضيها كعاصمة. أو من الذين ولدوا بها، أو من الذين قصدوها مجبرين بعد موجة طرد الكراغلة من مدينة الجزائر، ونفيهم إليها، بعد فشل حركاتهم المناكفة للسلطة، خاصّة خلال سنتي 1629م و 1633م. ومع مرور الوقت، شكّل الكراغلة في مدينة تلمسان تكتّل اجتماعي، وفئة مميّزة، إذْ أصبحت تتحكّم في السلطة الفعلية في مدينة تلمسان، وشكّلت قوّة محليّة منافسة وموازية للسلطة المركزيّة، حيث كانت تتولّى تسيير شؤونها عن طريق مجلس خاص بها، وفي نفص الوقت أصبحت تعارض كل القرارات الصّادرة عن السلطة الحاكمة في الجزائر، خاصّة ما يتعلّق بالضّرائب وما له علاقة بالجوانب الاقتصاديّة، وهذا ما يعتبر عصيان وخروج عن الطّاعة. وبهذه السلوكات وبهذه السيّاسة آلت العلاقة إلى التّصادم بين الطّرفين(السلطة العثمانيّة والكراغلة). فكانت تلك السيّاسة التي انتهجها الكراغلة (العصيان) سببا في شن حملات عسكريّة قصد إرغام الكراغلة على الطّاعة والإمتثال إلى سياسة السلطة العثمانيّة وبالتّالي تأديبها. وبما أن الحسم قد تعذّر لصالح أي طرف، فقد استمرّت تلك السخط إلى غاية القرن الثّامن عشر(18م)، حيث ثار الكراغلة من جديد وأعلنوا ثورة أخرى؛ ممّا أجبر السلطة المركزيّة بالعاصمة، إلى إصدار قوانين تعترف بموجبها بمطالب الكراغلة [2].

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري....، ص. 170، 171، 172 .

2) بقلم الأستاذ المشرف.

-) **أسباب ثورة الكراغلة .**

إذا كان لبعض هؤلاء الكراغلة حظ في بعض الامتيازات خاصة في المجال السياسي؛ كحسن بن خير الدّين، فإن ذلك لا ينطبق على السواد الأعظم منهم [1]. وفي هذا السياق يقول الرحالة سيمون بفايفر: « وليس لأبناء الأتراك الحق في شغل المناصب السامية في الدولة، ومع ذلك يصلون أحيانا إلى مراكز معتبرة،..» [2]. وهذا ما يؤكده حمدان خوجة لما يتطرق إلى علاقة الكراغلة بالوظائف السياسية فيقول عنهم؛ بأنهم مثل السكان يتحاشون الخوض في السياسة إلا أن البعض منهم بلغ مناصب سياسية معتبرة ومنهم [3]:

- عثمان بن محمد باي الكبير تقلد منصب باي وهران (1799- 1802م).

- محمد المقلش بن محمد باي الكبير تقلد منصب باي وهران (1805- 1807م).

- محمد باي الكبير المسمى محمد بوكابوس، تقلد منصب باي وهران (1807- 1812م).

كما سجل لنا العنتري بعض الكراغلة الذين تولوا منصب باي ببايلك الشرق ومنهم [4]:

- حسن باي بن حسين بوحنك (1792- 1795م).
- حسين باي ولد صالح باي (1806- 1807م).

---

1) أ. شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره ، (د. ك.ع.)، الجزائر، ط$_1$، 2011، ص. 109.

2) سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، مج$_1$، الفصل $_{10}$، تر: أبو العيد دودو، (ش. د. أ)، 2009، ص. 177.

3) المزاري ، مصدر سابق، ص. 290 وما بعدها.

4) العنتري، مصدر سابق، ص. 67.

- الحاج أحمد باي بن محمد الشريف (1826- 1837م)، وهو آخر بايات العهد العثماني.

أما بايلك التيطري، فنذكر منه الباي محمد الذباح (1608- 1671م) [1]. ولم يقتصر الأمر على منصب الباي فقط، بل هناك وظائف أخرى تقلدها الكراغية، ومنها وظيفة نظارة الأوقاف، ومن الذين مارسوها، نذكر: بيحاج لزغلر ببايلك التيطري، وعمر كردغلي الذي كان ناظرا على أوقاف مسجد سيدي عبد الهادي بقسنطينة، وكراغلة آخرون كانوا نظارا بدار السلطان، منهم: مامي آغا بن محمد التريكي سنة 1688م، وأحمد آغا بن يوسف التريكي، و محمد آغا بن والي التركي سنة 1686م،...الخ. إلا أن هذا الذي تم استعراضه لا يتناسب مع عدد الكراغلة المنتشرين هنا وهناك آخرون، بكبريات مدن الإيّالة.

وهذا ما كان مدعاة لغضبهم واحتجاجهم. ولذلك يدرج بعض المؤرّخين هذه الثورة تحت عنوان "ثورة الكراغلة"، والتي دامت ست سنوات كاملة، وهو ما يدل على قوتها، حتّى أنّ رقعتها توسّعت إلى خارج مدينة تلمسان وشملت بعض ضواحيها، كما أنّ طول نفسها وعجز السلطة العثمانية عن حسمها في وقت قصير، إلى درجة أن وصفها بعضهم بالكبرى. ففي سنة 1669م، لم يكن من المتوقع قيام هذه الثورة، حيث اندلعت أثناء حصار القوات العثمانية للأسبان بمدينة وهران، حيث كانت هذه الثورة المفاجأة سببا في فكّ الحصار المضروب على المدينة قبل أن يحقّق مبتغاه؛ وهو ما يوحي بأحد الاحتمالين:

- الأول قد يكون مؤامرة بين القوات الأسبانية وحكام مدينة تلمسان؛ حتّى يتم فك الحصار.

---

1) حبيبة عليليش، الكراغلة في المجتمع الجزائري العثماني القرن 10- 13هـ/ 16- 19م، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2017، ص. 33.

– أمّا الاحتمال الثّاني، فقد يكون بدافع ذاتي من الكراغلة أنفسهم، إذْ اغتنموا فرصة انشغال قوات السلطة العثمانية بالحصار فثاروا. ونحن نرجّح الاحتمال الأخير؛ لكون الكراغلة عانوا كثيرا من التهميش والتمييز من قبل آبائهم (الحكام). فكانت ثورتهم بمثابة انتقام وإثبات وجود. و قد تكون حركتهم كردة فعل عن المعاملة السيّئة لهم والتي توجت بنفيهم من مدينة الجزائر إلى العديد من المدن والمناطق ومنها: وادي الزيتون، ومدينة تلمسان. ويمكن تلخيص تلك الأسباب فيما يلي:

1– تكوين تكتّل اجتماعي للكراغلة، وفئة مميّزة ، مما جعلهم يشعرون بنوع من القوّة.

2– وشكّلت قوّة محليّة منافسة و موازية للسلطة المركزيّة، وبيدها السلطة الفعلية.

3– أصبحت تعارض كل القرارات الصّادرة عن السلطة الحاكمة في الجزائر، وترفض تطبيقها خاصّة ما يتعلّق بالضّرائب.

–) موقف السلطة من حركة الكراغلة.

كان لثورة الكراغلة التأثير المباشر على سير الأحداث الجهوية، إذْ سرعان قامت السلطة العثمانية بمحاولة وضع حد لحركة الكراغلة الثّائرين بتلمسان. لكن تواجد الكراغلة بأعداد كبيرة في المدينة والتمترس بداخلها صعّب من مهمة القوّة الحكوميّة؛ ممّا عجّل بفك الحصار لتعود القوات النّظامية إلى مدينة الجزائر، وهو ما يعتبر نصرا مؤقّتا للكراغلة على السلطة. لم يكن الانسحاب إلى الجزائر خطوة نهائية وإنّما كان للاستعداد الأفضل وإعداد العدّة اللاّزمة لما هو آت مستقبلا. ففي العام الموالي 1670م وبعد الاستعدادات وجّه الباشا الحاج علي آغا محلّة وسيّرها صوب مدينة تلمسان لإخماد نار الثورة وإنهاء التمرد. ولكن تحالف القبائل المجاورة لمدينة تلمسان مع الكراغلة حال دون ذلك، وفشلت الحملة. وكما علم الباشا الحاج علي آغا بنتيجة الحملة إلاّ أنّه لم يفشل واستعدّ من جديد.

ففي السنة الموالية 1082هـ/1671م، جهّز حملة أخرى، قوامها محلة كاملة [1]، وسيرها مرّة أخرى بتلمسان نحو المتمردين، آملا أن تكون فاصلة وتنتهي بها فصول هذه الحركة المناوئة، لكنها أيضا هي الأخرى كسابقتها، كان مآلها الفشل أمام تصميم الكراغلة [2].

- المواقف المختلفة من ثورة الكراغلة.

حينما نتمعن في الامتداد الزّمني لثورة الكراغلة بتلمسان، خلال النصف الثّاني من عهد الآغوات، ولأزيد من ثلاث سنوات، فإننا نتساءل عن السر الكامن وراء هذا الصمود أمام القوات الحكومية، وعن القوة التي وراءها. بالرغم من المصادر والمراجع حول هذه الثورة، إلاّ أنّ التأمل في الإطار المكاني لثورة تلمسان نجدها قد ظهرت بالمدينة أول الأمر، ولكنها توسعت ومست ضواحيها، وهذا ما يقودنا إلى وجود حاضنة ودعم من الأهالي، وهي في اعتقادنا إحدى عوامل صمودها في وجه السلطة العثمانية طول هذه المدّة.

هذا عن المستوى الدّاخلي، أمّا خارجيّا فأمين محرز يذكر بأنّ ثورة الكراغلة التي ظهرت بتلمسان قد وجدت دعما وتحريضا من المرابطين بالمغرب الأقصى. واستمر الحال بلا غالب أو مغلوب إلى غاية شهر فبراير من سنة 1675م، أين تمكّن الباشا الأول في عهد

---

1) **المحلة** هي: فرقة عسكرية تخرج من مدينة الجزائر مرتين من كل سنة (في فصلي الخريف ، والربيع) إلى أرياف البايلكات لتعين باياتهم على جمع الضرائب من القبائل الخاضعة. وتتكون من عساكر انكشاريين، وزمول (فرسان المخزن)، ودواير؛ أي:(الرجال المتطوعون والقادرون على حمل السلاح). أما عدد أفراد المحلّة، فيختلف من محلّة إلى أخرى، حسب البايلك؛ فخمسمائة جندي لبايلك الشرق، ثلاثمائة لبايلك الغرب، مائتان لبايلك التيطري . ومن واجبات المحلة؛ الدفاع عن المدينة من أي خطر خارجي إلى جانب الحاميات المحلية، والحفاظ على الأمن، وإلا تعرّض المعني من أفرادها إلى العقوبة. انظر،شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519- 1830م، ص، ص. 19، ها(18)، ص. 30 وما بعدها.

2) محرز، مرجع سابق، ص. 130.

الدّايات وهو الدّاي الحاج محمد باشا (1082-1093هـ/ 1671-1675م)، من إخماد هذه الثورة وتشتيت قواها، ودخلت قواته مدينة تلمسان، وعاثت فيها وفي أهلها فسادا وتنكيلا.

وقد شهد ذاك العنف والتنكيل سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني ونقله لنا من خلال قصيدته التي يحمل عنوانها مضمونها والذي هو: " الإعلام فيما وقع للإسلام من قبل الترك بتلمسان" [1].

إنّ ما يمكن استخلاصه في نهاية هذا الفصل (الخامس)، وبعد دراسة هذه المرحلة؛ هو كونها مرحلة جاءت على إثر انقلاب عسكري، من قبل الآغوات الإنكشاريين المحليين على الباشوات المعينين من الباب العالي. فبعد الانقلاب الذي وقع سنة 1080هـ/1659م، والذي ترجع أسبابه عند البعض إلى السيّاسة الاقتصادية والمالية التي انتهجها معظم الباشوات، استولى الإنكشاريون بواسطة الديوان على السلطة لينتهي دور الباشوات سياسيا، ويبدأ عهد جديد هو:عهد الآغوات. فكان عهدا دمويا تمثّل في الإغتيالاة المتواليّة على مستوى قمّة السلطة (على مستوى هرم السلطة) [2].

---

1) محرز، مرجع سابق، ص. 130.

2) ج. ب. وولف، مرجع سابق، ص. 139.

الفصل السادس

مرحلة الدّايات الفترة الأولى (1671- 1800م)

- المبحث الأول: مميزات المرحلة الأولى وأوضاعها السياسية .

1) مميزات المرحلة.

2) الوضع السياسي.

3) الوضع الأمني.

- المبحث الثّاني: الحركات المناوئة في عهد الدايات الأول.

1) حركة الإنكشاريين (الأوجاق) 1688م.

2) حركة الإنكشاريين (للمرة الثّانية) 1694م.

3) حركة الإتكشاريين (للمرّة الثّلثة) 1710م.

4) حركة أهل زواوة 1745م

5) حركة أولاد نايل 1763م.

6) حركة أهل زواوة (فليسة) 1767م.

7) حركة أهل الأغواط 1785م.

تناولنا في الفصل السابق مرحلة الآغوات، وبما تميزت به، وكذلك الحركات المناوئة التي تزعمها الآغوات أنفسهم. **و** في هذا الفصل السّادس سنتناول الفترة الأولى من المرحلة العثمانية الأخيرة ؛ وهي مرحلة الدّايات، في الجزائر، والتي تغطّي أزيد من قرن وربع القرن. وعموما فالمرحلة بجزئيها تمتد من: (1082 إلى1246هـ/ 1671 إلى 1830م). وفي الجزء الأول منها، سنتطرق إلى عنصرين رئيسيين.

العنصرالأول: ويتعلق بالمرحل نفسها إذْ سنحاول تقديم صورة موجزة، للتعرف عليها، وعلى مميزاتها، وعلى أوضاعها السيّاسية والأمنية، وذلك لما لهما من انعكاس على بعضهما البعض، ومن تأثير على الوضع العام.

أمّا العنصر الثّاني فسنتناول فيه أهم الحركات المناوئة للسلطة العثمانيّة بالجزائر، محور بحثنا، والتي ظهرت خلال هذه الفترة، محاولين الوقوف على أهم تلك الحركات وعلى أسبابها، ونهاياتها

المبحث الأول: الوضع السياسي للمرحلة ومميزاتها .

يقسم بعض المؤرخين مرحلة الدّايات [1] إلى فترتين، وذلك ، حسب ما يبدو، بناء على حالة العلاقة السّائدة بين الباب العالي وإيّالة الجزائر. حيث تبدأ الفترة الأولى من تولّي الدّاي الحاج محمد[2] حكم الجزائر من (1082هـ/1671م إلى 1093هـ/1682م)، على اثر انقلاب قامت به طائفة الرياس التي غيرت شكل الحكم؛ الذي تحول من آغا الهلالين إلى داي مدى الحياة[3]. واستمرت إلى غاية مقتل الدّاي مصطفى بكتاش سنة 1122هـ/1710م، وتولية الدّاي الجديد سوكه لي علي باشا چاوش، الذي تحصّل على رتبة البكلربكية عام 1123هـ/ 1711م. وهو الذي منع الداي شارقان إبراهيم باشا المعيّن من قبل الباب العالي، من توليته حكم إيالة الجزائر، وأجبره على العودة من حيث أتى إلى اسطنبول. وهذا مثّل ما جرى في بداية عهد الأغوات بين خليل آغا(الانكشاري) وعلي باشا المعين من الباب العالي عام 1070هـ/

---

1) **داي** « دايي» بيائين، وتعني الخال في اللغة التركية، ولما نطقها وكتبها العرب صحّفوها إلى « الداي ». أما اصطلاحا فقد اطلقت على قائد الجيش البحري (الأسطول). وفي الجزائر فقد أُطلق هذا الإسم على القادة البحريين الذين كانوا ينتخبون من قبل المجلس لحكم الجزائر (افتراضا) مدى الحياة . (انظر: فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، ط1، بيروت، 2007م، ص. 542) . لكن هناك البعض منهم من حكم لمدّة وجيزة وترك السلطة، وبعض آخر من أصبح دايا من غير اجماع أعضاء المجلس. وعموما قد تولى ثلاثون دايا في الفترة الواقعة بين سنتي 1676- 1830م وقتل منهم ستة عشر (16) دايا، وقد كان يشترط على المترشح لتولي الدايوية، أن يكون قد تولى وظيفة آغا الإنكشارية أو خوجة الخيل. انظر : فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص. 551.

2) **هو محمد التركي** المعروف بالترك دولاتلي، تولى الولاية وهو متقدم في العمر، أشرك في الحكم **صهره** بابا حسن (أوزون)، أما هو فلم يمكث على العرش سوى 10 أيام، حيث لما علم بمكيدة دبرت له، فر إلى طرابلس الغرب. (انظر، محمد بن ميمون ، ، مصدر سابق، ص. 23.

3) درياس، مرجع سابق، ص. 13 .

1659م، مع الفارق أنّ خليل آغا لم يستطع اقناع الباب العالي بفعله اتجاه الوالي المرسل[1]. وبهذا الموقف من إيّالة الجزائر حيّال بعثة السلطان يكون عهد الدّايات قد دخل مرحلة جديدة في تعامله مع الباب العالي.

أمّا الدّاي سوكه لي علي جاوش فقد استطاع أن يقنع السلطان العثماني أحمد الثّالث، أو على الأقل ينال إعجابه وثقته، فتحصّل على لقبين هما: منصب الدّاي الذي يشغله بالإضافة إلى رتبة بكلربكي (بايلر باي)[2]. وهكذا أصبح حكام إيالة جزائر الغرب ابتداء من تاريخ 1122هـ/1710م يجمعون بين المنصبين، ويسمون بالباشوات، الشيئ الذي وسّع من صلاحياتهم، وأصبح دور الدّيوان دورا شكليا فقط ،من غير نفوذ[3]؛ وهو عكس الفترة الأولى من مرحلة الدايات (1671م- 1710م)، واعتبارا لهذا، قُسِّمت هذه المرحلة من قبل بعض المؤرخين إلى فترتين كما أشرنا سلفا. فماهي الصلاحيات الموكلة للدّايات ؟ أو بالأحرى ما هي الواجبات المنوطة بالدّايات ؟ ويمكن عرض صلاحيات أو واجبات الدّايات و حقوقهم على النحو التّالي[4] :

---

1) فاضل بايات، الدّولة العثمانية...، مرجع سابق، ص. 545. (وانظر كذلك، حكيمة منصور، السلطان العثماني محمود الثاني ومسألة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1808–1839)م، منشورات ألفا، ط1، الجزائر، 2014م، ص. 65.

2) هذا اللقب منح من قبل الباب العالي لحكام الجزائر الأوائل وانقطع منحه بعد العلج علي (1587م).

3) بيات، مرجع سابق، ص. 545.

4) H. D. Grammont, Alger sous la domination Turque (1515-1830), éd. Bouchéne, Paris, p. 272.

- السهر على تحقيق الأمن عموما وأمن الطرقات على وجه الخصوص بالتعاون مع القبائل الموالية وشيخ البلد ونقيب الأشراف [1].

- توفير المداخيل المالية والمحافظة على دفع رواتب الجيش في الأوقات المحدّدة، ومراقبة الأسعار والمحافظة عليها من المتلاعبين بها.

- المحافظة على التوازن بين العملة المحلية والعملة الأجنبية .

- المحافظة على طقوس واجراءات تعيين بعض الموظفين (البايات و قادة دار السلطان وخوجة مخزن الزرع) ومراسلات القبائل فيما يخص الأمور الأمنية [2].

ويبدو أن صلاحيات الدايات قد عرفت توسعا، لا سيما في العهد الأخير، إذ ورد في الوثائق أنّ الدّيات كانوا يتولّون أمر تعيين القيّاد والشّيوخ في كلّ أنحاء البلاد، وأصبحوا يتقاسمون تلك الصّلاحيات مع البايات، ربما ذلك يعود إلى كون تلك التعيينات توفّر مداخيل إضافيّة للدّايات [3].

- الحقوق هي:

- الحصول على نسبة الخمس ثم السبع ثم الثمن من مداخيل الغنائم.

- الحصول على مداخيل من بايات الأقاليم، مع الحق في بيع الوظائف.

---

1) حمدان بن عثمان خوجة ،المرآة، ص. 161، 125.

2) نفسه، ص. 125.

3) أرزقي ، شويتام، « *تعيين القيّاد والشيوخ في عهد الدّاي علي خوجة من خلال الوثائق* » مجلّة التّاريخ، جامعة بوزريعة.

- تقاضي الدّاي لمرتبه الذي كان يتقاضاه كإنكشاري، مع المؤونة المخصصه لمعيشته.

• **صلاحيات الدّاي.**

يعتبر حكام الإيالات العثمانية بمثابة نوابا للسلطان العثماني على المستوى المحلي، بما في ذلك حكام إيالة جزائر الغرب، ولتجسيد تلك النيابة ؛ أُعطيت لهم صلاحيات واسعة، وقد تكاد تكون مطلقة خاصة بإيالة الجزائر، حيث تمكنهم من تسيير شئون إيالاتهم دون الرجوع إلى الباب العالي، ونعني بها الشئون الدّاخلية وتتمثّل هذه الصّلاحيات فيما يلي:

فبالإضافة إلى كون الباشا (الدّاي) هو بمثابة القائد الأعلى للقوات المسلحة فإنّ من صلاحياته ما يلي [(1)]:

- صلاحية تعيين الوزراء والبايات وآغوات النواب بالمدن، والقضاة والقياد والشّيوخ ومنحهم صلاحية التختيم (الطابع) بقرارات رسمية.

- صلاحية معاقبة الإنكشاريين.

- مراقبة ومحاسبة البايات ومتابعة أعمالهم وسياساتهم عموما.

- إدارة السياسة الخارجية للإيالة، من تفاوض، ومن عقد اتفاقيات،..

---

1) منصور، مرجع سابق، ص. 65.

2) حرفوش، مرجع سابق، ص. 150.

1/ مميزات المرحلة.

تميزت مرحلة الدايات الأولى بكونها أطول مراحل العهد العثماني بالجزائر، إذ امتدّت على مدى حوالي مائة وأربعين عاما، من سنة 1671م إلى غاية سنة 1799م. وهي بذلك تقارب مجموع المراحل الثلاث (البايلر بايات والباشوات، والآغوات) السابقة مجتمعة، ولا تقل عنهم إلاّ بإثنتي عشرة سنة؛ وبالتالي؛ فلا غرو أن تكون مليئة بالأحداث، لاسيما الإضطرابات وبعض الحركات المناوئة، مما تسبّب في أزمات سياسية وعسكرية. فسياسيّا، عرفت هذه المرحلة؛ تولي رياس البحر مقاليد الحكم المعروفون بالدايات، بعد ما أصبحوا على رأس السلطة في الجزائر، وهذا بعد عاصفة الفوضى واللا استقرار اللذان ميَّزا الفترة السابقة؛ فترة الآغوات [2]. وقد تعاقب عليها واحد وعشرون دايا ابتداء من الداي حجي محمد الذي تولى الإيالة سنة (1082هـ/ 1671م) إلى غاية الداي مصطفى الذي انتهت توليته سنة (1220هـ/ 1805م) [1]. كما تميز حكم الدايات بالتركيز على الوزراء الخزناج وآغوات الجيش والأميرال ووزسر الشؤون الخارجية والكتاب، والسفراء، في تسيير شؤون الدولة. أما الديوان فأصبح يصادق على الخرارات، لا غير [2]. وعموما فقد تميّزت بما يلي [3]:

- سلوك معظم دايات هذه المرحلة سلوكا دكتاتوريّا في حكم إيّالة الجزائر.

---

1) إلتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ....، ص. 664 .

2)) وولف ، مرجع سابق، ص.144.

3) عبد الرزّاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري، المسمات لسان المقال في النّبإ من النّسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسّيةالوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1983م، ص. 9، 10.

- تسلّط بعض اليهود خاصّة منهم القادمين من أوربا، والليفرنيّين منهم على أهم غقتصاديات الجزائر، كتجارة القمح، على سبيل المثال.

- تراجع عائدات المداخيل البحريّة.

- توتر العلاقات الجزائريّة التّونسيّة إلى درجة نشوب حروب بين البلدين.

- وقوع بعض الغارات المسيحية على الإيّالة، ومنها غارة أوريلّي سنة 1775م.

ومهما يكن، فإنّ انتقال الحكم من الآغوات بعد مقتل آخرهم (علي آغا) إلى الدّايات، قد شكّل وضعا جديدا بالإيالة. إذْ بعد تململ دام حوالي ربع قرن استقرت الأوضاع بعد ما تراجعت الاغتيالات نسبيّا. فلما تولى الحكم أول الدّايات الحاج محمد على (1082-1092هـ)/ (1671- 1681م) الثّري، على إثر ثورة ربيع 1082هـ 1671م حيث تم اقتراحه حاكما بالإجماع، إلى درجة الإكراه النّاعم، حيث يقول (جون بابتست) عن انتهاء فترة الأغوات باغتيال آخرهم وبداية مرحلة الدّايات: « وقد سارع الباشا الذي لعلّه كان يأمل في ملء الفراغ إلى رفع العلم والمناداة على الإنكشارية ليتبعوه ويعيدوا العمل بالنظام القديم للإيالة،..وهنا اقترح بعضهم أن يكون الحاج محمد،... هو الذي يجب أن يطلب منه تولّي السلطة، وقد توجّه الجمع الحاشد إلى محل إقامة الحاج محمد...ولم يرغب هذا الريس الحاج محمد [1] في حمل لقب الآغا ولذلك أصبح داياً » [2].

---

1) **وهو المعروف** بحاجي محمد آغا ونظرا لزهده في الحكم وتقدمه في العمر، أشرك صهره (بابا حسن أوزون) في الحكم، لكنه لم يمكث فيه سوى 10 أيام فقط، إذ أحس بمكيدة ففرّ على إثرها إلى طرابلس الغرب.(انظر: عمر حرفوش، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني الإدارة المركزية نموذجا، رسالة ماجيستير، إشراف، عائشة غطاس، جامعة الجزائر2، 2009/2008م، ص. 147.

2) وولف، مرجع سابق، ص ص. 143،144،145.

ومنذئذ أصبح الدايات من طائفة رياس البحر وبالانتخاب من قبلهم إلى غاية 1689م، كان الدايات الأربعة الأوائل من الريّاس قد تعرّضت الجزائر في عهدهم إلى حملات أوربية الحقت أضرارا بالغة بالأسطول الجزائري، ممّا أدّى إلى ضعف مركز رياس البحر. وكان هذا الوضع في صالح الإنكشارية، الذين تمكنوا من استرجاع نفوذهم ومكانتهم، وأصبح الدّايات منذ عام 1689م ، ينتخبون منهم لمدى الحياة [1].

وليقوم مقام الباشا المعين من قبل الباب العالي، وبعد ذلك استرجع الأوجاق (الإنكشاريون) زمام المبادرة، وأمسوا متنفذين من جديد عن طريق انتخاب أقدم وأكفأ الدّايات من بينهم[2]. وهكذا انتقلت القيادة من أصحاب البحر إلى أصحاب البر، وبهذا الانتقال باتت الإيالة شبيهة بالجمهورية، في ظل الحكم الإنكشاري.

كما عُرِف على حكام هذه المرحلة (الدّايات) بأصحاب الأيادي المطلقة إلى درجة الدكتاتوريّة، كم أسلفنا؛ لسلطتهم في مجالي جمع الضرائب، وحفظ الأمن، وخاصّة بعد سنة 1711م أين تم خلالها رفض الباشا المبعوث من قبل الباب العالي، وهي ربما الحادثة التي أشار إليها عبد الرزّاق ابن حمادوش الجزائري في رحلته بقوله:« وفي حادي عشر منه (جمادى الأولى)، موافق عشرة يونيه دخل رجل من آل عثمان سفيرا، يسمّى عندهم قبجي، بات في المرسى. ومن الغد طلع راكباوحده، لم تتوجه له الاختيارية لعلمهم أن ليس تحت مجيئه منفعة»[3]. وهي إشارة صريحة إلى استقلالية القرار المحلّي[1]. كما تغيّرت وضعية الدّيوان

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري ... ص, 38.

2) « Une Monarchie elective », in to regence d’Alger et le monde Turc, p: 56.

3) إبن حمادوش، مصدر سابق، ص. 120.

الصّغير والكبير كذلك: فالصّغير استبدل بمجلس الحكومة الشبيهة بمجلس الوزراء في وقتنا الرّاهن[2]، وأصبحت سلطته وصلاحياته نافذة ومؤثّرة، إلى درجة أن أبطل منع الدّيوان الدّاي من فتح باب يصل مابين منزله دار الحكومة الملاصقة؛ بحجة أن دار الحكومة لا يجب أن يكون لها إلاّ بابا واحدا [3].

أمّا الدّيوان الكبير الذي يعتبر بمثابة مجلس عام فقد تقلّصت صلاحياته، واختزلت في الاشراف على الاحتفالات الدّينية: كعيدي الفطر والأضحى والمولد النّبوي الشريف، بالإضافة إلى مواعيد تسديد المرتبات،... وبهذا التغيير الذي أضعف سلطة الديوان، مع رفض الباشا المعين من قبل الباب العالي وعدم قبوله تعزّزت سلطة الدّاي. لكن من ناحية أخرى بقيت يد الدّاي مغلولة[4]. وأمام هذا التناقض في سلطة الدّايات قيل عنهم: « مستبدّون ولكن ليسوا أحرارا، وأرستقراطيون ولكنهم محرومون من أرباح القرصنة »[5]. وهذا التوصيف يدعّمه وصف

---

1) لقد عبّر أحد الدّارسين عن هذه الحادثة وما تسبّبت فيه بقوله : « فقد استقلت الجزائر أو كادت عن الدولة العثمانيّة في عهد حكم الدّايات ». انظر: إبن حمادوش، المصدر نفسه، ص. 9، 225.

2) يتكون من الأعضاء التاليين: أمين الخزينة (الخزناجي)، ممثلين عن الإنكشاريين وجنود الاحتياط، الأميرال، وزير الخارجية، جماعة من الكتبة، السفراء، بعض المتعاونين. للمزيد، راجع، وولف، مرجع سابق، ص. 144.

3) المدني، محمد عثمان باشا داي ... ، ص. 191.

4) P. Boyer; «***Des Pachas triennaux à la revolution d'Ali Khodja 1671– 1817***» , in R.A. N° 495 , Puf, P .104.

5) سعيدوني، النّظام المالي للجزائر ....، ص. 24.

جون بابتست ولف للدّايات بقوله: « آباء بدون أولاد، وأزواج بدون زوجات، وطغاة بدون حرية، وملاّك للعبيد بدون حرية » [1] .

ومن المآخذ التي سجلها بعض المؤرخين على هذه المرحلة، هو تعيين بمناصب البايات كل من هب ودب، ولا يراعى في ذلك معايير الكفاءة السياسية والشخصية القيادية، وغيرها من المعايير الواجب مراعاتها. وفي هذا الإطار يذكر أحد المعاصرين والمقربين من دواليب السياسة والحكم فيقول: « ومن أكبر التجاوزات التي وقعت في حكومة الأتراك بالجزائر، هو إعطاء منصب الدّاي لأشخاص بلا مروءة ولا كفاءة »[2]. ونظرا لتلك الأوضاع عرفت الفترة الأخير من مرحلة الدّايات جملة من الاغتيالات بين صفوفهم، ومنهم على سبيل المثال والداي علي باشا الغسّال (1808- 1809م)، والباشا الحاج علي (1809- 1815م)، الدّاي مصطفى باشا (1798- 1805م)[3].

و لكن في الأخير، ورغم المآخذ على فترة الدّايات، فإنّنا نميل إلى اعتبارها مرحلة تطور إلى الأحسن، وخاصّة خلال القرن 18م، وكذلك من ناحية الاستقرارا فتعد أفضل من المرحلة السابقة لها، على الأقل قبل بداية القرن التّاسع عشر. فخلالها أصبح القرار السياسي الجزائري حرا بشكل شبه مطلق، واستكملت الجزائر خلال هذه المرحلة استقلال أراضيها من آ خر احتلال إسباني، بتحرير مدينة وهران سنة 1792م . أمّا على المستوى الخارجي، فقد عرفت

---

1) وولف، مرجع سابق، ص. 390.

2) حمدان، مصدر سابق، ص. 168.

5) قنان، مصدر سابق، ص. 20. انظر كذلك،، توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص. 76).

اضطرابات وتدهورا، خاصة على مستوى الجهاد البحري بسبب تزايد المنافسات البحرية بالبحر المتوسط، مما أثر على الملردودالبحري الجزائري [1].

كما تزامنت مع بدايات هذه المرحلة، بعض الأحداث، التي كانت لها علاقة وتأثير على الأوضاع الدّاخلية بشكل أو بآخر. فمن الأحداث البارزة والتي لها علاقة مباشرة، نذكر الصلح الذي يعرف بصلح نومويغن (Numwegen)، سنة 1679م، الذي تم بين القوى الأوربية المتصارعة فيما بينها (هولندا وإنجلترا، وفرنسا)، وتوجيه صراعاتها ضد الجزائر، وذلك عن طريق الهجمات الأوربية المتكررة عليها، والتي توجت بإخضاع الدّاي "بابا حسن" وتم إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين [2].

2- الوضع السياسي:

عرفت الجزائر خلال هذه المرحلة (مرحلة الدايات) التي بدأت على اثر انقلاب قادته طائفة الرياس اضطرابات سياسية على مستوى هرم السلطة، ابتداء من نهاية الفرن الثّامن عشر(18م) حيث تعاقب خلال مدة مائة وأربعون سنة العديد من الدّايات، أي ما بين (1659- 1799م)، على عرش الإيالة واحد وعشرون دايا، ابتداء من حجي محمد، إلى آخر الدّايات الداي مصطفى باشا (11213- 1220هـ/ 1798- 1805م) [3] ، ومن بين هؤلاء منهم من مات طبيعيا، بينما آخرون ماتوا قتلى، وهنا نتساءل ما سب قتل هولاء الدّايات ؟ ومن

---

1) كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، بيت الحكمة، العلمة (الجزائر)،2009، ص.188.

2) وولف، مرجع سابق، ص. 144.

3) تميزت عهدته بالحرب مع فرنسا وتحطيم مركزها التجاري، واحتكار القمح والحبوب من قبل السلطة العثمانية المحلية مما أدى إلى إرتفاع في الأسعار. انظر، يمينة درياس، السكة الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر 2007، ص. 14 .

كان وراء قتلهم ؟ أما وليام سبنسر فيذكر سبعة وعشرين دايا خلال الفترة الممتدّة من 1671م إلى1830م، ومن جملة هؤلاء مات أحد عشرة دايا اغتيالا [1]. كما أنّ هناك من يرى بأن هذه الفترة ناهيك عن طولها بالمقارنة مع الفترات السابقة لها، فإنّها قد عرفت شيئا من الاستقرار النسبي، لكنه ممزوج ببعض الاضطرابات ، وخاصة خلال الثلث الأخير من القرن الـ18م من مرحلة الدّايات [2].

وقد ورد ذكرها في العديد من المصادر التي عاصرت الفترة، إذْ جاء فيها، واصفا الحالة السّائدة آنذاك، والمتميزة بالفوضى، والخلافات والصراعات بين السلطة العثمانية وقبائل المنطقة (الغربية) من جهة، وبين قبائل المنطقة أنفسهم؛ كقبائل بني راشد وتاتشة وحميس ومادون وبني زقزوق والعطاف،... من جهة أخرى، فذكر الراشدي نقلا عن أحد المعاصريين (الهواري البوزاغتي) بقوله: « شاهدنا ذلك كله، وكان كبيرهم، كبير قبيلة العطاف، الشيخ البغدادي يحرّضهم على ذلك مع (غيره) كالسيد جلول بن عبد السلام والسيد ملوك » [3].

وأضاف واصفا حالة البلاد شرقا وغربا قائلا : « وكما عرفنا الحالة السائدة في الغرب الجزائري فإن الشرق الجزائري هو الآخر عاش قلاقل واضطرابات داخلية داخل الأوساط القبلية، خاصة الشرقية منها، ولكن المؤسف أنّها كانت بإيعاز وتحريض من باي تونس، هذا التحريض

---

1) اختلفت وتضاربت الأرقام فيما يخص عدد الدايات فعند توفيق المدني: 25 باشا، وعند اسماعيل العربي: 28 باشا.

2) منصور، مرجع سابق، ص. 67.

3) الرّاشدي، الثغر الجماني في ....، مصدر سابق، ص. 5.

قد يكون هو السبب الرئيسي في شن هجوم عسكري من قبل الجزائر على تونس في أواخر 1099هـ/1687م »[1].

وبالنظر إلى هذه الظروف والأوضاع، فإنّه ليس من الغريب أن تنتشر المظاهر السلبية كقطع الطرق والسرقة والاحتكام إلى القوة وسيادة الفوضى، خاصة في المراحل الأخيرة من فترة الدايات، حيث يقول عنها أحد المؤرخين: بأنها عرفت فوضى كبيرة بسبب العزل المتكرر للبايات، والتجاوزات. وبهذا اتسمت المرحلة الأخيرة من عهد الديات أي من سنة 1791م إلى غاية تولية الداي حسين باشا عام 1818م الذي يبدو أنه كان يتمتع بشخصية محبوبة، وقد وصفه حمدان بن عثمان خوجة بالرجل الفاضل [2].

ومهما اختلفت الآراء، فإنّ وضع الدّايات لا يحسدون عليه. ويصدق فيهم قول أحد القساوسة ويدعى فو (FAU) سنة 1142هـ/ 1729م:

« إنّ الدّاي في الغالب لا يخرج. فقد يحدث أنّه إذا خرج من قصره أن تستقبله طلقة من بندقية تعفيه من لقب الداي ومن واجباته »[3].

أما على مستوى علاقة الجزائر مع الباب العالي، فإنّها اتسمت بعد مرحلة البايلربايات بالشكلية، إذْ كانت مقصورة على تزكية الباب العالي للدّاي، الذي يتولّى الإيالة عن طريق إرسال فرمان التولية. بعد ما يتم اختياره محليّا [1].

---

1) بن ميمون، مصدر سابق، ص. 23.

2) حمدان، مصدر سابق ، ص. 173.

3) وولف ، مرجع سابق، ص. 390. وانظر أيضا، درياس، مرجع سابق، الجزائر،، ص. 195.

وأمّا من جانب الجزائر، فإن الحبل السري لم ينقطع تماما، فقد كانت بالمقابل تقدم الدّعم العسكري للباب العالي[2]، بواسطة أسطولها عند الحاجة [3]. وقد شاركت في العديد من المعارك البحرية إلى جانب القوات العثمانية الأخرى تحت قيادة الباب العالي في الكثير من المعارك منها: معركة بريفيزا التى كان بطلها خير الدّين بربروس، ومعركة ليبانت (Lipinto) ، ومعركة نافارين (Navarin) ، فضلا عن الولاء السيّاسي والرّوحي، خاصّة على مستوى السكّاني، وذلك ما تجسّده خطب الجمعة والدّعاء للسلطان.

---

1) درياس، مرجع سابق، ص. 195

2) هناك حالات امتنع بعض ولاة الجزائر عن تقديم الدعم للباب العالي، والشّاهد في ذلك رفض علي بتشين إرسال الدعم العسكري للباب العالي. راجع في ذلك الفصل السابق (فصل: الباشوات).

3) A. Devoulx, « ***Recherches sur la cooperation de la Régence d'Alger à la guerre de l'indépendence Grecque*** » in R.A. N° 7 , Alger, 1856- 1857 .

- المبحث الثّاني: الحركات المناوئة خلال مرحلة الدّايات الأولى (1671- 1780م).

تميّزت هذه المرحلة بجملة من الحركات المناوئة للسلطة العثمانية، ومن أبرزها هذه الحركات التي سنتناولها حسب ترتيبها الزّمني، بدءا بحركة الإنكشاريّين الأولى التي حدثت سنة 1688م، وانتهاء بحركة أهل الأغواط التي وقعت سنة 1785م .

1) : حركة الانكشاريين (الأوجاق) [1] 1688م.

قبل تناول حركات الجيش الإنكشاري المناوئة للسلطة العثمانية خلال الفترة الأولى من مرحلة الدّايات، نرى من الفائد الإستهلال بتقديم لمحة ولو مقتضبة عن الجيش الإنكشاري، من حيث: النشأة والتسمية والعلاقة التي تربطه بالسلطة العثمانية. ودون التعرض إلى الظروف التي نشأ فيها، ولا الخلفية التي نشأ بها.

ولكن قبل كل ذلك نشير إلى أن الجيش الإنكشاري نوعان : إنكشاريون من أصل أناضولي، ويتميزون بقوة البنية والشجاعة. وانكشاريون من أصل روملّي ولهم مميزات فكرية وجسمانية مغايرة ولكنّهم مدرّبين. وكانت هذه الاختلافات من بين الأسباب التي أدّت إلى الصّراعات والاضطرابات التي شهدتها إيالة الجزائر[2].

---

1) جمع وجق: وهي كلمة تعني في الأصل الموقد الذي تجتمع حوله الفرقة الإنكشارية، ثم أصبحت تطلق على الجيش الإنكشاري والولايات التّابعة للدّولة العثمانية (طرابلس الغرب وتونس والجزائر). وقد جافي رسالة من داي الجزائر إلى صاحب تونس مايلي: « إنّ الأوجاق الثّلاثة – تونس والجزائر وطرابلس – من ممالك السلطنة العلية العثمانية، ونحن على طاعتها ... » . انظي أبن أبي الضيّاف ، أتحاف الزّمان...مج1، ج2،.ص. 154. (وانظر: عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامي العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص. 383.

2) النظام ، رجع سابق، ص. 358، ها (2).

أ- نشأة الجيش الإنكشاري.

يعتبر وجود الجيش من العناصر المكوّنة للدّولة، وفي ذات الوقت من الأدوات الهامّة لحمايتها والمحافظة على كيانها واستمراريّتها، وسر بقائها. ولهذا كانت فكرة إنشاء قوة دفاعية لحماية أي كيان سيّاسي أو اجتماعي ضرورة لامناص منها. وعلى هذا المبدإ أنشأ العثمانيّون، على غرار كل الشعوب، جيشا منظا ومدرّبا للدفاع وحماية دولتهم النّاشئة، وسمّوه الجيش الإنكشاري بدل الإعتماد على الجهاز الدّفاعي التقليدي القديم؛ الذي كان أساسه القدرة على حمل السّلاح. وهكذا تمّ تطوير وتحديث المؤِسّسة العسكرية التّقليديّة القديمة، واستبدالها بمؤسسّة عسكرية حديثة. وفي هذا الّدد جاء في قول أحد الباحثين: « إنّ فكرة إيجاد جيش انكشاري أي جيش محترف فكرة عسكرية عبقرية قديمة، عرفتها الشّعوب القديمة، لكن العثمانيين ألبسوها لباسا نظاميّا؛ إذْ كانت (في السّابق) بلا ضوابط ولا نظام يحكمها »[1].

إنّ جل المراجع التي اطّلعنا عليها والتي تناولت موضوع الجيش الإنكشاريى تجمع على أنّ إنشاؤه كان في وقت مبكّر نسبيّ من المسار التّاريخي للدّولة العثمانية ذات النزعة العسكرية، وهو جزء من الجيوش العثمانية، لكنه من أهمها وعمادها، إذ تنسب إليه المساهمة في بناء الدولة العثمانية، كما ينسب إليه كذلك التسبب في انهيارها[2].

فقد كان تكوينه لأول مرة كجيش نظامي في عهد السلطان العثماني الثالث، وهو السلطان مراد الأول (1360- 1389م)، والذي يعتبر المؤسس الأول لِأَول تنظيم عسكري

---

1) فريد بك، مرجع سابق، ص. 768.

2) الرديني، مرجع سابق، ص. 27.

نظامي خلال عام 764هـ/1362م، بمساهمة كلّ من الصدر الأعظم علاء الدّين وخليل باشا جندرلي، اللذان كونا أول فرقة من المشاة من أسرى المسيحيين المهتدين [1].

وهكذا أحدث العثمانيون خلال القرن الرّابع عشر الميلادي جيشا منظما، عرف بنظام الدفشرمة؛ ويتمثّل في جمع أبنار الأسر المسيحية، والذين عرفوا بضريبة الغلمان، حيث كانت كل أسرة مطالبة بتقديم أحد أبنائها الصّغار، من أبناء الشعوب المسيحية التي يتغلب عليها العثمانيون في المعارك الحربية، إذ يحملوا معهم أولئك الأطفال ثم يعلموهم الإسلام في مدارس خاصة، ثم فيما بعد يجندوهم في القوات المسلحة، كجيش نظامي عرف باسم (يكلجيلري) [2].

وكان ولاء كل انكشاري للسلطان، وعقيدته الجهاد في سبيل الله، ومأواه الثكنة [3]. وبما أن الفكر العسكري العثماني وعقيدته العسكرية كانت تتمحور حول التحدي والاستجاب للنداء والجهاد في سبيل الله، فلا دين له إلا الإسلام، ولا عصبيّة له إلاّ للدّولة، ولا عمل له إلاّ الجنديّة فكانت تلك هي المبادئ الفلسفية التي نشأ عليها الجيش الإنكشاري [4].

---

1) Les Janissairs Origines et histoire des milices turques des provinces ottomanes et tout specialement celle d'Alger, textes sélectionés et synthesès réalisés par Kamel Chehrit (A.L.E.), 2005, p:10.

2) صاحب هذه التسمية هو الحاج بقطاش، شيخ الطريقة البقطاشية والمقيم بمدينة أماسيا، وهو الذي بارك نشأة هذا الجيش ودعا له. أما بداية تكوينه وتنظيمه فكانت على يد جندرلي قرة خليل، في زمن السلطان أورخان إبن عثمان الأول، وفي عهد السلطان مراد الأول (الحفيد) تطور أكثر وسنت قوانين تمنع الجيش من الزواج ومن إعفاء اللحية. انظرمحمد بيهم،مرجع سابق، ص. 156.

3) محمد بيرم الخامس، صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، مج4، ، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص. 1293.

4) محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، دار كنوز للنشر، ط1، القاهرة، 2014م، ص. 156.

وقد شجع ذلك الانظمام والتطوع في صفوفه، واستمراره في الوجود على استمرارية الدولة ونقلها من إمارة إلى دولة ثم إلى أمبراطورية، كما عرف هو الأخر تطورا ملحوظا في مساره، سواء علي مستوى التركيب (التشكيل) أو التدريب، أو التسليح وكذلك التنظيم. فقد كان في بداية نشأته يتكون من الجيش البري بمختلف تركيباته البرية والبحرية [1]. وفي الجزائر عرف الجيش الإنكشاري بأنّهم الشبان الأتراك المجنّدون من مدن الأناضول؛ كالقسطنطينية وأزمير وغيرهما من المدن التركية الأخرى، وإرسالهم لإيالة جزائر الغرب تحت إسم الإنكشارية (يكلجيلري) أو اليولداش (يوداشري)[2]. بفرمانات هيمايونية تصدر من السلاطين العثمانيين بالباب العالي خاصصّ بتجنيد الإنكشاريين إلى جزائر الغرب ومنها:

- فرمان السلطان سليم الثالث الصّادر في شوال 1210هـ/1795م [3].

-) فرمان السلطان محمود الثاني (1808- 1839م) إلى سلطات إزمير، الخاص بتجنيد الجنود الإنكشاريين من الولايات العثمانية لصالح جزائر الغرب، الصّادر في شعبان 1231هـ/ جويبية 1816م. وهذا الفرمان صدر و أُرسل للسماح لحكام الجزائر من جديد بتجنبد

---

1) كان جيشا يتكون من قوات برية، وقوات بحرية. **فأولا:** القوات البرية وتتكون من : الفرسان (الخيالة)، بمافيهم السباهية (الرماحون)، والسلحداريون (حاملو السلاح) والمرتزقة (أصحاب التيمارات والزعامات). ومن: المشاة بما فيهم الإنكشاريين، (يني چريه)، والجبه جيه (صناع ومصلحي الأسلحة)، والطوبجية (متخصصي المدافع). **ثانيا:** القوات البحرية.(انظر: يوسف عبد الكريم طه مكي الرديني: المؤسسة العسكرية العثمانية، دار الحامد عَمان، 2014م، ص: 51. وبالرغم من نشأتها المتأخرة نوعا ما، ولكنها كانت قوة ضاربة، وهو ما أثار انتباه وحيرة المختصين من كون المجتمع العثماني لم يكن له عهد بالبحر.

2) سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر. أبو العيد دودو، شركة دار الأمة، الجزائر، (ط خ)، 2009، ص. 180، 181.

3) م. م. ع. أ. ج. وثائق عثمانية، فرمان السلطان سليم الثالث بتاريخ، شوال 1210هـ/1795م. وثيقة رقم: 20، المجموعة رقم: 3207، المكتبة الوطنبة (الحامة)، الجزائر.

المتطوعين الإنكشاريين من الولايات العثمانية، بعد ما تمت تسوية قضية السفينة اليونانية التي حجزتها البحرية الجزائرية .

وفي معظم المراجع تعني الجيش الجديد، مع العلم أنّ حرف الكاف ينطق باللسان التركي نونًا. وبالفعل فقد كان جديدا بإدخال الأسرى المسيحيين، بعد إسلامهم، في صفوفه في مرحلة أولى. بدلا من العناصر الهرمة، التي لا تجتمع إلاّ عند ما تدعو الحاجة إليهم، فلا تدريب ولا انضباط. وفي مرحلة ثانية (بعد فتح القسطنطينية) أصبح الجيش يتزود بالإضافة إلى الأسرى المسيحيين، ومن الدوشرمة وهم الصبيان المسيحيين الأسارى بعدما يتلقون تدريبا وتهيئة لذلك. وبهذا الإجراء تجدد الجيش وحُقَّ له أن يسمى الجيش الجديد (يكيچري)[1].

ب) مهام و صفات الجيش الانكشاري.

لقد كانت المهمّة الأولى والأخير للجيش الإنكشاري منذ إنشائه هي الذود عن البلاد وطاعة السلطات العثمانية بقناعة دينية من غير مناقشة أو رد فعل. وكانت تلك الطّاعة العمياء من بين العوامل التي مكنت الجيوش الإنكشاريية من تحقيق الإنتصارات على أعدائها، وتساعد على الإستقرار الدّاخلي، لكن فيما بعد، وخاصة في القرنين الثّامن عشر (18م) والتّاسع عشر (19م) تغيّرت سلوكاتهم فتحولت اهتماماتهم إلى الدّنيا وزخرفها، من الإنشغال بالسياسة، وتحصيل المال، إلى غير ذلك من العوامل التي غيرت طبائعهم وصفاتهم السابقة من طاعة وحب الجهاد إلى الميل إلى العصيان و الإهتمام بالسلطة والتركيز على تحصيل المال ، ومن ثمة أصبحوا أقرب إلى الشر وأبعد عن الخير[2] .

---

1) حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، الدّار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2004م، ص. 161.

2) شويتام، دراسات ووثائق....، مرجع سابق، ص. 35.

ج) بداية الجيش الإنكشاري في الجزائر.

تعود بداية الوجود الإنكشاري في الجزائر إلى البعثة الأولى من العساكر والمقدّرة بألفين (2000) من المجاهدين الذين أرسلهم السلطان سليم الأول إلى خير الدّين بربروس بمناسبة المراسلة الرسميّة بينهما سنة 1519م والتي تمحورت حول طلب خير الدّين بربروس على لسان أهالي الجزائر الإنظواء تحت جناح السلطة العثمانية. حيث كان القبول السلطاني مشفوعا بفرمان هيمايوني وقفطان التولية وألفي مجاهد أرسلوا إلى الجزائرين مع الوفد العائد من استنبول إلى الجزائر؛ ليشكّلوا النّواة الأولى للجيش الإنكشاري في الجزائر[1].

ربما يكون وصف حمدان بن عثمان خوجة[2] للجيش الانكشاري بالجزائر أصدق مايكون ، لكونه كان معايشا له وقرب منه، وفي هذا الصّدد يقول في رسالة وجهها من مدينة باريس إلى السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) م، بتاريخ 29 ربيع1 من سنة 1249هـ الموافق 16 أوت 1833م، وهو يستغيث على لسان كل الجزائريين بالسلطان العثماني، طالبا يد المساعدة لمواجهة كارثة الاحتلال الفرنسي؛ الذي جثم على بالجزائر. وفيها يقدم لنا وصفا لحالة الجيش الانكشاري وسياسته في أواخر العهد العثماني فيقول مخاطبا السلطان:

---

1) عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التّاريخ المغربي الجزائر تونس ليبيا 1816م- 1871م، منشورات مركز الدّراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، 1985م، ط2، ص: 117.

2) حمدان بن عثمان خوجة من أسرة جزائرية ثرية، و أحد أعيان مدينة الجزائر، من مواليد حوالي 1773م. عاصر نهاية العهد العثماني و شاهد سقوط الجزائر تحت الاحتلا الفرنسي، وكان قريبا من دواليب السلطة العثمانية (عهد الداي حسين). فقد كان أبوه فقيها، وأمينا عاما للإيالة « مكتابجي » وتحت يده سجلات الإنكشاريين، كما كان خاله الحاج محمد أمينا للسكة . وكان مثقفا ومطّلعا و يتقن العربية والعثمانية بلإضافة إلى الفرنسية والأنجليزية. ومن مؤلفاته : " إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس من الوباء"، و"المرآة" وغيرهما.(انظر: حمدان خوجة، المرآة، تع، وتح: م.العربي الزبيري،(ش.و.ن.ت)، ص.11.

« قبل قدوم الفرنسيين إلى الجزائر كان سبب سوء الإدارة ناتجا عن مذابح الباشوات، خطأ كان ذلك أم صوابا على يد الانكشاريين كل سنتين أو ثلاثة. وهؤلاء الانكشاريون اللّصوص قد عيّنوا آخر والي للجزائر، وأشاعوا العصيان في كل مكان. أمّا المواطنون فقد استاءوا منهم لأنّ هؤلاء الإنكشاريين قد أدى بهم الأمر إلى مماسة الإستبداد والجور حتّى على بعضهم البعض »[1].

كما قاموا بتصرفات مشينة خاصة تلك التي تمس هرم السلطة كالعزل وفرض التولية، ومهاجمة الباشوات، ولذلك غير الباي علي خوجة الذي تفطن لدسائسهم فقام بتحويل مقر الدايلكية (مقرالحكم)، من أسفل القصبة إلى أعلاها، وهذا لأجل أن يكون مسيطرا عموما على القصبة من أعلاها. وهكذا تحول هذا الجيش، الذي كان لا يعول إلاّ عليه، من فئة معِينة للدّولة وحامية لها، إلى فئة مضرّة بها [2].

أمّا محقّق كتاب تاريخ الدولة العلية العثماني إحسان حقّي فيقول عنهم: «... وقد أصبحوا أداة شر وتخريب، وعصابات إجرام وفتك؛ إذْ استبدّوا بالسلاطين وبالوزراء والقادة يرفعون ويخفضون ويولون ويقتلون[3] ويفتكون ويأمرون وينهون وليس لهم من رادع يردعهم أو مانع يمنعهم وكأنّهم حكومة ضمن حكومة » [4]. خاصّة إذا علمنا أن عددهم في تزايد، حيث بلغ في النصف الأول من القرن الـ (16م) في حدود سنة 1044هـ /1634م، 22000.

---

1) التميمي: بحوث ووثائق ...، ص: 117.

2) فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مرجع سابق، ص. 124.

3) من بين الجرائم التي ارتكبها الانكشاريون هي قتلهم لباشا الجزائر في قارعة الطريق سنة 1220هـ حوالي 1804م . انظر تحفة الزّائر...ج$_1$، ط$_2$، ص. 140.

4) فريد بك ، المرجع نفسه، ص. 767.

ويهذا العدد زاد غرورهم، وكثر شغبهم، إلى درجة عجز الباشوات عن إيقاف حركاتهم وتعجرفهم ضد السلطة [1].

وعلى ما تقدم ذكره حول الجيش الإنكشاري، وما جاء في شهادة حمدان بن عثمان خوجة التي قدّمت لنا صورة واضحة عن المستوى الذي بلغه الجيش الإنكشاري في تصرّفاته الفضّة، والتي لم يسلم منها حتّى عناصره أنفسهم؛ وبذلك تصبح الثورات والعصيان والتّمرّدات التي تنسب إليه غير مستغربة. وسنحاول استعراضها تباعا ابتداء من حركة عام 1688م إلى غاية آخر حركة قاموا بها. فما هي حقيقة هذه الحركات؟ وما هي أسبابها ؟ وما النّتائج التي نتجت عنها؟

قضى الداي الحاج حسين المعروف بـ: ميزو مورتو(Mezzo Morto)، أي: نصف الميت، فترة خمس سنوات من 1683 إلى 1688م، على رأس حكومة الجزائر، والتي عاش خلالها مخاطر عديدة؛ وأحداث على المستويين الدّاخلي والخارجي، ومنها حملته العسكرية ضد باي تونس عام 1686م، أين تم استخلافه خلالها بأخيه محمد باي.

لكن في سنة 1688م ظهرت الحركة المناوئة التي قام بها الانكشاريون ضدّ السلطة العثمانيّة في الجزائر ممثّلة في الدّاي العاح حسين ميزو مورتو، ويبدو أنّ الإنكشاريّين قد تأثّروا بالحركة التي قام بها زملاؤهم بإسطنبول قبل عام (أي سنة 1687م)، بعد اعتلاء السلطان سليمان الثاني عرش السلطنة [2].

---

1) بيات، الدولة العثمانية ... ، ص. 549.

2) صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، دار النيل، ط1، إستانبول، 2011، ص. 197.

ويذكر أنّه من شدة هذه الحركة وعنف أصحابها، لم يستطع الباشا (حسين ميزومرتو) الخلاص منها إلاّ بأعجوبة، وذلك من شدّة غضبهم، حيث ما كان له من حل أمام هول حركتهم، إلاّ أن يلجأ في أول الأمر إلى إيالة تونس، ثم منها توجّه فارّا بجلده إلى عاصمة الخلافة استانبول[1]. أين شرّفه السلطان العثماني سليمان الثاني (1687- 1691م) بالإستقبال، وكافأه على قيادتة البطولية خلال المحارك؛ والتي تمثلت في ترقيته، وتعيينه قبودان باشا بأستنبول، على غرار خير الدّين بربوس، والعلج علي. أمّا في الجزائر فقد استخلفه الحاج شعبان باشا (1688- 1695م) الذي عاش أثناء فترة حكمه ما عاشه سابقه الحاج حسين ميزو مورتو من اضطرابات، تمثلت في حروب من مع الجارتين، إيالة تونس بقيادة، وسلطنة المغرب بقيادة مولاي إسماعيل[2].

أمّا الإنكشاريون فبعد ما أحسّوا بالقوة والتفوق، ثاروا وانتفضوا وأصبحوا أشدّ رغبة وأكثر ثقة في بلوغهم السلطة، وصاروا يطالبون مجاهرين بالزيادة في امتيازاتهم، ومضاعفة سلبهم ونهبهم. وأثناء عودة الحاج حسن ميزو مورتو من الحملة التي قادها ضد محمد باي تونس بتاريخ 25/فبراير/1695م، تعرض إلى اعتداء ضدّه من قبل الإنكشاريين وكاد أن يؤدي بحياته، إلاّ أنّه فلت بأعجوبة؛ ممّا جعله ينتقم منهم شر انتقام بارتكاب مجزرة ضدّهم. غير أنّه

---

1) أما توفيق المدني، فينفي فعل الفرار عن حسين ميزو مورتو، بل يقول، « لكن الحاج حسين ميزو مورتو آثر اعتزال الحكم على المفاوضات مع فرنسا فذهب إلى إستانبول، قائد عموم الأسطول ». انظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791م، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 63. وهنا نلمس ترقيته، وبالتالي نستبعد فكرة الفرار،ا

2) المدني، مرجع سابق، ص. 63.

لم يمض وقت طويل، وبالضبط في شهر أوت من نفس السّنة، قام الإنكشاريون المتعاطفون مع قضية الكراغلة بحركة عنيفة ضد السلطة (1).

لم تتوقف مناوأة الإنكشاريين للسلطة العثمانية الحاكمة عند حدود مدينة الجزائر، وإنما سيكون لها ظهور وبروز أينما أتيحت لهم الفرصة. وهو ما حدث بالفعل بقسنطينة؛ حيث يذكر نفس المرجع أنّه: بعد الهجوم الذي شنّه باي تونس على عاصمة بايلك الشرق قسنطينة وفشل باشا الجزائر حسن شاوش في التصدّي للهجوم التونسي الذي بلغ أسوار المدينة العتيقة، التجأ حينئذ الباي إلى داخل المدينة وتحصن بقصبتها. ولما فقد القدرة على التصدّي والمواجهة استدرج الدّيوان وانتزع منه الموافقة على الإنسحاب من المدينة والنأي عنها باتجاه الغرب. وهو ما حصل بالفعل حيث تم الإنسحاب وعاد الباشا إلى مدينة الجزائر، ليخلفه في المنصب الحاج مصطفى من سنة 1700م إلى سنة 1705م، وخلال ذلك واجه الباشا الجديد (مصطفي) عدّة أزمات ومواجهات بالحدود مع باي تونس ومع ملك المغرب (2).

2): حركة الإنكشاريين (للمرة الثانية) 1105هـ/1694م.

قامت هذه الحركة المناوئة للسلطة العثمانية في عهد الداي شعبان (1100- 1106هـ / 1689- 1695م) الذي عرف بحلمه وبشاشته وحيائه والتزامه بالدين الإسلامي. كما عرف

---

1) Kamel Chehrit, Les Janissaires, op. cit. , p, 122,124.

2) Ibid. , p.126.

بكفاءته في الميدان الحربي، وربما لكونه من أسرة رياس البحر وأحد ضباطهم كان ميّالا للعنصر التركي على حساب الكراغلة وباقي السكان [1].

بعد الصلح الذي وقّعه داي الجزائر الحاج حسين(العجوز) مع فرنسا في شهر جانفي من سنة 1100هـ/1689م خلسة، غاب واختفى عن الأنظار، ودون سابق إنذار. فخلفه من بعده الدّاي الحاج شعبان مباشرة في شهر ذي الحجة 1100هـ الموافق لشهر أكتوبر 1689م ومن نفس العام، حيث كرس هذا الأخير الصلح السابق، ودعمه بتوسط الباب العالي وموافقته عليه بمعاهدة أبرمت بين الطرفين، وخلال سريان مفعول هذا الاتفاق، كان السلطان المغربي مولاي إسماعيل يغير بجيشه المتكون من 14000 من المشاة و 8000 من الفرسان على الحدود الغربية الجزائرية المرة تلوى الأخرى، مستغلاّ انشغال الدّاي شعبان مع بعض الملوك الأوربيين؛ انجلترا، هولندا، وفرنسا على الخصوص أيام ملكها لويس الرابع عشر . بالإضافة إلى غارتين إسبانيتين تصدى لهما على التوالي في: سنة 1100هـ/1668م، وفي سنة 1101هـ/ 1669م[2].

وأمام هذا العدوان جهّز الدّاي شعبان جيشه المتكون من عشرة آلاف من من المشاة، وثلاث آلاف من الفرسان، والتقى الجمعان بالقرب من الحدود، وكانت معركة فاصلة بواد ملوية بتاريخ 19 شوال 1103خ/ 4 جويلية 1692م لصالح القوات الجزائرية حيث فقدت القوات الجوائرية حوالي مائة عسكري، أما خسائر مملكة فاس فقد ما يفوق الخمسة آلاف رجل. وبعد ذلك توجت بعقد صلح بين داي الجزائر (الحاج شعبان)، وسلطان المغرب (مولاي اسماعيل)

---

1) ناصر الدين سعيدوني، الداي شعبان (1106هـ/ 1695م)، معجم مشاهير المغاربة، فرقة البحث العلمي، المؤسسة الوطنية للطباعة، جامعة الجزائر، 1995، ص. 205.

2) المرجع نفسه، ص. 208.

بعد إذلال هذا الأخير[1]، خلال إبرام الصلح المفروض عليه [2]. كما قام بحملة عسكرية أيضا على المملكة التونسية سنة1106هـ/ 1695م، وعاد منها منتصرا كذلك [3].

وهنا نلمس قوة إيالة الجزائر وتفوقها على مستوى الإقليم الشمالي لإفريقيا، في المجالين السيّاسي والعسكري، ومن ورائها الدّولة العثمانية. وبالرغم من ذلك فإنّ الدّولة العثمانيّة لم تقم بضم المغرب الأقصى وتجعله جزءا من إمبراطوريتها؛ وهذا ما ينف، في نظرنا، عنها صفة الدولة المحتلّة.

بعد الصلح المهين الذي فرضه الدّاي الحاج شعبان باشا (1689- 1695م) بقوة جيشه على السلطان المغربي "مولاي اسماعيل"، قاد قواته وهاجم تونس، وبسهولة استطاع أن يلزم سكانها بدفع ضريبة سنوية، مع تعيين وتنصيب أحد الأهالي، وهو أحمد بن الشقير بايا عليها [4]. وهنا نلمس القوة السياسية والعسكرية التي كانت تتمتع نهما الجزائر خلال هذه المرحلة، وكذلك اللّيونة في فلسفة حكم العثمانيين لغيرهم من الرعايا عموما؛ والتي تعتمد على إشراك العنصر الأهلي في التسيير المحلّي والمتمثل في الشيوخ والقواد والبايات.

---

1) جاء في التحفة المرضية في الدولة البكداشية...« أنّ السلطان مولاي اسماعيل، عندما كان ذاهبا إلى الخيمة التي نصبت من أجل إبرام عقد الصلح، كانت يداه مكتوفتان، وذلك اشعارا باستسلامه وخضوعه، وعندما وصل أمام الخيمة، قبّل الأرض ثلاثة مرات، ثم دعا الله أن يستره وأردف قائلا لمحاوره : أنت خنجر وأنا لحم فإن شئت قطع، فلم ينله مكروه من الدّاي، بيد أنّه اشترط عليه شروطا عجز عن تطبيقها فيما بعد...» . للمزيد ينظر في: التحفة المرضية، مصدر سابق.

2) بن ميمون ، نفسه ، ص. 24، 23 .

3) سعيدوني، الداي شعبان.... ، مرجع سابق، ص. 206.

4) المرجع نفسه، ص. 206.

وبما أنّه أجبر السكان على دفع الضريبة سنويا إلى خزينة الجزائر، فإنّ هؤلاء السكان قاموا بأنفسهم بخلع الباي أحمد بن الشقير المعين والمنصب من قبل الداي الحاج الشعبان بعد مغادرته البلاد مباشرة [1] . وهذا في نظرنا، لما اعتقدوه من تخاذل في الدفاع عن مصالحهم، من قبل الباي المنصب(أحمد الشقير)، وبالتالي لولا تخاذله وتساهله لما فرضت عليهم تلك الضريبة.

- نتائج حملة شعبان باشا:

إنّ ما يمكن استخلاصه كنتائج من هذه الحملة وعلى قلّتها، فإنّها تعدّ إيجابية إلى حدّ كبير، في نظرنا، هو:

1- إخضاع وجق تونس لوجق الجزائر؛ وهو أمر يكاد يكون طبيعي بحكم التّاريخ، حيث كانت إيالة جزائر الغرب هي الأم، بالنسبة لكل من إيالتي طرابلس الغرب وتونس، وكانت القيادة العليا خلال عهد البايلر بايات تعود إلى بايلر باي جزائر الغرب.

2- تحقيق مورد مالي جديد لخزينة الجزائر، ويتمثّل في مبالغ الضريبة المحصّلة من إيالة تونس، وهو ما يساهم في تأمين أجور الحند وعلاواتهم، بالإضافة إلى تسديد الدّيون المترتّبة في حق الجزائر.

3- كسب موالاة سياسية من قبل السلطة المنصبة الجديدة، على إثر تعيين وتنصيب من رضي به (أحمد الشقيري) على رأس السلطة في تونس، وهذا ما يجعل الجبهة الشرقية مؤمّنة إلى حدّ بعيد .

---

1) بن ميمون، مصدر سابق ، ص. 25.

-) **بداية الحركة .**

بعد ما أنهى الداي شعبان مهمّته بتونس، قفل راجعا بمعية جيشه المنتصر، وهو منتشيّا بما حقّقه في إيالة تونس من مكاسب سياسية ومالية، عمل على إقرار النّظام والأمن ونشرهما في الجزائر؛ وذلك من خلال التصدّي للتمرّات والعصيان النّاتجان عن الإمتناع والإحجام عن دفع الضّرائب (لجبايات)، وخاصة من تلك القبائل الحدوديّة التي رفضت دفع الضرائب المتوجّب دفعها من قبلهم والت كانت مقدّرة بأربعين ألف (40.000) إيكو؛ إذْ يرجع بعض المؤرّخين سبب ذلك الإمتناع، إلى الإعتماد على نتيجة المواجهة التي وقعت بين الدّاي شعبان وسلطان المغرب (مولاي إسماعيل)؛ حيث كانو يراهنون على هزيمة الدّاي شعبان، وتكون النتيجة النّهائيّة التخلص من الجبايات، بالإضافة إلي التأثير الخارجسى والمتمثّل في التحريض من قبل الحاكم التّونسي محمد باي[1]. وإنّ هذا الحزم والعزم في البحث عن الموارد المالية والحرص على تأمينها، والتصدّي للحركات المناوئة للسلطة، ويؤكّده أحد الباحثين بقوله: « فأعطى أهمية قصوى لإخضاع القبائل والعشائر التي اعتادت التمرد والإمتناع عن دفع الجيايات »[2]. وإذا بالإنكشاريين المرابطين بالحدود الجزائرية التونسية يفاجئون الداي شعبان بمحاولة الظفر به ومنعه من المرور والذهاب إلى مدينة الجزائر، أو على الأقل تهديده وتحذيره من تكرار الحرب مرة أخرى على تونس [3].

---

1) ناصر الدين سعيدوني، الدّاي شعبان،... المرجع نفسه، ص. 206.

2) المرجع، السابق ، ص. 205.

3) تعود أسباب هذه الحرب إلى كون دايات الجزائر كانوا يدعون أنّ دايات تونس يجب أن يكونوا تابعين لهم. (انظر، أحمد توفيق المدني، عثمان محمد باشا داي الجزائر 1766– 1791م، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص.64) .

وبما أنّهم يدركون ردود أفعال السلطات العثمانية، وعدم تسامحها مع المناوئين، فقد قام الإنكشاريون بتحذير السلطة من الإنتقام من أسرى المتمردين منهم. وإذا كان الدّاي شعبان قد استطاع الإفلاة من غضب المناوئين من الإنكشاريين ووصل سالما إلى مدينة الجزائر، فإنّهم كانوا أكثر تصميما على النيل منه، ولأجل ذلك زحفوا باتجاه المدينة، ويبدو أنهم عازمون على تحقيق هدفهم [1]. فلما بلغ الدّاي شعبان مدينة الجزائر ودخلها بمعية عساكره، خلال شهر بمضان المحرم من عام 1692م. عاود الإنكشاريون حركتهم المناوئة وجدّدوا تمرّدهم. وأمام إصرارهم على ذلك قام الدّاي شعبان بالتّصدّي لهم وعاقب الذين أدينوا بالتمرد والعصيان، خاصّة من قاموا بتخريب الميناء وبعض السفن الرّاسيّة به. فسارع بتسليط العقاب عليهم؛ حيث لم يتردّد بسجن الكثير منهم، بعد ما قتل منهم قرابة الخمسمائة (500) فرد، وفرض غرامات على الباقين [2].

-) موقف السلطة العثمانية .

بلغ المتمرّدون أبواب العاصمة، وكلهم حزم على دخولها، وحاول الدّاي شعبان عبثا بما أوتي من قوة للحيلولة دون دخولهم المدينة، ولكن لما عجز عن صدّهم، وأيقن من نتيجة المواجهة، راح يتلمس آلية من آليات التحكم والبحث عن الحلول السلمية، فكانت الوساطة أحد تلك الآليات. فأرسل للمتمرّدين وفدا يتكون من شخصيتين من أعيان البلد، أحدهما قاضي والثاني مفتي، آملا في إقناعهم بالتراجع عن موقفهم، والحد من حركتهم المناوئة [3].

---

1) إبن ميمون، مصدر سابق، ص. 25.

2) سعيدوني، الدّاي شعبان،... مرجع سابق، ص. 206.

3) إبن ميمون، مصدر سابق، ص. 25.

وبما أنّ المتمردين كانوا قد فصلوا في الموضوع، وحسموا أمرهم، فلا رضوا بالوساطة، ولا أثّرت فيهم ليونة الدّاي وأثنتهم عن عزمهم، وراحوا مصرّين على اقتحام أبواب المدينة ودخولها عنوة. وأمام إصرارهم وإخفاق الوساطة ما كان أمام الدّاي شعبان الضغيف إلاّ أن يحاول محاولة أخيرة، علّه يكسّر بها شوكة المتمرّدين ويكبح جماحهم، ولا نستبعد أن يكون الأمر من تدبير الوساطة التي اتصلت بالمتمردين وخبرت صلابة موقفهم، فأوعزت للدّاي باتباع أسلوب الإغراء لعلّ ذلك يثني من عزيمتهم و يحدّ لتمردهم، وفي النّهاية يحفظ ماء وجهه. فقام الدّاي بفتح خزينة الدولة ووزّع على المتمرّدين ما فيها من أموال، و هو آخر ما يمكن القيام به ضد المتمردين، معتقدا وآملا في إنهاء ذلك الكابوس. لكن يبدو أنّ أصحاب الحركة ما قطعوا كل هذه المسافة من أقصى الشرق إلى العاصمة ليتراجعوا أو تثنيهم اغراءات الدّاي، خاصة وأنّه في أسوء حالات الضعف. وأمام فشل كل محاولات التصدي اقتحم المناوئون المدينة وأفرغوا غضبهم داخلها [1].

-) نهاية الحركة ونتائجها.

قبل التعرف على نهاية الحركة ونتيجة الاقتحام ومآلاته، نتساءل في سياق موقف الدّولة في مواجهة هذه الحركة عن موقف باي بايلك الشرق، خاصّة وأنّ المناوئين قدموا من أقصى الشرق منطلقين من أراضيه؟ أم أنّ عساكر البايلك كذلك انحازت إلى المتمردين؟ وهذا ما سكت عنه الكتاب، وبقي محل تساؤل. لكن ومهما كانت التسؤلات، فإن عملية وصول المناوئين إلى غاية العاصمة قد تمت، وبعدها تم اقتحام المدينة، في نظرنا، على الأقل نتيجة من نتائج حركة الإنكشاريين في حدّ ذاته، وفي نفس الوقت تخدم أصحاب الحركة، بينما تسيء إلى سمعة السلطة. وفي الوقت ذاته قد تحرّض على الاضطراب، من جديد، خاصة إذا ما

---

1) المصدر السّابق، ص. 25.

أخذنا في الحسبان المسافة المقطوعة وبلوغ المناوئين العاصمة، ورفضهم الحلول المقترحة من وساطة وأموال. فبالإضافة إلى هذا كله، فإنّ المناوئين استطاعوا تنحية الدّاي شعبان باشا (1688- 1695م) وعزله عن منصبه، بعد القبض عليه وسجنه، ثم تعذيبه لمدّة ثلاثة أيام لينتهي الأمر به إلى حبل المشنقة، على يد الإنكشاريين بعد عام من تمرّدهم، أي خلال انعقاد إجتماع مجلس الديوان بتاريخ 10 سبتمبر 1695م هجموا عليه وقتلوه في سنة 1106هـ/ 1695م، وقد تم استخلافه بعد ذلك بداي آخر هو الحاج أحمد باشا (1695- 1698م) ويدعى أحمد أعجي[1]. وهناك من ذكر أنه سجن أوّلا، بعد ما ألقي القبض عليه من قبل الجيش، بعد ما توعد بالزحف على باي تونس بنفسه. ولم يكن الإنكشاريون وحدهم من ناصب العداء للدّاي شعبان؛ وإنّما الكراغلة أيضا كانوا يضمرون له العداء[2].

3) : حركة الإنكشاريين (للمرة الثالثة) سنة 1122هـ/ 1710م.

لقد جرت العادة أن الضريبة (الدنوش) التي يدفعها البايات كل ثلاث سنوات، تقدم من قبل البايات أنفسهم إلى الباشا المقيم في مدينة الجزائر شخصيّا، وكان ذلك يقدم بانتظام، وفي وقته[3]. غير أنّ ذلك لم يكن ينطبق على باي بايلك الشرق في هذه المرة، حيث تباطأ في تسليمها في وقتها المحدد؛ ونظرا لذلك التباطؤ أمر الداي بإحضار الدنوش، من قبل الباي نفسه إلى مدينة الجزائر. غير أنّ الأمر الذي أصدره الباشا للباي لم يلق الإستجابة ممن وُجِّه إليه. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل غاب الباي نفسه واختفى، ومعه الدنوش التي جمعها من

---

1) المصدر نفسه، ص. 25. وانظر أيضا ، المدني، مرجع سابق، ص. 64،65.

2) المدني، مرجع سابق، ص. 64.

3) **الدنوش:** هي ضريبة يدفعها الباي كل ثلاث سنوات شخصيّا إلى الباشا بمدينة الجزائر، ويدفعها الخليفة مرتين في السنة (فصلي الخريف والربيع). وتتكون من أموال نقدية وعينية (عبيد، خيل، أبقار، زرابي، حياك عسل، برانس، زيت زيتون..).

السكان [1]. ويبدو أن الباشا نفسه لم يكن مهابا، وبالتالي لم ينل الاحترام اللائق، ويتضح ذلك من عدم الإلتزام بموعد تسليم الدّنوش في وقتها.

وكما هو معلوم فإن الأموال التي تجبى من الضرائب تكتسي أهمية كبيرة للدولة إذ تعد من الموارد المالية التي تعتمد عليها في إنعاش خزينتها وتسيير شؤونها، ومنها دفع مرتبات الجيش، وشراء المستلزمات من خارج الإيالة. وتزداد أهميتها عندما يقل المردود البحري، الذي يعد مدخولا غير قار وغير ثابت. ولهذا كانت السلطة العثمانية في الجزائر، كسائر الدول، تحرص على تحصيل الضرائب وتجند لذلك الحاميات العسكرية وقبائل المخزن وشيوخ وقواد القبائل، مستعملة أسلوبي الترهيب والترغيب من أجل تحصيلها [2].

لقد تسبب اختفاء الباي ومعه الدنوش في عجز مالي بالخزينة، وأصبحت رواتب الموظفين معلقة ومجهولة المصير، وهذا ما تسبب في تذمر وغليان الإنكشاريين، بل زاد هيجانهم أكثر، خاصة لما علموا باختفاء الباي وبمعية النقود التي جمعت كدنوش، والتي منها رواتبهم، فجاهروا في وجه الدّاي مطالبين أجورهم، وهو لا يملك من الأمر شيئا، إلاّ محاولاته اليائسة بتوضيح الأمر وتقد يم المبررات وتهدئة النّفوس. واستمرّت الإضطرابات، و الفوضى ولم تهدأ مدّة خمسة أشهر كاملة،مع استمرار البحث عن الدّاي المختفي، إلى أن تمكنوا من الوصول إليه، والقبض عليه، ثم قتلة [3].

---

1) أوجين فايسات، تاريخ بايات قسنطينة 1792–1837، تر. صالح نور، دار قرطبة، ط1، الجزائر، 1432هـ /2010م، ص.233، ها(27).

2) شويتام، المجتمع الجزائري.....ص. 214.

3) الزهّار، مصدر سابق، ص. 36.

كان من المتوقع أنّ القبض على الدّاي المختلس وقتله واسترجاع الأموال التى فرّ بها، والتي منها مرتبات الإنكشاريّين، يشفي غليلهم، ويؤدّي إلى تهدئة الأوضاع وعودة الهدوء إلى المنطقة. لكن، العكس هو الذي وقع فالاضطرابات تواصلت إلى غاية انتخاب أحدا منهم، وهو (حسن باشا الشاوش)، (1109- 1112م)/ (1698- 1700م)؛ والذي مكث في السلطة حوالي ثلاث سنوات. وقدعرفت الأوضاع خلال عهده تغيرا ملحوظا، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع الباب العالي [1]. ويذكر أنه طلب الذهاب إلى طرابلس الغرب، فوافق الداي الجديد على ذلك وحياه عند مغادرته بطلقات مدفعية [2].

4): حركة أهل زواوة 1158هـ/ 1745م.

تعد منطقة زواوة ذات أهمية بالغة لما تتمتع به من موقع يتوسط منطقة دار السلطان ومقر باشا البلاد في نفس الوقت وبايلك الشرق، ناهيك عن طابعها الجغرافي والطبوغرافي، ونظرا لموقعها المحاذي لمقر السلطة، ولعدم خضوع سكان المنطقة التام[3]، ومناوأتهم المستمرة للبايلك. فقد عرفت المنطقة العديد من الحركات المناوئة للسلطة العثمانية، ومن أمثلتها: حركة أحمد بن القاضي التي تناولناها في عهد البايلر بايات ضد خير الدين بربروس. فقامت السلطة العثمانية بالجزائر بفصل منطقة زواوة الغربية عن بايلك التيطري وضمتها إلى دار السلطان، سنة1189هـ/1775م ووضعت على رأسها قائد؛ وذلك حتى يتسنّى لها مراقبة

---

1) الزهّار،مصدر سابق ، ص. 36.

2) نفسه، ص. 65.

3) Adrien Berbrugger, Les Turcs en Kabylie, document belles-lettres, bastide éditions, Alger, 2012, p.68.

المنطقة والتحكم أكثر في سكانها، وتحت إشراف دار السلطان مباشرة [1]. وما ثورة زواوة التي وقعت سنة 1158هـ/1745م، إلا واحدة من بين تلك الحركات؛ التي سنحاول التعرف على أسبابهالاحقا[2] : في عهد الدّاي إبراهيم المدعو" رودس جوكلو" (1745- 1746م) [3]، والذي خلفه الدّاي محمد بكري المسالم، خاصة مع دولتي الجوار(الدولة المرينية والدولة الحفصيّة)، إذْ يذكر أنّه كان كلّما ذكّره أحد من خاصّته بالحرب على تونس يقول له: « هلمّوا إلى وهران »، وكان يقول لهم كذلك: « قبل إزالة معرّة وهران لا نلتفت إلى شيء »[4] ، إلا واحدة من بين تلك الحركات، والتي سنحاول التعرف على أسبابها وردود الفعل إزائهاها ومآلها فيما يلي:

-) أسباب الحركة .

تعتبر منطقة زواوة منيعة تضاريسيّا، بالرغم من قربها من دار السلطان. كما أن أهل منطقتها متمنّعين بها، وممانعين عن أداء الضرائب إلاّ ما فرض عليهم بالقوة، أو استكرهوا على آدائه. ونظرا لرغبتهم في عدم الخضوع المطلق، فقد آثروا أداء نوعا من الضريبة مقابل استقلالهم الدّاخلي. وعلى أساس هذا المبدأ، كانت أي محاولة، أو إجراء يمس بهذا الاستقلال، أو أي فرض يفرض عليهم يعد مرفوضا، خاصة الضرائب. لكن قرار السلطة العثمانية لم يراع ذلك، فصارت كلّما تقلّص مردود الغنائم من عائدات البحر، إلا وأصبحت الخزينة تعاني من شح في السيولة النقدية، وتعويضا لذلك النقص تقوم السلطة بالبحث عن ما يعوضه من مال،

---

1) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج $_1$،......، ص. 210،211.

2) J. N. Robin, « ***Le Bey Mohammad ed- debbah*** » in R. A. N° . 17, Alger, 1873, P. 267.

3) أحمد بن أبي الضياف، أتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مج$_1$، ج$_2$، ط$_2$، تحقيق : لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 2004، ص. 146.

4) أبو الضياف، نفسه، ص. 146.

فتلجأ إلى فرض ضرائب جديدة على الأهالي، وهو ما فعلته السلطة العثمانية مع أهل زواوة بالمنطقة [1].

-) رد فعل الزواويين ونهاية الحركة .

رفض الزواويين أداء الضريبة وتأهبوا لمهاجمة السلطة المحلية الكائن مقرها ببرج سباو بقيادة محمد الذباح[2]، ويبدو أن القيادة المحلية كانت تتابع تحركات السكان وتراقب ردود أفعالهم، وأحست بما كانوا مقدمين عليه. فقام قائد برج سباو بطلب الدعم وتحصل على حوالي مأتين (200) من اليولداش. وسيّر محمد الذبّاح قوّاته منجه نحو المنطقة. وتصادم الطّرفان بها، فدامت المواجهة بينهما أكثر من شهر، وانتهت بهلاك أربعة وثمانين من رجال زواوة الثّائرين ، مع تدمير العديد من المداشر حرقا بعد نهبها [3].

لقد كان فرض الضرائب من قبل السلطة العثمانية سببا في حركة عصيان أهل زواوة، وكان استعمال القوّة هو الوسيلة المطبّقة لإخضاعهم. فتكفل باي التيطري محمد الذباح بإخضاع بلاد الزواوة لاستتباب الأمن وجمع الضرائب. فشنّ العديد من الحملات العسكرية عبر قرى زواوة: ....عندما أقدم على ... في ....قتل في إحدى معارك التي جمعته بالثّائرين في حدود عام 1754م ونقلت جثّته ليدفن في حوشه بقورصو، في ضواحي بومرداس [4].

---

1) شويتام، إمارة كوكو، بوم دراسي بتيزي وزو ، الحافظة السامية للأماريغية 30/سبتمبر/ 2010. ص 12.

2) هو الباي محمد بن حسين بن علي بن خليل المدعو بالذباح لكثرة تنفيذه لعمليات الذبح.

3) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثّقافي، مرجع سابق، ص. 210.

4) J. N. Robin, op. , cit . , P. 380.

وإذا كان موضوع فرض الضرائب من الإجراءات المعتادة؛ والتي تدخل ضمن السياسة المالية للسلطة العثمانية، وأن اختلاف ردات فعل الأهالي متوقعة من قبل السلطات، فهي إما تكون قبول الأمر وطاعة الأوامر، أو تكون رفض وعصيان. فإن غير المتوقع هو غدر أحمد بن القاضي بخير الدين بنصب له كمين خلال عودته من حملة عسكرية قام بها على تونس[1]. فيقول خير الدين عن هذه الحادثة: « لم أكن أتوقع أن نقع في هذا الكمين، وهكذا بسبب عدم ملاءمة المكان للقتال مع هول المفاجأة، فقدت الكثير من رجالي. دامت المعركة ثلاث ساعات ونصف، تمكنا بعدها من تجاوز الممر، واستطعنا أن نصل إلى الجزائر»[2]. ولم يكتف خير الدين بذكر مفاجأة الكمين وبلوغهم مدينة الجزائر، وإنما يضيف مبينا لنا الخسائر التي مني بها جيشه وعزمه على الإنتقام، فيقول: « لقد سقط في هذه المعركة سبعمائة وخمسون شهيدا من البحارة. وبسبب هذا العذر(الغدر) أخذت على نفسي عهدا أن انتقم من إبن الحرام هذا المدعو ابن القاضي، ولن أعف عنه أبدا » [3]

5) : حركة أولاد نايل (1177هـ/1763م).

من هم أولاد نايل؟ هم قبيلة عربية صميمة من كبريات القبائل العربية، يقال أنها وفدت إلى بلاد المغرب مع الزحف الهلالي، وهي تنتسب إلى الجد نايل الذي استوطن منطقة عين الرّيش بالقرب من مدينة الجلفة. وبعد وفاته بضواحي سور الغزلان تفرق أبناؤه الأربعة وهم:

---

1) شويتام، إمارة كوكو، نفسه. ص 12.

2) مذكرات خير الدين ، مصدر سابق، ص. 110.

3) نفس المصدر ، ص. 110.

أحمد، وزكري، ويحي، ومالك، وتكاثرت ذريتهم فيما بعد[1].

-) المجال الجغرافي .

لما توزع أبناء الجد نائل وتكاثر أحفاده نتجت عنهم فروع كثيرة واستقر معظمهم بالمنطقة المحصورة في وسط الجزائر ما بين الأطلسين (الأطلس التلي والأطلس الصحراوي)، والتي تشمل كلاّ من: الأغواط والجلفة وبوسعادة والمسيلة وضواحيها أي: المنطقة الوسطى من الهضاب العليا [2]، بالإضافة إلى بلاد الزّاب ووادي ريغ [3]. فكان بعد الموقع عن مركز البايلك (مدينة لمدية)، وطبيعتة الشبه صحراوية الأثر الكبير في مساعدة أولاد نائل على عصيانهم [4].

إن حركة العصيان التي قامت بها قبيلة أولاد نايل ضد السلطة العثمانية في النصف الثاني من القرن الثّامن عشر (18م) ، تعد من الحركات المناوئة للسلطة العثمانية المسكوت عنها، حسب علمنا، في الكتابات العربية المحلية على الأقل، بغض النظر إلى الإشارة السريعة التي ذكرها مؤلف مجهول صاحب مخطوط (تاريخ قسنطينة)، وحسب اطلاعنا، ربما الحاج أحمد الشريف الزهار من بين القلائل الذين ذكروها، وكذلك الأستاذ أرزقي شويتام، الذي تطرق إليها وتناولها بالدّراسة في كتابه (المجتمع الجزائري وفعالياته...).

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته... ، ص. 286، ها(1).

2) ARNAUD , L. op. ,cit. , p. 327.et suite.

3) الزهار،مصدر سابق ، ص. 52.

4) ARNAUD , L. op.cit. P. 338 .

وبالنظر إلى قلة المصادر والمراجع؛ فإنّنا نتطرق إليها اعتمادا علي ما بين أيدينا من مادّة ولو باختصار. فحركة أولاد نايل تعدّ من الحركات التي أرهقت السلطة العثمانية؛ لطول مدّتها من 1763م إلى 1830م وصعوبة احتوائها؛ إذ اجبرتها على التعامل معها بشتّى الطرق والتي عجزت كلّها على إخمادها، والقضاء عليها، والدليل على ذلك إستعانة سلطة بايلك التيطري بقوات بايلك الغرب تارة، وبقوات بايلك الشرق تارة أخرى. ومن بينها قوات صالح باي الذي توجه لها بقواته وحاربها سنة 1772م في كل من منطقة الجلفة وبوسعادة وضواحيهما [1].

-) أسباب الحركة.

ففي بدايات النصف الثاني من القرن الثّامن عشر(سنة 1177هـ/1763م)، امتنع أولاد نايل عن دفع ما استوجب عليهم من ضريبة وتسليمها لممثل السلطة العثمانية (باي التيطري)، حسب تحديدالسلطات العثمانية أنواع الضرائب وتخصيص الضريبة الملائمة لكل منطقة؛ ولذا فالضريبة المفروضة على أولاد نائل هي من نوع الغرامة والمعونة، وهذا لكون أولاد نائل من القاطنين بالهضاب العليا، بل وربما تضاف ضريبة الضيفة، إذا ما أخذنا في الإعتبار تواجد يعض من أولاد نائل بمنطقة الأغواط،؛ على أساس كونها منطقة رعوية، وبالهضاب العليا [2].

---

1) مختاري حسان، التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج، ج$_2$، منشورات الحضارة، ط$_1$، الجزائر، 2009، ص.238.

2) شويتام، المجتمع الجزائري و... ، ص. 216، 217، 218.

-) موقف السلطة العثمانية.

إنّ السلطة العثمانية، وكعادتها أنّها لا تتسامح مع رافضي دفع الضرائب، والمتمردين سلطتها لأنّ ذلك يعدّ عصيانا لها، وخروجا عن ولائها من جهة، ومن جهة أخرى يعدُّ إضرارا بالخزينة العمومية، ويسبب لها عجزا في إمكانية تسديد أجور القوات الإنكشارية. وأمام هذا الموقف، ما كان من السلطة العثمانية إلاّ أن تعد العدّة وتشنّ حملة عسكرية على أحد مكونات القبيلة؛ وهم أولاد سيدي أحمد؛ لإرغام أولاد نايل الممتنعين عن الواجب الضّريبي. وعينت على رأس الحملة الباي عثمان على رأس قوة عسكريّة لأجل إعادة الممتنعين إلى بيت الطّاعة عنوة. غير أن تفوق أولاد نايل العددي جعل الغلبة تكون لصالحهم، خاصّة في الحملة الأخيرة التي تمت خلال سنة 1177هـ/1763م، أين تمّ إلحاق هزيمة نكراء بالسلطة العثمانية إلى درجة مقتل قائد الحملة نفسه الباي عثمان، من طرف فرع من أولاد نائل، وهم أولاد سيد أحمد[1].

أمّا عن نتيجة الحملة، فإنّه وبالرغم من عدم توفر المعلومات الكافية لدينا، لكن يبدو أن النتيجة كانت في غير صالح السلطة التي حسب ما يبدو أنها واجهت مقاومة قوية وعنيفة، مما جعلها تتكبد خسارة كبيرة، على يد أحد فروع أولاد نايل، وهم أولاد سيدي أحمد. وعلى إثر ذلك، امتنع البايات عن غزو القبائل وتحصيل الغرامات والضرائب ومواصلة مواجهة أولاد نايل من قبل السلطة، ولمدّة إثنتى عشرة يوما، إلا لاحقا، في عهد الباي مصطفى بن سليمان الوزناجي (1209هـ/1795م- 1212هـ/1797م) [2].

---

1) مولاي بلحميسي، ***مدينة لمدية عبر العصور***، مجلة الأصالة، وزارة، التعليم الأصلي والشؤون الدينية، عدد خاص، السنة الأولى، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م، الجزائر. ص. 328 .

2) شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته، ... مرجع سابق، ص، 286، 287 .

وكما هو معروف من قبل عن السلطة العثمانية في تعاملها مع الأهالي، ومع المناوئين لها خاصة في تطبيق القانون في المعاملة وإدارة الصراع؛ الذي استمر مع السلطة العثمانية بواسطة بايات التيطري المتعاقبين[1]، وتراوح بين انتصار على البعض من أولاد نايل، واستعصاء بعضهم الآخر، وبين استعمال القوة، واستعمال الملاينة مرة أخرى. فقد قام الباي مصطفى بن سليمان الوزناجي[2] (1775- 1795م) بمواجهة الوضع، والتصدّي وبفضل قدراته العسكرية والإدارية استطاع التحكم في الأوضاع بجملة من الإجراءات منها: نقل مقر قيادته العسكرية من مدينة المدية إلى مدينة البرواقية للتقرب من مناطق القبائل المناوئة، وبالتّالي التقليل من الجهد الضّائع في السير لمسافات طويلة. كما تودّد إلى أجواد منطقة التيطري والتقرب إليهم، واستطاع أن يضمّهم إلى صفوف جيشه. كما استعمل المسالمة والهدوء المؤقتين لبعض قبائل أولاد نايل للإستقرار في مناطقهم مقابل الخضوع ودفع الضريبة، كأولاد سيدي محمد بن عبد الرحمن بن سالم، الذين ثاروا فيما بعد. لقد استمرت الأوضاع باستمرار صراع المغالبة، بين قبائل أولاد نايل والسلطة العثمانية، إلى أن استطاعت هذه الأخيرة تحويل بعض تلك القبائل إلى قبائل مخزني؛ كأولاد سيدي أحمد، وأولاد رويني. بالإضافة إلى إستعمال أسلوب الحكم الذاتي وهو ما دأبت على تطبيقه الإدارة العثمانية غي الجزائر والمتمثل في تعيين

---

1) قدّرهم أحد الباحثين ب 18 بايا، نذكر منهم، البايات: رجب 1548م، شعبان 1632م، فرحات 1663م، عثمان 1763م، وآخرهم مصطعى بن بومزراق، 1819- 1830م. انظر، مولاي بلحميسي، تاريخ المدن الثلاث الجزائر- المدية- مليانة، منشورات زارة الثقافة،...، ص. 330 ، 331.

2) **هو مصطفى** بن سليمان عرف بالوزناجي لامتهانه مهنة صناعة البارود وهو تركي من مواليد الجزائر، والحيد الذي قضى مدة عشرين سنة كاملة على رأس بايلك التيطري ، كما شارك في التصدي للحملة الأسبانية بقيادة الإيرلندي أوريلي عشرة آلاف وكان النصر يعود بقسط كبير إليه. قتل شنقا بأمر من الداي بابا حسن بعد شكوى من قنصل فرنسا (جون- بون- سانت- أندريه).انظر : E. Vayssettes ,Histoire des derniers Beys de Constantine, A.L.E., Alg.2005, p.43.

على بعض القبائل شيوخا منها لتولي مهمة الإشراف والتواصل بينها وبين السلطة. وبالرغم من تناقص حدّة المناوأة، إلا أنّ الصّدامات قد استمرّت إلى وقت متأخّر من العهد العثماني[1]، وهذا ما سننتناوله لاحقا في الفصل السّادس. ولكن رغم ذلك كلّه، فإن قبائل التيطري لم تخضع كلّها للسلطة العثمانية؛ إذْ بقي بعضها مستعصيّا عليها ومنها، قبائل العذاورة. وأمام استعصائها وما تبقى من تلك القبائل، فقد لجأ الباي إلى آلية أخرى من آليات الحكم والسيطرة، والمتمثلة في أسلوب المصاهرة؛ لعلّه يفتت من صلابة موقفها، ولكنها بقيت ممتنعة عن دفع الضرائب. وبالرغم من ذلك لم تيأس السلطة من مواصلة التصدّي لهذه القبيلة (العذاورة)، ممّا دفع بالباي بومزراق (آخر البايات) هذه المرة إلى آلية أخرى من آليات الحكم وهي الاستعانة بأعيان القبائل والأسر المتنفذة، ولتنفيذ ذلك استعان بأحد الشيوخ، ويدعى محمد بن قويدر من أولاد نفية بمنطقة ديرة، ضواحي سور الغزلان، الذي استطاع إقناع العصاة على دفع الضريبة، لكن دون استقرار نهائي، حيث تجدّدت المواجهات مرة أخرى من جديد، واضطر باي التيطري الاستعانة بقوات باي الغرب محمد بوكابوس. وبعد ذلك واصل الباي بومزراق فرض سلطة البايلك على قبائل عريب، فشن عليهم حملة كبيرة، وفعل فيهم القتل والسبي والأسر، خاصة من قبيلة الأربعاء القريبة من مدينة الأغواط ، ولم ينج من غضبه حتّى شيخهم رابح بن طالب، الذي تم قتله جهارا نهارا بسوق سور الغزلان [2].

كما واصل محاولاته لمواجهة العصيان الذي استشرى في بايلك التيطري من خلال الحملات العسكرية التي يقودها، ومنها الحملة التي سيرها عام 1242هـ/1826م.

---

1) من المعلوم أن القبائل المخزنية (الموالية للسلطة)، تعفى من الضرائب مقابل توّليها مهمة الحفاظ على الأمن والاستقرار، مع القيام بعملية جمع الضرائب من الأهالي لصالح السلطة.

2)) شويتام، المجتمع الجزائري.... ق. 287

كما جرد الباي إبراهيم حملة عسكرية ضد أولاد ضياء من أولاد نائل المتمرّدين، واستطاع أن يتغلب عليهم وسصادر بعض من مواشيهم من إبل وأغنام . ورغم تدخّل الأغا يحي ببعض الترضيات وحلّ النّزاع القائم بين قبيلتي عريب والعذاورة حول ملكية منطقة وادي معمورة، حيث قسّم المنطقة محل النّزاع بين القبيلتين، ثم إعفاء قبيلة عريب من الضرائب، فإنّ التوتر بقي قائما إلى أن جاء نداء الدّاي حسين التعبوي، ضد الخطر الخطر الفرنسي الحالّ والمحدق سنة 1246هـ/ 1830م؛ حيث على إثره هدأت الثورات وتصالحت الإدارة مع القبائل العاصية، ولكنّه تصالح متأخّر[1].

والخلاصة هي: أنّ عصيان أولاد نايل قد استعصى على السلطة العثمانية وأنهك العديد من قواتها وأتعب العديد من باياتها، حيث استمرت قبائل أولاد نايل في عصيانها، واستمرت معها المواجهات، واستعملت السلطة العثمانية خلال تصدّيها لهذه الحركة آليات متعدّدة ومتنوعة. فمن المواجهة العسكرية بقوات البايلك المحلية إلى الاستعانة بقوات بايلك الشرق سنة 1186هـ/1772م بقيادة صالح باي[2]، وبقيادة باي الغرب (بوكابوس محمد)، إلى استعمال القوة النّاعمة كالوساطة تارة، كما أشرنا سابقا، والمتمثّلة في تدخل الآغا يحيى، واستمالة صفوف المناوئين وتفريق تكتلهم تارة أخرى.

---

1) شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته ...، مرجع سابق، صص. 287- 292 .

2) **صالح باي** هو صالح بن مصطفى الزميرلي من مواليد سنة 1725م بأزمير. من أكثر بايات الشرق الجزائري شهرة.عين بايا على بايلك الشرق عام 1771م، وتميز بالصلاح والإنجازات، والمشاركة في التصدي للحركان المناوئة المحلية والتصدي كذلك لبعض الهجمات الأسبانية. ومات مقتولا بعدما تصادم مع السلطة العثمانية وواجهها على إثر عزلته من منصبه. (انظر، مذكرات الشريف الزهار 1774- 1830م، ط$_2$، تحقيق، توفيق المدني، الجزائر، 1985، ص.55، ها(37). كما يذكر حسب الموروث الثقاقي أنه كان محبوبا كثيرا بين السكان، و إثر مقتله حزن عليه السكان ورثوه بقصيدة شعرية ، ولبست النسوة السواد (الملاية السوداء) حزنا وحدادا عليه.

وهكذا لم يتم القضاء عليها إلاّ بعد عدّة عقود من المواجهات. ويبدو أنّ اتساع نطاق انتشار قبائل أولاد نايل على مساحة شاسعة، وبعدهم نسبيا عن نقر القيادة المركزية، بالإضافة إلى كثرة عددهم، قد صعّب من مهمّة السلطة العثمانية. فبعد 227 سنة من الوجود العثماني لم تستطيع السلطات العثمانية أن تسيطر سيطرة كاملة؛ ومن مظاهر ذلك، فشل غارات السلطة على ثورات الجنوب، مما جعلها تتواصل، وخروج بعض قبائل سيباو عن الطاعة، وإعلان بعض القبائل عن استقلالها [1].

وأما عن سبب فشلها في النّهاية، فيعود، في رأينا، إلى عدم وجود تعاون من قبل القبائل الأخرى؛ سواء كانت من بايلك الشرق أو كانت من بايلك الغرب. وقد فسر ذلك الأستاذ شويتام: « بمحدوديتها في المكان والزمان، وعدم القيام بعمل جماعي ضد السلطة، فكانت كل قبيلة تنتفض وتتحرك بمفردها، من غير اتصال أو تنسيق مع غيرها من القبائل الأخرى. وربما ذلك يعود إلى عدم تبلور فكرة الدولة في ذهن المجتمع الريفي. فالدوبة عنده تتوقف عند حدود قبيلته فقط »[2].

وهذا ما لوحظ من خلال الثورات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي؛ بحيث كانت تلك الثورات الشعبية تفتقد إلى توحيد القيّادة والتخطيك والأهداف؛ مما سهّل على المحتل إخمادها الواحدة تلو الأخرى.

---

1) مولاي بلحميسي، ***مدينة لمدية عبر العصور***، ...، ص. 39.

2) من خلال إحدى الجلسات النقاشية حول الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر مع الأستاذ أرزقي شويتام في بيته.

6) : حركة أهل زواوة (فليسة) 1767م.

- الموقع والتسمية:

تقع منطقة فليسة[1] بالجهة الغربية لإمارة كوكو باتجاه دار السلطان أي مدينة الجزائر. ويحدّدها المؤرّخ أدريان بيربريجر(Adrien Berbrugger) بقوله: « إن موطن أهل فليسة أقرب ما يكون من مدينة الجزائر، وبالرغم من وجود منافذ سهلة لبلادهم، إلاّ أنّهم لم يعيشوا ويتمتعوا بالحرية الكاملة والمتواصلة بالمقارنة مع جيرانهم أهل قلعة بني عباس وأهل إمارة كوكو»[2]. وتعود جذور هذه التسمية إلى كون هذه القبيلة كان أفرادها بحّارة يمارسون نساطهم في البحر المتوسط. و بسبب تحطم سفنهم، توقفوا عن نشاطهم البحري، ونزلوا إلى البر، بالمنطقة المحاذية لساحل فاستقروا بلاد زواوة، حسب الروايات المتداولة، وبقوا يعرفون بتلك التسمبة إلى اليوم [3]، وهم بذلك يتميّزون عن قبيلة فليسة الجبلية أي فليسة أوم ليل. لكن أحمد توفيق المدني يحدّد موقع القبيلة بجبل يحمل إسمها بالأطلس البليدي بجوار سهل متيجة، ويقدم لنا وصفا لأفراد هذه القبيلة فيقول عنهم: « كانوا أناسا جهلة لا يعرفون من الإسلام إلاّ الشّهادتين، وكان فيهم من كان يتبع الكتاب والسنّة، وكانوا من جملة الجاهلية يقتلون بعضهم

1) **كلمة فليسة** يقول عنها الأستاذ شويتام، هو إسم لقبيلة من قبائل زواوة. وأصل كلمة فليسة جاءت من كلمة إفليسن باللسان الأمازيغي، (بصيغة الجمع)؛ أي قراصنة، ومفردها إفليس أي قرصان. واشتهرت هذه القبيلة بصناعة السّيوف، حتّى أصبحت نعرف بإفليسن. وإفليس ينقسمون إلى قسمين : أهل البر المعروفون بإفليسن أم ليل، أي القاطنين بالجبال القريبة من دار السلطان, وإفليسن البحر ، وهم القاطنون بساحل البحر ضواحي تيقزيرت . (أ/ المشرف، أ . شويتام).

2) A. Berbrugger, Les Turcs en Kabylie, Bastide édition, Alger, 2012. P. 67.

3) هذه المعلومات أفادني بها زميلي السيد رابح رملي أستاذ التاريخ والجغرافية سابقا، ومدير متوسطة آكلي عمر حاليا ببوزقان(و. تيزي وزو)، خلال شهر ماي 2016م. وكذلك الأستاذ المشرف خلال شهر جانفي 2019، بمنزله.

بعضا، ويقطعون الطرقات على المسافرين، ويذهبون إلى جبالهم ويبيعون للسوّاقين[1] عندهم.... ويمنعون البنات من الإرث ومن مات منهم فإن أخاه أو إبن عمّه يرث زوجته.....فكانوا لا يخافون الله ولا يخشون الأمير مانعين الزكاة و الأعشار»[2]. ومن خلال الأوصاف التي تميز بها أفراد هذه القبيلة، يتضح أنهم أناس غلاظ شداد لا يعترفون بأي سلطة ولا يقبلون أي تسلط ، دون أن ننسى البيئة الطبيعية وما تؤثر به على ساكنها، ومن ثمة فهم للعصيان والتمرد أقرب عن أداء الواجب نحو السلطة، وخاصة الواجب الضريبي. وهذا ما يؤكّد ما ذكرناع عن أهل زواوة خلال استعراض حركتهم سنة 1745م فيما سلف.

-) أسباب الحركة.

كانت الصفات التي رصدها أحمد توفيق المدني، والتي تميز بها أهل فليسة من العوامل التي تساعد على تحمل المشاق ومواجهة الصعوبات من العوامل المشجعة على التمرد. ففي سنة 1181هـ/ 1767م حدث وأن امتنعت هذه القبيلة عن قبول أوامر السلطة العثمانية، وامتنعت عن أداء الضريبة المفروضة عليها. وأمام الإمتناع عن دفع ما عليهم من واجبات والمتمثلة في دفع الزكاة المشروعة وغيرها من الواجبات فقد أظهروا وأعلنوا عصيانهم [3].

وأمام هذا الموقف ما كان من السلطة العثمانية إلاّ أن تحاول إرجاعهم إلى جادّة الطريق، وتحملهم على دخول بيت الطاعة، على غرار القبائل الأخرى وتحملهم على الخضوع ودفع الضريبة مهما كانت الصّعوبات. ولأجل ذلك اتخذت من التدابير ما يناسب حركة أهل

---

1) **السوّاقون** ، يقصد بهم مرتادي الأسوق للتجارة أو للتبضع، أو لأغراض أخر.

2) المدني، محمد عثمان باشا،... ، ص. 101.

3) المدني، محمد بن عثمان ...، ص. 101

فليسة والتي تمثلت في إرسال محلّة عسكرية خلال نفس السّنة (1767م) حتى يجبر العصاة والممتنعين على الأداء، غير أنّ هذا الإجراء لم تكن له جدوى، إذْ تصدّى المناوؤون للمحلة وألحقوا بها شر هزيمة، ولا ندري عن سر إرسال محلة واحدة بقبيلة جبلية تميزت بالغلظة والخشونة والنأي عن السلطة ؟ فهل هو استخفاف بالعصاة ؟ أم قلة الإمكانيات البشريه في صفوف القوات العسكرية ؟

وأمام نقص المعلومات حول الأحداث التي جرت في منطقة فليسة سواء من قبل المؤرخين المحليين الذين ليس لهم الرغبة في كتابة التاريخ، حسب بيربروجر[1]، أو حتى من الأجانب، خاصة المجايلين للأحداث، باستثناء بعض الكتابات الفرنسية على غرار المؤرخ بيربروجر (Berbrugger) الذي نقل لنا ما سجله أحد الأهالي دون التعريف به: « في عام 1181هـ ثورة الفليسيين ». ثم بعد مدة نقل لنا قوله: « في عام 1182هـ/1768م توجه والي آغا نحو أهل فليسة؛ وقتل منهم 3000 رجلا بينما خسر هو 600 فرد فقط » [2]. وهو ما يقابل 1767من و1768م على التّوالي[3]. لكن مهما كانت الاحتمالات ومهما كان الغموض، فإن الثابت هو أن في عام 1767م على عهد الباشا محمد بن عثمان (1766- 1791م) قام أهل فليسة بثورة؛ تمثلت في عصيانهم برفضهم دفع الضرائب، مما دفع بالباشا أن يسيّر إليهم قوة عسكرية من ألف ومائة رجل (1100) من الإنكشاريين تحت قيادة الآغا لإرغامهم على الطاعة، وإجبارهم على دفع الضريبة. لكن ما هي النتيجة التي آلت إليها هذه المواجهة وهل حققت السلطة العثمانية هدفها من الحملة ؟ يخبرنا بعض الدّارسين عن فرار الآغا قائد الحملة

---

1) A. Berbrugger, Les Turcs…,op. cit., p. 68.

2) A. , Berbrugger , LesTurcs…, op . cit .p . 68. 69.

3) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، مكتبة العبيكان، (د. ت.)، ص. 316.

من المعركة تاركا عناصره يواجهون مصيرهم من دونه، وكانت النتيجة انهزام القوات الحكوميّة أمام أهل فليسة وبخسارة قدّرت بـ 300 رجل، مما حتم السلطة المركزية إصدار الأوامر بالانسحاب والعودة إلى مدينة الجزائر. وهذا الإنتصار لم يكن مستغربا فأهل فليسة ركبوا البحر، وإمتهنوا (القرصنة)، وكانوا من صنّاع السّيوف، وبالتّالي فإنّ من يتقن صناعة السّيف فإنّه يحسن مسكه. أما عن الآغا، فكانا مصيره الإعدام شنقا، وتم استخلافه من قبل الداي محمد بن عثمان بخوجة الخيل المسمى والي أو (واعلي). كما أسفرت هذه النتيجة عن استعداد الداي أكثر للكر على المتمردين خلال العام المقبل. استعد الداي محمد بن عثمان من جديد، خلال العام الموالي (1182هـ/1768م) سيّر محلّة أكبر من سابقتها إلى أهل فليسة المتمردين، واختار باي قسنطينة قائدا لها، وكات معركة دامية، وحامية الوطيس. ولكن رغم كل ذلك فقد آلت نتيجة الصدام إلى انهزام القوات الحكومية من جديد، إذْ بالرغم من فقدان المتمردين 3000 من رجالهم، بما فيهم قائدهم، بينما خسارة عناصر الجيش الإنكشاري بلغت 1200 رجل [1].

هكذا كانت رياح المتمردين قد جرت بما لا يشتهي سفن السلطة، ومنيت المحلة الثانية المرسلة بهزيمة كسابقتها، وكانت هذه الهزيمة بمثابة مؤشر عن مدى خطورة الوضع وجدية الموقف، وخوفا من استشراء عدوى العصيان، والتمرد، والامتناع عن دفع الضرائب بين القبائل الأخرى. سارعت السلطة العثمانية من اتخاذ الاجراء المناسب لاستخلاص الضرائب والحفاظ على هيبة الدولة [2].

وممّا يذكر عن صراع أهل المنطقة مع القوات النّظاميّة والمتميز بالحدّة في عمومه، حادثة مع الباي الذباح. حيث يروي آيت إراتن بكل فخر وكبرياء حادثة 150 مقاتلا من

1) A , Berbrugger, Les Turcs …, op. cit. pp. 69, 70 .

2) المدني، محمد بن عثمان ...، ص. 101.

مقاتليهم الذين اشتركوا في مكيدة، أثناء الحملة والهجوم الذي قام به محمد الذباح ضد معاقلهم، تلك المجموعة من الرجال كمنوا في وادي يسمى (سمضا) ليفاجأوا العدو من الخلف والذي كان مقررا له مهاجمة قرية عدني عن طريق سوق الحد، إلا أن اكتشاف المهاجمين أفسد خطة الهجوم، مما دفع بالأتراك، ومساعديهم، من الفرار عند أول طلقة رصاص، متجهين نحو طريق تاقصبت [1].

-) موقف السلطة العثمانية.

أمام هذا الفشل المتكرر، هل تسلم السلطة بالأمر الواقع، وتتجنب المزيد من الإخفاقات؟ أم ستصمد وتثبت قوتها وصلابتها؟ وماهو السبيل الذي ستتبعه السلطة في مواجهة أهل فليسة، ونحن قد عرفنا فيما سبق أن السلطات العثمانية تتعامل مع المناوئين لها بشتى الطرق والأساليب، وذلك وفق ما يتناسب مع الظروف السائدة، حتى يتسنّى لها السيطرة والتحكم في الوضع ؟ ولأجل ذلك كله قام الدّاي باستعدادات من جميع النواحي، وسخر لذلك سبع محلاّت عسكرية وقصد بها جبل فليسة [2].

ولما وصلت القوات النظامية كانت على موعد مع فلول المتمردين وتطاحن الطرفان إلى أن مالت الكفة لصالح القوات الحكومية، وذلك بعد التعبئة والحشد العسكري اللذي قامت بهما السلطة، لتنتهي المواجهة بانكسار شوكة أهل فليسة ويقر أهلها بالانهزام، بل أصبحوا يطالبون بالأمان مع تعهدهم بدفع مالمتنعوا على دفعه سنويا سابقا.

---

1) هانوتو ولوتورنو، منطقة القبائل الكبرى:العادات القبائلية التنظيم السياسي والإداري،ترجمة مزيان الحاج أحمد قاسم، منشورات كرجا، الأربعاء ناث إيراثن، 2013، ص. 115.. ق. 21.

2) المدني، محمد بن عثمان... ، ص. 101.

وبعد ما حقّقت السلطة هدفها في إخضاع أهل فليسة وهدأت الأمور، قامت السلطات العثمانية بتنصيب أشياخا يتولون أمور القبيلة، ويكونون واسطة بينها وبين السكان، وبعد ذلك سحب الأمحال العسكرية من المنطقة [1].

لكن بعض الدّراسات تشير إلى أنّ السلطة العثمانية قد لجأت إلى أسلوب الحوار، بدل اسلوب السلاح؛ الذي تأكدت السلطة من عدم جدواه على الأقل مع أهل فليسة، في هذه المرحلة وبعد الهزيمة التي منيت بها أمام الفليسيّين وهو ما دفع بها إلى الخضوع لأسلوب الحوار والتفاوض. حيث أرسل لهم الداي أحد الآغوات من أجل التفاوض والبحث عن الحلول الودّيّة إلاّ أن الثائرين لم يستمعوا إليه ورفضوا التحاور معه؛ ويبدو أن نشوة الانتصار قد شجّعتهم على ذلك. فقع ما كانت تخشاه السلطة؛ إذْ انتشرت عدوى العصيان إلى غرب المنطقة [2].

والسؤال هو: هل تعيين الأشياخ على قبيلة فليسة، من قبل السلطة وسحب المحلات العسكرية من المنطقة يعني انتصار السلطة على المتمرّدين وإخضاعهم نهائيّا؟ إنّ الأحداث اللاّحقة تخبرنا بأن جذوة العصيان لم تنطفئ بعد. وأنّ أهل قبيلة فليسة لا زالوا يحنون إلى التمرد، وقد جُبلوا على عدم الخضوع والتبعيّة. فيذكر أنّه لمّا عزم الدّاي أحمد شن حملة على تونس سنة 1221هـ/1806م، انتهز أهل فليسة تلك الظروف وقاموا بانتفاضة ثانية، إلاّ أنّه في النّهاية توصل الطرفان إلى عقد الصلح، والتزم كلاهما باحترام ما تمّ الاتفاق عليه. وقد يعود رضوخ السلطة إلى الصلح وقبول التفاوض، مع المناوئين إلى انشغال الدّاي بالحملة على

---

1) المدني، محمد عثمان،... ، ص. 101.

2) A. Berbrugger, Les Turcs …, op. cit . p. 70.

تونس[1]. إنّ ما يمكن ملاحظته واستخلاصه من حركة قبيلة فليسة، هو: أنّه بالرغم من ضيق نطاقها الجغرافي، إلاّ أنّها كانت متجذّرة بين السكان، والدّليل على ذلك هو ظهورها لأول مرّة كان سنة 1181هـ/1767م. ثم ظهرت من جديد بعد أزيد من نصف قرن أي سنة1231هـ/ 1815م، في نفس المكان ومن نفس القبيلة، وهو ما يدل على رسوخ فكرة التمرد وعصيان السلطة بين أهل فليسة. وهذا ما يعزز فكرة عدم استطاعة السلطة العثمانية السيطرة الشّاملة والكاملة على منطقة أهل زواوة عموما [2]. ولو أن الفليسيّين لم يتمتعوا بما تمتّع به جيرانهم (بني عباس وأهل كوكو) بالحرية شبه الكاملة [3].

7) : حركة أهل الأغواط 1785م.

تعتبر علاقة منطقة الأغواط عموما، والمدينة (الأغواط) على وجه التحديد بالوجودالعثماني علاقة متأخّرة جدّا بالمقارنة مع المناطق الأخرى من البلاد، وتعود بداياتها إلى سنة 1727م، حسب قاموس (localités algeriennes)، لكن بصفة رسمية فإنّها تعود إلى بداية الحصار الذي ضربه باي التيطري سنة 1741م على المدينة وأسقطها، ثم عاد إلى المدية بعد ذلك [4].

---

1) المدني، محمد بن عثمان ... ، ص. 58،59.

2) Berbrugger, Les Turcs …, op. cit. p. 68.

3) Iidem, p. 68.

4) Achour Cheurfi, dictionnaire des localites algeriènnes, édition CASBAH, 2011, p.711.

-) وضع الأغواط خلال العهد العثماني .

لقد تقلبت وضعية الأغواط الإدارية، وتبعيتها خلال العهد العثماني، ما بين بايلك التيطري وبايلك وهران ودار السلطان. ففي البداية كانت الأغواط تابعة لبايلك التيطري ومن ضمن ممتلكاته وتحت إمرة باي المدية المذكور أعلاه وإشرافه. ثم فيما بعد تحولت تبعيتها وأصبحت تابعة لبايلك وهران، وتحت سلطته. ثم عادت مرة أخرى وبصفة نهائية إلى سلطة باي التيطري. ولكن في آخر العهد العثماني باتت المدينة تحت الإشراف المباشر لآغا الجزائر العاصمة، وبالتالي تخضع للداي رأسا وتدفع الأتاوة له، ولو أنها مبلغا محدودا. وخلال هذه التقلبات بين بايلك التيطري وبايلك الغرب عاشت مدينة الأغواط صراعات بين أهم مكوناتها القبلية، بالإضافة إللى صرعات أولاد الأغواط مع بني ميزاب [1]. كما غذّتها التجاذبات الكبيرة بين المدية والجزائر ووهران [2].

وهنا نلاحظ االتعامل الإداري والسيّاسة العثمانيّة المتقلّبة وفق ما يخدم الإدارة المركزيّة. والحجّة في ذلك قد تكمن قي موقع المدينة، وبعدها عن دار السلطان؛ الشيء الذي يحتّم عل السلطة البحث عن نجاعة الإلحاق. وقد مر بنا وضع منطقة سيباو؛ لما كانت تابعة لبايلك التيطري، ثم أصبحت لاحقا تتمتع بوضع خاص بعدما سُلخت منه .

---

1) E . Mangin, Notes sur L'Histoire de Laghouat, Adolphe Jourdan, libraire- éditeur, Alger, 1895, p . 34.

2) مارسيل إمريت، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، تر. عبد الحميد بورايو وحميد بو حبيب دار الرّائد للكتاب، الجزائر، 2014م، ص. 336.

-) أسباب العصيان.

امتنع سكان مدينة الأغواط سنة 1200هـ/1785م، وهم تحت سلطة باي وهران محمد بن عثمان، عن أداء الضريبة التي فرضتها السلطة العثمانية، والمقدّرة بـ700 ريال[1]. ولا ندري هل هو عصيان بإرادة ذاتية، أم عصيان بتأثير خارجي؟ لكن العصيان قد وقع والإمتناع كان مؤكدا، وأمام هذا الواقع المرفوض من قبل السلطة العثمانية التي ماكان أمامها سوى اتخاذ الإجراءات الضرورية ضد أهل الأغواط، لثني إرادتهم، وحملهم على الامتثال والدفع. ولا نستبعد أن يكون للطريقة التيجانية تأثير في تلك الأحداث لكون سكان المنطقة كانوا تحت تأثير الطّريقة التيجانية بحكم المكان. لكن مهما كانت الأسباب فإنّنا نتساءل عن موقف السلطة العثمانيّة، كيف كان؟ هل كان لها موقفا حازما تجاه الحركة وأتباعها؟ أم كان موقفا مترهّلا, أو مغايرا ؟

- الحملة الأولى:

لتنفيذ ذلك، أمر داي الجزائر، باي بايلك الغرب، محمد بن عثمان (1784هـ/1799م) بالاستعداد وإعداد العدّة للقيام بحملة عسكرية للتصدّي لهذه الحركة المناوئة للسلطة. لكن رغم الإستعدادات، ووعزم الباي على ثني العصاة، إلا أن حملته باءت بالفشل. وعاد الباي إلى مقره بوهران خائبا.

- الحملة الثانية.

لم تيأس السلطة العثمانية من محاولة تأديب الممتنعين عن دفع الضرائب المفروضة،

1) E . Mangin, op. cit. , p . 34 , 35.

ولا عن إخضاعهم إلى سلطتها، ولذلك، قامت في السنة التالية (1201هـ/1786م) بتجهيز حملة جديدة بقيادة باي وهران. وفي هذه المرة قررت تضييق الخناق على العصاة. وبدأت بمحاصرة المدينة لمدّة حوالي شهرين، ومن المؤكد أنّها استعدّت لهذه المواجهة أكثر من المرّة الأولى، وأمّنت ما تحتاج إليه من مؤونة وذخائر والكثير من المستلزمات والمعدّات ، وذلك تحسّبا لبعد مدينة الأغواط عن مقر البايلك، إلاّ أنها خابت وخاب مسعاها، وباءت حملتها بالفشل، والذي يعود سببه في قدر كبير منه إلى التحصينات والاستعدادات التي قام بها سكان عين ماضي والأغواط ، تحت قيادة زعيمهم الرّوحي الشيخ سيدي التيجاني [1] .

- الحملة الثالثة.

بالرغم من الفشل المتكرر خلال سنتين متتاليتين، إلاّ أنّ السلطة العثمانية قامت بحملة أخرى ثالثة في السّنة الموالية (1787م)، بقيادة باي وهران الذي وجه حملة جديدة تحت إمرة خليفته نحو منطقة الأغواط، ولما وصلها حاصر قصر عين ماضي استطاع إخضاعه [2]. وهذا ما أكّده من عايشوا المرحلة وشاركوا في أحداثها. على أن سكان المنطقة لم يكن يخطر ببالهم الموقف الحازم الذي اتخذته السلطة العثمانيّة نحوهم، حتّى تفاجأوا بمقدم القوة العثمانيّة إليهم وعلى رأسها باي الغرب محمد الكبير نفسه. فيقول أحد المشاركين في الحملة: «... ثم أصبح مرتحلا قاصدا (عين ماضي) فوصلها في ثلاث ساعات فلمّا رأوا أهلها خيله قد طلعت،

---

1) Gorguos, « ***Notice sur le Bey d'Oran Mohamed el kebir*** », R .A. N°1, Alger 1856-57, p. 412.

وانظر أيضا، شويتام، المجتمع الجزائري.........ص. 298.

2) Achour Cheurfi , op.cit. p.711.

وبنوده قد أقبلت، فزعت قلوبهم، وطاشت عقولهم، وغلقوا الدّيار وعلوا الأسوار وهم مصرخون وبالطّاعة وطلب الشّريعة معلنون، فنزلت المحلّة قرب السّور [سور المدينة] » [1].

ومن سياق النص؛ نستخلص أن مجيء القوات العثمانيّة كان بغتة، وفي سريّة تامّة، وانطلاقتها كانت من قريب. حيث لمّا شاع وصول القوات العثمانيّة ، وانتشر الخبر بين الدّاني والقاصي، وخرج الجميع لاستقبال الباي وقواته. وبعد استقباله لأعيان البلدة من مشايخ وعلماء، تلقى الباي الأعذار والترضيّات المعنوية، وأسباب عدم دفع ما فرض عليهم من ضريبة سابقا. وهنا تدخّل الباي بسيّاسة الترضيّات والاحتواء. فيذكر أنّه بعدما اسنعرضوا عجزهم عن الدّفع واستعطافهم قرّر تخفيض ماكانوا ملزمين به. بل قام باالتّكرّم على نسائهم، وإهدائهنّ أساور من الفضّة. وفي يوم الغد، تم تقديم ما استطاعوا تقديمه من خيل وخدم ونقود، بالإضافة إلى ما تكرّم به الأعيان من علف لحيوانات المحلّة. أما، ماعجزوا عليه من بقيّة اللزمة فقد أسقطه الباي عنهم. ولم يتوقف الأمر عن سكان عين ماضي فقط بل اتصل به بعض السكان من خارج المدينة، ويتعلّق الأمر بقبيلة أولاد يعقوب التي لمّا سمعت بقدوم الباي محمد الكبير على رأس محلّة عشمريّة حتّى سارعوا وقدموا إلى الباى وبين أيديهم لزمتهم، والمتمثّلة في بعض الأبل وبعض الخيل. كما التحق أهل الأغواك بفسطاط الباي وجاؤوه حاملين بعضا من لزمتهم والتي تمثّلت في مبلغ من الريّالات وأعدادا من الخدم والإبل، أما البقيّة المتبقيّة فسدفع لاحقا[2].

ونستخلص من خلال ما سبق، أنّ سبب امتناع سكان منطقة عين ماضي والأغواط وما جاورهما، عن دفع ما عليهم من لزمة، يعود إلى عدم قدرتهم عل دفع ما فرض عليهم. كما يمكننا الوقوف على سيّاسة الرفق بالرعيّة من قبل السلطة العثمانيّة. وبالتّالي نجاعة سياسة الإحتواء. وبذلك تحول العصيان إلى طاعة واعتراف بالسلطة فيما بعد.

---

1) بن هطّال، مصدر سابق، ص. 72.

2) ابن هطّال، المصدر السابق، ص. 74، 75.

الفصل السّابع

مرحلة الدّايات الفترة الثانية (1801- 1830م)

- المبحث الأول: الوضع العام خلال فترة الدّايات الثانية (1801- 1830م).

1- الوضع السيّاسي.

2- الوضع الاجتماعي (الصحّي).

- المبحث الثّاني: الحركات المناوئة للسلطة العثمانية خلال فترة الدّايات الثّانية (1801- 1830م).

1) حركة ابن الأحرش 1804م.

2) حركة ابن الشريف الدرقاوي 1805م.

3) حركة الباي محمد شاكر 1814م.

4) الحركة التيجانية 1825م.

5) حركة بني جلاب 1829م.

6) حملات يحيى آغا على بلاد الزواوة 1828م.

تعتبر المرحلة الثّانية من عهد الدّايات، والتي اعتبرناها زمنيّا ابتداء من بداية القرن التّاسع عشر الميلادي (1801م)، فترة مميّزة عمّا سبقها، خاصة في المجالين السياسي والأمني؛ وذلك لما عرفته من كثرة اغتيالات في صفوف الدايات، ومن حركات التمرد بالناحيتين الشرقية والغربية من الإيالة [1]، خاصة حركتا إبن الأحرش وإبن الشريف الدرقاويين[2].

فبالرغم من القصر النسبي لمدّتها الزّمنية، إلاّ أنّها غنية بالأحداث، خاصّة منها الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر. بالإضافة إلى الأزمات الإجتماعيّة، خاصّة في الميدان الصحّي والغذائي، ناهيك عن الميدان الأمني سواء الخارجي أو الدّاخلي حلى حدّ سواء. وهذا ما سندرسه في هذا الفصل مركّزين على الحركات المناوئة التي ظهرت خلال هذه الفترة الزمنية (1801- 1830م):

---

1) شويتام، نهاية الحكم العثماني ...، ص. 27.

2) عباد، مرجع سابق، ص. 194.

-المبحث الأول: الوضع العام (1801- 1830م).

1) الوضع السياسي.

قد تكون مقولة "لا يصلح العطار ما أفسده الدهر" أليق وأصوب لما آلت إليه الأوضاع بمختلف جوانبها، في أواخر العهد العثماني، وبالتالي عوامل الشيخوخة، أو ما يعرف بالنظرية الخلدونية والمتمثّلة في كون حياة الدول كحياة البشر: تولد وتكبر ثم تقوى، فتهرم ويصيبها العجز. وهذا ما بدا ظاهرا للعيان. حيث برزت في السّنوات الأخيرة علامات الضّعف والإنهيار، وإن كانت أسباب الضعف وعوامله تعود إلى المرحلة الثانية من مراحل العهد العثماني [1].

لقد كانت الاضطرابات على كل المستويات؛ سواء على المستوى القاعدي أي على مستوى السكان والقبائل، أو على مستوى هرم السلطة، حيث عرفت هذه الأخيرة خلال الأربعين سنة الأخيرة من عمر الدولة تعاقب ثمانية دايات، مما يدل على انعدام الإستقرار. بل انعدام الأمن كذلك؛ بحيث ستة من أولئك الدايات الثمانية تم اغتيالهم[2].

حيث عرف النصف الأول من هذه الفترة (1801- 1830م) جملة من الإغتيالات راح ضحيتها ست دايات وهم الداي مصطفى باشا (1805م) والدّاي أحمد (1808م) والداي على المعروف بالغسال (1809م) وفي نفس السنة ، تم اغتيال الدّاي الحاج على (1809م) وكذلك اغتيال الدّاي محمد (1814م) ثم سادسهم الدّاي عمر آغا (1817م). فإذا كان الأمر بهذا الشكل وهذا العنف بعاصمة الإيالة، وعلى مستوى هرم السلطة ! فكيف يكون بالمناطق

1) شويتام، نهاية الحكم العثماني ...، ص. 27.

2) شويتام، نفسه، ص. 27.

البعيدة عنها؟ لقد سجّل الكثير من المؤرخين ما يعكس ذلك على مستوى بايلك الشرق الذي عرف بعد مقتل صالح باي سنة 1792م، العديد من الإغتيالات [1].

أما على مستوى القاعدة، فقد رصدت العديد من حركات التمرد المناوئة ضد السلطة العثمانية بشرق البلاد وغربها، كما أشرنا في مستهل هذه الفترة حيث لا تكاد تتوقف حركة حتى تقوم أخرى[2]. فكل هذه الحالات، وهذا هو ما ميّز الوضع خلال المرحلة الثّانيّة من عهد الدّايات على المستوى الدّاخلي. ولم يتوقف الأمر داخليا، بل كانت التحرشات العسكرية الخارجية هي الأخرى قد رمت بكلكلها على الساحة السياسية، وأبرزها الحملتان الأمريكية والأنجليزية على الجزائر سنتي: 1815م، 1816م ، ناهيك عن الضعف العسكري الملحوظ .

2) الوضع الاجتماعي (الصحّي).

لقد تميز الوضع الصحّي خلال هذه الفترة وبالخصوص خلال سنة 1803م بظهور عدة أوبئة وأبرزها: وباء الجدري. ومن الأماكن التي انتشر فيها هذا الوباء هي مقاطعة دار السلطان وبالخصوص مدينة الجزائر، كما ظهر في بايلك الشرق الجزائري، ولا سيما مدينة قسنطينة [3]. كما سجل المؤرخون ظهور وباء الطاعون بعاصمة بايلك الغرب الجزائري ، وذلك خلال سنتي 1802 و 1804م، ثم ظهر بكل من عنابة سنة 1816م و مدينة الجزائر خلال سنتي 1816م و 1817م وقسنطينة كذلك، واستمر في الظهور بشكل أوسع خلال السنوات:

---

1) سعيدوني والبوعبدلّي، الجزائر في التّاريخ...، ص. 40، 41.

2) نفسه ، ص. 36.

3) فلة موساوي – القشاعي، الواقع الصحي ...، ص. 262.

1819، و1820، و1821، و1822م [1]. أما عن أسباب انتشار هذه الأوبئة والأمراض الأخرى، والتي لم نأت على ذكرها إنما ترجع إلى إنتشار بعضها من مناطق خارجية إلى الجزائر عبر الرحالة والأسرى والتجار، والمجندين، والطلبة، والحجّاج. وكذلك بسبب قلة الأطباء، كما لاحظ الرحالة الدكتور طوماس شو (SHAW)، الذي قال في هذا الصّدد:

« لقد دامت إقامتي بمدينة الجزائر إثني عشرة سنة، رأيت خلالها عددا ضئيلا من الأطباء الذين يعلمون بالرّازي، وابن رشد...»[2]. كما كانت الجزائر تفتقر إلى المنشآت والهياكل الصحية. ولذلك حصدت الأوبئة والأمراض الكثير من الأنفس المدنية والعسكرية على حد سواء [3]. كما سجل المؤرخون ظاهرة المجاعات المتكررة خاصّة مع مطلع القرن التّاسع عشر[4].

- المبحث الثاني: الحركات المناوئة خلال الفترة الثّانية (1801- 1830م).

لقد ألمحنا سلفا، بأن السنوات الأخيرة من العهد العثماني المتوافقة مع بدايات القرن التاسع عشر بأنها متميزة بالإضطرابات السياسية وكثرة الثورات المناوئة، والتي تعتبر من العوامل الرئيسة في ضعف الدولة الجزائرية على مستوى كل المجالات السياسية ، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، ولقد تفاعلت في على ذلك الظروف الداخلية والخارجية. فقد أدى تدهور تلك الأوضاع إلى ضعف السلطة، وتراجع دورها، إذ لم لعد قادرة على التحكم في زمام الأمور ومجاراة الأحداث المتسارعة على الصعيدين الداخلي والخارجي. وقد كانت هذه الظروف

---

1) القشاعي، مرجع سابق، ص. 252.

2) القشاعي، المرجع نفسه، ص. 273.

3) شويتام، نهاية الحكم العثماني...، ص. 56.

4) سعيدوني، من التراث التاريخي...، ص. 473.

بيئة مساعدة على ظهور المناوئين وتنامي حركاتهم، وتجلى ذلك في اندلاع العديد من الحركات المناوئة للسلطة من شرق البلاد إلى غربها، وهذا ما تشهد عليه مصادر تلك الفترة.

1) حركة ابن الأحرش سنة 1804م.

قبل تناول هذه الحركة بالدراسة نقدم تعريفا موجزا لصاحب الحركة، والمعروف باسم ابن الأحرش. فهو سي محمد (الحاج محمد) بن عبد الله الأحرش الشهير بالبودالي وبـ(الشريف)، وفي بعض المراجع يدعى الحاج محمد بن الأحرش. وهو صاحب الطريقة الدرقاوية مثل الشيخ عبد القادر بن (الشريف) الكساني. وينتسب محمد بن الأحرش إلى المغرب الأقصى (أي من أصل مغربي) [1]. ومع ذلك، فليس هناك اجماع، ولا اتفاق بين الوؤرّخين، على نسبه الشريف؛ ولذلك يوجد من جرح في نسبه المغربي[2]. اللّهم إلاّ إذا كان المقصود بالمغرب، ليس المغرب الأقصى، وإنما المقصود هو الغرب الجزائري.

وهذا ما يؤكّده محمد بن الأمير عبد القادر في تحفة الزّائر، فيقول « وهو من عرب المغرب الأقصى رحل من بلاده للحجّ »[3]. ويصفه (ساندر رانغ) بقوله: « كان رجل مرابط يدعى الحاج محمد بن الأحرش مغربي النشأة، شاب شجاع له خيال واسع، استطاع بتحريض من الأنجليز أن يجمع حوله قبائل جيجل الجبلية مدّعيا أنّه مرسول من السماء ...»[4].

---

1) الراشدي، الثغر الجماني...، ص. 42،45.

2) عباد، مرجع سابق، ص. 194.

3) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، دار الوعي، ط2، الجزائر، 2015 ، ص. 139.

4) فايسات، مرجع سابق، ص. 113، ها (1).

تعد حركة إبن الأحرش أو كما سماها مؤلف مجهول صاحب (تاريخ قسنطينة)[1] بثورة القبائلي، ولا ندر على أي أساسس نسبه بهذا النّسب ؟ ألمعلومات موثوقة لديه ؟ أم أنّها مبنية على القيل والقال، أوعلى تشبيهات وتسميات عابرة ومتداولة فقط ؟ أما نحن فنستبعد ذلك من كون ابن الأحرش قبائلى، لأنه لو كان كذلك لما هاجم بقواته خلال ثورته بجاية وضواحيها خاصة الشرقية منها [2]. لكن مهما كان الأمر، فإنّ الثّابت الذي نستأنس به هو كون حركته لم تظهر في بلاد الزواوة، وكذلك لما توقّفت، وغاب عن ساحة المواجهة، لم يلجأ إلى منطقة زواوة. لذا يبقى تحفظنا قائما على تسمية ثورة ابن الأحرش بثورة القبائلي؛ حتى تكشف عنه بحوث الباحثين. وعلى أي حال؛ فهي من الحركات الكبيرة والخطيرة المناوئة للسلطة العثمانية في بايلك الشرق الجزائري، في عهد الباي عثمان[3]. والتي هددت الكيان السياسي بشكل مباشر. ويكاد يجمع كل المؤرخين على أن ثورة إبن الأحرش التي اندلعت سنة (1804م) [4]، على أنها من أكبر. بل وأخطر الحركات المناوئة للسلطة العثمانية. وقد شبّهها النّقيب الفرنسي ساندر رانغ بالعاصفة [5]. وبغض النظر عن تاريخ اندلاعها، على أنّها تعدّ الأكثر عنفا،

---

1) مجهول، تاريخ قسنطينة. هو مخطوط حققه حساني مختار يتناول جزءا من تاريخ قسنطينة، وتعرض له في الجزء الثاني من كتابه التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج، وفيه استعرض بعض بايات قسنطينة ابتداء من صالح باي (1771-1791م)، إلى غاية الباي إيراهيم شاوش القبائلي، والمعروف بإبراهيم الكريتلي (1822- 1824م).

2) Sander Rang, les etablissements francaises de l’an 1840, p. 560.

3) المعروف بعثمان الأعور الكوروغلي ابن الباي محمد الكبير، ويتميز بلونه الأسمر كأنه زنجي، وببدانته الكبيرة .(انظر: قورقوس، المجلة الإفريقية العدد(5)، سنة 1861م. وعمل بايا خلفا لأبيه على بايلك الغرب، وبعد نفيه إلى البليدة (1799-1802م) عين على بايلك قسنطينة. كما تميز بالصرامة وكرهه للأتراك بسبب ظلمهم. انظر، فايست، تاريخ بايات قسنطينة...ص. 109.

4) جاء في كتاب مجاعات قسنطينة للعنتري أن اندلاع ثورة إبن الأحرش كان في 1803م .

5) Sander Rang, op .cit . P . 560.

والأشد تأثيرا، على سكان بايلك الشرق، وعلى السلطة المحليّة به وعلى السلطة العثمانية في إيالة الجزائر على وجه العموم. وقد استمدت ثورة ابن الأحرش قوتها وتأثيرها من عدة عوامل[1]:

أولا: من حيث شخصية ابن الأحرش، شاع عن قائد الحركة (إبن الأحرش) أنه مرسول من السماء وأن رسالته موجّهة ضد المسيحيين، وهذا الهدف يعد في حدّ ذاته سند وقوة من القوى الداخلية له. خاصّة إذا علمنا أن المناخ الثقافي والفكري السّائد في المجتمع كان زاخرا بالخرافات والإيمان بالخوارق. ومشحونا بكراهية المسيحيين بسبب اعتداءاتهم المتكرّرة على سواحل البلاد .

ثانيا: مما حقّقه إبن الأحرش في تحركاته الأولى، بعد هجومه على صيادي المرجان الفرنسيين، حيث تمكن من قتل عدد منهم، وأسر 34 فرنسيا آخرين. بالإضافة إلى استيلائه على بعض من قواربهم.

ثالثا: انتشار شائعات عقب ثورة إبن الأحرش مفادها، أن ثورة إبن الأحرش يقف وراءها الفرنسيون، وأنّ أخا نابليون نفسه كان ضمن قيادة الثورة !. وهذا مستبعد جدا ، فكيف يعقل أن يكون محاربا باسم الفرنسببن ، وهو قد حاربهم بمصر [2].

رابعا: وهناك رأي آخر، ويتمثل في اتهام الإنجليز؛ بأنهم هم الذين من حرّضوا إبن الأحرش وشجّعوه أثناء عودته من أداء فريضة الحج، مرورا بالقاهرة على القيام بالثورة ضد السلطة العثمانية سنة1219هـ/1804م وصاحب هذا الرأي ساندر رانغ الذي يعتمد في اتهام انجلترا

---

1) فايسات، تاريخ بايات قسنطينة، .... ص. 113.

2) فايست، تاريخ بايات قسنطينة...، ص. 110.

أنها انتقمت بسبب التقارب الذي تم من خلال إتفاقية السلام التي أبرمها القنصل الفرنسي ديبوا ثانفيل (Dubois Thanville) مع داي الجزائر [1].

كما شاع عنه كذلك، أنّ باي تونس استغل مروره بتونس فحرّضه على الثّوران ضد السلطة العثمانية، ووعده بمد يد المساعدة في حربه ضدّها. وهذا الإحتمال أيضا وارد جدّا؛ لكون الصراع والتنافس على الهيمنة بالمنطقة قديم بين البلاطين الحفصي والعثماني ببلاد المغرب الأوسط. وفي الأخير لا نستبعد تأثره بالفكر الوهّابي، أثناء تواجده بالبقاع المقدّسة؛ حيث يكون من المحتمل أنّه التقى بعلماء، ورجال فكر، وأعجب ببعض الأفكار، التي ينادي بها المذهب الوهابي؛ المعادي للوجود العثماني في بلاد المشرق. وللتطرق إلى هذه الحركة ننطلق ابتداء من زعيمها، المعروف بإبن الأحرش. فمن هو إبن الأحرش؟

-) مجال حركة ابن الأحرش:

بعد ما ذهب محمد بن الأحرش لأداء فريضة الحج وعودته من البقاع المقدسة عام 1218هـ/ 1804م، كانت مدينة جيجل الساحلية أولى محطاته، وقاعدته انطلاق حركته. وكان بجامع سيدي الزيتوني أول حله، وبه أسس مدرسته القرآنية ببني فرقان، بضواحي جيجل [2]، لتعليم الصّغار؛ فكثر مريدوه والتف حوله الأتباع من مختلف نواحي مدينة جيجل، ومنها بدأدت دعوته في الإنتشار بالمنطقة [3].

---

1) فايسات، مرجع سابق، ص. 114.

2) سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص. 323 ،

3) الراشدي، مصدر سابق، ص.42، 45. وانظر، عباد ، مرجع سابق، ص. 194.

-) **أسباب الحركة ومراحلها.**

يبدو أن العامل الدّيني كان هو السّبب والعامل الحاسم، بل والدّافع القوي وراء ذلك الالتفاف والقبول من قبل مريدي الشيخ إبن الأحرش، ومن قبل أهل المنطقة. هو ما دفع به وشجعه على التمرد. ومن ثمة راح ينشر فكره حول وجوب محاربة الأتراك، وطردهم لتخليص البلاد والعباد من احتلالهم، ضاربا لهم المثال بمحاربة الفرنسيين عند ما قاموا بحملتهم على مصر[1]. وهنا أمّا عن مراحل هذه الحركة، فإنّ المتتبّع للحركة يلاحظ التدرّج في مسارها واختلاف مراحلها.

-) المرحلة الأولى أو المرحلة التّمهيديّة:

وهي مرحلة التّحضير التي بدأ بها حركته بمنطقة جيجل؛ حيث لما أدّى محمد بن الأحرش فريضة الحج وعاد من البقاع المقدسة، عام 1218هـ/1804م، بدأ نشاطه الدّعوي بمدينة جيجل الساحلية. بعدما استقرّ بجامع سيدي الزيتوني، الذي كان أول مأوى له، وبه أسس مدرسته القرآنية لتعليم الصّغار؛ فكثر مريدوه، والتف حوله الأتباع من مختلف نواحي مدينة جيجل. ومنها بدأدت دعوته في الإنتشار بالمنطقة. كما استغلّ هذه المرحلة ليتعرّف أكثر خلالها على المنطقة وسكانها، كما عمل خلالها على استمالة النّاس إليه، وكسب المؤيّدين والأنصار [2].

وقد ساعده في كسب الأنصار والمؤيّدين ماكان يظهره من كرامات أمام المعجبين به؛ وهو االشيء الذي أكسبه صفة المرابط بين سكان المنطقة. كما راح ابن الأحرش يعظّم نفسه

---

1) الراشدي، المصدر نفسه، ص.42، 45. وانظر أيضا، عباد، المرجع نفسه ، ص. 194.

2) الراشدي، مصدر سابق، ص. 194.

أمام أتباعه، مقدّما نفسا أنّه صاحب دعوة مستجابة، وأنّ اللّه يبصره في جميع الظروف والأحوال بدليل أنّ سلاح العدو لا يؤثّر عيه ولا في أتباعه؛ وبالتّالي أنّ ما سيقوم به ضدّ السلطة العثمانيّة هو أمر مكلّف به، مستغلاّ سذاجة العقول والاعتقادات المنتشرة بين النّاس. فانتشر أمر الرّجل بين النّاس، والقبائل المجاورة ؛ كأولاد عبدون، وبني مسلم، وبني خطّاب، وغيرهم، بمنطقة الشّمال القسنطيني[1]، وخاصّة لمّا وعدهم بالإستيلاء على خزائن وكنوز الدّولة الكائنة بمقر بايلك قسنطينة، ثم بعده بالإستيلاء على كنوز العاصمة [2].

وبهذا تزايد أتباعه وتكاثروا، بالمنطقة والمعروفة بالقبائل الصّغرى[3].

-) المرحلة الثانية الهجوم على مدينة جيجل.

هي مرحلة الإعلان عن الحركة، والمجاهرة بها فبعد ما كان صاحبها (ابن الأحرش) يمارس تعليم القرآن بمسجط سيدي الزيتوني، ويبرز للنّاس خوارقه، ها هو الآن يجاهر بها. فبعد ما تخمرت فكرة التمرد ونضجت لدى إبن الأحرش على السلطة العثمانية، بعدما اطمأن بالعدد الذي بلغه أتباعه ومؤيدوه، والذي بلغ حوالي عشرة آلاف (10.000) مناصر، وهذا خلاف لما جاء به أوجين فايسات الذي قدر عدد أتباع إبن الأحرش بستين ألف (60.000) مناصر[4]. غير أن هذ العدد يبدو في ررأينا مبالغا فيه. لكن مهما تضاربت الأرقام فقد قرر ابن الأحرش الإعلان على الثورة، والكشف عن عدائه للسلطة، ومجاهرا بها، مبتدئا بمهاجمة

---

1) قنان، نصوص ووثائق... ، ص. 312.

2) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلّفات الرحّالين الألمان (1830- 1855م)، دار الأمّة، ط. خ. الجزائر، 2009، ص.45.

3) لم أر لهذه التسمية سندا صحيحا يعتمد عليه، بل أرى من الأفضل تسميتها القبائل الشرقية بحكم موقعها الجغرافي.

4) فايسات، مرجع سابق، ص. 113.

مدينة جيجل، إلاّ أن الحامية العثمانية المرابطة بها تصدت للثّائرين ولكن نظرا لقلة عددها، تمكن إبن الأحرش من التغلب عليها وإلحاق الهزيمة بها [1].

ولم يكتف بالانتصار عليها، وإنما دفع بالسكان إلى مناوأة السلطة وحمل عصا العصيان ضدّها [2].

-) المرحلة الثّالثة الهجوم على البحارة الفرنسيين.

كان الانتصار الأول الذي حقّقه إبن الأحرش على الحامية العثمانية بمدينة جيجل مشجعا، ودافعا له ليتطلّع إلى المزيد من المغامرات ومبرهنا به لأتباعه على إمكانياته، وتصديقا لأقواله . فقام هذه المرّة بالإبحار مع بعض من أتباعه بالساحل الشرقي للبلاد، ليستولي على ما صادفه بالبحر. حيث التقى في عرض البحر ببعض الصيّادين الفرنسيين، وبعد ما قام بمهاجمتهم، اسنطاع التغلّب عليهم، والإستيلاء على بعض من سفنهم. فزاده ذلك دفعا لمواصلة هجوماته ومغامراته.

-) المرحلة الرّابعة الهجوم على مدينة قسنطينة.

وكانت وجهته هذه المرة، نحو عاصمة بايلك الشرق (قسنطينة)؛ (1218هـ الموافق ماي 1803م حيث انتهز ابن الأحرش وأتباعه غياب الباي عثمان عن مقر بايلكه، والذي كان في مهمة بنواحي سطيف، لتحصيل الضرائب، تاركا الشيخ سيدي محمد بن الفكون[3] على

---

1) تتكون حامية جيجل من سفرتين ، 29 جنديّا. انظر المدني، محمد بن عثمان خوجة.... ص. 158 .

2) فايسات، مرجع سابق، ص. 113.

3) محمد بن الفكون من عائلة شهيرة، وأصيلة بقسنطينة تعود إلى الجد الفكون المولود سنة 988هـ/1580م. والعائلة من قبيلة تميم العربية الصميمة، ومن هذه العائلة برز كثير من الشعراء والعلماء والقضاة والمتصوفة، كما كانت ذات مال وجاه

المدينة، بمساعدة قائد الدار سيدي أحمد الأبيض. فشنّ حملة على مدينة قسنطينة،. قادما إليها من الجهة الشمالية للمدينة (جهة حامة بوزيان) وضرب عليها حصارا [1]، لعدة أيام مع إهانة وشتم السكان، وخاطبهم على لسان أحد أتباعه، وكله عزم على إسقاط مدينتهم والاستيلاء على كنوزها [2] ، كما وعد أتباعه سابقا قائلا : « إعلموا يا سكان قسنطينة هنا وهو يتقدم نحوكم، وإننا نمشي من ورائه كثرة تفوق جماهة النحل، وأشد عنفا من أعنف الجيوش. افتحوا أبوابكم، وسلموا أنفسكم، ولا يمسكم أذى، و أما إذا حاولتم بدون جدوى مقاومة هذه القوة التي لا تقهر، فاعلموا مسبقا أن النصر حليفنا والويل كل الويل للمغلوبين » [3].

وبالرغم من قلة تسليح أتباعه؛ إلاّ أن الثقة التي زرعها فيهم، والاعتقاد في بركته كانت كافية لشحنهم [4]. ولذلك لماعزم على تنفيذ هجومه على المدينة، أشاع بين أتباعه أنها ستفتح له أبوابها، وأن أهلها لا يملكون ممانعته [5]. وهذا ما اعتاد عليه في مخاطبة أتباعه وجعلهم ينقادون إليه ويؤمنون بأفكاره. لكن رغم ذلك، لم يفقد سكان المدينة إحساسهم بالخطر الذي يهددهم وبمسئوليتهم في الدفاع عن مدينتهم، ولم ترهبهم الشّائعات التي بثّها ابن الأحرش، ولم تنقص من عثباتهم. لذلك برز من بينهم من تزعم قيادة التصدي للهجوم، وهو قائد الدار

ونفوذ إلى درجة أنها أصبحت تشبه الدويلة ذات السيادة؛ فالمحتمي بها ناج. انظر: عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، تحقيق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1987، ص. 7، 8 .

1) ابن المبارك،، تاريخ قسنطينة. وانظر أيضا، قنان، مرجع سابق، ص. 312.

2) فايسات، مرجع سابق، ص.111.

3) المرجع نفسه، ص. 112.

4) أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص. 45.

5) قنان، المرجع السابق، ص. 312.

المدعو أحمد بن الأبيض. واندلعت المواجهة بمنطقة السمارة عصرا، بين إبن الأحرش وأتباعه وبعض من أهل المدينة المدافعين عنها، مستخدمين كل ما أوتوا من أسلحة، ومن بينها البارود، واستمرت إلى غاية حلول الليل [1].

-) المواجهة الأولى ومآلاتها.

بالرغم من غياب الباي عثمان عن مقر البايلك ووجوده بعيدا عنه[2] ، كما أشرنا سلفا، وبالرغم من عنصر المفاجأة الذي أحدثه إبن الأحرش بهجومه المباغت، وبالرغم من التهديد والمساومة والترهيب والترغيب الذي مارسهما بواسطة أحد أعوانه على السكان، وبالرغم من قلة المدافعين بالمقارنة مع أعداد الثائرين، وغياب الباي نفسه عن المدينة، إلاّ أنّ المتمرّين لم يحقّقوا ما كانوا يصبون إليه، بل بالعكس فقد فقدوا من بين صفوفهم حوالي مائتين من عناصرهم، بالإضافة إلى إصابة زعيمهم الرّوحي والعسكري بجرح بليغ في إحدى رجليه؛ مما أجبره على التراجع والانسحاب من المواجهة والتخلي عن هدفه[3].

وأما عن سكان المدينة، فقد تراجعوا إلى داخلها متحصّنين بأسوارها؛ وبذلك انتهت المواجهة بهزيمة المتمردين.فيما عاد الباي عثمان، مسرعا إلى مدينة قسنطينة، قاطعا جولته، ومن غير إطالة بلغته أوامر الاستعداد من الداي مصطفى (1798- 1805م) لملاحقة المتمرد (إبن الأحرش) بالعاصمة، وعلى إثــر، ذلـك جهّز الباي حملة عسكرية ودعّمها بقوات من

1) قنان، المرجع، نفسه، ص. 312.

2) **هو عثمان باي الكرغلي**، الباي السابق لبايلك الغرب، بعد وفاة أبيه سنة 1243هـ/1799م، الباي محمد الكبير محرر وهران من الاحتلال الأسباني سنة 1792م، والملقب بالأعور. كان بدين الجسم، أسمر البشرة، وقد جمع في حكمه مابين الصرامة والقسوة، وما بين الطيبة والإنصاف.

3) فايسات، مرجع سابق، ص. 112.

الدّوائر والأعراش لمتابعة ومطاردة المدعو إبن الأحرش إلى غاية وكره ومنطلقه وادي الزهور[1].

-) المواجهة الثانية ومآلاتها.

بلغ الباي عثمان بن محمد الكبير مع قواته وادي الزهور وعند فيرو الواد الكبير[2]، منفذا أوامر الداي مصطفى باشا، وهو في مهمّتين في آن واحد. المهمّة الأولى، تتمثل في: التصدّي لحركة إبن الأحرش. والثّانية، تتمثّل في: تولية بايلك الشرق (قسنطينة)، فبعدما وصل مقر البايلك خيّم مع قواته بسطح المنصورة وشرع في الاتّصال بأعيان القبائل التي اتبعت حركة إبن الأحرش، مهدّدا ومتوعّدا كل من يبقى متحالفا معه، ومناوئا للسلطة العثمانية. وفي نفس الوقت راح يخطّط ويستعدّ لمواجهة إبن الأحرش وأتباعه، بمعية القوات الحكومية والقبائل التي بقيت على ولائها للحكومه. وبعد ما أكمل استعداداته، سيّر قواته نحو وادي الزّهور وعسكر فيه، استعدادا للهجوم على المتمرّد إبن الأحرش[3].

ولما كانت الحرب خداع، ولا تزال كذلك، استغل إبن الأحرش وضع الباي وقواته المجتمعة في مكان ما بالوادي المذكور سابقا (وادي الزهور)، فحشّد قبائل المنطقة، ومن غير شك قد استغل شعور أهالي ضحايا الهجوم على قسنطينة، وبالتعاون معهم حوّل مجرى مياه وادي الزهور عن مجراه الأ صلي باتجاه تمركز القوات العثمانية، حيث فاجأتهم السيول، لتغرق

---

1) العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق، رابح بونار الجزائر، 1974م، ص. 29، وما بعدها.

2) Féraud, L. C., Histoire de Bougie, éd. Talantikit, Bejaïa, Algerie, 2014, P. 191.

3) الأمير محمد ، مصدر سابق، ص. 139.

الكثير منهم على حين غرة منهم، وما نجى منهم إلاّ القليل. وهنا نلمس ذكاء إبن الأحرش ومدى استغلاله للقوى الطبيعية [1].

-) نتائج وآثار حركة الشريف بن الأحرش.

لقد كان لحركة إبن الأحرش نتائج سلبية مؤثرة على جميع الأصعدة، فلم يقتصر تأثيرها على على الجانب الأمني فحسب، بل طال تأثيرها كذلك الجانب الاقتصادي، فأثّر على الزراعة وعلى الأسواق، وغير ذلك؛ مما انعكس على السكان، بفعل المجاعة التي ضربت البلاد، وتدهورت الأوضاع تدهورا كبيرا. وقد وصفها ابن العنتري، وهو يتكلم عن الحالة التي خلفتها حركة إبن الأحرش بقوله: « اتلفت فيها خزائن الباي عثمان، وانعدمت الحراثة ، وافتقدت الحبوب، وقل من يأتي إلى الأسواق، فحصلت للناس شدّة ومجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصا بعض نواحي القبلة فإنّهم تشتّتوا بسبب الهول في وطنهم » [2]. وأما عن ما آلت إليه هذه المواجهة وما أسفرت عنه من نتائج فيتمثل فيما يلي:

-) على المستويين السياسي والعسكري.

1) انهزام القوات العثمانية أمام حركة إبن الاحرش في واقعة عرفت فيما بعد بواقعة وادي الزهور، من سنة 1229هـ/ 1804م [3].

---

1) للمزيد من التفاصيل، انظر الزهار، مذكرات أحمد الشريفد الزهار، دار البصائر، الدزائر،ص. 114 وما بعدها.

2) العنتري، مصدر سابق ، ص. 3،6،7.

3) العنتري، المصدر نفسه، ص. 29. وما بعدها. وانظر أيضا، جمال قنان، مرجع سابق، ص. 313.

2) قتل الكثير من القوات العثمانية بما فيهم الباي محمد بن عثمان الكبير نفسه [1]. بل وأصبح للوجود العثماني نفسه مهددا [2]. وبعد هذه الأحداث مكث إبن الأحرش قليلا في مدينة جيجل، ثم غادرها واتجه نحو مدينة بجاية. حاملا تهديده لغزوها. لكنه، فشل في مسعاه بسبب النداء الذي وجّهه المرابط سيدي أمقران الذي قام بحشد القبائل المجاورة منها: قبيلة مزاّية، وتوجة، وأولاد عبد الجبّار،.. للدفاع عن مدينة بجاية، واستطاعوا محاصرة البودالي ابن الأحرش، وكادوا إلقاء القبض عليه. لكنّه أفلت منهم، نحو مدينة سطيف، بفضل مساعدة قبيلة بني ميمون، المعادية للعثمانيّين، نكاية في قبيلة بني فوغال المستفيدة من امتياز استغلال الثروة الغابية [3].

3) تعيين قائد " الخشنة " عبد الله بايا على قسنطينة (1804- 1806م) من قبل مصطفى باشا (باشا الجزائر) خلفا لعثمان باي(1803- 1804م) بن محمد، الذي قتل بمعركة وادي الزهور. وقد استطاع الباي الجديد الثّأر للقوات العثمانية وإلحاق الهزيمة بإبن الأحرش. ويذكر أن ما ساعده على هزم إبن الأحرش، هو كونه من أصهار بعض سكان المنطقة، مما جعله يستقوي بهم ويتفوق على بن الأحرش. وهذه هي إحدى ثمار وفوائد الزواج السياسي الذي يتم ما بين العثمانيين وبعض الأسر الكبيرة ذات الوجاهة في الجزائر.

4) إنسحاب إبن الأحرش مع ما تبقى أتباعه ليغادر المنطقة الشرقية خفية، تاركا تضارب الآراء حول وجهته الحقيقية ومصيره.

---

1) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و20م، (م .م. و للمجاهد)، ج1، الجزائر(د. ت)، ص. 374.

2) Féraud, (L. C). Histoire de Bougie… , op. cit. p. 191.

3) Ibid, p. 191.

فمن قائل أنّه تسلّل نحو الجهة الغربية، لينضم إلى حركة إبن الشريف الدّرقاوي المناوئة، ومن قائل أنّه قتل هناك من قبل أحد أصحابه، ...إلخ [1].

- على المستوى الإقتصادي.

1) إتلاف وغنم ما كان مع المحلة من مؤونة وأموال، من قبل قوات بن الأحرش، كان الباي قد جلبها معه من مقر البايلك [2].

2) توقف عمليات الحرث والبذر بسبب المعارك وقلة الأمن؛ ممّا يؤدّي إلى نقص في العروض الزّراعية بالأسواق [3].

- على المستوى الأجتماعي.

1) انتشار المجاعة بين السكان؛ لقلّة الغذاء [4].

2) تشتت السكان وتفرّقهم بحثا عن الطعام [5].

ومما سبق نستخلص من أنّ حركة إبن الأحرش كانت حركة عنيفة ومؤثّرة. ولم يكن تأثيرها على مختلف جوانب الحياة.

---

1) الأمير محمد ، مصدر سابق، ص. 140.

2) الأمير محمد ، المصدر نفسه، ص. 139.

3) العنتري، مصدر سابق، ص. 29 .

4) المصدر نفسه، ص. 29 ، 30 .

5) نفسه، ص. 30 .

-) أسباب فشل الحركة.

أ) عدم تلقّي الحركة أي دعم أو مساندة من قبل سكان خاصّة سكان المدن الذين فضّلوا الإلتفاف حول السلطة العثمانية حفاظا على مصالحهم المادية والمعنوية .

ب) عدم تغلغل الطريقة الدرقاوية بين أوساط السكان، خاصّة بشرق بالبلاد، مما جعلها عاجزة على كسب الأتباع واستقطابهم إليها، ربما ذلك يعود إلى انتشار الطّريقة الرحمانية في تنظيم بايلك الشرق الجزائري.

ج) تهديد وترغيب السلطة للقبائل المساندة لإبن الأحرش، أرغمت الكثير منها، الإنسحاب من الحركة المناوئة، ممّا جعل عدد الأتباع للدرقاوية يتناقص عبر الأيام.

2) الحركة إبن الشريف الدرقاوي 1805م.

لم يكن يختلف وضع بايلك الغرب عن البايلكات الأخرى، إذ عرف هو الآخر حركات مناوئة، اشتدت وطأتها في العقود الأخيرة من الحكم العثماني ، لا سيما بعد انقضاء عهد الباي محمد بن عثمان الذي عُرِف بصرامته وحزمه في تسيير شؤون البايلك، حيث عرف بايلك الغرب خلال عهده استقرارا نسبيا، بتراجع حركات التمرد والعصيان. لكن نتيجة للضعف تالعام الذي عم البلاد، والصراعات التي كانت قائمة على مستوى السلطة؛ مما أدى إلى ظهور حركات عصيان وتمرد ضذ السلطة العثمانية القائمة، ولعل أولى حذه الحركات التي ظهرت مع مطلع القرن التاسع عشر بدذا البايلك هي الحركة الدرقاوية وما تلاها من حركات أخرى من قبل قبائل الغرب، وتصدّت لها السلطات العثمانية. وهذا ما يتضح لنا من إحدى الرسائل التي وجّهها حسن باي بن موسى الباهي، إلى إبراهيم وكيل الحرج بباب الجهاد بمدينة الجزائر عام 1826م والتي مفادها أنّ الباي قام بحملات ضد بعض القبائل أمثال: قبيلة صبيح، والشرفاء، وأولاد يونس، وصادر أموالهم وقتل عددا من أفرادها. وقد جاء في الرسالة ما يلي:

«... وبعد فإن المعروض على مسامعكم الشريفة... مولانا قد غزونا على الفرقتين الباغيتين والشرذمتين الطاغيتين فبيلتي الشرفاء وأولاد يونس صبيحة يوم الإثنين الخامس عشر من شهرنا هذا المبارك ذي القعدة الحرام فظفرنا الله برقابهم وأموالهم ومات منهم في الهيجاء خلق كثير ولم ينج منهم أحد إلا من نجاه الله وأقمنا ببلادهم نحو خمسة أيام ورجعنا والعساكر المبرورة والجيوش المشكورة سالمين غانمين فرحانين مسرورين لله الحمد على ذلك وله مزيد الشكر على ما هنالك... »[1].

فلما حل القرن التّاسع عشر وخلال حكم الباي مصطفى بن عبد الله العجمي المنزلي (1192هـ/1802 – 1806م) لبايلك وهران، ظهرت حركة مناوئة عرفت بالدرقاوية نسبة إلى الطريقة الدرقاوية [2]، والتي أُعتبرت من أكبر الحركات المؤثرة في السلطة العثمانية وأشدّها، ولذلك ذكرها الحاج مصطفى التهامي واصفا إيّاها بقوله :« ... وكان الغرب الوهراني يعجّ بأحداث ثورة درقاوة التي ذهبت بالأخضر واليابس»[3]، حتّى أنّها عدّت من بين العوامل التي سهلت على الفرنسيين احتلال الجزائر[4]؛ وذلك بسبب تحول القبائل التي كانت متحالفة مع السلطات العثمانية وسندا لها، إلى معادية لها، ويبدو من خلال أوصافه أنه ساهم في ظهور

---

1) م. م. ع. أ. ج. وثائق عثمانية، « رسالة حسن باي إلى إبراهيم وكيل الحرج بباب الجهاد» ملف 3206، رقم الوثيقة: 42، السنة 1242هـ/ 1826م.

2) **الدرقاوية** هي طريقة صوفية نسبة إلى الشّيخ محمد العربي بن أحمد البوبريحي الدرقاوي المتفرعة عن الشّاذلية، وتهدف تعاليمها إلى الرجوع بالمسلمين إلى تعاليم الدين الإسلامي أثناء بدايات انتشاره، ونهج أتباعها التقشف والنّأي عن ملذّات الدّنيا. انظر، سعد الله ، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج1، ص.524، 525.

3) الحاج مصطفى التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح. يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامين، ط2، بيروت، 2005م، ص. 329.

4) شويتام، نهاية الحكم العثماني،.... ، ص. 89.

هذه الثورة، ولو بطريقة غير مباشرة، إذ وصفوه بالعقل والجبن في نفس الوقت [1]. فما حقيقة هذة الحركة ؟ وما أسباب قيامها ؟ ثم ماهي المآلات التي آلت إليها في النهاية؟ ولكن قبل البحث في أسباب هذا الموضوع، والإجابة على هذه التساؤلات، يجدر بنا التطرق إلى صاحب الحركة والتعريف به. فمن هو هذا الزعيم الذي قاد حركة مناوئة ضد السلطة العثمانية وزعزعها بها، رغم عدم تكافؤ القوى ؟.

فالحركة الدرقاوبة التي تسربت من المغرب وظهرت بالغرب الجزائري، في بداية القرن 19م، وكتب عنها الكثير، ووصفت من قبل البعض، بل واعتبرت من أشد الحركات وقعا على السلطة العثمانية في الجزائر، وذلك بسبب تحالف بعض القبائل المحلية مع الدرقاويين وانضمامهم إلى الحركة، ومنها: بني جندل، وأهل الشلف، حيث قامت بالزحف والتقدم شرقا إلى غاية مدينة لمدية، التي تظم مقر القيادة العثمانية لبايلك الوسط (التيطري)، ومهاجمة الأتراك بها، مخلفة الكثير من الأضرار على مختلف الأصعدة. بالإضافة إلى نفسها الطّويل نسبيّا؛ وهو ما دلت عليه كثرة المعارك وشدّتها مع السلطة العثمانيّة، وحتّى أنّه من شدّتها وعنفها كتب عنها المؤرخ أحمد أبو راس النّاصر رسالة بعنوان: " درء الشقاوة في أخبار الدرقاوة "[2] وهو عنوان يكفي قارئه دلالة على حجم ووتأثير هذه الحركة، والتي دامت عشرة سنوات كاملة. وقد قال عنها وهو يصف شدّتها وانتشارها وآثارها قائلا: « ثم عمّتنا فتنة درقاوة، وإنّا لم نكن فيها...» [3]، محاكيا الشيخ عامر الشعبي الذي قال عنها هو الآخر: « وقد خبطتنا فتنة درقاوة

---

1) الزياني، دليل الحيران ... مصدر سابق، ص. 252، وما بعدها.

2) سعيدوني، من التراث التاريخي... ، ص. 462.

3) النّاصري، مصدر سابق، ص. 49.

لم تكن فيها أتقياء بررة، ولا أقوياء فجرة...، ثمّ يضيف قائلا: فاتصلت علينا أوامر النكبات، والبليات من الخوف، والجوع، والروع الذي في الفؤاد مودوع..» [1].

ومن معاركها المعركة التي وقعت في شهر ربيع الأول عام 1299هـ/ 1804م بفرطاسة، وعدت من أشهر المعارك [2].

-) التعريف بصاحب الحركة:

هو الشيخ عبد القادر بن الشريف الدرقاوي، الثّائر المولود سنة 1224هـ/1805م، فبعد ما تتلمذ على يد الشيخ محي الدين، بالزّاوية القادرية بالقيطنة قبل سفره إلى المغرب [3].

ثم بعد ذلك انتقل إلى بلاد المغرب الأقصى للأستزادة من العلوم، والحصول على إيجازات [4] من علمائها ومنهم: الشيخ مولاي محمد العربي الدرقاوي بن أحمد البوبريجي الدرقاوي المغربي شيخ الطريقة الدرقاوية، المتوفى خلال: سنة ألف ومائتان وثلاثة وثلاثون

---

1) النّاصري، االمصدر نفسه، ص. 50.

2) بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين الـ 19 ، و 20م، منشورات المتحف الوطني للماجهد،ج1 ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ج**1**، (د ط)، الجزائر، (د . ت)، ص، 247.

3) سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، ص. 29.

4) الإيجازات هي الموافقات (أي التراخيص) التي يعطيها شيوخ الزوايا والعلماء لطلابهم بالتدريس والرواية عنهم. ولذاك استطاع عبد القادر بن الشريف الدرقاوي أن يؤسس زاوية بقرية بليل بضواحي فرندة؛ لتعليم الناس ونشر دعوته على الطريقة الدرقاوية. انظر، أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800- 1830، دار الكتاب العربي، الجزائر،2011م ، ص. 100.

للهجرة، الموافق لألف وثمانمائة وعشرة للميلاد (1233هـ/ 1810م)[1] ، والذي تتلمذ على يديه ببني زروال بالمغرب، وأصبح من أحد أتباعه [2].

وبعد مباركته من شيخه بالمغرب إجازته له، عاد إلى مسقط رأسه بقرية أولاد بليل ضواحي فرندة. وبها أسس معهدا وأصبح فيه مقدما للطريقة الدرقاوية، وتلقين الأوراد، وإلقاء الأذكار، واستقبال الأتباع، وبها تعطى كلمة السر لأتباع الطريقة والمخلصين لها[3].

وهكذا دخلت طريقة صوفية جديدة إلى الجزائر على غرار الطرق الصّوفية الأخرى[4]. ويصفه أحد الذين عايشوه بقوله: « كان رجلا جسيما، غليظ القوائم، طويل القامة، متسع الوجه، مدوره شديد البياض، كثيف اللحية طويلها »[5]. وقد أجمعت المصادر والمراجع على أنّ عبد القادر بن الشريف ينحدر من أبد سيدي الشّيخ إلى أولاد سيدي بليل الكساني [6].

---

1) يعد الشيخ مولاي العربي الدرقاوي هو الرئيس الحقيقي ولأب الرّوحي للطريقة الدرقاوية. (انظر، عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ص.505).

2) الراشدي، القول الأوسط في ...، ، ص. 26، ها.(1).

3) سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي... ج$_1$، ص. 218.

4) انتشار الطرق الصوفية بالشمال الإفريقي، يعود إلى الرباطات التي أنشأها العلماء والقادة لحماية الحدود المتاخمة للعدو، ولذلك كانت الزوايا من أشد المناوئين والمحاربين، للغزاة الأجانب (البرتغاليين والأسبان)[4]. واستفادت السلطة العثمانية من مساندتهم لها ضدّهم كثيرا.

5) الزيّاني، دليل الحيران... مصدر سابق، ص. 277.

6) بوعزيز، وهران ...، ،ص. 112.

-) انطلاق الحركة الدرقاوية.

حينما أراد عبد القادر بن الشريف الدرقاوي القيام بحركته المناوئة في وجه السلطة العثمانية، فكّر فيما يمكن أن يكون له قوة تمكنه من كسب التّأييد الشعبي، وبالتّالي كسب أتباع ومؤيّدين لحركته. وتحقيقا لذلك، توجّه إلى أبيه الرّوحي وشيخه محمد العربي الدرقاوي المقيم بالمغرب وادّعا لديه بأنّ الأتراك بالجزائر كفار وظلمة ومستبدين ومارقين، ويسيئون للإسلام والمسلمين، وأنّ هؤلاء لاصلاة ولا صوم ولا إسلام لهم، ناهيك عن ظلمهم واستبدادهم وإهانتهم للسكان، وخاصة منهم الأولياء الصالحين ورجال العلم (1).

ولمّا أحسّ منه الرّضا والتّصديق على ما أخبره به، التمس منه الإذن لمحاربة الأتراك في الجزائر ومقاتلتهم. فوافق الشيخ محمد العربي على ذلك ورخّص له برفع راية الحرب عليهم، مصدّقا لما قاله عنهم (2).

كما استغل الشيخ عبد القادر الظّروف الحرجة التي كانت تمر بها البلاد، وتذمر السكان من شدّة وطأة الإدارة العثمانية. علما أن السكان كانوا في تأهب دائم للإنقلاب ضد العثمانيّين، فوجدوا في إبن الشريف القائد المناسب الذي يمكن جمع شملهم وقيادة حركتهم الرّامية إلى التحرّر من السيطرة . وقد تمكّن ابن الشريف بدهائه وما كان يتصف من قدرات القيادة أن يقنع السكان بالإلتفاف حوله (3).

---

1) الزهّار، مصدر سابق، ص.

2) بوعزيز، وهران،... ص. 110.

3) من تصويبات الأستاذ المشرف أرزقي شويتام، خلال تصحيح المذكرة ببيته.

وعلى إثر ذلك عاد عبد القادر بن الشريف إلى منطقتة الكائنة بحوض الشلف، مشمرا على ساعد الحرب ضدهم وشرع في الاستعداد وإعداد العدّة. وبدءا بتحشيد القبائل وتأليب آراء النّاس ضد الأتراك، خاصّة بالجهات الغربية والغربية الجنوبية، وبعض المناطق من الهضاب في الجزائر. وقد استطاع اقناع مجموعة من القبائل، وضمها إليه، بعد إيمانها بفكرته، ومن بينها قبيلة الأحرار [1]. وبعد ذلك قام بالتمرد على السلطة العثمانية ببايلك الغرب سنة 1219هـ، والتي كان على رأسها آنذاك الباي مصطفى الأول (المنزالي) [2].

-) المجال الجغرافي للحركة.

كما سبق، وأن ذك فإن كل الدراسات تكاد تجمع على أن الحركة الدرقاوية من أكثر الحركات المناوئة للحكم العثماني وأشدها، فهي أوسع انتشارا على المجال الجغرافي الغربي بالجزائر؛ ومست كل المنطقة الممتدة من الشلف إلى حدود المغرب الأقصى [3]. كما تعد من أكثر الحركات المناوئة صدامات ومعارك مع السلطة العثمانية وتلأثيرا؛ وهذا ما يستشف من عنوان الرسالة التي ألفها عن الحركة الدرقاوية والموسومة بـ" درء الشقاوة في حروب درقاوة".

-) أسباب ودوافع الحركة.

لقد تعدّدت أسباب قيام الحركة الدرقاوية حسب وجهات نظر الذين كتبوا عنها، فبعد عودة الشيخ عبد القادر بن الشريف الكساني من بلاد المغرب حاملا إجازة شيخه العربي بن أحمد البوبريحي، انتصب بمسقط رأسه أولاد بليل مدرسا وملقنا أوراد (جمع ورد) على الطريقة

---

1) بوعزيز، وهران...، ، ص.111،110.

2) الراشدي، مصدر سابق، ص. 26.

3) شارل أندري جوليان، تاريخ إفرقيا الشمالية،...، ص. 379.

الدرقاوية. ونظرا لانتشار الطرقية خلال القرنين (15 و16م)، وما بعدهما ببلاد المغرب عموما، وبالمغرب الأوسط على وجه الخصوص. ونظرا لحداثتها بالمنطقة؛ فإنه سرعان ما التف حولها الكثير من الأتباع والمريدين. وأصبحت بذلك التواجد تزاحم بقية الطرق الصّوفية الأخرى، وخاصّة القادرية المهيمنة على الغرب الجزائري. وربما ذلك يثير المنافسة ، ويولّد الغيرة منها وكراهيتها. لكن الأسباب التي تعتبر أسبابا جدّية فهي:

1) إلقاء في مسامع الشيخ عبد القادر الدرقاوي خبرا مفاده أنّ باي بايلك الغرب (مصطفى) يضمر لك سوءا ما، وفي نيته تنفيذه. وبالفعل فإن الباي كان قد جمع قواته وقصد الشيخ عبد القادر لتنفيذ مأربه [1]. وهو ما يعتبر سببا مباشرا في رأينا.

2) كذلك الدوافع الخارجية تساهم في تغذية العصيان والتمرد على السلطة ، وهذا يستنتج من تدخلات السلطة المغربية وضغطها على شيخ الطريقة الدرقاوية بالمغرب، وحمله على القدوم إلى بايلك الغرب (وهران)، للتأثير على الدرقاوي إبن الشريف بالجزائر، وهذا ما رجّحه أبو القاسم سعد الله [2]. وربما هذا الذي أجّج نار الكراهية في نفس إبن الشريف الدرقاوي للأتراك إلى درجة أنه كان يغير حتى الأسماء التي تدل على الارتباط بالأتراك. إذْ يذكر أنّه قد غيّر اسم امرأة كانت تسمّى تركية، إلى إسم من اسم عربي [3].

3) ضعف السلطة الممثّلة في البايات، خاصة المتأخّرين، إذ يذكر قلّة كفاءتهم في التسيير. ولذلك نجد من يقول: « وأكبر المظالم التي حدثت بـ (الجزائر) قد نجمت عن إسناد مناصب

---

1) جوليان، مرجع سابق، ص. 44.

2) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...ج$_1$، ص. 219 .

3) الزياني، دليل الحيران ...، مصدر سابق ، ص. 274.

البايات إلى أشخاص ليسوا ذوي جدارة ولا كفاءة ومنهم الباي مصطفى صنيع الخزناحي..»[1].

4) تصرفات بعض البايات كظلمهم وطغيانهم على الرعية، خاصة فيما أثناء جباية الضّرائب. حتّى أنشد أحدهم شعرا وقال :

سيأتي الحاج مصطفى العصي *** هو فوق الكرسي والنّاس تعصي [2].

وبما أن الشريف الدرقاوي كان له من الأتباع ما يشجّعه على المواجهة، وكذلك ما كان له من العلم والمعلومات المسبقة عن نية الباي مصطفى بن عبد الله العجمي، وهو المعروف بكونه شخصا عاقلا جبانا وهذا ما أدّى إلى هزيمته مع المخزن عزيمة كبيرة سنة 1216هـ م؛ مما أثر سلبا على قوّاته . وفي هذا أشار عليه أحدهم فقال فيه [3] :

5) أمّا حمدان خوجة، فيتفق مع غيره، إذْ يرى أنّ سبب قيام الحركة الدرقاوية إنّما يكمن في حالة الضعف والانحلال التي آلت إليها السلطة المركزية بمدينة الجزائر، وذلك لكونها (السلطة) أصبحت في قبضة الجيش المتمرّد من حين إلى آخر، والذي أصبح لا يخش أي رادع حتّى صار التمرد من قبله حركة اعتيادية، يقوم بها ضد أي حاكم مهما على شأنه ودرجته. ويكفي مثال على ذلك التمرد الذي قام به الجيش على أفضل وأصلح داي – حسب حمدان بن عثمان خوجة– وهو مصطفى باشا، الذي يقول عنه: « وهو مصطفى باشا (1798– 1805م)، الذي

---

1) الزيّاني، نفسه، ص. 18.

2) الزيّاني، نفسه، ص. 272 .

3) الزيّاني، نفسه، ص. 272 .

تآمر عليه المتمرّدون من اللفيف الأجنبي وقتلوه، ثمّ نصّبوا مكانه أحمد خوجة (1220هـ /1805م – 1223هـ/1808م) »[(1)].

وإذا ما أمعنّا النّظر في الأسباب الحقيقية التي مانت وراء اغتيال الدّاي مصطفى من قبل الجيش ، فإنّ ذلك يعود إلى كونه منح امتيازات اقتصادية لليهود، ولم يكتع بذلك ، بل قرّبهم إلى مجلسه؛ وهذا ما أثار غضب الجيش والأعيان معا. ويمكن ارجاع تعاطف حمدان مع الدّاي مصطقى إلى كونه أحد المقرّبين إلى الدّاي. وقد قال عنه حمدان خوجة « أن مصطفى باشا قد قًتِل دون أن يرتكب أدنى ذنب ». وهذا دليل أخر على تعاطفه معه، والدّليل على ذلك أنّ المصادر قد أثبتت أنّه أباح البلاد لليهود بعد ما قرّبهم إليه.

6) ولكن هناك من له رأي آخر، في بداية تدهور الحكم العثماني بالجزائر، الذي يرجع إلى: موت الباشا بابا حسن عام 1213هـ/1798م، وتولية صهره الخزناجي مصطفى باشا المذكور أعلاه، الذي قد يكون أثار حفيظة الجيش لكونه كان كنّاس شوارع ، جهولا، فضّا، لكن بحكم دور اليهودي بوشناق أصبح دايا؛ ومن هذا نفهم علّة التصرف الحر والمطلق من قبل اليهودي[2] في كلّ شؤون البلاد [(3)].

والنّتيجة في عهد الدّاي مصطفى باشا (1798– 1805م) هي كون الوضع قد تدهور، خاصّة في المرحلة الأخيرة من حكمه، إلاّ أنّ حمدان خوجة يؤكّد على أنّ مرحلة الدّاي

---

1) حمدان خوجة مصدر سابق.

2) الزهّار، مصدر سايق. وانظر أيضا (أ. كاط، و قائد الجيش الفرنسي المارشال دوبرمون) متفقين على علاقة اليهوديين (بكري وبوشناق) ، بطاليران والوزير نابليون وتسميم العلاقة بين الجزائر وفرنسا، وكانا سببا في إثارة السكان وقتلهم اليهومي بوشناق. وانظر الزيّاني، دليل الحيران... ص.15.)

3) الزيّاني، دليل الحيران... ،،ص. 15، 16، 17.

أحمد خوجة (1805- 1808م) هي التي كانت مرحلة جرائم، واغتيالات، وعزل البايات، وشراء المناصب [1]، ونتيجة لهذا أسندت بعض مناصب البايات إلى من هم غير جديرين، ولا أكفاء، ومنهم مصطفى باشا سابق الذكر، وبالتالي كان ضعف البايات المتأخرين هو من سهل قيام الثورة، كما أشرنا سلفا، ولذلك تجده يقول: « وأكبر المظالم التي حدثت بـ (الجزائر) قد نجمت عن إسناد مناصب البايات إلى أشخاص ليسوا ذوي جدارة ولا كفاءة ومن هؤلاء الأشخاص شخص يسمّى مصطفى قذ كان صنيعا للخزناحي...» [2]. أمّا الزيّاني فيرجع أسباب الحركة الدّرقاوية إلى ضعف البايات في بايلكاتهم، وإلى تصرّفاتهم من طغيان على الرعيّة [3].

بينما يذهب بيار بويير (Pierre Boyer)، مؤيدا كلام المزاري إلى أن الضرائب التي فرضتها السلطة العثمانية على الأهالي هي التي تسببت في حركة الدرقاويين و شجعت الكثير من القبائل على الإنضمام إليها ضد السلطة العثمانية في غرب البلاد[4]. بالإضاففة إلى ما تقدّم فإنّ بعض السياسة التركية لم ترق للدرقاوي وأتباعه منها السيّسة الجبائيّة، وبعض المعاملات للرعية من قبل السلطة وهذا ما يستنتج من خطاب إبن الشريف الذي وجّهه إل السكّان بعد انجلاء غبار المعركة الأولى بينه وبين السكان واستيلائه على المحلّة حيث قال:

---

1) بعض الدراسات تذكر بأنّ الفترة الممتدّة ما بين 1805م – 1817م، عرفت تداول خمس دايات على حكم ايالة الجزائر، منهم أربعة ماتوا قتلا.

2) الزيّاني، دليل الحيران......، ص. 18.

3) الزيّاني، جليل الحيران... ، ص. 18 .

4) Pierre Boyer, « Contribution a L'etude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger (xvi-xix siècles », Archives D'outre- Mer, Aix-en-Prevence, R . O . M . M. p.49.

« قد نزعنا عنك مظلم الترك، والذل والمسكنة، والمغارم والمكوس، فالواجب عليكم مبايعتنا، فوافقه جم غفير ، وخلق كثير ، عاجتمع عنده ضحى يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول تلك السّنة ما لا يحصى عدّه، ولا يستطاع دفعه وردّه، ... » [1].

وهكذا أصبحت الظروف مهيّأة للشيخ بأن يظهر للنظام ما يبطن، ولم يبق إلاّ ما يثيره ويدفعه إلى ذلك؛ وهاهو يجدها في إقدام الباي مصطفى بن عبد الله العجمي المنزالي (1798-1805م)، على قتل بعض أتباع الطريقة الدرقاوية الجديدة من عشائر قبيلة الأحرار، بالإضافة إلى نفي شيخ الطريقة عبد القادر نفسه عن موطنه وزاويته، إلى الجنوب أين وجد نفسه بين من قتل الباي منهم وضحاياه، فكان من الطبيعي التكتّل والتحالف بين عشائر قبيلة الأحرار ومحمد الشريف الدّرقاوي ضدّ الخصم المشترك [2].

ومهما اختلف الآراء، فإنّ الحركة الدرقاوية استغلّت كل الأوضاع والمعطيات الدّاخلية: كتهافت الأتباع والمريدين والتحالفات القبلية مع زعيم الحركة (الشريف الدرقاوي). أمّا الظروف والمعطيات الخارجية فتتمثّل في مباركة شيخ الطريقة الدرقاوية بالمغرب لصالحها. والسؤال المطروح حول هذه الحركة الدّينية ومنها الحركة الدّرقاوية هو: هل هي حركات ناتجة عن دوافع ذاتية (شخصيّة) لزعمائها ؟ أم هي حركات ناتجة بسبب دوافع نابعة من المجتمع؟ أم أنّ هناك أهدافا خارجية، يراد تحقيقها بالجزائر؟ أي: الأيدي الخارجية بالتعبير المعاصر.

إنّ التّمعن في الظروف المحيطة بالحركة الدّرقاويّة، سواء من ناحية زعيمها أو من ناحية علاقته بمحيطه الاجتماعي، أو من الناحية الفكرية وما يحمله من فلسفة دينية، أوما

---

1) الزيّاني، دليل الحيران... ، مصدر سابق، ص. 274 .

2) الرّاشدي، الثغر الجماني ...، مصدر سابق، ص. 42.

يميّز الوضع السيّاسي؛ يجعلنا نرجّح جملة من العوامل والدّوافع اجتمعت كلّها، وأدّت إلى ظهور هذه الحركات الدّينيّة، وبالخصوص منها الحركة الدّرقاوية.

- الدّوافع الذّاتيّة: لا شك أن الإنسان لا يعدم خاصية الطّموح، سواء انخفض أو ارتفع مستوى ذلك الطّموح؛ و لهذا، لا نستبعد طموح الشيخ عبد القادر بن الشريف الدّرقاوي،

في تحقيق بعض الطّموحات، ومنها : تحقيق الزّعامة الرّوحيّة، وإن لم يكن يهدف إلى ذلك ما تجشّم عناء السفر والاغتراب في المغرب، ولما طلب الإجازة من شيخه محمد العربي الدّرقاوي، ولما ادّعى لديه بأن الأتراك لايحترمون الدّيانة الأسلامية، ولا يطبّقونها؛ حتّى ينال رضاه ومباركته لمواجهتهم .

- **الدّوافع الدّاخليّة:**

لقد اجتمع جملة من العوامل الذّاتية (الشخصيّة) فس شخص زعيم الحركة ومنها:
- الرغبة في تزعم الحركة الصّوفية الدّرقاوية بالغرب الجزائري، ومنافسة الحركة القادرية المنتشرة بالمنطقة؛ وبالتّالي تحقيق الذّات، خاصّة إذا علمنا أنّه لم يكن بينه وبين الشيخ محي الدّين صاحب الطّريقة القادرية أي ود، بل كان الشيخ محي الدّين يكرهه؛ وهذا ما شهد به حفيده محمد بن الأمير عبد القادر بقوله: «وكان (ابن الشريف الدّرقاوي) ممقوتا لدى الجد»[1].

- حالة الضعف التي ظهر على الباشا (مصطفى داي) أمام تمرد الجيش، وهذا الضعف نلمسه في انهزام قوات البايلك، خلال تصدّيهم لحركة ابن الأحرش، بالشرق الجزائري، كما تحدّثنا على ذلك سابقا.

---

1) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ص.   .

- الدّوافع الخارجيّة:

إذا أردنا أن نقف على ما مدى تدخل العوامل الخارجية، وتأثيرها على زعيم الحركة الدّرقاوية، وما مدى تأثّره بها؛ فإن هذا يحيلنا إلى التعرف على نوع العلاقات بين البلدين الجزائر والمملكة المغربية المحاذيّة لبايلك الغرب، موطن انتشار الحركة، خلال العهد العثماني. فالمتتبع للعلاقة بين البلدين يجدها كمن يقف على شاطئ وهو يراقب حركة البحر بين مدّ وجزر. فمنذ الدّخول العثماني لبلاد المغرب الأوسط، والعلاقة بين البلدين تتراوح بين الحرب والسلم. فغارات عسكرية متبادلة من حين لآخر، وعلاقات سياسية متذبذبة؛ وبالتّالي فإنّنا لا نستبعد أن يكون تحريضا ما للتمرد على السلطة العثمانية، على غرار ماكانت تقوم به المملكة الحفصيّة مع بعض المناوئين بالجزائر[1]. وبالجملة هذه مجموعة من الأسباب وغيرها، التي قد تكون وراء هذه الحركة. لكن السّؤال هو: ماهو موقف السلطة من هذه الحركة؟ وما مآلها ؟

-) موقف السلطة العثمانية (بايلك الغرب).

1) المواجهة الأولى:

بعد ما رصدت عيون باي الغرب الباي مصطفى بن عبد الله العجمي، الذي عُيِّن بدل الباي السّابق عثمان بن محمد بن عثمان الكبير(1766- 1791م) [2]، تحركات، واستعدادات، قوات عبد القادر بن الشريف الدرقاوي، لم يتأخر عن مواجهتهم، وكله رغبة في القضاء عليهم.

---

1) انظر االفصل الثّالث من هذا البحث ، ص. 190 وما بعدها .

2) يبدو أن الباحث قد غفل عن وجود باي آخر بعد محمد (بن) عثمان باشا، وهو حسان باشا (1791- 1798م)، وذلك حسب كتاب محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791م لأحمد توفيق المدني، ص. 52.

وبعد التقاء الطرفان وجها لوجه، بمكان يقع بين واد مينا وواد العبد يسمّى فرطاسة [1]، بجنوب غليزان، وعلى الطريق المؤدّي إلى تيهرت. و بالمكان المحدد، نفّذ الباي مصطفي إرادته المبيتة، آملا في كسر شوكة الدرقاويين وعلى رأسهم صاحب الطريقة، وكان اللقاء بينهما صباح [2] يوم الأحد 08 من أيام شهر ربيع الأول 1219هـ/1804م[3]. وبالرغم من سكوت المصادر على المدة التي استغرقها الصدام، إلاّ أنّ نتائج المجابهة تدل على عنف المعركة وشراسة القتال. ولم تنته المعركة حتى خلفت الكثير من الأرامل والأيتام والنواح والعويل، حتّى أصبحت تعرف بشعبة النواح. ولم تقتصر الخسائر على الاشخاص فحسب، بل طالت حتّى المحاصيل الزراعية [4].

أمّا قوات الباي فقد منيت بهزيمة نكراء وعادت إلى مقر إدارتها منكسرة الجناح تجر وراءها الخيبة. ويذكر الحاج أحمد الشريف الزّهار(نقيب الأشراف) أنّه وبعد ظهور علامات الهزيمة بين قوات السلطة العثمانية فرّ الباي مصطفى وترك مع من بقي من قواته محلّتهم بما فيها، باستثناء بعض الصناديق التي حملها الباي معه، وقفلوا عائدين إلى مقر البايلك (وهران)، ولكن أتباع الحركة الدرقاوية قاموا بمطاردتهم، ومن خوف اللحاق بهم وخشية الإمساك بالباي

---

1) **فرطاسة** ، تقع جنوب غليزان وهي حاليا واد الأبطال نسبة إلى انتصار الشريف الدرقاوي بها على القوات العثمانية، أطلق عليها الفرنسيّون عليها اسم (إيزاس لديك).

2) انظر، عجز البيت الثالث من القصيدة التي مطلعها (كي قصة لجواد) .... في فرطاسة شاو انهار واتلاقـوا.

3) الزياني ، دليل الحيران...، ص. 273 . وانظر أيضا، الرّاشدي، مصدر سابق، ص.43 . وانظر كذلك، بوعزيز، وهران..، ص. 114 ، 113.

4) الزياني، نفسه... ، ص. 113.

كان من حين لآخر يخلف وراءه صندوق أو صندوقين لإلهاء متتبعيه من الدرقاويين، إلى أن وصل إلى مقر البايلك ودخل مدينة وهران وأحكم إغلاق أبوابها [1].

وكان عزاؤها الوحيد أن استقبلتهم شخصيات من أعيان المنطقة. وقد كان لهذه المعركة الدامية الوقع الكبير في نفوس السكان، إذ ارتفعت معنويات الدرقاويين، وبالمقابل كانت نكسة مفاجئة من حيث النتائج بالنسبة للأتراك. ولهول هذه المعركة خلدتها الذاكرة الشعبية، ووصفها الشاعر الشيخ بوعلام بن الطيب السجراري بهذه القصيدة التي استشهد بها ابن سحنون الراشدي في كتابه الثغر الجمانيفي ابتسام الثغر الوهراني، وهي كالتالي[2] :

كي قصة لجواد مع أتراك النوبـــــه * يوم ان فزعهم إبن الشريف أوجـــاوا

ذوك أتراك الكرسي دهر فاتوا رهبــة * قالو الأجواد على حرمنا نزكــــــاوا

انعقدوا غاشي الاحرار عقد امحبّـــة * في فرطاسة شاو انهار واتلاقـــــــوا

بالسيف أو نارالمشط أودق الحربـــة * ملهية أو منا عيطا اعقيد افنـــــــتاوا

ذاك مقعشم ذاك يهوم بالحربايــــــه * وافرايس الأتراك على الطريق ابقــاوا

انغلبوا الاتراك أو سلموا في الضربة * أهل العدة البيضا كامل اتعـــــــــراوا

دار الذيب العولة من لحم الاتــراك * لمعسكرروح ذاك الشريف الحسنـــــي

1) الزهّار، مذكرات الحاج أحمد الزهّار، مصدر سابق، ص. 112.

2) الراشدي، الثغر الجماني... ، ص. 43. والقصيدة وردت مبتورة .

قصة خلاها تنعاد في الاتــــراك * فيها دار الخلفوات قلبه هانـــــــي

خبره عند الدنيا ذا يعيد لـــــــذاك * صاق الوهراني بطنابير ترعد هونــي

وابنود ترفرف اغزاوا في الاتـــراك * دخلوها بلباس اجديد غير الفانـــــي

والخيل اتصادى هذا يرد لـــــذاك * نحو الجزائر رسلوا برية مطبوعــــة

خط الخوجة خط حديث كان أوصا * الباشا مبهوت صادفته خلعـــــــــة

.... * ....الخ

يتبين من خلال هذه القصيدة انتصار الدرقاويين وانتصارهم على القوات العثمانية. فإنّ الشاعر الشعبي يصف لنا ما وقع بجيش البايلك؛ من قتل حتّى صارت الذّئاب تجد في جثثهم ما يكفيها من الطعام؛ وهو ما يدل على ضراوة المعركة، وكثرة القتل، وعجز النّاجين؛ حتّى عن نقل الأموات، فتركوهم للوحوش. ونظرا لهول المعركة، وما نتج عنها من خسارة غير منتظرة بالنسبة للقوات العثمانية، فإنّ صداها بلغ الآفاق وصارت حديث العام والخاصّ[1].

-) المواجهة الأولى ونتائجها.

لقد تمخّضت عدة نتائج عن هذه المواجهة بين السلطة العثمانية، ممثلة في الباي مصطفي والدرقاويين بقيادة عبد القادر بن الشريف، والتي آلت نتائجها بالنسبة بايلك كالآتي:

1) هزيمة القوات العثمانية وعلى رأسها الباي مصطفى بن عبد الله، والمعروف بضعف شخصيته وقلة حيويته وتعفن حاشيته، حسب يحيى بوعزيز، والذي نجا بأعجوبة، وعاد إلى

---

1) الرّاشدي، الثغر الجماني...... ، ص. 44.

مقره بوهران منكسرا. فيقول ابن سحنون: «... فانهزم جيش الباي شر هزيمة، وفر الباي منفردا إلى (معسكر) على فرس من دون سرج » [1]. ولم يسلم حتى كاتبه الخاص أحمد بن هطال التلمساني، الذي كان كاتبا خاصا لدي الباي محمد بن عثمان الكبير، ومرافقه في غزوه الأغواط وعين ماضي. كما لم يكتف المنتصرون بنصرهم في ميدان المعركة، بل راحوا يطاردونهم إلى غاية مدينة وهران، وحاصروهم فيها [2].

2) الإستيلاء على المحلّه من قبل الدرقاويين، بما فيها من رجال ومؤونة وذخيرة .

3) عزل باي بايلك الغرب (الباي مصطفى) وخليفته حسن، من قبل السلطة المركزية، واستبداله بباي جديد يدعى محمد بن محمد بن عثمان المقلش [3].

وإذا كانت السلطة العثمانية قد انهزمت في هذه المواجهة، رغم ما تملكه من عدّة وجيش منظم، فإنّ الدرقاويين قد خرجوا منتصرين، ومن نتائج هذا الانتصار [4] :

1) ارتفاع معنويات اتباع الطريقة، على إثر هذا النصر الذي حقّقوه، واستيلائهم على منطقة غريس بما فيه مدينة معسكر.

2) اتخاذ مدينة معسكر مقرّا جديدا للحركة الدرقاوية، ومركز اشعاع لها، بدلا عن المقر القديم، الكائن بواد العبد بحوض الشلف.

---

1) الرّاشدي، المصدر السّابق، ص. 43 .

2) الرّاشدي، نفسه، ص. 45.

3) الزياني، دليل الحيران ... ، ص.276.

4) الزهّار، مصدر سابق، ص. 87.

3) مواصلة الملاحقة لما تبقى من القوات الحكومية وعلى رأسها حسن؛ خليفة الباي مصطفى العجمي المنزالي (1803– 1805م) الذي التجأ إلى منطقة أمجاهر.

4) تشتيت ما تبقى من القوات العثمانية بمنطقة أمجاهر التي لجأت إليها.

وبالتالي، عمت الإضطرابات والفوضى ببايلك لغرب، جراء الحصار الذي ضربته على مدينة وهران، في عهد ولاية الباي مصطفى الذي عجز أمام قوة الحصار، حتّى انقطعت الطرق البرية المؤدية إلى الجزائر العاصمة، ولم يبق سوى الطريق البحري، فشحت السلع وارتفعت الأسعار، خاصّة القمح منها. وارهقت السلطة العثمانية وبالتالي إضعاف الدولة، ولذلك يرجع الكثير من الدارسين سقوط الجزائر في يد الغزاة الفرنسيين سنة 1246هـ 1830م كان بسبب الضعف الذي ألحقته تلك الحركات المناوئة بالسلطة العثمانية [1]. وقتل حوالي ستمائة (600) فرد من المناوئين ليتم تجنيب مدينة وهران في النهاية من قبضة الدرقاويين[2]. ازدياد التحريض على العصيان، خاصة عن طريق أعيان المجتمع من؛ رجال دين وعلماء ومرابطين. ونتيجة لذلك ظهرت بعض الحركات المناوئة، تبنتها بعض الطرق الصوفية، كالطريقة التيجانية التي ظهرت ببايلك الغرب، والتي سستعرّض لها لاحقا في هذا الفصل.

2) المواجهة الثّانية ونتائجها: أمام استفحال أمر حركته، التي فرضت وجودها وذاع صيتها وتنامى خطرها، خاصّة ببايلك الغرب، قام الدّاي أحمد باشا(1805– 1808م) باستدعاء، محمد المقلّش (المكلش) من البليدة، وتكليفه بتولية إيالة وهران، ولما باشر الباي الجديد مهامه

---

1) شويتام، نهاية الحكم العثماني... ، ص.89.

2) ألتر، مرجع سابق، ص.505.

بمقر بايلك الغرب الجزائري(1805-1807م) [1] وجد مدينة وهران محاصرة من طرف الدرقاوي، وأصبحت الحركة من وإلى المدينة حسيرة جدا، بكان أول إجراء قام به هو طمأنة السكان، واستبشر الناس بقدومه حتى أنشد شاعرهم قائلا :

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا *** وكوكب المجد في أفق السما صعدا.

ثم شرع يبحث في الكيفية والأسلوب الملائمين لمواجهة الحركة الدرقاوية ومحو آثار الهزيمة التي مني بها والده والقوات الحكومية. فقام بالتصدي للحركة وأتباعها ومواجهتها، وبالتّالي القضاء عليها، لإعادة السكينة إلى المنطقة. ومن جهة أخرى راح الدرقاوبي وأتباعه يطمئن قواته وسبحث عن مخرج كي يقتحموا المدينة[2]. ولقد تخوفت السلطة الجديدة ببايلك الغرب من حركة ابن الشريف التي ما لبثت أن صارت تهدّد الوجود العثماني، على النحو الذي أحدثته حركة ابن الصخري، على حد تعبير أبو القاسم سعد الله؛ ولذلك اتخذت السلطة المحلية الجديدة عدّة أساليب في التعامل مع الحركة، وتمثّلت كالتّالي:

أ) المصاهرة:

حيث قام الباي بالتقرب من إحدى القبائل الكبيرة وذات التّأثير في المنطقة، وهي قبيلة الحشم، وأراد أن يجعل منها حليفا يأمن غوائله، ويتقوى به، ولا أحسن لذلك سوى مصاهرة زعيمها قدّور بن الصّحراوي[3]. ويبدو أنّ الهدف من هذه الخطوة الذّكية هي تحويل العدو إلى

---

1) المزاري ، طلوع سعد السعود... ، ص. 356.

2) الزيّاني، دليل الحيران.... ،ص. 276.

3) سعد الله ، تارخ الجزائر الثّقافي، ج$_1$، ...، مرجع سابق، ص. 219 .

صديق، وشق صفوفه في نفس الوقت، وهي سياسة من سياسات السلطة العثمانية التي دأبت عليها كاستراتيجية من استراتيجيات التحكم.

ب) الأسلوب الدبلوماسي:

حيث فضّل الباي محمد المقلش أسلوب السياسة والدبلوماسية عن طريق التواصل مع السلطات المغربية في شأن الحركة (الفتنة) القائمة بالغرب الجزائري التي أتهمت (السلطة المغربية) من قبل البعض بالضلوع في تحريك الحركة الدرقاوية. فقام بمكاتبة السلطان المغربي، ملتمسا منه إرسال شيخ الطريقة الدرقاويه مولاي محمد العربي بن أحمد، إلى الغرب الجزائري، ومساعدته لفك الحصار المضروب على مدينة وهران، وذلك لما له من سلطة روحية ومكانة لدى اتباع الحركة الدرقاوية عموما، ولدى زعيمها عبد القادر بن الشريف الدرقاوي بالغرب الجزائري على وجه التحديد[1]. ولكن هناك من يفند ذلك ويؤكد على تفاهم السلطتين في كل من الجزائر والمغرب على كبح جماح الدرقاويين[2]، وهو ما يبدو أقرب إلى المنطق خاصّة إذا علمنا أنّ الحركة الدرقاوية في تنامي مستمر، وأتباعها في ازدياد، وأنّها تستمدّ قوتها المعنوية من شيخ الطريقة وزعيمها الرّوحي محمد العربي بفاس المغربية.

وبالفعل، فقد كاتبت السلطة العثمانية بالجزائر سلطان المغرب وطلبت منه التدخّل لدى الزّعيم الرّوحي للدرقاويين؛ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، وبالضغط على عبد القادر بن الشريف الدرقاوي، لفك الحصار الذي ضربه على مدينة وهران، وبالتالي الحد من حركته التي أصبحت تهدّد الوجود العثماني في بايلك الغرب. وفعلا توجه الشيخ محمد العربي الدرقاوي إلى

---

1) سعد اللّه . تاريخ الجزائر الثّقافي...ج1، مرجع سابق .

2) نفسه، ص. 525.

وهران. وبعد وصوله اكتشف زيف ما صرّح به له إبن الشرف خلال التقائه به في المغرب ولم يجد ما أًخبر به عن الأتراك، وما وصفهم به من المروق والظلم، وإنّما وجدهم مسلمين سنيين ولا شية في إسلامهم، فقال الشيخ لتلميذه: « إنك قلت لي إن الترك ومن تبعهم نصارى ولا يصومون ولا يصلون وليس لهم من الدعائم الشرعية، شيئا وسألت مني الاذن في جهادهم فأذنت لك، وإني لما رأيتهم وجدتهم أشد إيمان وعبادة مني ومنك، إن الجهاد فيك وفي قومك جائز لا في أهل وهران، إن الدائرة عليك لا لك، إن القتال في هذا اليوم وهو الفراق بيني وبينك وإني بريء مما أنت مرتكبه »[1]. وعلى إثر ذلك تبرّأ من قائد الحركة، عبد القادر بن الشريف، وسحب الإجازة الشرعية التي أخذها منه. فكان هذا الموقف ضربة قاصمة لصاحب الحركة، كما كان له الأثر السلبي على الأتباع، وهو ما شجّع أهل معسكر على القيام بثورة ضد زعيمهم عبد القادر إلى درجة أنّهم منعوه من دخول مدينتهم. إذْ أجمعت المصادر على زيارة الشيخ محمد العربي الدّرقاوي لوهران فإنّ السؤال المطروح، هو هل اقتنع الشيخ بما أقدم عليه، أم أنّه كان ينتظر مقابلا من الفثمانيين؟ فالسّؤال يبقى مطروحاإلى غاية التعمّق بالبحث في هذه القضية، ريثما تظهر وثائق جديدة .

ج) الأسلوب العسكري.

ففي الوقت الذي قاد فيه عبد القادر بن الشريف الدرقاوي أتباعه وهو منتشيا بانتصاره الأول على الباي مصطفى المنزالي، توجه إلى مدينة وهران، بعد ما اخضع في طريقه مدينة سيق. وبالرغم من وصول الدرقاويين إلى مدينة وهران وضرب حصار عليها، إلاّ أنّ أخبار تحركاتهم وزحفهم قد سبقتهم إلى المدينة، وبالتالي ما كان لسكانها إلا الإستعداد، وهم مدركين مصيرهم إن تراخوا أو ترهّلوا في مواجهة الدرقاوي، وعدم الدفاع عن مدينتهم. ولذلك يجمع

---

1) شويتام، نهاية الحكم العثماني ...،، ص. 103.

المؤرخون على استبسال سكان المدينة وصمودهم في وجه الهجوم الدرقاوي، وما زاد في عزمهم وصلابتهم، التعزيزات العسكرية التي وصلت عبر البحر من قبل باشا الجزائر، وتجديد السلطة المحلية بتعيين الباي محمد المقلش سنة (1805 - 1807م)، بدل أبيه الباي مصطفى المنزالي (1803- 1807م) [1].

نلاحظ أن رد فعل سكّان وهران كان مشابها لرد فعل سكان قسنطينة لمّا فرض عليها ابن الأحرش حصارا، فسكان المدن عامة قد ربطوا مصيرهم بمصير العثمانيين منذ أن وطأت أقدامهم البلاد. ويمكن إرجاع أسباب فشل الحركات الريفية في مجملها، إلأى عدم وقوع الإلتحام والتّحالف بين سكان المدن والأرياف؛ وهذا يدلّ على أنّ العثمانيّين قد تمكّنوا بأساليبهم المختلفة من استقطاب سكان المدن إلى سياستهم، وذلك باستعمال العديد من الأساليب، كمنحهم الامتيازات تارة فترهيبهم تارة أخرى[2]. كما أنّ تنوع أصول سكان المدن وعدم تجانسهم ساعد على عدم تشكيل قوة مضادّة للعثمانيّين . لقد أعدّ الباي العدّة وجمع قواته لأخذ الثأر وغسل ما لحق بها من عار الهزيمه، على يد لمجاهر[3]، (أتباع الدرقاوي). ونادى في النّاس أنّ من يأتي برأس أحد من المناوئين من الدرقاويين للسلطة له عشرة سلطانيات.

تخوفت قبيلة لمجاهر من حشود الباي وزحفه عليها، فأرسلت رسولها إلى زعيم الحركة الدرقاوي مقدّمة له عرض حال عن حالتها، وما تناهى إلى مسامع أفرادها من تحشيد الباي واستعداداته، طالبين الرأي والمدد، فبعث إليهم خليفته المسمّى" ابن المجاهد"، وهو شخص له

---

1) شويتام، مرجع سابق.

2) للمزيد، انظر، شويتام المجتمع الجزائر...وخاصّة الفصل الخاص بعلاقة السلطة بسكان المدن.

3) **لمجاهر**: قبيلة من القبائل المستوطنة بالغرب الجزائري. انظر، المشرفي، بهجة النّاظر.

دراية أكثر من غيره من الدرقاويين ببعض حقائق نظم المخزن. فاجتمع موفد الدرقاوي (ابن مجاهد) بالمجاهر وتبادلوا المعلومات، واستعرضوا من دون شك سبل التصدي للباي وجيشه، وربما وصايا وتوجيهات زعيمهم، لكن باي الغرب لم يترك لهم فرصة بناء الخطّة النّاجعه، وتدبير الأمر فهاجمهم في مواطنهم، وكان أول صدام بينهم بوادي الرمان، إذْ غشيهم الباي وعساكره، وكان تفوقه عليهم جليّا، ممّا أجبرهم على الفرار باتجاه البحر، وأصبحوا كجيش طارق بن زياد وما وقع له. فالدرقاويون من خلفهم والبحر أمامهم ، واشتبك الطرفان، وكانت النتيجة في هذا اليوم هزيمة الدرقاويين(1).

واستعملت السلطات العثمانية لإفشال الحركة، سياسية الترغيب والترهيب، فحاولت عن تقريب شيوخ القبائل عن طريق الامتيازات الماديّة وغيرها، كما أنّها كانت تعاقب كل من يرفض الإنسحاب من صفوف الدّرقاويّين والإنظمام إليها. وقد وفّقت السلطات العثمانية في سيّاستها إلى حدّ كبير، إذْ لاحظنا أنّ عدد كبير من القبائل الثّائرة تخلّت عن ابن الشّريف الدرقاوي ، بل هناك من رفض استقبالهم، وهذا ما جعله يضطر إلى الانسحاب من الغرب الجزائري، ليلتحق بالمغرب الأقصى (2). وأصبح ذلك اليوم من بين أيام الصدام الأخرى بينهما، بل ومن أشهرها، وصار يعرف بيوم عين السدرة بمنطقة غريس، حيث تكتل بها أتباع الحركة الدرقاوية، وتناسلوا إليها من كل حدب وصوب، واجتمعوا، ثم أجمعوا على اجتياح أم عسكر(معسكر)، وقبل تنفيذ ذلك جاسوا خلال مناطق غريس وأفسدوا ما كان في طريقهم، وأصبحوا

---

1) هناك أيام أخرى كثيرة وشهيرة، جمعت بين قوات السلطة العثمانية و الدرقاويين ومنها: يوم التافنة والمعروف بيوم بن الأحرش لأنّه مات في هذا اليوم مع كثير من أتباعه، ويوم التوتة الذي جرح فيه الباي ومات، ويوم أجديرة الذي فيه أفنيت عامة درقاوة.

2) تحليل وتصويب بقلم الأستاذ المشرف أرزقي شويتام، خلال مراجعة موضوع الرّسالة .

قاب قوسين أو أدنى من أم عسكر وفتحها [1]. فبينما كان الدرقاويون على مشارف أم عسكر، وعلى وشك دخولها، كان الباي بمكان يسمّى أبا خرشفة، وكان على اطلاع مستمر بتحركات الدرقاويين، عن طريق عيونه من بعض أهل غريس، ونتيجة لمعرفة هؤلاء بطبيعة أتباع الدرقاوي، وما شاهدوه من أعمالهم بغريس وضواحيها، من تدمير وإتلاف المزروعات، فقد كانوا يزودون الباي بكل جديد وطالبين منه التدخل والتقدم إلى المنطقة. وبعد ذلك جمع الباي ما استطاع من قوات، وقصد موطن تواجد الدرقاويين، وكلّه تصميم على دحرهم. وفي يوم التقاء القوتين، صادف وصول زعيم الحركة الدرقاوية؛ الذي كان قدومه دفعا للدرقاويين للمجابهة وزيادة الحماس إلى اللقاء في ميدان النزال. وفي اليوم المعلوم قسم الباي جيشه المتكون من أعيان الزمالة، وأتباعها والحشم[2] وجيش الخليفة، وأعيان الدّوائر، وأتباعهم، وعساكر الأتراك، وأصحاب المدافع، وعلى رأسهم جميعا الباي [3].

أمّا القوة الدرقاوية فكانت تتكون من: أتباع الطريقة المجنّدين ومن معهم من العوام، وبني عامر. وكان يوم اللقاء، يوم صدام كبير، ويوم هزيمة الدرقاويين، فمن قتل وأسر وسبي وانكسار ومذلة، ومنذئذ انكسرت شوكة الحركة، لكن دون القضاء النّهائي عليها؛ ولذلك ستظهر من جديد، في عهد الدآي الحاج علي باشا (1809- 1815م)، وما بعده [4]. لم يخب ظن

---

1) مسلم بن عبد الغادر الوهراني، خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تحقيق، رابح بونار، الجزائر، 1974م، ص. 93،94. وانظر كذلك، سعيدوني، من التراث التاريخي و...، مرجع سابق، ص. 474.

2) قبيلة من قبائل الغرابة تستوطن منطقة غريس قرب معسكر.(انظر، الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران ،دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013، ص. 296.

3) المدني، محمد بن عثمان خوجة...، ص. 77.

4) المدني، نفسه ، ص. 77 .

الدّاي في باي وهران الجديد محمد المقلش؛ الذي استطاع التصدّي للحركة، ودحر أصحابها، وإرغامهم على الفرار، والإلتجاء إلى منطقة فليتة الواقعة بين وادي جديوية ومينا. ولم يكتف الباي محمد بفرار الدّرقاويّين، بل طاردهم إلى أن دانوا له بالطّاعة[1]. وهكذا انقذت مدينة وهران من السقوط في يد الدرقاويين، بفضل صمود_السكان، وحسن دفاعاتهم، من جهة وبفضل التعزيزات التي وصلتهم من الجزائر بحرا إلى وهران عام1220هـ/ 1805م، وعلى رأسها الباي الجديد محمد المقلش [2].

-) نتائج وآثار الحركة الدرقاوية.

عندما نتناول نهاية هذه الحركة، فنحن بصدد الإجابة على السِؤال التالي: ماهو مآل وآثار هذه الحركة؟ أو بالأحرى ما هي النتائج التي آلت إليها الحركة الدرقاوية؟

لقد تعرّضت الحركة الدرقاوية وأتباعها إلى مواجهات عنيفة ومضايقات كبيرة من قبل السلطات العثمانية، ودون كلل، حتّى أفقدتها نفوذها وأجبرتها على الانحصار في منطقتي الونشريس وجنوب التيطري[3]. **ومن** أهم النتائج التي تمخضت عن مواجة الحركة الدرقاوية نذكر ما يلي:

1) تقلص عدد أفراد الجيش الإنكشاري وكمية الأسلحة، ممّا دفع بالوالي العثماني بالجزائر (عمر باشا)، إلى مراسلة السلطان العثماني خلال شهر رجب 1231هـ/ شهر جوان 1816م، إذْ ناشده المدد بالعساكر والأسلحة. وقد جاء في الرسالة: « إننا نطلب من حضرة السلطان مساعدتنا ، بمدنا بالأسلحة اذ استوجب تقوية جيشنا ... أما واجبكم فهو معاونتنا بإرسالكم

---

1) المدني، نفسه ، ص، 77.

2) بوعزيز، وهران...، ص. 114 ، 113 .

3) م. إمريت، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، تر. عبد الحميد بورايو، دار الرّائد للكتاب، الجزائر،2014، ص. 290.

الاوجاق والأسلحة، خصوصا عندما ظهر هذا المهدي الكاذب منذ خمس وعشر سنوات في غرب وشرق الجزائر... لقد هاجم العساكر الأتراك قسم منهم ، وأسر القسم الآخر... إن عددا من الموتى قد سجل اثر المعارك... وبفضل رعايتكم وبركتكم فإن الانكشاريين قد ألحقوا هؤلاء الملاعين هزيمة نكراء...»[1]. وما يفهم من هذه الرسالة هو قوة الحركة الدرقاوية وتأثيرها على السلطة خاصة عسكريّا.

كما يبدوا، أن السلطة العثمانية كذلك في تلك الفترة لم تكن تفرق، ولا تفصل بين حركة إبن الأحرش، التي ظهرت ببايلك الشرق الجزائري، وثورة إبن الشريف الدرقاوي ببايلك الغرب، واعتبرتهما شخصا واحدا ادعى أنه المهدي كذبا.

2) تبرأ الشيخ محمد العربي الدرقاوي من قائد الحركة المناوئة، عبد القادر بن الشريف، وسحب الإجازة الشرعية التي أخذها منه، لما وصف له لأتراك العثمانيّين. حيث لما حل الشيخ محمد العربي الدرقاوي بالجزائر، لم يجد ما قاله له عبد القادر بن الشريف عن الأتراك، وإنّما وجدهم مسلمين سنيّين ولا شية في إسلامهم. وكان هذا الموقف ضربة قاصمة لصاحب الحركة، كما كان له الأثر السلبي على الأتباع، بالإضافة إلى قيام أهل معسكر بثورة ضد زعيمهم عبد القادر حتى أنهم حرموه من الدخول إلى مدينة معسكر. ومن أهم ما قام به أهل معسكر أنهم قاموا بإخراج أحد الأعيان السجناء المدعو الحاج محمد بلحضري بن اسماعبل البحثاوي من سجنه ونصّبوه حاكما على مدينتهم. وما كان من هذا الأخير، إلاّ أن ألقي القبض على بعض

---

1) التميمي، بحوث ووثائق....، ص. 144.

الدرقاويين، وخاصة من كانوا ضمن المتمردين وأرسلهم إلى باي وهران، محمد المقلش، وهذا بدوره أرسلهم إلى الدّاي بالجزائر [1].

3) فرار الدّرقاوي إلى المملكة المغربيّة، بعدما بلغ به اليأس من الانتصار [2].

4) إجبار السلطة لعثمانية، على طلب الدعم، بسرعة من الباب العالي، قبل فواة الأوان[3]. لأن الثورة الدرقاوية قد بلغت قي تأثيرها على الوضع حتّى كادت أن تذهب بالدولة وبالحكم العثماني بالجزائر سنة 1219هـ/1804م، وقد تجلّى ذلك في اهتزاز ثقة القبائل الموالية بالسلطة [4].

5) خسائر بشرية كبيرة من الجانبين، وذلك بسبب القتل المفرط من الطرفين، حت صارت الرؤوس المقطوعة مكدسة على شكل جبال[5]. وهكذا تحولت من مجرد حركات مناوئة عرضية عابرة إلى أحداث مؤثرة وجروح غائرة، في جسم المجتمع، واستمرت آثارها إلى ما بعد زوال الحكم العثماني [6].

6) ندرة الغذاء، ممّا أدّى إلى ارتفاع ثمن الحبوب، خاصّة ببايلك الغرب، وأصبح، صاع القمح

---

1) بوعزيز، وهران ... ، ص. 116.

2) الزهّار، مصدر سابق، ص. 117.

3) عبد القادر فارح، العلاقات الجزائرية العثمانية (1818– 1830م)، مذكرة ماجستير(غ. م)، جامعة الجزائر، ص. 09.

4) الراشدي، الثغر الجماني....، ص. 42.

5) الزهّار، مصدر سابق، ص. 117.

6) قنان، نصوص ووثائق ، ص. 20

يباع بخمسة (5) دورو، و كان القمح لا يتأتّى لسكّان الغرب الجزائريإلاّ عن طريق البحر [1].

-) مواقف القوى الخارجية من الحركة الدرقاوية.

إنّ ما يحدّد مواقف الدول تجاه بعضها البعض هو نوع المصالح وحجمها، ووفقا لذلك تتخذ المواقف الملائمة والمناسبة. وبالتأمل في العلاقة القائمة بين المملكة المغربية وإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، ومنذ القرن 16م نجدها قد تميّزت في الكثير من الفترات بعدم التقاطع والتطابق، بل بالعداء والصّدام أحيانا، ومنها على سبيل المثال: الحملة العسكريه المغربية على الجزائر سنة 1678م، والحملة الثّانية سنة 1686م، ولولا تدخل الباب العالي سنة 1701م ضاغطا على سلطان المغرب مولاي إسماعيل لتواصلت الاعتداءات[2].

وبالرغم من التدخل للباب العالي إلاّ أنّ المغرب لم يتوان في مناصبة العداء للإيالة. وقد ترجم ذلك خلال مطلع القرن التاسع عشر؛ أي خلال عهد السلطان محمود الثّاني (1808- 1839م)، حيث تدهورت العلاقات، إلى درجة الصّدام ودعمه للحركة الدرقاوية المناوئة، التي ظهرت في الغرب الجزائري، بحيث كان يمثّل بالنسبة لها قاعدة خلفية على أراضيه، وهذا الدّعم التمسناه في الإجازة التي منحها شيخ الطريقة بالمغرب للثّائر الدرقاوي بالجزائر فيما سبق. إنّ ما يلاحظ، هو أنّ أسلوب تعامل المغرب الأقصى مع الجزائر قد مرّ بتقلبات متباينة، ففي القرنين السّادس عشر والسّابع عشر، كانت مواجهة عسكرية بين البلدين، ومنها الحملة التي وجهها علي باشا (ملك الجزائر)، بقيادة مراد رايس باتجاة مدينة العرائش ضد المملكة المغربية، بستّين سفينة وعلى متنها ستّة آلاف جندي. وقد واجهها الملك المغربي، أحمد

---

1) الزهّار، مصدر سابق، ص.117 .

2) شويتام، نهاية الحكم العثماني... ، ص. 41. وانظر أيضا، سي يوسف، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، ص. 212.

المنصور بجيش يتكون من الفرسان والمشاة بقيّادة ابنه المولى الشّيخ [1]. بالإضافة إلى حشد المملكة المغربية لقوّة بحرية اسبانية وإيطاليّة. وهكذا كانوا يتبادلون الحملات العسكرية المباشرة. وكذلك هناك جملة من العوامل تتحكم في ذلك، فكان العثمانيون يسعون في مطلع القرن السّادس عشر إلى ضمّهم المغرب الأقصى إلى مشمولاتهم شأنه شأن البلدان المغاربية الأخرى (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)، وهذا ما يؤكّده تقرير السّفير الدّون فرانسسشكو اك وشطا الذي رفعه إلى الملك فليبي بقوله: « إنّ أنظار الأتراك كانت شاخصة ولا ريب نحو الأربعمائة ألف مثقال التي كان صلاح رايس قد نقلها معه إلى فاس... فلم يهدأ لهم (الأتراك) خاطر حتّى أدخلوا ممالك البربر في تبعيّتهم وسلّموا عبد الملك رايتهم المقرونة بذيل جواد إشارة بطاعته...» [2]. إلا أنّ العثمانيّين تراجعوا عن مشروعهم هذا ن وذلك لأسباب عديدة، منها:

1- نهاية عهد البالر بايات الأقوياء (1587م)، واستخلافهم بالباشوات المدتيّين.

2- كما أنّ بروز أحمد المنصور بالمغرب الأقصى كسلطان قوي له علاقات خارجية واسعة، وأصبح يتعامل مع العثمانيّين ندّا للند . أمّا في القرن الـ (18م)، فإنّ اسلوب المغرب الأقصى في تعامله مع الجزائر قد تغيّر. إذْ لجؤوا إلى استعمال أسلوب التحريض والدّسائس ضدّ حكّام الجزائر. ويتجلّى ذلك الأسلوب في تشجيعهم لاتباع الطرقيّة، ودعم أتباعها في مناوأتهم للسلطة العثمانية في الجزائر [3].

---

1) أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق: إبراهيم بو طالب، الحمعيّة المغربيّة للتّأليف والتّرحمة والنّشر، الرّباط، المغرب، 2011، ص. 79، 80 .

2) المصدر نفسه، ص. 80، 81 .

3) بقلم الألأستاذ المشرف أرزقي شويتام، خلال تصحيح موضوع الرّسالة.

كما أن ضلوع المغرب بتدخله، ودعمه للحركة الدرقاوية، يبدو جليا، وهو ما يفسره توقف الحركة عن أعمالها المناوئة بعد ما تدخل المغرب[1]. وهذا ما تؤكّده إحدى الدّراسات، إذ جاء فيها : « وأخذ العداء يبرز بين الجارتين يشكل آخر، فمن الغارات العسكرية على الجزائر تحول إلى التدخّل في الشؤون الدّاخلية للجزائر، من خلال مساندة المغرب للثورات الشعبية بالجزائر تحت زعامة الطرق الصّوفية،... ومن أهم هذه الطرق نذكر على سبيل المثال لا الحصر الطريقة الدرقاويية والتيجانية »[2]. وهذا ما جسّده رفض السلطان المغربي مولاي سليمان تسليم زعيم الحركة الدرقاوية المتواجد بالأراضي المغربية، إلى الجزائرية[3]. ولقد ختمت السلطات المغربية سياستها السلبية تجاه الجزائر، بامتناع السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان بن هشام عن الاستجابة، ورفض التعاون مع الدّاي ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م [4]. واختتم الموقف، مع الأمير عبد القادر الجزائري، أيام مقاومته، بعد زوال الحكم العثماني.

-) نهاية الحركة الدرقاوية؛ الأسباب والآثار.

قد تعدّ الحركة الدّرقاويّة من بين الحركات القلائل التي تميّزت بالعنف، وشكلت خطرا كبيرا على السلطة العثمانيّة في الجزائر، بل والتي حدثت في وقت غير ملائم للسلطة العثمانية، النـي كانت في آخر أيامها؛ وهي عي حالة ترهل وضعف. لكن وبالرغم من ذلك فقد استطاعت إفشال حركة ابن الشريف الدّرقاوي، وتضع لها حدّا، ولو بعد سنوات من الصراع.

---

1) فلوح، مرجع سابق، ص. 09.

2) منصور، مرجع سابق ، ص. 74.

3) جوليان، مرجع سابق، ص. 379. وانظر أبضا، فلوح، المرجع السابق، ص. 09.

4) شويتام، دراسات ووثائق... ، ص. 129.

-) **أسباب وعوامل فشل الحركة الدرقاويّة.**

أمام تناقضات القوة والضعف بين الحركة والسلطة العثمانية، نطرح التساؤل التّالي: ماهي العوامل والأسباب التي جعلت الحركة تفشل أمام السلطة العثمانية، وهي في مرحلة لا تحسد عليها ؟ وعند البحث في الظروف المحيطة بالأحداث نستنتج أسباب فشل تلك الحركة والتي يمكن تلخيصها في جملة من الأسباب الموضوعية التّاليّة:

1) عدم وجود الأُلفة بين زعيم الحركة الدرقاويّة (ابن الشّريف)، والسكّان بالغرب الجزائري، خاصّة أتباع الطّريقة القادرية؛ التي يتزعّمها محي الدّين(والد الأمير عبد القادر)؛ وهذا نتيجة للكراهية التي كان يكنّها له هذا الأخير. ونحن ندرك ما للشّيخ محي الدّين من مكانة عند أهل الغرب الجزائري. وعلى هذا الأساس كان أتباعه قلّة، وعلى قلّتهم انفضّوا من حوله بكل سهولة؛ مما دفعهه إلى ترك البلاد، واللّجوء إلى بلاد المغرب؛ وهو دليل عن عدم وجود حاضنة محليّة.

2) وجود الطّريقة القادريّة بالغرب الجزائري، وهي طريق قديمة ومتجذّرة بين سكان المنطقة؛ وبالتّالي: فإنّه من الصّعب منافستها والصّمود أمامها في عقر دارها، وأمام أتباعها.

3) السيّاسة العثمانيّة المتّبعة مع الرعيّة عموما، وهي سيّاسة الترغيب والتّرهيب. فهذه السيّاسة لما نهجها العثمانيّون مع الرعيّة عموما، ومع المتمرّدين (المناوئين) فد آتت أُكلها؛ والتي كانت نتيجتها انسحاب الكثير من صفوف ابن الشريف الدّرقاوي، وترك الحركة؛ ممّا أضعف صفوف المناوئين .

4) عدم وجود الدعم الخارجي الملموس، وحتى المعنوي من قبل زعيم الطّريقة الدرقاويّة بالمغرب (الشّيخ محمد العربي الدّرقاوي) الذي زار منطقة الغرب الجزائري وتوقف بها. وشاهد بأم عينيه حقيقة العثمانيّين؛ الذين كفّرهم ابن الشريف ويبدو أن تكفير الأتراك ليست فكرة محدودة الزمان عن الدرقاويين حينما كفرهم ابن الشريف الدرقاوي الثائر بغرب الجزائر، وإنما

فكرة تكفير الأتراك من قبل أتباع الطريقة الدرقاقية مستمر؛ وهذا ما تجسده توصية السيد الحاج أحمد بن المبخوت، مقدم الطريقة الدرقاوية بمشرية عند بداية الحرب العالمية الأولى بقوله : « الترك ينتسبون الإسلام ولكن ليس لهم منه إلا إسمه » (1) من خلال روايته المغلوطة عنهم لدى شيخه فيما سبق. وبالتّالي خسر ابن الشريف السند الدّيني والمعنوي اللذان كان يتلقّاهما. وكذلك نداء السيد محمد البشير وهو من المنحدرين من سيدي محمد التيجاني شيخ زاوية تيماسين إلى كل مقدميه وأتباع طريقته، فقال:« الدولة التركية خرجت من دائرة الاسلام بمرتكباتها التي فيها هلاك الإسلام والمسلمين معا » (2).

5) الضعف العسكري لدى الدرقاويّين. فالفرق بينهم وبين القوّات العثمانيّة النّظاميّة كبير. فشتّان بين جيش مدرب، ومسلّح ومحترف ومجرّب، وله موالاة تامّة لسلطته، وبين أتباع تنقصهم الدّافعيّة الدّائمة، ويفتقدون إلى التّدريب والسّلاح المتطور.

6) كون العدو ليس عدوّا أجنبيّا، ومن ملّة أخرى، إنّما العدو ماهو إلاّ مسلما سنيّا؛ وبالتّالي فإنّ روح القتال والعزيمة تكون فاترة، إن لم تكن منعدمة في بعض الأحيان.

7) الهدوء والاستقرار الذي ساد السّواحل الجزائرية، والذي صاحبته هيمنة الأسطول الجزائري عبر البحر المتوسط، ولو لفترة وجيزة، خاصة بقيادة رايس حميدو. وهذا الاستقرار أدّى بالسلطة العثمانية بجمع قواتها، واستغلها في التصدّي للحركة الدّرقاوية. لهذه الأسباب، وربما مع غيرها من الأسباب الأخرى، فشلت الحركة الدّرقاويّة، كغيرها من الحركات المناوئة سابقا، بعدما صمدت قرابة العشر سنوات كاملة أي من 1805م إلى 1813م.

---

1) Les Musulmans français et la guerre, **Adresses et temoignages de fidélité des chefs musulmans et des personnages religieux de l'Afrique Occidentale**, (R. M M.) éd. Ernest Leroux, Paris 1915, p. 270.

2) Idem, p. 215.

-) آثار الحركة الدّرقاويّة.

لقد خلفت الحركة الدرقاوية آثارا على جميع المستويات، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان المدّة التي استغرقتها، والمقدّرة بحوالي عشر سنوات من التمرد ومحاربة السلطة العثمانية بالجزائر؛ ولذلك نجد تأثيرها تمثّل فيما انجرّ على المنطقة من ويلات وخسائر، ومسّ كل أصناف الحياة؛ السيّاسيّة والاقتصاديّة ،والاجتماعيّة.

أ) الآثار الإجتماعيّة.

ولكونها حركة مناوئة ذات فلسفة وخلفية دينيتين، فإنّ السلطات العثمانية بالجزائر صارت تتوجّس خيفة من كل الزعماء الدّينيين، وبالتّالي لا تتوانى في الكيد وإصدار التهم لهم ومن غير التفريق بين من كان وراء ومع الحركة الدرقاوية، أو من كان مع الطرق الأخرى؛ ولذلك نجد ردود أفعال السلطة اتجاه الحركة لم يتوقف عند الزعماء الدّينيين، بل تعدّى حتّى إلى الموالين لها [1]. ومن هؤلاء مثالا، العالم السلفي الحافظ المؤرخ أبو راس النّاصري[2] الذي انهم بمساندته للحركة الدرقاوية خسر منصبه الرسمي على إثر عزله منه، ولهذا السّبب ألّف كتابه الموسوم بـ(درء الشقاوة في فتنة درقاوة)، ينتقد فيه الحركة الدرقاوية، وفي ذات الوقت كتبرئة لنفسه مما اتهم به ، وبالتّالي اتقاء شر السلطة العثمانية التي أشهرت سيف الحجّاج في

---

1) P. Boyer « ***La politique relégieuse des Turcs dans la régence d'Alger*** », R . O. M. M.

2) **هو محمد** بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن ناصر...بن عبد الجليل المعسكري، من مواليد ناحية جبل كرسوط حوالي (1150هـ 1737م) وبعد حفظع القرآن مارس التعليم ثم القضاء والإفتاء زمن آخر بايات وهران (حسن) تميز بغزارة التأليف؛ (63 مؤلفا) ، ومنها:(درء الشقاوة في حروي درقاوة) حتى دعي بمجدد القرن. كما عاش حياة يتم وشضف و تقشف وحرمان. كما تميز بمناصرته للعثمانيين، وآملا في استعادة الفردوس المفقود (الأندلس). توفي أبوراس عام 1238هـ/ 1823م ليكون من المؤلفين المعمرين القلائل. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص. 460 وما بعدها.

وجه العلماء بالغرب الجزائري، هذا من جهة. ومن جهة أخرى يًعتبر هذا المؤلف، في نظرنا، إشهار للحركة والطريقة معا، وتشهير بالسلطة التي منيت بهزيمة نكراء أمام الحركة مع الفارق في التدريب والتسليح [1]. كما كان تأثير الحركة على المستوى الاجتماعي ظاهرا وذلك من خلال انتشار الخوف بين أوساط السكان، وأصبح اللّاأمن هو السّائد، وباتت الطرق البرية غير آمنة من الأعمال اللصوصيّة.

ب) الآثار الاقتصاديّة .

لم يكن الوضع الاقتصادي بمعزل عن القطاعات الأخرى تأثّرا وتأثيرا؛ ولذا لمّا انتشر الخوف تعطّلت الحركة عبر الطرق، وتعطّلت معها الحركة التجارية، الشيء الذي انعكس سلبا على حركة الأسواق والسلع وأسعارها، مما أدّى إلى شحّها بالأسواق، و واختفاء حاجيات السكان منها. وقد عبّر على ذلك الحافظ أبو راس النّاصري ذاكرا ما حاق به جرّاء هذه الفتنة، كما سمّاها، فقال: « ثمّ عمتنا فتنة درقاوة فانهالت علينا أواصر النكبات والبليات من الخوف والجوع والروع الذي في الفؤاد مودوع »[2]. خاصة إذا علمنا أن أثار الصدامات تعدت بالمس إلى الممتكات من دور ومزارع، وما بها من غلال [3].

ج) الآثار السيّاسيّة.

أمّا عن نهاية الحركة فقد كانت الفشل الحتمي لها ولأتباعها، وهذا بعد كر وفر وجهد

---

1) الراشدي، الثغر الجماني... ، ص.49.

2) محمد سي يوسف، دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مجلة الدراسات التّاريخية، جامعة الجزائر(2)، عدد (2)، سنة 1986م. (نقلا عن أبي راس النّاصري، درء الشقاوة في فتنة درقاوة، ص. 136).

3) شويتام، نهاية الحكم العثماني... ، ص. 106.

جهيد فخبأت نارها، وإن كان لم تنطفيء نهائيّا. ولقد استغلت السلطة العثمانية في الجزائر كسر شوكة الدرقاويين، فالتفتت إلى الزعماء الطرقيين وراحت تضيق عليهم الخناق. ومن الذين طالتهم متابعة السلطة نذكر إبن القندوز التوجيني الذي تم قتل في مدينة مازونة، كما ضيّقوا الخناق على أحمد التيجاني الذي رحل مكرها إلى المغرب الأقصى، ومثله الشارف ين تكوك، فيما توجّه محمد بن علي السنوسي إلى المشرق[1].

وعموما فإنّ كل من الحركة وموقف اتجاهها كان لهما انعكاسات سلبية على المجال الثقافي، وهو ما أدّى ببعض الكتاب والشعراء أن يدوّنوا الأحداث التي عايشوها مثل أحمد أبو راس النّاصري، والشاعر الشعبي السجراري، وغيرهما. لكن إذا زالت السلطة العثمانية بحلول الاحتلال الفرنسي بالجزائر فإنّ الحركة الدرقاوية لم تخبو جذوتها، اذْ استمرت في الوجود رغم الضربات والنكسات على يد السلطة العثمانية، فها هي تظهر من جديد في عهد الأمير عبد القادر سنة 1835م. وفي هذا الصدد يذكرنا مارسيل إمريت (M. Emrit)، فيقول:

« في هذا الوقت (شتاء 1835م) فعلا تشكّلت جماعة في الشرق ضدّه (أي الأمير عبد القادر الجزائري): إنّها درقاوة طريقة متطرفة كانت تدعو إلى لبس الثياب المهترئة، دامت لمدّة 30 سنة كان على رأسها ثلاث شخصيات مهمّة من بينهم أخوه الكبير سيدي مصطفى، وأولهم قائد فليتة والذي انسحب فجأة إلى الصحراء، سواء بسبب أصابه من انزعاج ، أو سبب التطرف. حجتهم الدعوة للجهاد لكن هدفهم هو الانقلاب عليه (أي على الأمير). رأينا كيف تشتّتوا أمامه، كانوا يعانون من ضعف كبير » [2].

---

1) سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي... ، ص. 221.

2) إمريت، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، ... ،ص. 122.

بعد ما عجز الشريف (الدرقاوي) ضد السلطة العثمانية انسحب إلى المغرب الأقصى، فتزعم صهره أبو ترفاس، المقاومة سنة 1813م، محاولا مواصلتها، إلاّ أنّ الباي بوكابوس تصدّى له وأخمد حركته نهائيا، ملحقا خسائر معتبرة بالثائرين [1].

3- حركة الباي محمد شاكر1229هـ/1814م

-) التعريف بالباي محمد شاكر:

هو جندي من الجنود الإنكشاريّين، التحق بإيالة الجزائر في سن مبكرة، قادما إليها من مدينة إزمير(سميرنا)[2] العثمانية، ليصبح فيما بعد من ضمن الميليشيات العسكرية في إيالة جزائر الغرب. وحسب (فايسات Vayssettes)، كان يتمتع به من صفات تتوافق مع الطّبيعة العسكرية من: جديّة وحزم وانضباط ، ولكن مع ظلم الرعية، ونهبها،... واستطاع تسلق الرتب العسكرية إلى أن أصبح ضابطا بجيش بايلك الشرق، ثم صار من المقربين من الباي نفسه [3]. أما صالح العنتري، فقد وصفه بالبطش والصلابة وسفك الدماء والإعتداء على أموال الناس، وتفشي المظالم في عهده[4]. وهذا في رأينا ليس بالغريب عنه، بالنظر إلى الظروف التي تم تنصيبه خلالها. وما سيثبته بنفسه من خلال تمرّده.

---

1) شويتام، نهاية الحكم العثماني،...، ص. 105، 106 .

2) مدينة عثمانية متوسطية تقع على الساحل الغربي الجنوبي للأناضول وتعد ثالث أكبر المدن بعد أنقرة واستانبول، ومرفأ ثاني بعد استانبول، كانت في القديم من بين محطات تجميع المجندين الإنكشاريين الموجهين إلى إيالة جزائر الغرب. انظر، تركيا دليل فوردورز السياحي ، الدار العربية للعلوم، تر. مركز التعريب والبرمجة، بيروت، ط$_1$، 1994، ص. 173.

3) أوجين فايسات، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792-1937م)، تر. صالح نور، دار قرطبة، الجزائر، 2010، ص. 168.

4) العنتري، مصدر سابق، ص. 81.

-) ظروف تولية محمد شاكر.

إن الظروف التي تمت فيها تولية محمد شاكر، على بايلك الشرق الجزائري تحوم حولها الشبهات والشكوك، وذلك نظرا لما صاحبها من أحداث. فكل الحيثيات والظّروف التي سادت قبيل توليته وأثناءها، وحتّى تصرفاته فيما بعد، توحي بذلك. فعلى إثر التمرد الذي قام به أهل بوسعادة، وأولاد ماضي خلال شهر جانفي 1814م والتصدّي لهما من قبل قوات بايلك الشرق، تحت قيادة باي قسنطينة (نعمان باي) خلال الفترة الممتدة (من فيفري 1811- مارس 1814م)، وقوات باشا الجزائر الحاج علي(1809-1815م)، المرسلة إلى منطقة بوسعادة، تحت قيادة الباش آغا عمر، وكيفية إدارة المواجهة مع المتمردين، ثم التوجه إلى مدينة لمسيلة بعد مدينة بوسعادة، والطّريقة السريعة التي تم بها تعيين (محمد شاكر) بايا على بايلك قسنطينة وإلباسه قفطان التولية؛ والذي كان محضرا خلال المواجة مع المتمردين بساحة المعركة)، إذْ تم ذلك بعد الخروج من مدينة بوسعادة، باتجاه مدينة لمسيلة مباشرة، ودون القضاء النّهائي على الحركة المناوئة وتمرد أهل بوسعادة. فقد تم قتل الباي نعمان باي (1803- 1806م) خنقا من قبل شواش الباش (آغا عمر) وتعيين محمد شاكر بدله بايا على بايلك قسنطينة[1]. وبهذه السرعة، تم تعينه في مكان غير عادي، فلا هو قد تعين في مقر البايلك، ولا تعين في مقر الدّاي بعاصمة الإيّالة، ولذا كان الأمر مريبا. فمن ميدان المعركة صار محمد شاكر بايا على قسنطينة، ودخلها بقفطان التولية ليثخن في أهلها قتلا وتنكيلا ونهبا لما بين أيديهم من ثروات، حتى صار ذكره مرعبا بين السكان. ليقضي أٍبع سنوات هو الآمر وهو النّاهي، دون خوف من أي سلطة أو سلطان[2].

---

1) فايسات، المرجع نفسه، ص. 161،162، 163.

2) فايسات ، المرجع نفسه، ص ص. 167- 184.

-) أسباب حركة الباي محمد شاكر.

ترتبط حركة الباي محمد شاكر ارتباطا مباشرا بالسلطة والمنصب. وبما أن وصول محمد شاكر إلى السلطة على بايلك الشرق خلفا للباي السابق نعمان باي، وبينما هو في أوج سلطته ومتربعا على عرش البايلك تلقى خبر مقتل الباشا عمر (عمر باشا)، الذي كان قد عينه بايا بعد مقتل نعمان باي بالمسيلة، حيث كان الباشا عمر، على ما يبدو، بمثابة السند والجدار الحامي لمحمد شاكر، بل المشجع له في ارتكاب جرائمه التي عرف بها، ولو بالسكوت وغض الطرف عنها. فكانت وفاة عمر باشا؛ بمثابة حدثا مفصليّا في تبدل حاله ووضعة. ثم تلاها خبر عدم قبول مرسوله (عثمان خوجة) حامل الدّنوش إلى مدينة الجزائر والأمر بخلعه، من منصبه، وإستبداله بأحد يدعى بكير خوجة بدله. ثم رسالة ثانية تحمل أمر إعدام عثمان خوجة. كما ازداد انزعاجه بازدياد مراسلات السلطة العثمانية بالجزائر إليه. أمّا عن السبب المباشر الذي أثار حفيظة محمد شاكر باي بصفة كبيرة وظاهرة، هو تلقي مسامعه من قبل أحد الأتراك أنّ قائد مدينة لمسيلة المدعو (قارة مصطفى) سيكون من المحتمل خليفة له وعندئذ ظهر تشبّثه بالمنصب وأظهر حرصه عليه، وازداد خوفه على ضياعه، فرفض النزول عن سُدّة منصبه، وعبّر عن ذلك عن طريق غضبه وقسمه بإلحاق الهلاك بمن يطمع في منصبه [1].

بعد ما علم قائد مدينة لمسيلة بما علم به الباي محمد شاكر، تملّكه الرعب خاصة بعدما نصحه ذلك التركي بالفرار للحفاظ على نفسه من الباي قائلا له: « انهض واهرب لأن الباي قد قرّر قتلك »[2]. ففر قارة مصطفى(قائد لمسيلة) متمنعا بنفسه وقصد منطقة جيجل المنيعة بتضاريسها وغاباتها، ورغم ذلك لم يهدأ بال الباي محمد شاكر، وقرّر ملاحقته بفرسانه.

---

1) فايسات، مرجع سابق، صص.186،188.

2) نفسه، ص. 188.

لكن قارة مصطفى تخلّص من خطر محمد شاكر باي؛ لما توجّه بحرا باتجاه مدينة الجزائر المحروسة، ودخل على الباشا الجديد علي خوجة (1817/ 1818م) مستبقا لديه بالشكاوى ضد محمد شاكر[1].

وبعدما استمع الباشا إلى كلام مصطفى قارة، وتفحّص شكاياته، وبعد محاورته له، يبدو أنّه اقتنع من حديثه معه، فقرّر تعيينه بايا على إقليم قسنطينة. ومن مقر الباشوية سلّم له قفطان التولية وأوراق اعتماد أعيان المدينة، وأمره بالتوجه إلى مقر البايلك. وعلى إثر ذلك حاول محمد شاكر باي (1818م) تبرئة ذمّته ودحض التهم المنسوبة إليه؛ والتي سبقته إلى مسامع الباشا علي خوجة عن طريق مصطفى قارة. فوجّه محمد شاكر باي رسائل إلى من يثق بهم في مجلس الديوان، لكن مساعيه باتت من دون جدوى. ولم يجد من يسمعه أو يقف إلى جانبه [2].

-) موقف شاكر باي.

بين قبول قرار التعيين الصّادر من طرف الباشا، لصالح مصطفى قارة (1818م)، وقرار تنحيتة وعزله عن البايلك، وبين الرفض للقرار والتمسك بالمنصب، والدّفاع عنه بالعصيان والتمرد على السلطة، اختار محمد شاكر الخيار الثّاني؛ خيار التمرد والوقوف في وجه السلطة. وبدأ محمد شاكر الباي السّابق لبايلك قسنطينة تنفيذ فكرة تمرّده على السلطة العثمانية بدعوة جنود الحامية العسكرية المرابطة بعاصمة الشرق الجزائري للتجمع بدار الباي وذلك قبل وصول الباي مصطفى قارة المعين حديثا، بدل الباي محمد شاكر. فاجتمعو أمام دار الباي، ومنعوا

1) نفسه، ص. 188.

2) نفسه، ص. 188،189.

خروج أي كان من القصر، معتصمين أمام أي محاولة تكسر إرادتهم، حتّى تحول قصر الباي ومحيطه ما يشبه الثكنة العسكرية، واستمر التجمع بمعية الباي وأتباعه من خدمه ومعاونيه وجنوده حتى زالت الفوارق بينهم كالحجاج المتواجدين على صعيد واحد. ولعلها من سخريات القدر، وظاهرة أفرزتها الأزمة التي وقع فيها الباي محمد شاكر.

انطلق الباي الجديد مصطفى قارة من مدينة الجزائر قاصدا مقر بايلك الشرق (قسنطينة) شاقا طريقه عبر منطقة زواوة عابرا منطقة فرجيوة متجنبا بذلك الطريق السلطاني الرابط بين مدينة الجزائر وعاصمة الشرق الجزائري حتى لايثير الإنتباه، وتفاديا لأي كمين قد يُنْصب له، وهو إجراء وقائي يدل على ذكائه وعلى أنّه يعلم نفسية غريمه محمد شاكر، وفي نفس الوقت يشير هذا الاحتراز على ما يشعر بما قام به مع الباشا ضد الباي السابق، لكن مهما كان الأمر، وبالرغم من ذلك فقد كان خلال مسيره إلى مقر البايلك يتلقى المبايعات العلنية من القبائل والأعراش التي يمر بها [1]. وبهذه المبايعة يكون قد جرد خصمه محمد شاكر من السند الأهلي، وسحب من تحت قدميه بساط الموالات.

إن ما توقعه الباي الجديد (مصطفى قارة) من غريمه كان في محله، فهاهو الباي السابق (المعزول) ما إن علم بقدوم الباي الجديد حتى أخرج من المدينة جيشه وعلى رأسه إبنه محمود، معترضا سبيل خصمه، واضعا له الكمائن ومحاولا منعه من دخول عاصمة البايلك بكل صرامة، موجها تعليماته وتوصياته لأتباعه قائلا: « إذا قتل قارة مصطفى في المعركة، فاقطعوا رأسه وارسلوه إلي، وإذا ألقي عليه القبض وهذا أحسن بكثير، فسلموه لي حيّا لأمثل به أمام السكان » [2] . وهذا يدل على مدى الغل الذي يضمره له، وأنّه يعيش مرارة الإقصاء. ولمّا

---

1) فيسات، مرجع سابق، ص. 189،190.

2) فايسات، مرجع سابق، ص. 190.

كان غريمه الباي الجديد(مصطفى قارة) شاقا طريقه ويجمع في الأتباع بالمبايعات، التي أشرنا إليها سابقا، تراجع محمود بن محمد شاكر بقواته، إلى مقر البايلك، لينظم لأبيه[1].

-) المواجهة ونهاية الحركة.

لما تراجع محمود بن محمد شاكر بقواته إلى داخل المدينة وانظم إلى أبيه وما تبقى معه من قوات، كان في ذلك الوقت الباي الجديد يتقدّم بركبه نحو المدينة، وفي أثناء ذلك حدث مالم يكن يتوقعه الباي السابق (محمد شاكر)، حيث بدأ موالوه يتخلون عنه شيئا فشيئا: من مليشيات عسكرية ومن حراس القصر، حتّى وجد نفسه وحيدا، باستثناء واحدا فقط من الخدم، ويدعى عبد الله الصغير، الذي آثر الوفاء المفضي إلى الهلاك عن النجاة الملوثة بالخيانة. وأمام هذا الوضع الحرج، لم يكن أمام محمد شاكر إلاّ البحث عن من يجيره، ولم يجد أفضل من دار الشيخ الفكون حيث لجأ إليها، وذلك بعد اتصالات وتوسطات، حيث جاءه الرد عن طريق المتحدث باسم عائلة الشيخ الفكون قائلا لمرسوله: « قل لسيّدك أنّي أهب له داري ملجأ، وأنّه سيجد فيه مكانا آمنا، فاليغادر إذا قصر البايات لصاحبه الجديد (الباي مصطفى قارة)، وليدع الله يدبر ملكه كما يشاء » [2].

خرج محمد شاكر، من قصر البايات، بعد تردّد وحيرة، حزينا مدمع العينين، وتوجه إلى دار الشيخ ابن الفكون، وبعد ولوجه الدّار تم إخبار الباي الجديد مصطفى قارة بمكان تواجد المتمرد محمد شاكر، وفي الحين أمر الشواش بالتوجه إلى دار الفكون أين التجأ محمد شاكر، وألقي عليه القبض، واقتادوه مغلول اليدين، ليسجن في دار الآغا، ثم أصدر قراره بإعدامه فورا.

---

1) نفسه، ص. 190.

2) فايسات، المرجع السابق، ص. 191.

وفقد تم تنفيذ حكم الإعدام في حقه بعد وقت قصير، وتم دفنه بخلوة سيدي عبد القادر قرب مقبرة سيدي مسعود الصّحيح [1]. ويظهر من خلال سرعة تنفيذ الإعدام ومن دون محاكمة أن الوالي الجديد أراد أن ينذر الرعية أو أي كان من مغبة التمرد عليه. وفي نفس الوقت كان حكم الإعدام بمثابة جزاء له على ما اقترفه خلال أربعة سنوات من الحكم الدّموي. ويبدو أن السكان قد سُرُّوا بذلك الحكم وعبروا عن ذلك بمبايعتهم للوالي الجديد. وبهذه النّهاية، تكون حركة الباي محمد شاكر وتمّرده على السلطة المركزية، ليست بسبب دوافع اقتصادية أو اجتماعية، وإنما كانت من أجل أهداف سياسية؛ مفادها البقاء في السلطة. وبهذه النهاية المأساوية؛ المتمثلة في إعدام صاحبها، تكون حركة محمد شاكر باي قد بلغت نهايتها.

4): الحركة التيجانية 1825م.

لقد كان الغرب الجزائري، الذي كان على رأسه (حسين) باي بن موسى المدعو الباهي مثقلا بالحركات المناوئة وخاصّة تلك التي تبنّتها الطرق الصّوفية. بلإضافة إلى أعمال الشغب التي صاحبتها، ومن أبرز الحركات المناوئة للسلطة العثمانية التي ظهرت به هي الحركة التيجانية المنسوبة إلى الطّريقة الصّوفية التي نشأت عام 1782م[2] ببايلك الغرب الجزائري. حيث أظهرت به، هذه الأخيرة، مناوأتها للسلطة العثمانية [3].

---

1) نفسه، ص. 192.

2) وهناك من يرجع نشأتها إلى سنة 1856م. انظر:

- E. MANGIN, « Notes sur L’HISTIOIRE DE LAGHOUAT », Adolphe Jourdan , libraire- : éditeur, Alger, 1895, p. 35. (Extrait des publications de la R. A .) .

3) المدني، محمد عثمان باشا،... ، ص. 60.

فهي طريقة صوفية جزائرية عالمية النفوذ والإنتشار، تمكنت رغم تأخرها في الظهور مقارنة مع غيرها من الطرق الصوفية الأخرى، من تجاوز الحدود الجغرافية الجزائرية، وفي ظروف صعبة ميزت أواخر العهد العثماني. وقد وصل صدى هذه الطريقة إلى مختلف مناطق العالم فيما بعد. وتمكنت من انشاء دولة تيجانية في إفريقيا الغربية في عهد الحاج عمر الفوتي[1] السينغالي. كما وقفت في وجع الاستعمار الفرنسي في هذه المنطقة رغم عدم تكافؤ الإمكانيات القتالية بين الطرفين ومحاربة الفوتي على جبهتين، الاحتلال من جهة والوثنيين من جهة أخرى، وبالتّالي فهذه الطريقة جديرة بالدراسة. ومن أبرز الحركات التي وسمت المنطقة الغربية (بالجنوب الوهراني) والمرحلة في نفس الوقت، وكان لها أثرا كبيرا، هي الحركة التيجانية التي ظهرت بالمنطقة على غرار الحركة الدرقاوية التي تعرفنا عليها فيما سبق، وما يؤكد ذلك هو أحد معاصري الأحداث بقوله: «... وكان الغرب الوهراني يحج بأحداث ثورة درقاوة التي ذهبت بالأخضر واليابس » [2]. ولذلك فلا غرو أن تكون السلطة العثمانية متحسسة، ومستنفرة، وجاعلة الأسرة التيجانية نصب أعينها.

-) انتساب الحركة.

تنتسب الحركة التيجانية إلى مؤسّسها وصاحب الطريقة نفسه (التيجيني)، والتي تأسست بمدينة فاس بالمغرب، في أواخر القرن الثامن عشر، وبالضبط سنة 1782م، من قبل

---

1) وردت عدة آراء ومعاني حول نسبة الحاج عمر: فقد بمعنى البيضاوي (البيضان) أي العرب المغاربة؛ الذين هاجروا من ليبيا، و نزلوا ببلاد الهوسا بالسنغال الغربي. وفي رأي آخر تعني إسم ولد من أولاد حام بن نوح عليه السلام. أما لفظا فتعني قطف الزهور. انظر، الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15م إلى بداية القرن 18م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص. 240 ،241.

2) الحاج مصطفي التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح. يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 2005، ص. 329.

أحمد بن محمد بن المختار التيجاني، المولود بعين ماضي[1] في الجنوب الجزائري. والمتوفى سنة 1815م. وأمّا عن منطقة تواجد الطريقة وانتشارها، فإنّه لم ينحصر في عين ماضي والمناطق المجاورة، بل تعداها وامتد إلى غاية بلاد السودان وقلب إفريقيا، وكانت تعتمد في انتشارها على أساليب القوة والعنف في مقاومة خصومها، ونشر العقيدة الإسلامية، ولكن ما يؤخذ عليها هو تعاطفها مع الإدارة الفرنسية، ضد الأمير عبد القادر، مما دفع به إلى شن هجوم عنيف على مقر الطريقة بعين ماضي والسيطرة عليها [2].

كما تعتبر الطريقة التيجانية، بالمقارنة مع غيرها من الطرق الأخرى، طريقة لأهل الحضر بالصحراء، وهذا ليس بالغريب إذا أخذنا في الحسبان موقع نشوئها (عين ماضي)، أنها ممتدة ومنتشرة بالشرق، ولكن أقل انتشارا من الغرب الجزائري، كما لها أتباع في كامل المملكة المغربية وإيالة تونس كذلك [3].

---

1) أحد أقاليم منطقة الأغواط، وتقع عين ماضي على الطّريق الرّابط بين الأغواط والبيض، وعي قصر يتألف من ثلاثة بطون أولاد سي أحمد التيجاني، أولاد عيسى، وبرّاوية. وكان عدد سكانها من مجموع أفراد تلك البطون 518 فرد، حسب إحصاء 1876م. وللمزيد، انظر:

-F . ACCARDO, sous la direction de le Myre de Vilers, Repartoire Alphabetique des Tribus et de Douars de l'Algerie. éd. Speciale, Alger, 2013, p. 08.

2) الأمير محمد ، تحفة الزائر...، مصدر سابق ، ص. 145. وانظركذلك، عمار طالبي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأفرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص. 57.

3) مارسيل إمريت، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، تر.عبد الحميد بورايو وحميد بوحبيب، دار الوائد للكتاب، الجزائر، 2014، ص. 291.

-) **التعريف بالتجيني.**

هو الشيخ محمد الكبير(صاحب الحركة)، بن أحمد بن سالم التجيني(صاحب الطّريقة)، الزّاهد العابد المتوفى بفاس التيجاني نسبة إلى بني توجين أمراء إمارة تاهرت[1]، والمتوفى ستة 1815م [2]. ويقول عنه إمريت مارسيل: هو سيدي محمد بن سيدي أحمد بن سالم التيجيني، أما عن العائلة ونسبها فيضيف قائلا: « عائلة التيجيني من الأشراف المرموقين، ولها أملاك وعقارات كثرة في تونس وفاس » [3].

وما يفهم من قول (مارسيل إمريت) أن الطريقة التيجانية منتشرة في كامل بلاد الغرب الإسلامي، وبالتالي أتباعها كثيرون. كما ينسبها الأمير محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري إلى أشراف المغرب الأقصى، لكن الثابت هو أن أحمد التيجاني (الأب) من مواليد عين ماضي عام 1150هـ/ 1738/1737م[4].

وهذا الأخير تنقل بين مسقط رأسه عين ماضي، والأبيض سيدي الشيخ وتلمسان، ثم مدينة فاس بالمغرب الأقصى وواحات توات؛ ليستقر في الأخير بقرية بوصمغون، جنوب قرية

---

1) المزاري ، طلوع سعد السعود ...، ج$_1$، مصدر سابق ، ص. 354. وانظر، محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر...ج$_1$، دار الوعي، ط$_2$، الرويبة (الجزائر)،2015، ص. 145.

2) إمريت، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر... ، ص. 291.

3) مارسيل، الجزائر في العهد العثماني والعنوان الأصلي (L'Algerie à l'epoque d'Abd-el-Kader)، تر. عبد الحميد بورايو وحميد بولحبيب، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2004م، ص. 339 و 406.

4) مصطفى التهامي، سيرة الأمير ... ، ص. 328،329. وانظر كذلك : الحفناوي تعريف الخلف برجال السلف، ج$_1$، ص. 282.

البيض، والتي بدأت بها أولى الأسباب المباشرة للحركة التيجانية [1]. وذلك عندما ضايقته السلطة العثمانية على عهد الباي محمد بن عثمان الكبير. فارتحل إلى المغرب الأقصى لاجئا لدى السلطان سليمان بن عبد الله متخذا مدينة فاس مستقرا له إلى غاية وفاته سنة 1230هـ/ (1814/1815م)[2].

أما أصله، فقد اختلف النسابون فيه. فهناك ثلاثة آراء: فمنهم من ينسبه إلى المغرب، ومنهم من ينسبه إلى صحراء الجزائر، وبالضبط إلى منطقة ميزاب. فيما يذهب آخرون إلى أنّه من قرية عين ماضي، بالقرب من مدينة الأغواط [3].

أمّا الأمير محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، صاحب تحفة الزائر، فينسبه إلى بني توجين حكام تاهرت الإباضية، فيقول: « أصله من بني " توجين" أمراء " تاهرت" وكان والده السيد أحمد زاهدا عابدا صاحب طريقة، وله مريدون وأتباع، ولما شاع أمره في وطنه وخاف من غوائل الحكومة، انتقل بأهله وأولاده إلى فاس» [4].

وأمّا أبو القاسم الحفناوي صاحب تعريف الخلف برجال السلف، فقد رفع نسبه إلى الإمام النفس الزكية فقال عنه:« ... هو أبو العباس مولانا أحمد بن الولي الكبير والعالم الخبير

---

1) **بوصمغون** بلدة قديمة تحمل إسم ولي صالح يسمى سيدي أبي صمغون ، وبها الزاوية التيجانية تقع غرب البيض بالجنوب الوهراني، وذكرها إبن خلدون، وذكرها العياشي في رحلته ، ماء الموائد. انظر، مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، (ش. و. ن. ت.)، ط$_2$، الجزائر، 1981م، ص. 111.

2) التهامي، مصدر سابق، ص. 328.

3) الزهار، مصدر سابق، ص. 195.

4) الأمير محمد ، تحفة الزائر... ، ص. 145.

أبي عبد الله محمد فتحا ابن المختار بن أحمد بن محمد فتحا ابن سالم الشريف الحسني الكاملي التجاني، يرفع نسبه إلى الإمام محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل » [1].

-) نشأة الطريقة التّجانية.

تعود نشأة الطريقة إلى رغبة أحمد التجاني والد محمد الكبير صاحب الحركة في إنشاء طريقة صوفية على غرار الطرق الصّوفية السّابقة في الجزائر أو في غيرها، وهو ما صرّح به بنفسه. وإلى بعض الرِؤى التي رآها في المنام، ومنها أنّه رأى نفسه جالسا على كرسي مملكة وحوله جنودا له. وفي رِؤيا أخرى رأى الرسّول صل الله عليه وسلم راكبا على حصان وأراد في منامه التسليم عليه، لكنّ الرسول دخل أحد البساتين وبدأ يصلّي ولم يصله الشيخ أحمد التيجاني إلاّ في الركعة الثّانية، وكان ذلك سنة 1782م؛ وبعد ذلك حدث له الفتح و قد بلغ الخمسة والأربعين عاما [2].

- الفضاء الجغرافي للحركة.

بناء على مكان نشوء الطريقة التيجانية بعين ماضي، وتواجد أتباعها المناوئين للسلطة والثائرين ضدها، بدءا بعين ماضي مقر الطريقة التيجانية وعرين زعيمها، بالإضافة إلى المناطق الحنوبية المحاذية، التي جمع التجيني منها أتباعه ومؤيديه، ومناطق تحرك القوات النظامية انطلاقا من مقر بايلك الغرب، التي انطلق منها الباي بقواته لمواجهة الثائر الحاج محمد التيجيني. إننا نعتبر منطقة الغرب عموما ومنطقة الجنوب الوهراني بالتحديد هي الحيز الجغرافي الذي دارت رحى المواجهات بين الطرفين فيه، ناهيك عن منطقة غريس القريبة من

---

1) أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج$_1$، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص. 281.

2) دحّو ، فغرور ، التجانية في الغرب الجزائري، ***مجلّة*************** ، ص. 2.

معسكر(وطن غريس مجاور لبلدة أم العساكر) حسب تعبير الحاج أحمد الشريف الزهار[1]، أحد أشراف الجزائر[2]. أما حيز المواجهة فكان بوطن غريس[3]. وعموما فالحركة ممتدة ومنتشرة بالشرق ولكنها أقل انتشارا منه في الغرب الجزائري، كما لها أتباع في كامل المملكة المغربية وإيالة تونس كذلك [4].

-) أسباب الحركة التيجانية.

إن أهم المصادرالتي تعرّضت للحركة التيجانية، حسب اطلاعنا، وتمكّننا من الاطلاع عليها هما مصدران: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، وكتاب المزاري، فهذان المصدران لم يذكرا أي سبب أدّى إلى قيام حركتها المناوئة للسلطة العثمانية، لكن، ومع ذلك فأنّه لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل الأحداث السّابقة بين الطرفين، والتي تمثّلت في الحملة التي قادها باي وهران الباي محمد بن عثمان المعروف باسم محمد الكبير(1778- 1788م) على المنطقة سنة 1785م، والتي رفضت الخضوع سنة 1784م لباي التيطري مصطفى باي، وامتنعت عن دفع الضريبة مما أدّى بباي وهران إلى تقديم وعدا لداي الجزائر بالقضاء على هذا

---

1) **هو سيدي محمد** بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن محمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي رزقي بن عيسى بن سالم بن مروان بن حيدرة بن علي بن محمد بن عبد الله بن داود بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنه، وبن فاطمة الزهراة البتول بنت الرسول صل الله عليه وسلّم . انظر : أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص. 322.

2) دحّو، فغرور ، ...التجانية في الغرب الجزائري، ***مجلّة***............. ص. 2.

3) الزهار، مصدر سابق، ص.196 .

4) إمريت، الجزائر في ... ، مرجع سابق، ص. 291.

العصيان ومعاقبة العصاة، ولكن اشترط عليه ضم منطقة الأغواط إداريّا إلى بايلك الغرب وتحت سلطته [1].أمّا المزاري بن عودة فيرجع السبب إلى مؤامرة حاكتها قبيلة الحشم مع التجيني وجيّشته على مهاجمة السلطة العثمانية؛ وهو ما وقع. وبما أنّ السلطة العثمانية كان من أولوياتها ومهامها استتباب الأمن، وتحصيل الضرائب، وبالتّالي فلا ضير أن تنظم المنطقة إلى باي قادر على فرض الطّاعة للسلطة العثمانية، وفرض الأمن وجمع الضّرائب. وبالفعل أخضع باي وهران المنطقة إلي السلطة العثمانية كما وعد داي الجزائر. وقد استفتح عملية الضم، بأحمد بن سالم التيجاني، بعين ماضي، عارضا عليه الطاعة والإعتراف بالسلطة العثمانية مع دفع مبلغ مالي قدره 80.000 ريال سنويّا، ثم بعدها بلغ قرية تاجموت[2].

هذه القرية التي عين عليها علي بن العربي مكان قائدها السّابق علي بن بوبكر، ثم بعدها الأغواط؛ التي لم يستطيع إخضاعها، إلاّبعد جهد جهيد، وعدّة محاولات. وبعد ذلك عاد إلى مقر البايلك (مدينة وهران)، غير أنّ أهل المنطقة تمرّدوا من جديد، بحيث لما عاد الباي محمد الكبير في السّنة المواليّة (1786م) وجد أهلها غير معترفين بالخضوع السّابق للسلطة العثمانية والولاء لها [3].

ومن هنا يبدأ فصل آخر من المناوأة والصّراع، ويتنتقل من الوالد سيدي أحمد بن سالم إلى ولده ووريث الطّريقة، التّيجانيّة. ويبدو في غياب الأسباب الظاهرة والمباشرة فإنّنا نرجح سياسة السلطة العثمانية تجاه التجانيين، وما تصرفت نحوهم بناء على توقعات وتخوفات منهم،

---

1)) E. MANGIN, Notes sur L'HISTIOIRE DE LAGHOUAT, op., cit. , p. 34 , 35..

2) **تاجموت** هي قرية إسمها مكون من مقطعين وهما حسب الرواية المتداولة : تاج و موت، نسبة إلى تاج أميرة على المنطقة قديما.

3) E. MANGIN, op , cit , pp.35-41.

وهي محقة في ذلك بسبب تكاثر أتباعها. وبذلك لعلها أرادت أن تسبق الأحداث وتطبق استراتيجية "الهجوم أفضل من الدّفاع"، وقد ذكر صاحب تحفة الزائر ما يدل على ذلك التخوف بقوله « ... وكانت حكومة الجزائر ترهب سطوته، وتتوقع خروجه عن طاعتها » [1]. ولذلك عملت جاهدة على التخلص منه، وحاولت القيام به خلال ذهابه الى الحج سنة 1186هـ، عبر تونس، حيث لما علم باشا الجزائر بذهابه إلى الحج، أصدر تعليماته إلى باي قسنطينة للقبض عليه، خاصة وأن أحداث إبن الأحرش وما قام به بعد عودته من البقاع المقدّسة لم تنس بعد. ولكنّهم أخفقوا في ذلك، وخاب مسعاهم[2]، إذْ لما أكمل فريضة الحج، وخلال تواجده بمكة، وكذلك أثناء رجوعه عبر مصر وتونس وبلاد زواوة، استزاد من العلم على يد كثير من العلماء والشيوخ [3].

ولماعاد إلى أرض الوطن وهو يكتم غيضه، قام بتحريض أتباعه على مناوأة السلطة والسير معه ضدّها. فتوجه زعيم الحركة على رأس ستمائة من أتباع الطريقة التيجانية من أهل عين ماضي، وبصحبة الكثير من المتعاطفين من أهل الصحراء، بالإضافة إلى أعداد من الحشم. ولما وصلوا إلى جهة (غريس)، بالقرب من أم عسكر، كانت أخبارها قد تناهت إلى مسمع باي وهران الذي لم يتوانى عن التصدي لها، مستحظرا ربما ثورة إبن الشريف الدرقاوي على الباي مصطفى. وخوفا من انتشار صيتها [4]، خاصة وأن أهل الغرب ميالون إلى اعتناق

---

1) محمد الأمير ، تحفة الزّائر...، ص. 145.

2) محمد الأمير، المصدر نفسه، ص. 145.

3) الحفناوي، مصدر سابق، ص. 284.

4) إمريت ، الجزائر في... ، ص. 347.

الطرق الدّينية وتقديس الأولياء واتباع والصلحاء. فزحف الباي حسن بقواته لملاقاة القوات التيجينية بسهل غريس. وقد عبّر عن ذلك أحد المؤرّخين بقوله:

« فرام كسر شوكنه قبل تزايدها، وهدم قوّته قبل تعادها فجمع له جيشا عظيما، وعددا كثيرا جسيما وغزى به عين ماضي، وحاصره بها شهرا كاملا إلى أن حصل الصلح بينهما [1].

-) الموقف الأول للسلطة المحلية.

لقد بلغ التخوف، من الحركة، مبلغه من السلطة العثمانية عموما، ومن باي الغرب حسن بن موسى على وجه الخصوص، خاصة وأنّ احتمال عزل هذا الأخير وارد في حالة عدم القدرة على التصدّي للمناوئين. واعتبارا لذلك، حشد باي وهران الحشود، وجرد حملة عسكرية وقصد بها عين ماضي سنة 1825م، مفضلا الهجوم على العدو بعقر داره (المقر الرّوحي للحركة) بدل انتظاره فحاصرها لمدّة تقارب الشهر. لكنه فشل في اقتحام وعرض إرادته كاملة. لكنّه استطاع إجبار زعيم الحركة التيجانية على دفع ألفي (2000) ريال نقدا مقدّما، وغرامة سنوية مقدرة بخمسمائة (500) ريال صلحا، ثم قفل راجعا إلى مقر البايلك. ورغم النهاية التي آلت إليها المواجهة إلاّ أنها اعتبرت فاشلة بالنسبة للسلطة العثمانية. وقد أكّد ذلك (ليون ورش) في ظل الاحتلال الفرنسي بعد زوال الحكم العثماني، وذلك من خلال رسالة وجّهها إلى الماريشال الفرنسي (فالي) بتاريخ 12 /جانفي/ 1835م يذكر فيها قصة حصار عين ماضي فيما مضى فيقول:

« كان سيدي محمد بن المرابط الشهير بسيدي أحمد بن سالم معتدّا جدّا بنفسه، لأنّ الحملات السابقة التي استهدفت عين ماضي والتي قادها ملوك الأتراك، كلها باءت بالفشل»[1].

---

1) المزاري، طلوع سعد السعود... ، ص. 354.

ويبدو أن التجيني تجرع الإهانة والمذلة لما فرض عليه الصلح وهو من هو وبين أتباعه ومريديه وصاحب المكانة الدينية والاجتماعية، وبالتالي كان عليه رد الاعتبار لشخصه وحفاظا على مكانته بين قومه وعلى طريقته، وهو لا يزال يملك من الاستعداد ومن النفس الطويل ما يجعله يثور من جديد وللمرة الثانية. فبعد الاستعدادات اختار فصل الخريف وتوجّه بأنصاره زاحفا نحو الشمال، لكن يبدو أن عيون السلطة لا تنام، فلما رصدت تحركه، قطع الباي زيارته خارج مدينة وهران واعترض مساره. حيث التقى الجمعان بسهل غريس، وهذا ما أخبرنا به أحمد عبد الرحمن الشقراوي الراشدي عن تجدّد الحركة بعد سنتين بقوله:

« وقام عليهم التيجيني في ولاية حسن بن موسي الباهي سنة إثنين وأربعين ومائتين وألف (1242هـ /1827م) ففرقوا حزبه وزمرته وشتتوا جمعه وشمله ودورته، وفر بنسفه ووقعت النهبة في جيشه ودائرته »[2]. ومما جاء في كلام الشقراني(الراشدي) أن التيجاني لم ينل من حركته المناوئة للسلطة العثمانية، سوى التشتيت والتفريق، وكأن صاحب الحركة لم يعد عدّته كما يجب، أو أنّه استخف بالقوات النظامية. ومهما كان الأمر، فقد قام التجيني بثورة على السلطة العثمانية، ببايلك الغرب، أيام ولاية الباي حسن بن موسى عليها [3].

لكن ما يطرح كتساؤل هو، لماذا لم يذكر لنا أحمد الشريف الزهار، في مذكراته أي سبب مباشر أوغير مباشر أدّى إلى قيام الحاج محمد التيجيني بثورته، ضد السلطة العثمانية،

---

1) إمريت ، الجزائر في عهد ...، المرجع نفسه، ص. 307.

2) الراشدي، القول الأوسط في ...، مصدر سابق، ص. 27.

3) يعد **الباي حسن** بن موسى من البايات الأثرياء الكبار، فقدأحصى له مارسيل إمريت ما قدره 3.000.000.000 فرنك و300 000 لماع سيوف، وجواهر وكمية من البنادق المزينة بالذهب والفضة، اصال قيمتها على الأقل 50.000 فرنك . انظر: مارسيل إمريت، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، ص. 54، 58 .

بالرغم من كونه معاصرا لها، ومجايلا لأطرافها؟ لكن بالنظر إلى مكانة زعيم الطريقة بين أتباعه، وانتشارها، فإنه من الطبيعي أن يصبح مصدر قلق للسلطة العثمانية وتتوجّس خيفة منه، ومن أتباعه؛ وهذا ما يبرر قيام السلطة المركزية ممثلة في الداي حسين باشا، وبإعاز منه لباي قسنطينة بأن يعترض هذا الأخير طريق الحاج محمد التيجيني وهو عائد من البقاع المقدّسة. لكن، ولمّا تمنع على معترضيه واستطاع الوصول إلى زاويته كانت لة ردّة فعل قوية منه ومن أتباعه فشمّر على ساعد العصيان وأظهر مكنونه ضد السلطة العثمانية [1].

ومن العوامل التي شجّعته على إعلان ثورته على السلطة القائمة، هو التفاف أعراب الصحراء حوله، وتكوين جيش منهم، بالإضافة إلى حشم منطقة غريس ومبايعتهم له سرّا، وهم ما لهم من استعداد فطري للثوران ومساندة أي ثائر. ونظرا لما بلغه من نفوذ روحي، وتزايد أعداد أتباعه، حتى صار ممن يستغاث بهم. ومن الاستغاثات التي قالها أحد المستغيثين، وسُجّلت، فجاء فيها مايلي:

خير الحر يا سيـــدي أحمـــــــد • جيتك دخيل روف علي وارعانـــي.

يالهاشمي الشريف الأمجـــــــــد • راني قصدت حرمك بالك تنساني.

أنا خشـــيت لا نتمـــــــرمـــــد • النفس والهوى والسلطان غوانـــي.

لله ولك جيــــــــــــت سنـــــد • الهاشمي المفضل موالي الفرقاني.

أنا دخيل بحرمة طه ضاوي الجبين • تروف عنّي في أمرك رهيـــــن.

---

1) الأميرمحمد ، تحفة الزائر ، ص. 145.

نغرا يا تيجاني [1].

وأمام هذا الوضع الذي بات عليه، أصبح خطره باديّا في نظر السلطة العثمانية.

- الموقف الثاني للسلطة العثمانية.

لقد علمنا كما أخبرنا المزاري، وبما جاء في تحفة الزّائر بما آلت إليه المواجهة التي وقعت بين السلطة العثمانية بقيادة باي وهران محمد الكبير، والمناوئين لها بقيادة التيجيني، وما حمله هذا الأخير من أسى ومرارة على إثر الهزيمة والشروط التي فرضت عليه على إثرها؛ ولذلك فلا غرابة من رد فعل من التجيني، وهو المنتظر، حيث لم يتراخ في حشد ما يمكن حشده واستغلاله، في مواجهته القادمة مع السلطة العثمانية. فقام بالإتصال بالحشم وتحصل منهم على وعد بالمشاركة ودعمه في غزوه وهران ومحاربة السلطة العثمانية هناك. غير أن عيون الباي وآذانه المزروعة هنا وهناك، مكّنته من اكتشاف ما عزم عليه غريمه التجيني، وما تم بينه وبين قبيلة الحشم من تحالف ضد السلطة، وعلى إثر ذلك، أحاط الباي حسن بن موسى قواده المعينين على الأوطان علما واستنهضهم، حاثا إياهم على حشد قواهم وجمعها في وجه التيجيني وأتباعه، وخاطبهم: « لا بد أن تأتوني بجيوشكم الباقية والدمع بيننا بوادي ماكرا » [2].

وإذا كانت السلطة قد فشلت في مواجهته قبل إعلانه العصيان، فإنها واجهته بعد ما أشهر عصيانه وأعلنه؛ وهذا ما وقع منها بعدما عاد من زيارة البقاع المقدسة، حيث ارتآى باي بايلك الغرب ضرب قوة الحاج محمد التيجيني فقام أول الأمر باستمالة أتباعه من حشم غريس

---

1) بوخالفة عزّي، ***الغوثية من واقع مدنس إلى فضاء مقدّس***، مجلة الحكمة، عدد، 5، جانفي /مارس 2011، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ص. 301.

2) المزاري، مصدر سابق، ص. 355.

بعد إغرائهم بالمال وجعلهم ينتفضون من حوله وبذلك تكون السلطة قد قوضت أحد دعائم التيجيني، وقدعبر عن ذلك أحمد الشريف الزهار في مذكراته بقوله: «.. بعث الباي المال لكبراء الحشم لكي يتخلّوا عنه »[1]. ولم يكتف باي الغرب بأسلوب الإغراء وشق الصفوف، وهو أمر غير غريب في تعامل الساطات العثمانية مع الأهالي، ويعد من بين أليات التحكم والسيطرة عليهم، وقد تكلمنا في هذا الجانب سابقا، فبعد هذه الإجراء، خرج الباي بنفسه من مقر البايلك على رأس محلته ليواجه زعيمها شخصيّا. بعدما تخلّت عنه الحشم، والكثير من قواته [2].

-) نهاية الحركة ونتائجها.

بالرغم من مكانة التجيني بين الأهالي وبين أتباعه، خاصة مريدي الزاوية التيجانية بعين ماضي، وبالرغم مما بلغه من كثرة أتباعه وتعاظم قواته التي أصبت السلطة تحسب لها حسابها، وتنظر إليها بعين الحذر، إلاّ أنّ إخماد الحركة ونهايتها كانا على يد السلطة العثمانية. ولأجل ذلك مهّدت السلطة بإضعاف صفوف محمد الكبير التيجيني باستمالة قبيلة الحشم عن طريق الإغراء بالمال، وبعد إضعافه استعملت القوة العسكرية بتوجيه محلة عسكرية، كما مر معنا سابقا، انطلاقا من مقر الإيالة وبقيادة الباي نفسه، من وهران إلى مكان تواجد الثائرين بضواحي معسكر. وبالرغم من التفاوت في القوى لصالح السلطة إلاّ أنّ التيجانيين قاتلوا بسهل غريس ، وكان ذلك سنة 1243هـ/ 1827م ، وأسفرت المواجهة عما يلي[3]:

1- هزيمة التيجانيين والقضاء على حركتهم المناوئة، بعد استمالة الكثير من أتباع التيجاني.

---

1) الزهار، مصدر سابق، ص. 196.

2) الزهّار. نفسه، ص. 196.

3) الراشدي ، مصدر سابق، ص. 27. وانظر كذلك، الزهّار، مصدر سابق ، ص. 197. وفي بعض الدراسات 1826م

2- القضاء على زعيم الحركة وقطع رأسه وإرساله إلى مدينة معسكر ثم وهران، ومنها إلى الداي بالجزائر، تنكيلا وترهيبا[1]. أمّا سيفه فقد أرسل إلى السلطان العثماني[2]، محمود خان[3].

ويفهم من هذا أن العلاقة بين إيالة جزائر الغرب والباب العالي مستمرة ولم تنقطع، وأن الباب العالي يتابع الأحداث التي تجري بالإيالة. وإذا كانت السلطة العثمانية قد استطاعت تعطيل الحركة وكسر شوكتها فإنها لم تستطع القضاء على نهجها وأتباعها، ولذلك نجد أتباع الحركة يظهرون من جديد بعد زوال الحكم العثماني، ويحاربون الأمير عبد القادر الجزائري ويتناوشون معه في أكثر من واقعة، خاصة سنة 1839م [4]. وهو على ما يبدو صراع طرقي بين الطريقتين القادرية والتيجانية حول الزعامة والنفوذ بالمنطقة، إن لم يكن بسبب مهادنة التيجانيين الإحتلال الفرنسي، وهو أمر وارد بحكم عداوة الأمير للإحتلال الفرنسي.

5) حملات يحيى آغا على بلاد الزواوة 1828م.

لم تنج منطقة منطقة بلاد زواوة ، كما اطلعنا سابقا، هي الأخرى، من الإضطرابات، وحركات العصيان شبه مستمرة ؛ مما أدى بالسلطة إلى اتخاذ مواقف واجراءات ضدها. وفي هذا الصدد قام الدّاي حسين بتكليف الآغا يحيى بمهمة معالجتها والتصدّي لها وإخمادها. فبأمر

---

1) التهامي، مصدر سابق، ص. 329، 330.

2) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر... مصدر سابق، ص. 145.

3) **هو محمود الثاني** (1808- 11839م)، تميزت فترته بكثر الثورات المناوئة من الإنكشاريين بالجزائر وثورات الصرب واليونان بالبلقان ومصر،..وكذلك سلسلة الإصلاحات من بينها إلغاء الجيش الإنكشاري (1826م). انظر: صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، دار النيل، استانبول، 2011م، ص. 274، 275، 276.

4) إمريت، الجزائر في عهد ....، ص. 332. وفي بعض الدراسات الأخري سنة 1838م.

من الدّاي قام الآغا يحيى بشن حملة عسكرية واسعة على بلاد الزواوة قصد إخضاع الماوئين من سكانها، واستتباب الأمن بها. وقد كان الداي حسين يتابع ذلك من خلال الرسائل التي كان يتبادلها مع الآغا يحيى، ومن بينها رسالة أرسلها الداي حسين إلى الآغا يحيى آغا ردا على رسالة سابقة من يحيى آغا، والتي استفسر عبرها عن الوعد، الذي وعدت به قبيلة بني جناد المتعاونة الآغا يحيى بتوفير الكلأ والعلف لحواناتهم أثناء الحملة، لكنها نكصت وعدها وتحالفت مع قبيلة واقنون [1].

إن ما يمكن استخلاصه من محتوى الوثيقة (رسالة الداي حسين)، وتواجد الآغا يحيى بمنطقة زواوة؛ هو أن المنطقة وإلى غاية تاريخ الرسالة (1824م) لا تزال في اضطراب، وعدم خضوع تام وكلّي للسلطة العثمانية. إلاّ أن، قبائل نزليوة التي كانت في حرب ضد السلطة المركزية إلى غاية (1807م)، وبحكم قربها قد تمكنت السلطة العثمانية من تحويلها إلى قبائل مخزنية، بعد ما كانت قبائل متمردة. وما يثبت ذلك أن بعض أفرادها أصبحوا يشكلون فرقة الزمالة، إحدى فصائل الجيش النظامي، بقيادة يحيى آغا أثناء حملته على بلاد الزواوة. والاستخلاص الثاني الممكن من هذه الوثيقة، هو أن الآغا قد طلب من الدّاي أن يرسل له الكلأ والعلف للخيل المسخرة للحملة. وهذا ما يدل أيضا على أن قبائل عمراوة القاطنة بالمنطقة لم يكن في استطاعتها تدعيم قوات الآغا بما يحتاج إليه وكانت عاجزة على تقديم المساعدة لقوات البايلك [2].

---

1) رسالة الدّاي حسين إلى الآغا يحيى، وثائق عثمانيّة رقم 24، ملف 3206، مكتبة الوطنية (الحامة) الجزائر، بتاريخ أواخر شوال المبارك 1240هـ/ 1828م.

2) رسالة الداي حسين باشا، إلى يحيى آغا، وثيقى رقم: 24، ملف رقم: 3206، الأرشيف العثماني المكتبة الوطنية (الحامة)، الجزائر.

وقد يتساءل البعض منا، عن وضعيّة قبائل الزواوة، في تحالفهم مع السلطة المركزيّة ؟ إن المؤكد في هذا الأمر هو محدودية القبائل المخزنية في بلاد الزواوة. والسبب في ذلك يعود إلى ما كانت تتعرض إليه السلطة من مضايقات من قبل الثائرين المناوئين لها. ونتيجة لذلك انكفأت القوات النّظامية على نفسها داخل حصونها، ومراقبة محيطها دون المخاطرة في التوغّل بدواخل المنطقة. وعموما فإن المنطقة لم تكن خاضعة تماما للسلطة العثمانية، لأنها كانت في حروب دائمة ومستمرة خلال العهد العثماني، وفي هذا الصّدد يقول (لويس رين L. Rinn) عن وضعية بعض القبائل، ومنها قبائل بني جناد: أنها كانت طيلة العهد العثماني في حروب وصراعات مع السلطات العثمانية إلى غاية 1826م، أين عاشت السلم والهدوء بعد إبرام اتفاقية معع ممثل السلطة العثمانية الآغا يحيى على إثر الحملة التي قادها على المنطقة [1].

إن وضع اللااستقرار والاضطراب لم يكن مقتصرا على منطقة بلاد الزواوة فحسب، بل كان سائدا في كل البايلكات، ولكن بدرجات مختلفة. ففي بايلك قسنطينة كذلك لم تكن الأوضاع مستقرة تماما، إذ بقيت بعض الجهات خارج سيطرة وإشراف سلطة الإدارة العثمانية؛ وهذا ما تؤكده إحدى الرسائل، التي وجّهها أحمد باي قسنطينة (1826- 1837م) إلى الداي حسين في عام 1828م والتي جاء فيها:

« ونزلنا بقربهم (لعمامرة) في ذلك الوقت فطلبوا منا الأمان فأمناهم ونزلوا للوطا وحرثوا وجعلنا معهم حرثا لنا وجدموا وهم الآن قوتهم في المحلة تغزوا معنا... وكانت فرقة بجوارهم من أهل الجبل المذكور وهم أولاد فسيقة ممتنعون أيضا وعصوا شيخهم فغزوناهم وأصبحنا عليهم في 28 رجب وصعدنا إليهم في رأس الجبل بعسكرنا وقومنا فأخذنا لهم 5000 رأس غنم و

---

1) Louis Rinn, « Le ***royaume d'Alger sous le dernier Bey*** » , R. A., N° 41 , 1897. P. 335.

740 رأس بقر و67 زايلة [1] بين حمير وبغال وقطعنا منهم 16 رأسا ورجعنا وعسكرنا وقومنا سالمين غانمين...» [2]. ومن هذه الرسالة بمكننا ان نستخلص عدة ملاحظات منها: أولا: تبين لنا علاقة السلطة العثمانية بالجزائر مع القبائل المناوئة والرافضة لأداء الضرائب، وكيفية التعامل معها بشتى الأساليب، منها الإكراه البدني كقطع الرؤوس، والأسر، والمادي كالمصادرات لإخضاعها وإرغامها على دفع ما عليها من ضرائب أو تحويلها من ثبائل ممتنعة أو مناوئة إلى قبائل موالية أو مخزنية، تمنح لها الأراضي الزراعية بالمناطق الخاضعة كامتياز ومكافأة ، وتصبح بذلك في صف الإدارة. وكمثال على ذلك قبيلة بودرهم التي جعلتها السلطة العثمانية بالجزائر تنظم إلى القبائل المخزنية والتخلّى عن عصيانها وتغيير موطنها. ولكن بالرغم من تمكن الإدارة من إخضاع العديد من القبائل ببايلك قسنطينة وجعلها تلتزم بالنّظام المخزني، إلاّ أن ذلك كان بالنسبة لبعض القبائل مسألة ظرفية لا غير. وهذه الحالة قد مثلتها قبيلة الحراكتة التي كانت فما مضى من قبائل المخزن، ثم انقلبت وتمردت على السلطة مما جعل السلطة العثمانية تتصدّى لها عن طريق الباي إبراهيم الكريتلي (1821- 1824م)؛ الذي أعدّ العدّة اللازمة ووجّه لها حملة عسكريّة بضواحي أم البواقي. ويبدو أن حملة الباي إبراهيم الكريتلي، لم تستطيع اجتثاثها، وبالتالي نراها تظهر من جديد في عهد الحاج أحمد باي الذي كان أكثر حزما وعزما من سابقه. فقد وجهها وقطع خمسة وسبعين رأسا من قادتها[3].

---

1) الزّايلة تعبير عن كل الأنعام المعدّة للركوب والحرث وحمل الأثقال، وتشمل الحمير والبغال، والخيل,

2) رسالة من أحمد باي ألى الدّاي حسين، وثائق عثمانية، ملف رقم: 3206 ، وثيقة رقم: 35، سنة 1243هـ، المكتبة الوطنية (الحامة)، الجزائر.

3) L . C. Féraud, « ***Aïn- Baïda, province de Constantine*** » in R. A. N° 16, Alger, 1872, p. 410

وفي بايلك التيطري عان باياته كثيرا، وفي معظم فترات الحكم العثماني، من حركات التمرد التي كانت تقوم بها فبيلة أولاد نائل، وتدّى لها كل من الباي إبراهيم، والباي بومزراق، وقد تطرقنا إليها في الفصل السادس سابقا [1].

6) حركة بني جلاب 1829م :

لم تخب جذوة العصيان لدى بني جلاّب[2] منذ القضاء على حركتهم الأولى. فرغم مرور عشرات السنين عنها، هاهي حركة عصيانهم تتجدّد مرة أخرى، إذْ بعدّ امتناع بني جلاب عن أداء الضريبة السنوية كآخر عصيان يقومون به من بين سكان الجنوب عموما وسكان منطقة وادي ريغ على وجه التحديد. حيث في سنة 1245هـ/1829م وبينما كانت السلطة العثمانية في أوج أزمتها السياسية مع المملكة الفرنسية وضعفها البحري هسكريا واقتصاديا وكانت طبول الحرب ساخنة وتُدقّ على مشارفة مدينة الجزائر، وكان باشا الجزائر مهتمّا بالوضع الخارجي وبما يحدق بالجزائر من أخطار، والتي تسرّبت أخبارها إلى كل مكان،مما أحدث صدى كبيرا يتردّد في أرجاء البلاد، بما في ذلك المناطق الصّحراوية. وكالعادة كانت المحلّة بقيادة الشاوش في مهمتها لتحصيل الضريبة (اللّزمة) السّنوية من بني جلاّب بالجنوب

---

1) ARNAUD, L. : « Histoire des Ouled Nail suite à celle des sahari » , in , R . A., N° 16, Alger, 1872, p.327 .

2) « **بنو جلاب** هؤلاء رؤساء تقرت وأمرائها من القديم وهم من البقايا من بني مرين »، وقد بلغ عدد سلاطين بني جلاب الذين حكموا تقرت 13 سلطانا، كان أولهم السلطان الحاج سليمان المريني الجلابي خلال القرت التاسع الهجري، الخامس عشر الميلاديين ». أنظر :

-LAURANT – CHARLES   Féraud , Les Ben – djellab sultans de Touggourt , (A .l .E), Alger, 2012 ,p .27.

الجزائري، غير أنّ السلطان الجلاّبي استغلّ وضع السلطة وأزمتها مع فرنسا وانشغال الدّاي وعوض أن يدفع ما عليه من ضريبة للشّاوش والمقدّرة بخمسة وعشرين (25) زنجيّا امتنع، وقلب ظهر المجن للسلطة العثمانية

-) موقف السلطة العثمانية

دخلت المحلة العثمانية ممثلة في الشاوش؛ الممثّل للدّاي حسين، على إثر ذلك

الامتناع عن الدفع، في حوار ونقاش مع المسؤولين المحلّيين، للوصول إلى حلول توافقية، وبالفعل فقد كاد الطرفان الوصول إلى ذلك، وإطفاء نار الثورة التي كانت قاب قوسين أو أدنى من الاشتعال، وذلك بفضل حكمة شاوش المحلة وعقلاء الحوار من بني جلاّب. لكن فئة من سكان السلطنة والمعروفون بـ(شعامبة بوروبة) كانوا أقل حكمة من مواطنيهم، فقاموا بالهجوم على الشّاوش وعلى حاميته، من رجال المحلّة (الانكشاريين) فقتلوهم ورموا بهم في إحدى الوهاد بين الكثبان الرملية؛ حتّى أصبح ذلك المكان منذ تلك الحادثة يعرف بحفرة الشّاوش.

-) نتيجة حركة بني جلاب:

من النّتائج التي تمخّضت عن عصيان بني جلاب، والامتناع عن دفع الضريبة وما تلاها من تصادم نذكر ما يلي:

أ) القضاء على الحامية العثمانية، وكسر شوكتها بالمنطقة، بعد مقتل قائدها.

ب) تحرّر بني جلاب، من دفع الضريبة إلى الأبد.

ج) اعترف أهل نقوسة بمرتبة وخضوعهم لبني جلاب، وأصبحوا يتسلمون منهم كل عام حصانا وبرنوسا رمزان للطّاعة والخضوع [1].

إن ما يمكن قوله إجمالا في نهاية هذا الفصل الخاص بالفترة الممتدة (1801-1830م)، هو كونه تناول الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر؛ التي تميزت بقلة الاستقرار السيّاسي على مستوى هرم السلطة، باستثناء أواخر الفترة. وقد صاحب هذا الاضطراب السيّاسي ضعف عسكري شبه تام، على المستوى البحري، باستثناء عهد الرايس حميدو. كما تميزت هذه المرحلة بعديد الحركات المناوئة للسلطة العثمانية، حيث وقفنا على مجموعة منها بالدراسة (ست حركات)، منها: ثلاث حركات ذات بعد ديني أي أن دوافعها دينية وقادتها يحملون رايات الطرقية وتمثلت في: التيجانية، وفي الطريقتين الدرقاويتين، اللتان كانتا من أخطر الحركات المناوئة على السلطة،. كما سجلنا حركة مناوئة ذات طابع عسكري قام بها الجيش الإنكشاري، وحركة ذات بعد سياسي إداري قام بها بعض الحكام الجهويين، وهو محمد شاكر باي، وحركة ذات طابع محلي قادها أمراء بني جلاب بجنوب البلاد.

أمّا عن نتائجها خاصة على المستوى الاجتماعي فقد لخصها أحد الباحثين: « بأنّها ساهمت إلى حد كبير في تناقص عدد السكّان ». خاصة هجرة اليهود من مدينة الجزائر إلى كل من تونس (حوالي 100 أسرة، وإلى مدينو ليفرونة الإيطاليّة حوالي 200 أسرة. بالإضافة إلى ضحايا الثورات من مدنيّين وعسكريّين [2]. وفي الأخير كانت فترة تمهيديّة لنهاية العهد العثماني، ونهاية الدور الجزائري في البحر المتوسط. وتوطئة لعهد الاحتلال الفرنسي.

---

1) FÉRAUD. Les Ben –Djellab…, cop, cit, p: 386, 387.

2) شويتام، نهاية الحكم العثماني...مرجع سابق، ص. 85.

خــــلاصــــة عامّة

إن ما يمكن إعتباره خلاصة لهذا البحث الخاص بالحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر خلال الفترة العثمانية هي جملة من الإستنتاجات التي تبدو لنا ذات صلة بالبحث وفي نفس الوقت إجابات على التساؤلات المطروحة في مستهل هذا البحث وقد لخصناها في ما يلي.

- **) حول الوجود العثماني.**

1- لقد جسّد العثمانيون تواجدهم في الحوض الغربي عموما، وفي بلاد المغرب الأوسط على الخصوص وثبّتوه بناء على استغاثات من سكان المنطقة، ابتداء من نداءات مسلمي الأندلس، في عهد السلطان بايزيد الثاني (1481- 1512م) ثم في عهد السلطان سليم الأول (ياووز) (1512- 1520م)، ومن بعده، في عهد السلطان سليمان المشرع (1520- 1566م)، من قبل أهالي مدينة جيجل، ثم تمسك سكان مدينة جزائر بني مزغنى بخير الدين بربروس، ورفضوا مغادرتهم. وهذا في خضم الصراعات الخارجية مع القوى الأوربيّة، ولو بعد صدامات متكررة وخلال معظم فترة تواجدهم بالجزائر. بالإضافة إلى صراعات مع بعض القوى المحليّة المختلفة المناوئة للسلطة القائمة، سواء من الأهالي؛ كأتباع سالم التومي وأتباع أحمد بن القاضي (الابن) وغيرهما، أو القوى الأخرى كفئة الكراغلة أو الإنكشاريّة. أو مع بعض القوى الخارجية المجاورة المتعاونة مع القوى الداخلية، كالحفصيين بالجهة الشرقية، والسعديين بالجهة الغربية.

2- لقد أثبت العثمانيون على أنّ سر تواجدهم كان من أجل دفع الاعتداءات الخارجية عن السكان، وأنّ بقائهم يعتمد على ما نوع علاقتهم بالسكان وما مدى حريتهم وشعورهم بحكم أنفسهم بأنفسهم، وذاك ماجسده الحكام العثمانيون من خلال تنظيم البلاد جغرافيا وإداريا واستخدام الأساليب والطرق المختلفة في التعامل من أجل التحكم الأفضل في الأوضاع الدّاخليّة، هذا التحكّم الذي تجسد في مدة تزيد عن ثلاثة قرون.

3- إذا كان الوجود العثماني ببلاد المغرب عموما، وبالجزائر تحديدا، تم نتيجة المضايقات والإعتداءات المسيحيّة على السكّان خاصّة المتواجدين بالمدن السّاحليّة، وتلبية لنداءات المنطقة؛ قد أجلى القوى المسيحيّة المسيطرة، والمحتلّة لبعض المدن السّاحليّة ببلاد المغرب؛ فإنّ ضعفهم وغيّابهم عن المنطقة أيضا مع بدايات القرن التّاسع عشر، كان سببا في تأجيج الاحتلالات الأوربيّة (الفرنسيّة والإيطاليّة) التي حلت ببلاد المغرب. والتي عطّلها العثمانيّون على الأقل مدّة تنيف عن ثلاث قرون.

•) حول الحركات المناوئة.

- اتخذت الحركات المناوئة أشكالا مختلفة، وتراوحت مابين القوة والضعف، وما بين الطّول والقصر في مددها، وما بين الانحصار والانتشار، وما بين اللين والعنف[1].

1- إنّ جل الحركات المناوئة التي ظهرت بالجزائر على مدى ثلاثة قرون، وعلى كثرتها فإنها لا توجد منها ولا حركة واحدة شملت وغطت كل ربوع القطر الجزائري. فكلها كانت جهوية ومحدودة جغرافيا. أما عن أسبابها و دوافعها، فلم تكن لاعرقية ولا ثقافية ولا سياسية، باستثناء القلة منها. إنّما كانت في مجملها دوافع اقتصادية ضيقة، لا تتعد المصالح الأسرية والقبلية بالنّسبة للأهالي، وهذا ما نتفق فيه مع رأي بعض الدّارسين لهذا المضوع نسبيا. ومنها حركات الإنكشاريين بسبب انخفاض قيمة العملة، أو تأخر دفع الأجور. وعموما فإنّ الحركات التي ظهرت بالجزائر خلالل العهد العثماني، وبالنظر إلى طبيعتها، وإلى القائمين بها، وإلى مطالبهم، يمكن تصنيفها إلى صنفين:

---

1) إبن المفتي . مصدر سابق، ص. 12،13. وانظر: بن خروف: العلاقات السياسية ، مرجع سابق، ص. 235 .

أ- صنف يعتبر حركات شعبية مناوئة للسلطة الحاكمة، ولا ترق إلى مستوى الثورات، وبالتالي فما هي إلاّ انتفاضات شعبية آنية مؤقتة، كردود أفعال لسياسات وتصرفات محلية، من السلطات الحاكمة. وبالتالي تكون تلك الحركات مجرد تنفيس عن ضغوطات وتجاوزات، الكثير منها صدر، خارج إطار السياسة والفلسفة العامة للدولة العثمانية.

ب- وصنف من تلك الحركات؛ عسكرية، بعضها حركات مطلبية اقتصادية، تتمحور حول الأجور وتأخير صرفها. وهي بذلك حركات احتجاجية لا غير، مرتبطة بالواقع الاقتصادي. وأما البعض الآخر من حركات الجيش المناوئة، فهي ذات لون سياسي، وتحمل عبر مطالب أصحابها طموحات سياسية؛ بغية الوصول إلى مناصب القرار (السلطة)، سواء سلطة كلية على إيالة الجزائر، أو على جزء منها، لكن دائما تحت جناح الخلافة العثمانية وتحت قبة الباب العالي، ولكن لا نتفق معه في أسباب بعض الحركات الأخرى، ومنها :

- أنّ الحركات المناوئة (التمرّدات) تتأثّر داخليا ببعضها البعض، فتكون بعض أحداث أو نتائج إحداها سببا وعاملا للأخرى. وقد يكون التأثير خارجيا خاصة من دول الجوار، كتأثير الطريقة الدرقاوية المتواجدة بالمغرب الأقصى في ظهور حركة مناوئة من قبل أتباعها بالجزائر مع مطلع القرن الـ 19م.

- كان الصراع الدائر في إيالة الجزائر بين قوتين: واحدة، محلية جهوية، وأخرى أجنبية مركزية؛ فالأولى ترى نفسها صاحبة شرعية جغرافيّا وتاريخيّا، والثّانية ترى نفسها صاحبة شرعية دينيّة وحضاريًّة؛ ممثّلة في الباشا(حاكم الإيالة) والنائب عن السلطان العثماني الذي يمثل الخلافة الإسلامية منذ عهد السلطان سليم الأول (1512- 1520م).

- أن الكثير من الحركات كانت متتالية وغير منفصلة عن بعضها البعض بفترات زمنية كبيرة، وأحيانا لا تكاد حركة من الحركات أن تخبو حتّى تقوم حركة أخرى. ومن أمثلة ذلك حركة إبن

الأحرش في الشرق الجزائري، وثورة الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري. وكذلك الحركة الي ظهرت في أواخر مرحلة البايلربايات ، وهي ثورة الحمايمي سنة 995هـ/1586م. وتلك التي ظهرت مع مطلع عهد الباشوات سنة 999هـ/ 1590م.

- **حول تصنيف المناوئين.**

بعد دراسة جل الحركات المناوئة والتعرف على زعمائها، والأسباب التي دفعت إلى تلك الحركات توصّلنا إلى بعض النتائج التّالية:

– أنّ زعماء الحركات المناوئة كانوا محلّيّين؛ سواء كانوا شيوخ قبائل، كابن الصخري وعبد المومن، أو أمراء على إمارات محليّة، كإمارة كوكو، وإمارة بني عبّاس، وإمارة بني جلاّب .

–أن بعض الحركات تزعّمها رجال طرقيّون فأصبغوا عليها الصبغة الدّينيّة، كحركة ابن الأحرش البودالي بالشرق، وحركة الشريف الدّرقاوي، والحركة التيجانيّة بالغرب.

– بعض الحركات قادتها فئة اجتماعيّة، ذات طابع اجتماعي، دون بروز أي زعامة فرديّة
– ومثال ذلك: ثورة الكراغلة. وبعض الحركات ذات طابع عسكري ومثالها: ثورة الإنكشاريّين.

ومن الأستنتاجات التي توصّلنا إليها نذكر ما يلي:

– كون الإيالة عاشت طيلة الوجود العثماني في اللاهدوء؛ بسبب الحركات المناوئلة التي عاشتها خلال كل المراحل باستثناء فترات قليلة من الهدوء، حيث لا تكاد تتوقف حتّى تقوم حركة أخرى. بل أحيانا نجد حركتان أو أكثر متزامنة في وقت واحد. وهذا عكس ما ذهب إليه و سبنسر الذي قال: « وباستثناء النزول غير المنتظم للمليشيات الأسبانية على شواطئها في

فترات متقطّعة، فإنّ الهدوء الدّاخلي لدولة القراصنة قد ظل ولمدّة ثلاثلة قرون قائما » [1]. وهذا ما ساهم بشكل أو بآخر، مع ما يماثله في الإيالات الأخرى من حركات مناوئة في إضعاف الأمبراطورية العثمانية [2].

2- فشل كل الحركات المناوئة بالرغم من خطورة، وحدّة بعضها، إلاّ أن في مجملها آل إلى الفشل، ولم تحقّق أهدافها إلاّ جزئيّا. وما تم تحقيقه من شيئ ؛ فإنّه لم يحافظ عليه. ومثالنا ثورة ريّاس البحر التي وصلوا بها إلى السلطة، وأسّسوا بها عهد الآغوات؛ وبعد حوالي إثنى عشرة سنة فقط من حكمهم، انزاحوا عن السلطة. وكذلك ما حقّقه الكراغلة بعد ثورتهم لم يكن كافيّا؛ وبالتّالي بقوا رعايا من درجة ثانيّة .

•) حول **أسباب الحركات المناوئة.**

– إذا كانت جل أسباب ودوافع الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر اقتصادية؛ فإن ذلك لم يمنع من وجود حركات مناوئة قامت لأسباب ودوافع أخرى غير اقتصادية. أي سياسية، أودينية أو اجتماعية. فالحركات التي كان قيامها لأسباب دينية أو على الأقل كان شعارها ديني كحركة ابن الأحرش ببايلك الشرق، والحركة الدرقاوية ببايلك الغرب ، وفيها تفاعل التعاطف الدّيني وحماسته بالطموح الشخصية . ومنها أيضا، ما كانت دوافعها اجتماعية، كحركة عبد المؤمن بقسنطينة، والتي كان سببها الحفاظ على مكانة أسرة عبد المومن اجتماعيا، وكذلك حركات الكراغلة. ومنها السياسية، كثورتي تلمسان، ومنها من اجتمعت الأسباب الاقتصادية

---

1) وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب عبد القادر زبادية ، (ش. و. ن. ت.)، الجزائر، 1980، ص. 12.

2) فرنان بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي تعريب أبي سمرا، دار المنتخب العربي، ط1، بيروت، 1993، ص. 128.

بالأسباب الاجتماعية، كثورة إبن الصخري. وعموما، فقد تعددت أسباب الحركات المناوئة وتنوعت، وذلك وفق العوامل والأسباب المؤثرة، ومن بينها:

-) أن تزايد حركات العصيان يعود إلى الإمتناع عن دعع الضرائب، وهذا الامتناع مردّه ضعف مداخيل قبائل الأرياف، أصبحت تعيش أوضاعا اقتصادية متدهورة، وبذلك عمت الفوضى واللاّ أمن، وتراجعت الزراعة، مع الآفات من قحط وأوبئة ومجاعات، مما أضر البلاد والعباد. كما أن السلطة لجأت إلى استعمال العنف ضد الرعية لجباية الضرائب التي كانت في حاجة ماسة إليها لمواجهة الضائقة المالية التي تمر بها خزينة الدولة، وذلك لقلة مدخولها من الجهاد البحري وتراجع موارد القطاعات الاقتصادية بسبب العوامل الداخلية المتعددة الأوجه، والضغوط الخارجية المتزايدة. وأمام هذا الوضع لم يبق أمام السلطة إلاّ أن توجّه أنظارها إلى الرعية وتستحلب منها الضرائب وبإفراط كبير؛ مما أنهك كاهلها .

-) السبب الدّيني، والذي يحمل طابع الجهاد، وإذا كانت فكرة الجهاد من بين مميزات السكان بحكم الدّين، فإنّ العثمانيين قد أحيوها وجسدوها أثناء تصدّيهم للغزاة الأجانب، ولذلك نجد الكثير من الحركات المناوئة قد قامت واندلعت بسبب دعوة الجهاد، وهي فكرة دينية وكثيرا ما يتحمس لهاالجزائريّون ، وهذا ما جعل قادة وزعماء الحركات المناوئة لا يجدون صعوبة في حشد السكان والاعتماد عليهم، لكن هذه الفكرة لم يكتب لها النجاح دائما بسبب الصدمة التي تقع لأولئك السكان المجنّدين المتحمسين، حيث سرعان ما يكتشفون أنّ العدو المجنّدون لمواجهته لا يجوز فيه الجهاد، وذلك بحكم كونه مسلما. وهذا ما حدث مع زعيم الحركة الدرقاوية محمد إبن الشريف وشيخه محمد العربي الدرقاوي المقيم بالمغرب، القادم الى الجزائر بطلب من السلطة العثمانية للتوسط بينها وبين تلميذه [1] .

1) شويتام، دور القوى المحلية في الجزائر ...، ص.165.

ومن أسباب الحركات المناوئة ما يلي [1] :

1- إهتمام بعض الباشوات بجمع الأموال ومضاعفة ثرواتهم، على حساب السكان.

2- الحكم التعسفي لبعض الحكام وسطوة الإنكشاريين واستبدادهم، الذي تسببت في قتل العديد من الدايات، مما أدى إلى سوء الإدارة [2].

3- تفشي البؤس بين السكان؛ الذي كان حائلا في الغالب عن دفع الضرائب.

- **حول أسباب فشل الحركات المناوئة.**

بعد استعراض الحركات التي تناولناها بالدّراسة في هذا البحث، وبعد الوقوف على نهاياتها الفاشلة نسبيّا، نحاول تقديم أهم ما ارتأيناه من أسباب فشلها؛ وقد لا تكون كلّها، ولكن على الأقل تعد مبدئيّا أسبابا جوهريّة، وإجمالا، تتلخّص في النّقاط التّاليّة :

- الفروق المتباينة بين القوات المتصارعة؛ قوات مناوئة من الرعيّة بنقصها التدريب والتسليح والتنظيم والقيّادة الصّارمة، وبين قوة حكوميّة، نظامية محترفة، ومسلّحة ومدرّبة.

1- ظهور تلك الحركات المناوئة ظهورا آنيّا ظرفيّا، وليست لها تقاليد متجذّرة في المجتمع؛ الشيء الذي أضفى عليها طابع السطحيّة والظّهور المؤقّت.

---

1) Hamdane Khodja, Le Miroire, Sindbad (BOURGES),Feance, 1985, p. 143.

2) عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر وتونس وليبيا 1816- 1871م، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، 1985، 117.

2- عدم التعميم والشّموليّة، إذْ ولا حركة قامت، واستطاعت أن تفرض نفسها على ربوع البلاد. وبالتّالي كان انتشارها محدودا؛ ممّا جعلها تطبع بطابع الجهويّة أو المحليّة الجغرافيّة.

3- إشتراك العاطفة الدّينيّة بين السكان والعثمانيّين في كون كليهما يدينان بالإسلام، ويتبعان نفس المذهب ، وكلاهما من أهل السنّة. فهذا التقارب يجعل المواجهة بينهما تكون انتقائيّة ولا تكن عامة وشاملة. فلا العثمانيّون حاربوا وقتّلوا وأبادوا، وأتوا على الأخضر واليابس. ولم تكن محاربتهم للمناوئين تحمل طابع الحقد والإنتقام؛ حيث كانت منصبة بصفة أساسيّة على رؤوس الحركات، وبدرجة ثانية على المحاربين لهم من حاملي السّلاح. ولا السكّان هبّوا هبّة واحدة تناصروا ضد العثمانيّين.

4- إتّبعت السلطة العثمانيّة سيّاسة الترهيب الشّديد، والتّرغيب المغري في نفس الوقت؛ وهو ما يمنع توحد المناوئين وتكتّلهم؛ وبالتّالي إضعافهم.

5- الشعور الدّائم بالخطر الخارجي، مما يؤدّي إلى إحساس كل طرف بالحاجة إلى الطّرف الآخر، والتضامن فيما بينهم، ودفن الخلافات، وهذه الحقيقة تجسّدت في كثير من المواقف، ومنهاتوقف الصراع بين المقرانيين (أحمد المقراني) والسلطة العثمانيّة (حسن بن خير الدّين) في مواجهة الخطر الإسباني على طرابلس الغرب، والتحالف من أجل تحرير وهران.

6- الولاء المطلق للسلطان العثماني، والقناعة الرّاسخة لدى السكّان بواجب الولاء وطاعته، وعدم الخروج عنه؛ لكونه يمثل الخلافة الإسلاميّة. وهو شعور عامل تشترك فيه الرّعيّة كما السلطة العثمانيّة المحليّة (واجب الطّاعة، كما يحث الدين) .

7- التّدابير التي اتخذتها السلطات العثمانيّة في تسيير شؤون إيالة الجزائر، من: ربط علاقات امصاهرة، ومنح بعض الإمتيازات، وكسب مولاة بعض الأسر، وبعض القبائل إلى صفّها، إلى غير ذلك من السيّاسات التي ذكرناها في الفصل الثّاني، أضعف وأفشل تلك الحركات المناوئة.

إنّنا ندعي، وبكل ثقة، الإجتهاد في هذا البحث، وربما السبق في تناول موضوعه، فإنّنا أيضا، نقر بالإجهاد ونعترف بجهود غيرنا. كذلك، لا ندّعي الكمال ولا بلوغ المرام فيه؛ لأنّ طبيعة البحوث العلمية يطبعها النقصان. ولكن، حسبنا أنّنا ساهمنا بما استطعنا، وبما تيسّر لنا من إمكانيات، وما أحاط بنا من ظروف، في إبراز ظاهرة الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني. وتتبعنا تلك الحركات كرونولوجيّا بمسح أفقيّ؛ مركزين قدر ما استطعنا على ما ارتأينا من حركات مناوئة لها أهميّة، وتستحق الوقوف. أمّا تلك الحركات التي كان حدوثها عرضيّا، فقد اكتفينا بالإشارة إليها، كما سبق وأن ذكرنا ذلك في المقدّمة. و انطلاقا من هذا، فحسبنا أنّنا ساهمنا بهذا البحث، كأرضيّة ينطلق منها كل من يريد الإسهام بالبحث في هذا الموضوع، خاصة إذا ما ظهرت وثائق جديدة ذات صلة .

الملاحق

• ملحق (01)

نص الرسالة : (من مسلمي غرناطة).

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه يقبل مواطي الأقدام الشريفة التي ثراها، إذا مر بالعيون الرمدة أبراها، ورحاب الأكف الكريمة اللتي (كذا) عطاها (كذا)، إذا مر بالأرض الممحلة اثراها، أقدام السعى في الخيرات والقربات، وأكف شأنها فعل الخيرات والمكرمات، أدام الله أيامها ونصر أعلامها، وأوطاء (كذا) ركابها أعناق الملحدين والمتمردين، وأنعشه في كل وقت بنصر وفتح مبين، نسئل (كذا) الله تعالى أن يجعله أركابا لم يزل ممتطيا السعد محفوفا بالسعود، قطبا للسعادة السلطانية عليه تدور وبه تسود، وأن يجعله دايما باقيا راقيا في درجات العز ةالملك إإلى آخر الدهر، مصونا في حرز كنف الله الحريز، وأن يخرق له العادة بطول بقايه وما ذلك على الله بعزيز، ركاب حضرة الجود، ورواق العز الممدود، ومعدن الرفاق والحنان، ومامن الخايف اللهفان ومظمن أن الله يأمر بالعدل والإحسان، حضرة فخر ملوك البسيطة، ودرة تلك السوك الوسيطة، كبير سلاطين الزمان، مثيل أفانين الأماني والأمان، الملاذ الأعظم والثمال الأعصم، ذي العروة اللتي (كذا) لا تفصم والحجّة اللتي (كذا) لا يخصم، الذي يعترف له القاصي والدّاني بالفضل على الإطلاق، يبوءه رتبة الأصالة والجلالة بالاستحقاق ولم لا وهو نسيم الخلافة العلية في منصب الوراثة، وحايز الفضيلة السنية من خدمة المساجد الثلاثة، وله ملك مصر وأنهارها، والشام وديارها، والحجاز وشرف مقدارها.. «.....أمّا واجبكم فهو معاونتنا بإرسالكم الأوجاق والأسلحة، خصوصا عند ما ظهر هذا المهدي الكاذب منذ خمسة أو عشرة سنوات في غرب االجزائر »[1].

---

1) عبد الجليل التّميمي، الدّولة العثمانيّة وقضية المورسكيين الأندلسيّين (م. د. ب. ع. م. ت.)، زغوان تونس 1989م.

رسالة أهالي الجزائر (02).

نص الرّسالة (مترجمة إلى العربيّة).

« إنّنا ندعو بالسّعادة والنصر لمقام السلطنة العلية دعاء يبلّغها أقصى الأماني فإنّ عبيدها بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي معبرين ومفترضين لمقامكم العالي ياالإجلال والتعظيم أبدا، وأنّ رسالتنا هذه لا تستطيع أن تستعرض كل الأسرار. إنّ سعادة أيّامكم هي فرحتنا ونحن لزام أموركم وطاعتكم مستبشرين وعليكم لا محالة اعتمادنا فظاهرنا كباطننا مخلص لكم أولا وأخيرا. فقد أطعنا أمركم وعبيدكم ليس لهم من قصد غير شريف مقامكم العالي. لقد جرت حوادث جليلة ولها أخبالر طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة أعداء الله ومفادها أنّ طائفة الطّاغية لمّا استولت على بلاد الأندلس، انتقلوا منها إلى قلعة وهران للإعتداء على سائر البلاد، غير أنّه بعد استيلائهم على بجاية وطرابلس بقيت الجزائر(بين الكفار) كالنّقطة وسط الدّائرة، وبقينا لذلك حيارى متأسّفين يحفّنا الكفار من كل جانب ولكن تمسكنا بحبل الله المتين واتكلنا عليه. غير أنّ طائفة الطّاغية سدّت علينا الطّلب هادفة إدخالنا تحت ذمّة (سلطته) وقد نظرنا في الأمر ورأينا أنّ المحن والشّدائد تشتدّ وأنّ الضرورة تقتضي حقن دماء أنفسنا وخوفا على حريمنا وأموالنا وأولادنا من السّبي والتفريق تصالحنا مع أهل التثليث (النّصارى) وإنا لله وإنّا إليه راجعون. وبعد هذه المضايقة والحصار دخل الكفار إلى وهران وبجاية وطرابلس وكان قصدهم أن يأتوا بسفنهم ويستولون علينا ويأسروننا ويشتتون شملنا فجأة. آنذاك قدم ناصر الدّين وحامي المسلمين المجاهد في سبيل الله عُروج باي مع قلّة من الغزاة. فقابلناه بالعز والإكرام واستقبلناه لأنّنا كنّا في خوف (من عدوّنا) فخلصنا بفضل الله. وعروج باي المشار إليه جاءنا من تونس لإنقاذ بجاية من يد الكفار. فلمّا وصل إلى القلعة وحاصرها مع المجاهد الفقيه الصّالح أبو العبّاس أحمد بن القاضي زلزلوا أركانها وهدّموا بنيانها وشاهد الكفّار عندما دخل القلعة المسلمون وهاجموها واستولوا عنوة على برج منها، اختلال بنيانهم وقرب حتفهم هرب

بعض الكفّار الموجودين بالقلعة ومثّل الباقون بهم. لقد حارب المسلمون الكفار آناء الليل وأطراف النّهار من طلوع الشمس إلى غروبها وعلى الرغم من ترك بعض من جماعة عُروج القتال، بقي المشار إليه يقاتل الكفّار مع جماعة قليلة، وكان قد عزم على لقائنا غير أنّه وقع شهيدا في حرب تلمسان رحمه الله. وقد حلّ مكانه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو النّصر خير الدّين وكان له خير خلف، فقد دافع عنا ولم نعرف عنه إلاّ العدل والإنصاف واتباع الشرع النّبوي الشريف ، وهو ينظر إلى مقامكم العالي بالتّعظيم والإجلال ويكرّس نفسه وماله للجهاد ولرضا رب العباد وإعلاء كلمة الله ومناط آماله سلطتكم العالية مظهر جلالها وتعظيمها. على أنّ محبّتنا له خالصة ونحن معه ثابتون وكيف لا نحبّه وهو المشمّر على ساعد الجد والإقدام ويقود الجهاد معنا في سبيل الله بنية خالصة وقلب صادق متفق الكلمة معنا في الشدّة والرّخاء لإعلاء كلمة الله. ومفاد ما يريد عبيدكم إعلامه لمقامكم العالي هو أنّ خير الدّين كان قد عزم قصد جنابكم العالي إلاّ أنّ عرفاء البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرّعة إليه حتّى لا يرتحل خوفا من الكفّار إذْ هدفهم هو النّيل منّا نحن على غاية الضعف والبلاء ولهذا أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم المدرّس أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد ونحن وأميرنا خدّام أعتابكم العالية وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق خدمة مقامكم العالي وأنّ المذكور حامل الكتاب سوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من الحوادث والسلام » [1].

أوائل ذي القعدة 925 هـ.

---

1) عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني 1519م، المجلة التاريخية، العدد 5، تونس 1976، ص. 116. وانظر أيظا عيسى الحسن، الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الانهيار، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2009، ص. 145. نقلا عن أرشيف: طوب قابي سراي، تحت رقم: 4656.

• **ملحق: (03)** مراسلة سكان قسنطينة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 963هـ/ 1555م[1].

« فجاء من حضرتكم العالية بسير العدل وأنصاف ... متمل للشريعة المحمدية ... قهر من أعداء المل من زعم بعده وعدده لا يحصى وصرف همته وشغلها بقتال عدو الدين إلى أن فتح من أيديهم مدينة بجاية »

وفي هذه الرسالة عبر أهالي قسنطينة عن إمتثالهم للبايلرباي صالح رايس، والإشادة به. والذي أصبح في حرب مع بني عباس بمجانة، وقد حررت بتاريخ شهر محرم (963هـ/ 1555م). وكأنهم يتبرّأون من عصيان بني جلاب ، وحركة بني عباس.

1) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ص. 181.

• **ملحق** (04) مرسوم السلطان العثماني إلى علماء الجزائر[1].

نص المرسوم

هذا مرسومنا الشريف العالي السلطاني وخطابنا المنيف السامي الخاقاني أرسلناه إلى العلماء الصلحاء والشرفاء وسائر أهالي الجزائر دام توفيقهم يعرف مضمونه الميمون أنه ورد من جنابكم لحضرتي قيد مما صدر من الأمراء الكرام أمير بولايت (كذا) جزائر سابقا محمد باشا إبن صالح باشا ومن كتخذا به من الحروف والظلم وأخذوا في يد رعايانا هناك من المال وغير ذلك جميع ماحصل منهم لأهالي الجزائر ثمة عرض لدى حضرتنا السنية مفصلا، وجعل هنا محمد باشا المشار إليه جزاؤه وأما كتخذا وما وجد عنده من المال وغيره إلى الجزائر حمله ليؤخذ حسب الشرع الشريف منهم حقوق العباد في أيام عدالتنا الفائقة وكذلك ارسلناه في ذلك الشأن حكما آخر موجه (كذا) إلى أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذي القدر والمجد والاحترام المختص بمزيد عناية الملك الأعلى أمير أمراء بولايت (كذا) الجزائر علي باشا دام الله إقباله لأن يرد لأهالي الجزائر الزيرون منهم بالظلم والعدوان حتى يأخذ منهم كل ذي حق حقّه، وأقصى مراد حضرتنا الجليل أن يكون الرعايا والبرايا الذين هم ودائع الله تعالى في أيام دولتنا الفائقة في غاية الأمن والأمان والرّفاهيّة والإطمئنان فرحين مستريحين في أوطانهم مواظبين على الأدعية المقبولة والأثنية المباركة في آناء الليل وأطراف النّهار، والله تعالى هو الموفق والمعين بمنّه ويمنه إن شاء الله تعالى.

جرى ذلك وحرّرفي أواخر جمادى الأولى 976هـ/ 1568م.

---

1) فتحي زغروت، العثمانيون ومحاولات إنقاذ مسلمي الأندلس (898- 1115هـ/ 1492- 1609م) ، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع ، ط1، مصر، 2011، ص. 392.

• **ملحق (05):** وثيقة عن الأحداث التي تسببت في ثورة إبن الصخري [1].

«...القائد مراد بن سوري رحمه الله تعالى وفيها توفي حمودة خوجة وفي رمضان من هذه السنة كسّرت محلّة الجزاير (كذا). في سنة إحدى وأربعين بعد الألف وفي سنة اثنين وأربعين بعد الألف كانت الزينة بالجزاير (كذا). ثم تولّى من بعده يوسف باشافي رجب من سنة أربع وأربعين بعد الألف، في صفر من سنة ثمان وأربعين بعد الألف وقع حريق البارود يوم الجمعة قبل الصلاة وفيها وقع حريق القصبة وفي سنة 1049 تسع وأربعين بعد الألف وقعت الزينة بالجزائر وفيها خنق حمزة خوجة وفيها توفي مراد باي في صفر وسبب موته على ما قيل أنّه كان نازلا بفناق فيلة قسنطينة فأتى إليه الشيخ محمد بن السخري بن أبي عكاز العلوي شيخ العرب يوم الأربعاء غرّة صفر الخير من سنة 1047 سبع وأربعين بعد الألف فحبسه بالمحلّة المنصورة واتفق الدّيوان العالي على قتله لكونه خرج عن الطّاعة السلطانية وشاوروا على ذلك باشا الوقف يومئذ مولانا المعظم علي باشا والدّيوان وغيرهم فاتفق رأي الجميع على قتله فقتلوه وقتل معه إبنه أحمد وستة أنفس من أجواد العرب جعلوا نيشانا في باشوظة من المحلة ثم قطعت رؤوسهم وأتوا بها إلى قسنطينة فوضعت فوق (كذا) سور البلد عدى رأس الشيخ محمد وإبنه فإنهم لم يأتوا بهما إلى المدينة فلمّا كانت السنة الاتية بعد مقتل المذكورين جهّز أخو الهالك المذكور وهو أحمد بن السخري جميع الأعراب والحنانشة وغيرهم منساير الرّعية كاين (كذا) من كان من باب الجزاير إلى باب تونس ونافو على دار السلطان وقصد بزمله المذكور بلد قسنطينة فخرج أهل البلد لقتاله بفشيهم بخيله ورجاله وقتل منهم نحو خمسة وعشرين رجلا فرجعوا إلى البلد مكسورين وفي غد ذلك اليوم فزع بخيله ورجاله للفحص الأبيض والمحامة وتلك النّواحي وأطاق الشّارع نوادر القمح والشّعير بأحرفها عن آخرها وأحرف ما فيها من الدشر حتّى انتهى الحرف إلى جنّة المنبا وأطلق النّار من نواحي أخرى ومن الغد وهو اليوم الثّالث أطلق النّيران من قسنطينة إلى أن انتهى إلى حفرة صنهاجة ولم يزل بحرف وينهب ومهما سمع بدشرة بها شيئ من الزرع نهبه ونهب من باب ميلة ...»

---

1) Féraud (ch), Epoque de l'etablissement des Turcs a Constantine , in R .A.vol, N° 10 , p. 160.

• **ملحق: (06) رسالة أحمد باي إلى حسين باشا حول عملية تأديب بعض قبائل الحنانشة.**

نص الرّسالة :

الحمد لله حق حمده وصلى على سيدنا ومولانا محمد وعلى الذين اسمه الله تجلّى مقام المعظم الأرفع السم والجناب الانحج الأحمد فخر الملوك الكرام. المؤيد بالنصر والتمكين الملك العظام الأمجد الأوحد الهمام الأكبر الأفضل الأرشد ولي نعمتنا. سيدنا حصين باشا الروكالتي ذات مقاليد وطابت وحسنت أيامه ولقاييده أمين أمين.السّلام التّام عليكم ورحمت الله وبركاته ورضوانه ونعماته وتحياته ويمد سيدي حفظك الله. فالغرب يتمل بشريف علمك هو خير إنشاء الله إنّنا قمنا رجعنا من النّاحية الغربية وتوجهنا النّاحية القبلة قاصدين بلاد الحنانشةلأإصلاح أمورهم والنظر في حال وطنهم بلغنا عريضة من الجيايلة بوطنهم أهل عصيان وفساد وإنّهم تمنّعوا هذه الأعوام المباركة فظهر لنا من الرأي أن نكسر شوكتهم زجرا لغيّهم فغزونا على فرقة منهم جبايلية يقال لهم المقانعة فأخذناهم ولم ...أهلهم وسعيهم . إلاّ الفرار فأخذنا لهم ستمائة وخمسة عشر 615 رأس من البقر وثلاث مائة وستين 360 ماشية خيل وألف شاة غنم. ورجعنا نحن وعسكرنا وقوتنا في أمان الله ثم بعد ذلك ظهرت لنا فرقة يقال لهم رشناقة وموطنهم برأس الدّخلة بين بلاد الحنانشة والدّخلة لا يغرمون لأحد لا للشرق ولا للحنانشة وأهل تلك النّاحية كلهم يشكون ظلمهم وبغيهم وإفسادهم وهروم الغرامة لهم فاستعنا بالله تعالى عليهم وغزوناهم. فأخذناهم أخذا زيعا وقتلنا منهم وكان جزء نجداهم فرقة من رعية الحنانشة وهم أولاد قياد تمنعوا منالك أيضا فأخذناهم معهم فكان جملة ما أخذنا من الفرقتين ثلاثة عشر مائة (1300) (رأس من البقر وأربع عشر مائة غنم و 30 زايلة سايس خيل وبغال ثم رجعنا لمحلّتنا قاصدين بلاد الحنانشة ولاكن سيّدي لك الله في بر لنا أن نذكر لك أمر الحنانشة كنّا في الحسب الاخي قدم إلينا الرزق الحنانشة مع جماعته. وبعثنا للحاج مبارك وكاتبه وما الحنا بينهم بحضور ابنكم السيد يحيى عاقة وانصرفوا من عندنا أما الرزقي لم يقطع رجله عنّا ما

الحاج مبارك لم نر له وجها من يوم انفصاله من عندنا وبعث لديكم بإجابة. منهم أحرف اخترنا رجلا لم يسبوا له شيخ فشيّخناه عليهم ووجّهناه إليهم بكتابنا بالأمان والعافية. فلم يرجعوا له ولما قصونا بلادهم ضم الحاج مبارك جميع من معه من الحنانشة وجلب إليه بمظاه تبعه من الخرارب الغرامة ورحل حتى نزل سواكه وبلغنا أن هذه المرّة وكلّها وهو يراسل ويكاتب لاج لان يدخل وطن الشرق ويبلغنا أن باي تونس منعهم من ذلك وأنّه بعث إلى القيّاد الذين يعرفهم وأمرهم أن يمنعوا رعية الغرب ولا يتركون أحدا منهم يدخل وطنه ولما بلغنا حق علينا وقوفنا إلى أقصى بلاد الحنانشة ساءت خلفهم وضاق ذرعهم وانسدّت عليهم المسالك...الوكيل – محمود– تونس فأمسكوهو به ... وألزموه بالرّجوع إلينا ... على ذلك فجردنا لهم بما جاء وأمرنا بهم إلى ...اشتملت الغرامة النى كانوا معهم وردع كل واحد إلى بلاده وكان ...على الحاج مبارك ومن معه... على الغرامة ولم توفر... أصلحنا أمر الحنانشة فأحنا راجعون لقضاء... عند غيرهم إن شاء الله تعالى من الفقير إلى ابنكم وخادمكم ... سلامكم الحاج أحمد باي وفقه الله .

<u>المصدر</u>: الوثيقة رقم 19، المجموعة رقم 1642، الأرشيف العثماني، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر.

- **ملحق (07) رسالة أحمد باي إلى حسين باشا حول عملية تأديب قبيلة لعمامرة بتاريخ شهر رجب سنة 1243هـ/ 1828م [1].**

نص الوثيقة .

« ... ونزلنا بقريتهم (لعمامرة) في ذلك الوقت فطلبوا منا الأمان فأمنّاهم ونزلوا للوطا وحرثوا وعلنا معهم حرثا لنا وخدموا وهم الآن قوة في المحلّة تغزوا معنا... وكانت فرقة بجوارهم من أهل الجبل المذكور وهم أولاد فسيقة ممتنعون أيضا وعصوا شيخهم فغزوناهم وأصبحنا عليهم في 28 رجب وصعدنا إليهم في رأس الجبل بعسكرنا وقومنا فأخذنا لهم 5000 رأس غنم و740 رأس بقر و 67 زايلة بين حمير وبغال وقطفنا منهم 16 رأسا ورجعنا وعسكرنا وقومنا سالمين غانمين ».

---

1) وثيقة رقم 35 ، ملف 3206، سلسلة وثائق عثمانيّة، المكتبة الوطنيّة (الحامّة) الجزائر.

• ملحق (8) وثيقة عقد أمان لهارب متمرد عن سلطة البايلك لصالح إبن الأحرش[1].

نص الوثيقة.

الحمد لله وحده وصلى الله تعالى على سيّدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

حفظ الله تعالى بيته وكرمه مقام المكرمين أولادنا كبوا جيحل ومشايخهم والمرابطين خصوصا السيد محمد أمقران المرابط سدّده الله السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبعد فقد ورد علينا مكتوبكم وما ذكرتم لنا بيد على شان عارو (؟) خوجة أنّه هرب إلى دارك ودخل تحت حرمتكم وطلبتم منا أن نعفوا عنه وقومه لوجهكم فهمناه واعلم حيث هرب إلى دارك واحترم بحرمتك فعليه الأمان ولا يخاف بلا نصرة بشي فلو كان مرادي في إذايته لفعلت ولاكن هو في دارك وفي أمانك يبقى هناك عندك إلى أن يعمل الله سبحانه وتعالى تاويلا ولا يمكنه أن يرجع إلى الجزاير بل يبقى هناك هذا ولنا عندكم حاجة تقضوها لنا إن كنتم منا وإلينا وهي أن ذلك الرجل الذي هو بوادي الزهر من جهة إبن الأحرش الذي كان هناك سابقا يدعى أنّه حفيرة وهو مشتغل بالكذب ويغرو بهم بالبهتان ويقودهم إلى الفساد والضّلال ويوصلهم إلى الهلاك دنيا وأخرى فهو من المفسدين في الأرض الضالين المضلّين بأن أمكنكم أن تتحيّلوا عليه بما يظهر لكم حتّى تضفروا به فإن ضفرتم به فابعثوه إلينا ونكافيكم فيما يرضيكم والسّلام كتب عن إذن المعظم الاربع مولانا الدّولاتلي السيّد علي باشا أيّده الله بيه الحاصل إنّنا سمعنا يدور في تلك النّواحي على الضلال والفساد يعرتكم ما تسمعوا منه بأنّه كذب وبهتان والسّلام المتوكّل على المولى الجليل عبده الحاج علي بن خليل 1669.

---

1) **FERAUD (C.L.), , Les chérifs Kabyles de 1804, dans la province de Canstantine, in R.A. VOL 13, Année, 1869, p . 211 .**

• **ملحق(9) قائمة السلاطين العثمانيين المعاصرين لإيالة الجزائر العثمانية** [1]

الرقم	إسم السلطان وكنيته	فترة حكمه	ملاحظات
01	– سليم الأول (ياووز) بن بايزيد	1512– 1520 م	
02	– سليمان الأول (القانوني) ابن سليم	1520– 1566م	
03	– سليم الثّاني ابن سليمان الأول	1566– 1574م	
04	– مراد الثّالث ابن سليم الثّاني	1574– 1595م	
05	– محمد الثّالث ابن مراد	1595– 1603م	
06	– أحمد الأول ابن محمد الثالث	1603–1617م	
07	– مصطفى الأول أخو أحمد الأول	1617– 1618م	
08	– عثمان الثّاني بن أحمد الأول	1618– 1622م	
09	– مصطفى الأول (مرة ثانية)	1622– 1623م	
10	– مراد الرابع بن أحمد الأول	1623– 1640م	

1) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقّي، دار النّفائس، بيروت **1430**هـ/**2009**م، ص: **778** ،**777**. وحددهم إثنين وعشرين (22) سلطانا . وللمزيد، انظر: عبد العزيز سليمات نوار، تاريخ الشعوب ا الإسلامية العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، **1998**، ص.**454**.

11	- إبراهيم الأول بن أحمد الأول	1640- 1648م	
12	- محمد الرابع بن إبراهيم الأول	1648- 1687م	
13	- سليمان الثاني بن إبراهيم الأول	1687- 1691م	
14	- أحمد الثاني بن ابراهيم الأول	1691- 1695م	
15	- مصطفى الثّاني بن محمد الرابع	1695- 1703م	
16	- أحمد الثالث بن محمد الرابع	1703- 1730م	
17	- محمود الأول بن مصطفى الثّاني	1730- 1754م	
18	- عثمان الثّالث (لم يذكر اسم أبيه)	1754- 1757م	
19	- عبد الحميد الأول بن أحمد الثالث	1774- 1779م	
20	- سليم الثّالث بن مصطفى الثّالث	1779- 1807م	
21	-مصطفى الرابع بن عبد الحميد الأول	1807- 1808م	
22	- محمود الثّاني بن عبد الحميد الأول	1808- 1839م	

• **ملحق (10): قائمة حكام الجزائر (عهد البا يلربيات)[1] .**

ر.ت	اسم الباشا و (شهرته)	فترة حكمه	ملاحظات
01	خير الدين بربروس	1519- 1533	بصفة رسمية
02	حسن آغا	1533-1545م	أسير مسيحي
03	الحاجي	1545-1546م	بالنيابة
04	حسن بن خير الدين (1)	1546-1551م	كرغلي
05	الصفا	1551-1552م	
06	صالح رايس	1552-1555م	
07	حسن- قورصو الكورسيكي	1555-1556م	بالنيابة
08	تكلي	1556-1556م	
09	يوسف	1556-1557م	بالنيابة
10	يحيى	1557-1557م	بالنيابة
11	حسن بن خير الدين (2)	1557-1561م	للمرة الثانية
12	حسن آغا	1561-1561م	بالنيابة
13	أحمد باشا بسطانجي باش	1561-1561م	
14	محمد بن صالح ريس	1562-1562م	

---

1) عزيز سامح إلتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، ق. 664. وانظر أيضا، مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج$_2$، دار البعث، قسنطينة،(الجزائر)، 1985، ص. 259. وانظر أيضا، تقييدات ابن المتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشواتها وعلمائها، بيت الحكمة، الجزائر، 2008، ص. 39، وما بعدها.

15	يحيى	1562-1562م	بالنيابة للمرة الثانية.
16	حسن بن خير الدين (3)	1562-1567م	للمرة الثالثة.
17	محمد بن صالح رايس	1567-1568م	
18	حاجي قلج (العلج) علي المدعو علي الفرطاس	1569-1568م	من أشهر حكام الجزائر
19	مامي	1571م	بالنيابة.
20	أحمد	1571-1574م	
21	رمضان	1574-1577م	
22	حسن فانزيانو (1)	1577-1580م	
23	جعفر	1580-1582م	من العلوج
24	حسن فانزيانو (2)	1582-1583م	للمرة الثانية.
25	محمد	1583-1586م	
26	أحمد	1586-.....[1]	للمرة الثانية.

ملاحظة: هناك اخلافات في التواريخ بين عزيز سامح إلتر، والآغا بن عودة المزاري. انظر: المزاري، طلوع سعد السعود... ، تحقيق يحيى بوعزيز، ج3، دار البصائر، ط1، الجزائر، 2007/ ص. 353.

1) بحكم البايلر باي أحمد باشا تتوقف مرحلة البايلربايات، لتبدأ فترة الباشوات ابتداء مع الباشا دالي أحمد باشا (1587-1589م)،غير أن معظم المراجع لا تذكره ، وتذكر مباشرة الباشا خيضر كبداية لفترة الباشوات.

• ملحق: (11) أسماء حكام الجزائر(عهد الباشـــوات)[1].

الرقم	إسم الباشا أو كنيته	فترة حكمه	ملاحظات
01	استانكولو أحمد باشا	1587- 1589م	تميز عهده بالإزدهار والأمن.
02	خضر باشا	1589- 1592م	
03	شعبان باشا	1592- 1595م	
04	خضر باشا (2)	1595- 1696م	
05	مصطفى باشا	1596- 1599م	
06	خضر باشا	1599- 1603م	
07	كوسا محمد باشا	1603- 1605م	
08	قوصة مصطفى باشا	1605- 1607م	
09	رضوان باشا	1607- 1610م	
10	قوصة مصطفى باشا (2)	1610- 1613م	
11	الشيخ حسين باشا	1613- 1617م	كان واليا على طرابلس الغرب
12	سليمان باش	1617م	
13	الشيخ الحسين باشا	1617- 1620م	
14	خضر باشا	1620-1623م	
15	خسرو (خسراف) باشا	1624-1627م	
16	حسين باشا	1627- 1633م	
17	يوسف باشا	1634- 1637م	ذكره و. سبنسر باسم عبد الحسن علي

1) المدني، محمد عثمان باشا، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 50.

18	علي باشا	1637- 1639م	
19	حسين باشا (2)	1639- 1640م	
20	يوسف باشا(أبو جمال) (2)	1640- 1642م	
21	محمد بورصالي باشا	1642- 1645م	
22	أحمد علي بتشين باشا	1645- 1647م	
23	يوسف باشا (3)	1647- 1650م	قاد حملة على تقرت وورقلة، سنة 1649م؛ لبسط النفوذ العثماني مجددا
24	إبراهيم باشا	1656- 1659م	حكم 3 أشهر فقط. انظر، محرز .أ. ص.23.

ملاحظة: عند الآغا المزاري 34 باشا حكموا إيالة الجزائر من 1587- إلى 1659م. انظر، المزاري طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا...، ص. 354،353.
وليس 24 باشا كما عند أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان ....، ص. 50

• **ملحق: (12) قائمة حكام الجزائر(عهد الآغوات)** [1].

الرقم	**إسم الآغا أو كنيته**	**فترة حكمه**	**ملاحظات**
01	الآغا خليل بولكباشي	يوليو1659- أكتوبر1660م	مات مقتولا
02	الآغا رمضان بولكباشي	1660- 1661م	مات مقتولا
03	الآغا شعبان بولكباشي	1661- 1665م	مات موتة غامضة
04	الآغا الحاج علي	1665- 1671م	مات بعد فترة حكمه

---

1)الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعوفي أخبار وهران والجزائر و...، ص. 355. وانظر أيظا، المدني، محمد عثمان باشا... ، ص. 58.

• **ملحق: (13) قائمة حكام الجزائر(عهد الدايات) [1].**

ر.ت.	أسماء الدايات	فترة الحكم	ملاحظات
01	الحاج محمد باشا	1671- 1682م	
02	بابا حسن باشا	1682- 1682م	
03	الحاج حسين باشا ميزومورتو	1683- 1688م	
04	الحاج شعبان باشا	1688- 1695م	
05	الحاج أحمد باشا	1695- 1698م	
06	الحاج حسن باشا الشاوش	1698- 1700م	
07	الحاج مصطفى باشا	1700- 1705م	
08	حسين خوجة باشا	1705- 1707م	
09	محمد بقطاش باشا	1707- 1710م	
10	علي باشا شاوش	1710- 1718م	
11	محمد بن حسن باشا	1718- 1724م	
12	كرد عبدي باشا	1724- 1733م	
13	إبراهيم باشا	1733- 1745م	
14	إبراهيم باشا كوجوك	1745- 1748م	
15	محمد بكير باشا	1748- 1754م	
16	علي باشا ملمولس بوصباع	1754- 1766م	
17	محمد عثمان باشا	1766- 1791م	

1) المزاري، طلوع سعد السعود.... ، ص. 355. وانظر أيظا، إبن حمادوش، مصدر سابق، ص،ص. 225- 232 .

18	حسن باشا	1791- 1798م	
19	مصطفى باشا	1798- 1805م	
20	أحمد باشا	1805- 1808م	
21	علي باشا الغسال	1808- 1809م	
22	الحاج علي باشا	1809- 1815م	
23	عمر باشا	1815- 1817م	
24	علي خوجة	1817- 1818م	
25	حسين باشا	1818- 1830م	

• ملحق (14): قائمة بايات بايلك الشرق (قسنطينة) [1].

ر.ت	اسماء وألقاء البالير بايات	فترة الحكم	النلاحظة
01	رمضان تشولاق باي	(1567– 1574م).	
02	جعفر باي	(1574– 1588م).	
03	محمد بن فرحات	(1588– 1608م).	
04	– حسن باي	(1608– 1622م).	
05	مراد باي	(1622– 1647م).	
06	فرحات باي	(1647– 1653م).	
07	محمد باي بن فرحات	(1653– 1666م).	
08	رجم باي	(1666– 1674م).	
09	– خير الدين باي	(1674– 1676م).	
10	دالي باي	(1676– 1679م).	
11	باش آغا باي	(1680– 1688م).	
12	شعبان باي	(1688– 1692م).	
13	علي خوجة باي	(1692– 1700م).	
14	أحمد خوجة باي بن فرحات	(1700– 1703).	
15	إبراهيم باي العلج	(1703– 1717م).	
16	حمودة باي	(1717م).	

1) محمد بن الصالح لعنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، دار البصائر، (ط.خ)، الجزائر 2009، ص: 147،148.

ر. م	إسم ولقب البايلر بايات	فترة الحكم	**<u>الملاحظة</u>**
17	علي باي بن حمودة	(1717م).	
18	حسين شاوش	(1708م).	
19	عبد الرحمن باي بن فرحات	(1809م).	
20	حسين دنفزلي باي	(1710م).	
21	علي بن صالح باي	(1710- 1713م).	
22	قليان حسين بوكمية	(1713- 1736م).	
23	حسين باي بوحنك المسمى حسن باشا	(1736- 1754م).	
24	حسين باي زرق عينو	(1754- 1756م).	
25	أحمد باي القلي (جد آخر بايات قسنطينة)	(1756- 1771م).	
26	- صالح باي	(1771- 1792م).	
27	إبراهيم بوصبع	(1792م).	(حكم ثلاثة أيام فقط)
28	صالح باي (مرة ثانية)	(1792م).	(حكم عشرة أيام فقط)
29	حسين ولد حسن باشا بوحنك باي	(1792- 1795م).	
30	مصطفى باي الوزناجي	(1795- 1795م).	؟
31	- حاج مصطفى باي انقلز	(1798- 1803م).	
32	عثمان باي	(1803- 1804م).	
33	عبد الله باي	(1804- 1806م).	
34	حسين باي ولد صالح باي	(1808م)	
35	علي باي بن يوسف	(1807-1808 م).	

36	أحمد شاوش القبايلي	(1808– 1811م).	
37	أحمد باي طبال	(1811– 1814م).	
38	محمد باي نعمان	(1814– 1818م).	
39	محمد باي شاكر	(1818م).	
40	– قارة مصطفى باي	(1818م).	
41	أحمد باي المملوك	(1818– 1819م).	
42	محمد باي الميلي	(1819– 1820م).	
43	إبراجيم باي الغربي	(1820– 1822م).	
44	أحمد باي المملوك (مرة ثانية)	(1822– 1824م).	
45	– إبراهيم باي الكريتلي	(1824– 1826م).	
46	محمد باي مانماني		
47	الحاج أحمد باي بن محمد بن أحمد باي القلي	(1826– 1837م).	كرغلي

• **ملحق (15): أسماء بايات بايلك الغرب** [1]

1- حسن بن خير الدين 971هـ، (تنازل عن منصبه).

2- أبو خديجة 971هـ.

3- صواق. مات مسموما من قبل زوجته.

4- الباي ساعد

5- السّايح المازوني بقي على رأس البايلك مدة 11سنة .

6 البايات من الباي السايح إلى الباي محمد بن عيسى (من 5 إلى 15) مجهولون.

7- محمد بن عيسى.

8- شعبان الزناقي تولّى بايلك الغرب سنة 1090هـ/1679م (ت 1686م) .

9- يوسف بن مصطفي بو شلاغم بن يوسف بن محمد بن اسحاق (المسراتي)، 1686-1733م .

10- مصطفى الأحمر المسراتي 1147هـ 1734- 1735م، والد الباي يوسف السابق

---

1) محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدولية، الجزائر، ط. خ. ،الجزائر، ث.صص.252 – 309. وانظر أيضا، الآغا إسماعيل بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا، تحقيق، يحي بوعزيز، ج2، دار البصائر، ط1، الجزائر، 2007، ص. 356. وكذلك، بوجلال قدّور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدّايات 1671-1830م، رسالة دكتوراه (غ. م)، جامعة وهران (1)، 2016/2017م، صص. 53-62 .

10- مصطفى الأحمر بن محي الدين المسراتي 1735- 1748م، (توفي ودفن بمستغانم).

11- محمد أبو طالب المجاجي المسراتي 1748- 1757م

12- قائد الملقب بقايد الذهب : لكثرة كرمه وجوده (المسراتي) (مصطفى) 1742- 1747م.

13- الحاج عثمان (عصمان) بن إبراهيم 1747- 1756م، تولى في البداية تلمسان، ثم في سنة 1160م تولى بايلك الغرب كاملا، (ت بمعسكر ودفن بها).

14- الباي حسن تولى سنة 1170هـ/ 1756م بسبب إهانته من قبل الباشا (سوء الإستقبال بالعاصمة)، ففرّ خوفا إلى اسطمبول.

15- أبو اسحاق إبراهيم باي الملياني تولى البايلك سنة 1170هـ، (1756- 1771م)، توفي سنة 1185م.

16- الحاج خليل، المعروف عند النّاس بالباي خليل تولّى سنة 1185م/ 1771م، توفي سنة 1192هـ/ 1778 م بتلمسان, ويقال أنّ يبب وفاته هو دعاء الشيخ سيدي المدني إبن اعطاء الغريسي.

17- محمد بن عثمان الملقب بـ(محمد الكبير) بن ابراهيم الكردي 1778- 1788م، توفي وهو في مهمة تأدية الدنوش إلى العاصمة.

18- (أبو عثمان) عثمان بن محمد بن عثمان (محمد الكبير) 1192هـ 1789- 1802م، فاتح وهران صباح الإثنين 15 رجب، وفاتح الأغواط، وعين ماضي، والشلاّلة ومزابا، تم عزله.

19- مصطفى بن عبد الله العجمي (المنزلي)، تولى البايلك سنة(1215هـ/ 1802- 1805م)، تم عزله. ثم 1803- 1807م. تميز بالعقل والجبن. وفي عهده ثار الدرقاويين.

20- محمد بن محمد بن عثمان الملقب بالمقلش، عين على بايلك الغرب وعمره 18 سنة لشجاعته سنة 1220هـ على إثر فشل الباي السابق مصطفى العجمي 1805- 1807م.

21- محمد بن عثمان (1807- 1812م)، الملقب بأبي كابوس لقتله السّائح بن خضرة رئيس قبيلة سويد المعروفة بأولاد أقصير، (بالمحال). و يلقب بالرقيق وبالمسلوخ، قتل بعد اتهامه بالثوران على السلطة، ومبايعة ملك المغرب.

22- علي قارة باغلي نسبة إلى بلدة تركية يقال لها (باغلة)، صهر الباى محمد. تولّى البايلك سنة (1228هـ)، 1812- 1817م

23- حسن بن موسى (الباهي حسن). تولّى البايلك بعد الباي علي قارة باغلي منصف ذي الحجة الحرام (1232هـ)، 1817- 1831م، عمل طباخا لأربعين جنديا، ثم عمل بائعا للتبغ، ثم صاهره أبو كابوس وعينه قائدا على قبائل فليتة، وبعد الاحتلال نفي إلى المشرق.

24- (عائلة بوشلاغم) من: 1696 إلى 1760م، باستثناء [1738-1748م].

25- (عائلة مجمد بن عثمان الكبير) من:1779- 1830م، باستثناء [1800- 1805م].

26- محمد المقلش 1805- 1807م

27- محمد الركيك (الرّقيق) بوكابوس 1807- 1812م

28- علي قارة باغلي 1812- 1817م

-) حسين بن موسى الباهي 1817- 1831م

• **ملحق (16): قائمة بعض بايات بايلك التيطري**

ر. ت	اسم الباي	فترة الحكم	ملاحظة
؟	....	....	...
1	رجب باي	1548م.	
2	شعبان باي	1633م.	
3	فرحات باي	1663م.	
4	عثمان باي	1763م	قتله أولاد نايل
5	سفطة باي	1775م.	
6	الوزناجي باي	1772-1792م	
7	سي حسن باي.		
8	إبراهيم باي		
9	الوزناجي		

ملاحظة: حكم بايلك التيطري ما بين (1516 و 1775م) حوالي 18 بايا.

الفهارس

1- فهرس الآعلام

2- فهرس الأماكن والبلدان

3- فهرس القبائل والفيئات (الطوائف).

4- الفهرس الموضوعات.

1- فهرس الأعـــلام.

(أ)

(ب)

(ج)

(د)

(هـ)

(ح)

(ط)

(ي)

(ك)

(ن)

(س)

(ع)

(ف)

(ص)

(ق)

(ر)

(ش)

(ت)

(ث)

(خ)

(ذ)

(ض)

(ظ)

(غ)

2- فهرس الأماكن والبلدان.

(أ)

(ب)

(ج)

(د)

(ز)

(م)

(ر)

(ش)

(ت)

3- فهرس القبائل والشعوب.

(أ)

(ب)

(ط)

(ي)

(ك)

(ل)

(م)

(س)

قائمة المصادر والمراجع.

أولا: ا لمصـــــــــــــا د ر:

أ) القـرآن الكــريــم.

ب) الـوثــائــق.

1- وثيقة عثمانية، رقم: 20، المجموعة رقم: 3207، المكتبة الوطنبة (الحامة)، الجزائر.

2- وثيقة عثمانية، رقم: 29، المجموعة رقم:3207، المكتبة الوطنية (الحامة)، الجزائر.

3- وثيقة عثمانية، ملف، رقم: 3206، سنة 1235هـ/(1819م)، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.

4- وثيقة، رقم: 24 ، ملف، 3206، مكتبة الوطنية (الحامة)، الجزائر.

5- وثيقة عثمانية، رقم: 35، ملف رقم: 3206، سنة 1243هـ/(1827م)، المكتبة الوطنية (الحامة)، الجزائر.

6- وثيقة عثمانية، رقم 19، المجموعة رقم: 1642، الأرشيف العثماني، المكتبة الوطنية (الحامة)، الجزائر.

7- وثئقة عثمانية، « رسالة حسن باي إلى إبراهيم وكيل الحرج بباب الجهاد» ملف: رقم 3206، رقم الوثيقة: 42، السنة 1242هـ/ (1826م)، المكتبة الوطنية (الحامة)، الجزائر.

8- وثائق عثمانية، ملف ، رقم، 3206، سنة 1235هـ.

ج) المصادر المطبوعة (العربية والمعربة).

– أبو الضياف، أحمد (بن): أتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مج $_1$، ج$_1$، الدار العربية للكتاب، ط$_2$، السنة، 2004م.

– ابن حمادوش عبد الرزّاق الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري، المسماة لسان المقال في النّبإ من النّسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1983م.

– إبن ميمون، محمد (الجزائري): التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق. وتح. محمد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

– ابن الملا، أحمد بن محمد : المنتخب من تاريخ الجنابي، دراسة وتحقيق، رابعه مزهر شاكر، دار اليازوري، عمان (الأردن)، 2013.

– إبن عبري، أبو الفرج غريغوريوس: تاريخ مختصر الدول، وضع حاشيته خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط$_1$، 1997.

– بيرم، محمد الخامس: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المجلد الثاني، تحقيق: رياض المرزوقي وآخرون، ، بيت الحكمة، ط$_2$، تونس، 1999م .

– البخاري، أحمد: صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب، عن أخاك ظالما أو مظلوما. (حديث صحيح). انظر، المكتبة الإسلامية. نت.

– الوزان، الحسن بن محمد (ليون الإفريقي): وصف إفريقيا، ج$_2$، تر. حجّي محمد ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط$_2$، 1983.

- الزياني، محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران عي أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم البوعبدللي، المهدي ، دار المعرفة الدولية، (ط.خ)، الجزائر، 2013.

- الحاج مصطفى، التهامي: سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح. يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ط$_2$، بيروت، 2005.

- مجهول: سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الله حمادي، دار القصبة، الجزائر، 2009 .

- المزاري، اللآغا بن عودة : طلوع سعد السعود في أخبار الجزائر ووهران وإسبانيا وفرنسا، ج$_1$،ج$_2$ ، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2007.

- المقري، أحمد، بن محمد : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 4، تحقيق؛ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.

- العطار، أحمد بن مبارك: تاريخ قسنطينة، مطبعة البعث، الجزائر، 1856م.

- الراشدي، (الشيخ) أحمد بن عبد الرحمان الشقراني: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، ط$_1$، بيروت، 1991.
- التنسي، محمد بن عبد الله، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق، محمود بوعياد، (م. و. ك.)، الجزائر، 1985.

- خوجة، حمدان بن عثمان، السجل الثاني،(1207-1212هـ/ 1793-1798م)، المحكمة المالكية، قسنطينة .

– خوجة حمدان بن عثمان: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، (ش. و. ن. ت)، ط$_2$، الجزائر، 1982.

– خوجة ، علي رضا بن حمدان: ذكريات رحلة من مدينة الحزائر إلى قسطينة عبر المناطق الجبلية، منشورات ثالة، الجزائر، 2008.

ثانيّا: ا لمـــرا جــــــــع:

أ) المراجع العربية والمعربة.

– أبو الشعير سعيد،: القانون الستوري والنظم المقارنة، ج$_1$، (د. و. م. ج.)، الجزائر، 2000.

– إيفا نوف، نيكولاي: الفتح العثماني للأقطار العربية 1516–1574م، ترجمة: يوسف عطا الله، دار الفارابي، ط$_2$، بيروت، 2004م.

– إمريت، مارسيل: الجزائر في العهد العثماني ،(L'Algerie à l'époque d'Abd –el–Kader)، تر. عبد الحميد بورايو و حميد بولحبيب، دار الرائد للكتاب، الجوائر، 2004م.

– ابن الأثير: التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، بيروت، 1985.

– أنطونيو دي صالدانيا: أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق، إبراهيم بوطالب وآخرون، الجمعية المغربيّة للتّأليف والترجمة والنّشر، الرّباط (المغرب)، 2011.

– أورتايلي، ألبير: العثمانيون في ثلاث قارات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 1435هـ/2014 م.

– دي طوكفيل، ألكسي : نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر. إبراهيم صحراوي، (د.م.ج.) الجزائر، 2008.

– أبو زيدون، وديع: تاريخ الأميراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، دار الأهلية للنشر، ط$_2$، بيروت، 2011 .

– بالطيب، عبد اللطيف: أمير البحر مراد رايس الأصغر الجزائري، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2014م.

– بلحميسي، مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، إشراف المركز الوطني للدراسات التاريخية، المؤسسة الوطلية للنشر والتوزيع، ط$_2$، الجزائر، 1981.

– باموك، شوكت: التّاريخ المالي للدولة العثمانية، تعريب عبد اللطيف الحارس، داار المدار الإسلامي، بيروت، 2005 .

– بوحوش، عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، ط$_2$، بيروت، 2005 .

– بهادر، أوغلو: السلطان سليم ياوز، شركة مكتبة دار المعارف ناشرون، تر: مصطفى حمزة ومحمود قفص، ط$_1$، بيروت، 2017م.

– بوعزيز، يحي: ثورة المقراني ودور عائلتي المقراني والحداد، (ش . و. ن.ت)، الجزائر، (د.ت).

– بيات، فاضل مهدي: الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط$_1$، بيروت،2007.

- بيهم، محمد جميل: فلسفة التاريخ العثماني، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014م.

- بن صحراوي كمال، الدّور السيّاسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدّايات، بيت الحكمة، العلمة، (الجزائر)، 2009.

- بن خروف، عمار: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في ق (10هـ/ 16م)، ج1، دار الأمل، الجزائر، 2007.

- بنوجيت، يوسف: قلعة بني عباس إبان القرن السّادس عشر الميلادي، دار النشر، دحلب، الجزائر، 2012.

- بروديل، فرناند: المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب أبي سمرا، دار المنتخب العربي، ط1، بيروت، 1993.

- بروشين، نيكولاي إيليتش: تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، بيروت، 2001م .

- برادفورد، أرنل: البحر المتوسط حضاراته وصراعاته، ترجمة: خليفة محمد التليسي، الدّار العربية للكتاب، تونس، 2009، ص. 476.

- بلحميسي، مولاي: المدن الثلاث: الجزائر المدية مليانة، وزارة الثقافة، ط2، الجزائر، 2005.

- بفايفر سيمون: مذكّرات جزائريّة عشيّة الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو، شركة دار الأمّة (ط. خ)، الجزائر، 2009.

- دحماني، توفيق: دراسة في عهد الأمان القانون الأساسي السيّاسي والعسكري ببجزائر الدار العثمانيّة، الجزائر، 2009 .

- الدهماني، سالم الدهماني: التاريخ السياسي للعلاقات المغربية الليبية من ق 16م إلى ق 19م، جامعة الزاوية ، ط1، (ليبيا)، 2013 .

- درّاج، محمد : الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512- 1543م، شركة الأصالة، الجزائر، 2015.

- درّاج، محمد : الجزائر في المصادر العثمانية، دار الوراق للدراسات والنشر، ط1، الجزائر، 1438هـ/2017م.

- دریاس يمينة ، السكة الجزائريّة في العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

- وولف، بابتست جون: الجزائر وأوربا 1500-1830م، ترجمة وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، (ط.خ.)، 2009 .

- الزبيري، محمد العربي: التجارة الخارجية الجزائرية 1792-1830م، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- الزّبيري، محمد العربي: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1985.

- زليتنر، جان كلود: طرابلس ملتقى أوربا وبلدان وسط إفريقيا (1500- 1795م)، الدّار الجماهيرية، بنغازي،2001م .

- حاجبات، عبد الحميد: أبو موسى الزيّاني حياته وآثاره، (ش. و. ن.ت.) الجزائر، ط2، 1982.

- حارش، محمد الهادي: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري من فجر التاريخ إلى فجر الإسلام، المِؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.

- حساني، مختار: تاريخ الدولة الزيّانية، ج1، الأحوال السيّاسية، دار الحضارة، الجزائر، ط1، 2007.

- حسن، أحمد حافظ : ثورات غيّرت العالم، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2013، ص. 4 .

- حسن، حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.

- الحسن، عيسى: الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الانهيار، الأهلية للنشر والتوزيع، ط$_1$، عمان، 2009.

- الحفناوي، أبو القاسم محمد: تعريف الخلف برجال السلف، ج$_2$، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007م.

- حرزالله، محمد العربي: منطقة الزاب 100 عام من المقاومة (1830- 1930م)، دار الواحة للكتاب، الجزائر، 2009.

- طالبي، عمار: جمعية العلماة المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

- طقوش، محمد سهيل: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة 1299-1924م، دار بيروت المحروسة، 1995.

- ياغي، إسماعيل أحمد : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، مكتبة العبيكان، (د. ت.)

- كولن، صالح: سلاطين الدولة العثمانية، دار النيل، ط1، القاهرة، 1431هـ/ 2011 م.

- المدني، أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة، دار البصائر، الجزائر، ط2، 2009.

- محمد، نور الدين وآخرون: الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد 1516، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، الفتار (لبنان)،2001.

- محرز، أمين: الجزائر في عهد الآغوات (1659-1671)م، دار البصائر، الجزائر، 2013.

- موهوبي، عبد القادر: و مضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ، وميزاب، وورقلة، والطيبات، والعلية : والحجيرة ، دار البصائر، الجزائر، 2011.

- موساوي، فلة – القشاعي: الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871م، (د.ت).

- المطوي، محمد العروسي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب العربي الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، (د.ط.)، 1406هـ/1986م.

- منصور، حكيمة: السلطان العثماني محمود الثاني ومسألة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1808-1839م)، نشر ألفا، الجزائر، ط1، 2014.

- معاشي، جميلة: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري، من: ق 10هـ/ 16م إلى ق 13هـ 19 م، (د. م. ج.) ، الجزائر، 2015 .

- نوار، عبد العزيز سليمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419هـ/1998م .

– النّظام، زهرة،: العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، دار الأمان، الرباط، 2015.

– السّامرائي، عبد السلام محمود: الإدارة العثمانية في الجزائر 1518– 1830م، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، 2017.

– ساحي، أحمد: الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512–1767م، الأمل للطياعة والنشر تيزي وزو، 2015م .

– السير هاملتون، جيب وهارولد بوين: المجتمع الإسلامي والغرب وأثر الحضارة الغربية في الفكر الإسلامي في الشرق الأدنى،ج1، ترجمة، عبد المجيد حسيب القيسي، دار المدى للثقافة والنّشر، ط1، بيروت، 1997.

– سعد اللّه، أبو القاسم: بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط2، 2005.

– سعد اللّه ، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 16م إلى القرن 20م، ج1، (م.و.ك.)، ط2، الجزائر، 1985.

– سعد الله، فوزي: يهود الجزائر موعد الرحيل، دار قرطبة، الجزائر، 2018.

– سعيدان، عمر: علاقة إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين (1،2) من ق(14)م، منشورات تالة، الجزائر، ط2، 2011.

– سعيدوني، ناصر الدين: منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000 م .

- سعيدوني، ناصر الدّين: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999،

- سعيدوني، ناصر الدّين: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)، (ش. و. ن. ت.)، الجزائر،1979 م.

-سعيدوني، ناصر الدّين: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830م،(م. و. ك.)، ط2، الجزائر، 198.

- سعيدوني، ناصر الدّين: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي في العهد العثماني، دار الغرب اللإسلامي، ط1، بيروت، 2000م .

- عباس، فرحات: ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمد ية، المغرب، (د. ت).

- عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم: المغاربة في مصر في العهد العثماني، (1517-1798) م، منشورات المجلّة التاريخية المغربية، وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، تونس، 1982.

- عدي، سعيد: المغرب والعالم المتوسطي، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية المغربية مابين القرن 16 و 20،، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014 م.

- عفيفي، محمد: عرب وعثمانيون وؤى مغايرة، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1426هـ/ 2005م.

- فـايسات، أوجين: تاريخ بايات قسنطينة، تر: صالح نور، دار قرطبة، 2010.

- فكاير، عبد القادر: الغزو الأسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (1505-1792) م ، دار هومة، ط$_2$، الجزائر، 2015.

- قنان، جمال: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1500- 1830م، دار الكتاب، الجزائر،2000 م.

- رائسي، إدريس: القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الإجازة والإغارة (1830-1881)، الدار المتوسطية للنشر، ط$_1$، تونس، 1437هـ/2016 م.

- الرديني، يوسف عبد الكريم طه مكي: المؤسسة العسكرية العثمانية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عُمان، ط$_1$، 1435هـ/ 2004 .

- شويتام، أرزقي و شارف رقية: المجتمع الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي، دار الأمال ، الجزائر، 2019،

- شويتام، أرزقي: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830) م، دار الكتاب العربي، ط$_1$، الجزائر،2007 م.

- شويتام أرزقي، دراسات ووثائق،...دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010.

- شوڤـاليبه، كورين: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510-1541م، ترجمة حمادنة، (د. م. ح. ج.)، الجزائر، 2007.

- التميمي، عبد الجليل: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر تونس ليبيا 1816-1871م، (م. د. م. ج.) ، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، ط$_2$، 1985م .

– التميمي، عبد الجليل: الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، مركز الدّراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتّوثيق والمعلومات، زغوان (تونس)،1989 .

– التميمي، عبد الجليل: الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيّين، (م. د. ب. ع. م. ت.)، زغوان (تونس)، 1989.

– خمار أحمد: تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012.

– خنوف، علي: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، ط1،2011م.

– أبو ضيف، مصطفى عمر: القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين،(د. و. م. ج.)، الجزائر. 1982.

ب) المصادر الأجنبية:

-) Haëdo Diego de, Histoire des ROIS d'Alger, trad. De l'espagnol : Henrie Delmas de Grammont, prés. A. Rabahi, éd. (G.A.L.), Alger, 2004.

-) INCONNU, Rapport Diplomatique L'Expédition Toscane contre Bône en 1607, ou heureux succès et victoire des chrétiens et armée du grand Duc d Toscane contre les Turcs, suivant les avis de Venise du huitième octobre 1607,prés. appendices, et commentaire de: Mohamed lakhdar Boubakeur et Saïd Dahmani, ARAJA édition, Constantine, imp_{1}, 2013.

-) Khodja, Hamdan Ben Othman, Le Miroir, éd. Sindbad, Paris, 198.

-) Kano, D’Alfonso : La Régence d’Alger, au 18°, siècle manuscrit, présente et traduit de l’espagnol, par, Ismet Tareki, Hassaine, éd. Dar - el- quds, Oran, 2010.

–) Nouschi, André : Enquete sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu’en 1916, Paris, 1961.

-) PIJNACKER, Cornelis: Description historique des villes de Tunis, d’Alger et d’autres se trouvent en Barbarie (1626), trad. Marie - Agnès de Bruijn –Jolivet et Gérard van Krieken, éd, (E.N.A.G.), Alger, 2015.

ج- المراجع الأجنبيّة .

-) Berbrugger, Adrien , Les Turcs en Kabylie, Bastide édition, Alger, 2012.

-) Chaouch Sinan , Fondation de la Régence d’Alger, Histoire des frère Barberousse Arroûdj et Khair –éd-DIN, trad. de Jean Michel Ventura de Paradis, éd. Sander Rang et Ferdinand Denis, 1937.

-) Davis. K. Paul , « 100 decisive battles Oxford university 2001 ».

-) De Resbecq A. De Fontaine : Alger et Les Côtes D’Afrique, 1832.

-) De Paradis Venture Jean Michel: Expédition contre Alger, Belle Lettres, 2012.

-) Denis, Fernand, et Rang Sander : fondation de la Régence d’Alger, Histoire des Barberousse, T_1, éd. Bouslama, Tunis, 1984.

-) (Docteur) Chaw Thomas , voyage dans la régence d’Alger .

-) Féraud, Laurent – Charles : Histoire de Bougie, éd. Talantikit, Bejaïa, 2014.

-) Féraud, (L. C.), Les ben- djellab sultans de Touggourt , (A.L.E.), Alger, 1872 .

-) Genevois, Henri , Les Rois de Koukou, prés. RABAHI, Alger, Livres édition, 2017.

-) Govion , (M), Kitab Ayane El Maghariba , imp. Oriontale , fantana , frères pelissiers, 1920.

-) Julien, Charles André : Histoire de l'Afrique de nord des origines, a 1830, éd. Talantikit, Bejaïa, 2015.

-) Kaddache Mahfoud : L'Algérie des Algériens, de la préhistoire a 1954, EDIF, Bir-Khadem, Alger, 2000.

-) Les JANISSAIRES: Origine et histoire des milices turques des provinces ottomanes et tout spécialement celle d'Alger, textes sélectionnés et synthèses réalisées par Kamel Cherhit, Alger-Livres Éditions (G.A.L.), Alger, 2005.

-) Mercier, Ernest : Constantine au xvi siecle elvation de la famille El – Faggoun, éd. Scolie, Alger, 2014.

-). Mangin, (E) Notes sur L'Histoire de Laghouat, Adolphe Jourdan, libraire- éditeur, Alger, 1895 .

-) Nantet, Bernard : Histoire de Sahara et des Sahariens, presse PARIS, 2008.

-) Rebahi , Abderrahmane : Liminaire et notes additives de , Alger. Livres. Édition, (C.A.L.), Alger, 2006 .

-) Rinn, Louis, Histoire de l’insurection de 1871 en Algerie, librairie Adolphe Jourdan, imprimeur librairie, Alger, 1891.

-) Rufe Paul, domination espagnole à Oran, edition Mimouni, Alger, (s.d.)

-) Raymand, André : Grandes villes arabes à l’époque ottomane, La bibliothèque arabe, Sindbad, Paris, 1985.

-) Vayssettes, Eugène : Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517-1837, éd. Média Plus, Constantine, 2010.

-) Vayssettes, (E). Histoire, des derniers beys de Constantine depuis 1793, Alger - Livre Edition, Alger, 2005.

-) Younes, Karim, Au Temps des Janissaires, Casbah, Alger, 2016 .

ثالثا: رسائل جامعية غير مطبوعة :

01- قدور بوجلال، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671- 1830م، رسالة دكتوراة، غير منشورة، إشراف دحو فغرور، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران(1) أحمد بن بله، 2016- 2017م .

02- حرفوش عمر، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني الإدارة المركزية نموذجا، رسالة ماجستير، إشراف عائشة غطاس، 2009/2008م، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة (2)، الجزائر.

03- بومولة، نبيل: القوى المحلية في منطقة القبائل الشرقية في العهد العثماني(ق10هـ/16م) بني عباس نموذجا، رسالة ماجستير، إشراف: أرزقي شويتام، كلية العلوم الإنسانية جامعة بوزيعة، 2010/2009.

رابعا: الدّوريات. : (Revues)

أ) بالعربيّة.

-) بلحميسي، مولاي، «***مدينة لمدية عبر التاريخ***»، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤزن الدينية، السنة الأولى، العدد(2)، عدد خاص، السنة 1971م.

-) بروديل، فارديناند: «***وصف حالة مغربنا العربي***»، المجلّة الإفريقية، السّنة: 1982م.

-) بوخالفة، عزّي:«***الغوثية من واقع مدنس إلى فضاء مقدّس***»، مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع عدد، 5، جانفي /مارس 2011.

-) ماهود محمد ، سهر : «***الموظفون العثمانيون في إيالة الجزائر دراسة في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصاديّة***» مجلّة التراث العلمي العربي ، كلية التربيّة للبنات، جامعة بغداد، العدد: 2، السّنة : 2015م .

-) نور الدين، محمد :«***الانتفاضات العلوية في الأناضول في القرن السادس عشر***»، الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد 1516م، مجموعة باحثين، مؤتمر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة اللبنانية بالتعاون مع الجمعية التاريخية اللبنانية، أيام: 28،29،30/ أفريل /1999 م، الفنار (لبنان)،2001 .

-) سعد الله، أبو القاسم:«***الأندلس ذكرى وعبرة***» ، مجلة الدراسات التّاريخية، معهد التاريخ جامعة بوزريعة، الجزائر، عدد: 08، السنة: 1994/93.

-) سي يوسف، محمد : دراسة مخطوط « ***عجائب الأسفار ولطائف الأخبار***»، مجلّة الدّراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر(2)، العدد (2)، السنة: 1986.

-) شويتام، أرزقي: « ***طبيعة الحكم العثماني في الجزائر* (1519- 1830)** »، مداخلة بالملتقى الجزائري التركي حول العلاقات الجزائرية التركية، قصر الثقافة، 02، 03/ مارس/2017، الجزائر.

شويتام، أرزقي، « **دور القوى المحلية في ظل الحكم العثماني، مداخلة بالملتقى الدولي حول الممالك الأمازيغية في العهد الإسلامي** » ، دار الثقافة، بسكرة، يومي: 1، 2 ديسمبر 2010.

شويتام، أرزقي، يوم دراسي حول مملكة كوكو، يوم 30سبتمبر 2010، دار الثقافة مولود معمري، تيزي وزو، 2010 .

-) شويتام، أرزقي: « ***الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية* (1519- 1830م)** »، مجلة أفكار وآفاق، جامعة الجزائر (2)، المجلد (3)، العدد 04، السنة 2013م.

-) توران، عثمان« ***الأمبراطورية العثمانية والجهاد المقدس لرد الحملات الصليبية*** »، ملتقى الفكر الإسلامي بتلمسان، من 10 إلى 19 يوليو1975م، المجلد الرابع، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر،(د.ت).

-) غانم، محمد: « ***مقاومة الأمير عبد القادر من خلال الأرسطوغرافيا المغاربية التقليدية*** »، مجلة الدراسات التاريخية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر (2)، عدد: 08، السنة 1994م.

ب) بالفرنسيّة.

-) Arnaud, (L). « ***Histoire des Ouled Nail suite à celle des sahari*** » , in R. A., N° 16, Alger, 1872.

-) Boyer, Pierre, « ***Contrubution a l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger (xvı^{e} - xıx^{e})»***, in revue de l'occident Musulman et de la Méditerranée, Nº 6 .

-) BOYER ,(P) . ***« Le problème Kouloughlé dans la régence d'Alger»*** , R.O.M . N° spécial , année 1970.

-) BOYER, (P) . « ***Des Pachas triennaux à la révolution d'Ali Khoja 1671-1817*** », in , R.A., N° 495, puf .

-) BOYER, (P) . ***« La politique relégieuse des Turcs dans la régence d'Alger*** », R.O.M.M .

-) Boyer , (P) : **La révolution dite " des Aghas" dans la régence d'Alger (1659-1671)** , in, R.A, n° :

-) Devoulx, (A). « ***Reherches sur la coopération de la régence d'Alger à la guerre de l'indépendance grecque*** », in R. A. N° 7, Alger, 1856/1857.

-) Féraud,(L). ***« letters orales de l'époque de l'occupation espagnole en Algerie »***, in R . A. 1873 , N° 17 .

-) Féraud, (L. C) « ***Aïn- Baïda, province de Constantine*** » in R. A. N° 16, Alger, 1872 .

-) Féraud, (L. C.), ***« Les chérifs Kabyles de 1804 dans la province de Constantine»*** , in R. A. année, 1869.

-) Féraud, (L.Ch) , R. A., 1874 .

-) Gorguos, ***« Notice sur le Bey Mohammed El –Kebir »,*** in R. A. , Alger, 1856 / 1857.

-) J. N. Robin, ***« Le Bey Mohammad ed- debbah »*** in R. A. N° . 17, Alger, 1873 .

-) Les Musulmans français et la guerre, **Adresses et temoignages de fidélité des chefs musulmans et des personnages religieux de l'Afrique Occidentale**, (R. M M.) éd. Ernest Leroux, Paris 1915.

-) Magin,(E) ***: « Notes sur L'Histoire de L'Aghouat»*** , (R.A.) , Alger, 1895.

-) Malki, Nordine,« ***L'Agérie au 16° siecle une convention inconnue et inédite entre les cheikhs de Mascara et les espagnols d'Oron contre les Othomans dans la deuxieme moitié du 16° siecle»***, Majallat Et-tarikh , centre national d'etudes historiques, Alger, n° 24.

) Rinn, Louis : « Le ***royaume d'Alger sous le dernier Bey »*** , R. A., N° 41 , 1897.

-) Sari Djillali , « ***Les ottomans et la mediterranee occidentale au xvi*** , Majallat el- Tarikh , N° special (23), Alger, 1987.

-) WATBLED,(E) **« *Expédition du Duc de Beaufort contre Djedjeli* »** , in, R . A. N° 17, Alger, 1873.

خامسا: القواميس والمعاجم.

-) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 2004.

-) حسان حلاق و عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الآيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية المسطلحات الإدارية والعسكرية والسيّاسيّة والاجتماعية والعائليّة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1999.

-) مانتران روبير، أهم التواريخ في الحضارة الإسلامية، (العنوان الأصلي: Les Grandes dates de l'Islam, Larousse 1990) تحقيق، محمد ريحان، هاشيت أنطوان، بيروت، 2012م.

-) المصري، حسين مجيب، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 1425هـ/ 2004 م.

-) سعيدوني، ناصر الدين و محمد الشيخ المهدي: « ***معجم مشاهير المغاربة*** »، تنسيق أبو عمران الشيخ، جامعة الجزائر، 1995، 518 .

-) العثماني، رفع محمود، رفيق العثماني، "تركي فارسي عربي" مطبعة الآداب، بيروت، (د. ت.).

الفهرس االعام.